

الدكتور عبد الحليم التمتي

محوث وراثتي النبلج المغربي

تونس - الجزائر - ليبيا

من 1816 إلى 1871

تقديم

دوبار منتران

أستاذ التاريخ الحديث بجامعة أكس اون بروفنس «فرنسا»

الدار التونسية للنشر

© الدار التونسية للنشر

: الطبعة الاولى - مارس 1972

قسم هذا العمل كأحد الأجزاء الثلاث للرسالة التي أعدها لنيل درجة
دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث من جامعة أكس أون بروفنس (فرنسا) .

أما الجزءان الآخران للرسالة فهما :

1 - حكم الحاج أحمد باي وشرق الجزائر من 1830 إلى 1837 . (مخطوط
بالفرنسية) .

2 - فهرس الدفاتر العربية والتركية بالجزائر . (مخطوط بالعربية
والفرنسية) .

للمؤلف

Trois lettres de Ḥādī Ḥāmed de Constantine à la Sublime Porte, in, —
R.O.M.M., n° 3, pp. 133-152, Aix-en-Provence, 1967.

ترجمة هاته الدراسة نشرت بمجلة تاريخ وحضارة المغرب ، عدد 9 الجزائر ،
1970 :

— ثلاث رسائل للحاج أحمد باي قسنطينة الى الباب العالي •

Documents turcs inédits sur le bombardement d'Alger en 1816, in, —
R.O.M.M., n° 5, pp. 111-133, Aix-en-Provence, 1968.

Réflexions sur les relations d'Abdelkader avec la Sublime Porte et l'Angleterre en 1840-41. Communication présentée au Colloque de la
" Settimana-Maghrebina " à Cagliari (Italie), 22-25 mai 1969, in, *Atti Della Settimana Maghrebina*, pp. 151-171, Cagliari, 1970.

Considérations nouvelles sur la révolution d'Alī Bin Ghadāhum, in, —
R.O.M.M., n° 171-185, Aix-en-Provence, 1970.

ترجمت هاته الدراسات الثلاث ونشرت ضمن هذا الكتاب •

— السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827 – 1847 •

وهي ترجمة رسالة الاستاذ أرجمنت كوران من التركية الى العربية ،
منشورات كلية الآداب بالجامعة التونسية ، ص 125 ، تونس ، 1970 •

*Recherches et Documents d'Histoire Maghrébine, la Tunisie, l'Algérie¹
et la Tripolitaine de 1816 à 1871.*

وهو النص الفرنسي لهذا الكتاب •

— فهرس الدفاتر العربية والتركية بالجزائر •

Inventaire des registres arabes et turcs d'Alger. —

هذان الكتابان الأخيران تحت الطبع •

Ḥādī Ḥāmed Bey et le Constantinots de 1830 à 1837. —

ما زال مخطوطا في آنتظار نشره •

إلى وَالِدَيَّْ

مقدمة

ان تاريخ الجزائر منذ سنة 1830 قد اعتمد فى كتابته ، على الوثائق الفرنسية بوجه خاص والاوروبية بوجه عام : وتاريخ تونس ، هو الآخر ، قد اعتمد فى كتابته على نفس المصادر .

ودون ان نجد اهمية وجهات النظر الاوروبية لتاريخ شمال افريقيا ، فانه من جهة اخرى يجب علينا ان لانهمل وجهة النظر العثمانية والتي - والحق يقال - قد تركت جانبا وبصورة مطلقة

غير انه يجب ان لا ننسى ان الجزائر وتونس وطرابلس الغرب كانت تعتبر من الاجزاء المتتممة للامبراطورية العثمانية . ان عددا من الروابط تشهد بذلك ، وعليه فانه من الصعب جدا ان نقبل تصور عدم الاهتمام ، ولمدة طويلة ، بمعطيات الوثائق التركية .

ان عددا من المؤرخين ، كانوا يذهبون الى التفكير بان وثائق وزارة الخارجية الفرنسية والبريطانية مثلا ، والمتعلقة بالباب العالي ، تكفى لتوضيح وجهات النظر العثمانية ، تجاه تاريخ شمال افريقيا .

غير انه تجدر الملاحظة هنا ، ان ذلك لا يدرس العلاقات بين الجزائريين والتونسيين والأتراك .

وبالتاكيد ، اننا لا نذهب الى القول : ان دراسة الوثائق التركية ستمكننا من نظرة جد اصيلة وجديدة لهذا الميدان ، ولكننا على

اية حال نرى ان تلك الوثائق ستسمح لنا بمقارنة الحوادث بعضها مع بعض ، وبالتالي سيمكننا ذلك من تحليل جديد واكثر وعياً لبعض الاحداث التاريخية .

لقد بدأ الباحثون في استغلال الوثائق التركية المحفوظة باستنبول وانقرة ، واليوم اقدم بابتهاج بالغ عمل السيد عبد الجليل التميمي ، الذي يعد اول مؤرخي المغرب الشبان ، حيث ادرك عدم الاكتفاء بالرجوع الى المصادر القديمة ، بل على العكس اضاف الى هاته ، الوثائق التي سعى للعثور عليها ودراستها باستنبول .

ان مجموع دراساته التي يقدمها هنا ، هو الدليل القاطع على سعة وشمول وثائقه ، وسعة معرفته بهاته اللغات الضرورية لتعميق مثل هاته الدراسات حول تاريخ الجزائر وتونس الحديث . يمكن لنا ان نعتد في المستقبل على السيد عبد الجليل التميمي للعمل على تقديم فن التاريخ ، وانا انتظر منه ان يقدم لنا في القريب العاجل ، الحجة القاطعة على ذلك .

سأكون بذلك اكثر سعادة خصوصا وان النداء الذي وجهته منذ سنوات لم يذهب سدى بل قد أستجيب له .

روبار منتران
اكس اون بروفنس
ماي 1970

نوطنة

هذا الكتاب وضعناه بادی الامر باللغة الفرنسية ، أيام كنت طالبا بفرنسا ، وقد ظهر أخيرا ضمن مطبوعات كلية الاداب بالجامعة التونسية باللغة الفرنسية . ولشد ما حرصت ان يتم ظهور النسخة العربية قبل ظهور النسخة الفرنسية ، غير أن ظروف استثنائية خارجة عن ارادتي ، وملاسات الادارة الروتينية ، قد أخرت ظهور هذا الكتاب الذي كان جاهزا منذ أكثر من خمسة عشر شهرا .

وسبب وضعي هذا الكتاب باللغة الفرنسية ، يرجع الى أنه سيقدم كأحد الاجزاء الثلاث للرسالة التي أعدها لنيل درجة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث من جامعة فرنسا .

وقد قمت بترجمة كتابي الى العربية ، لايماني العميق بسلامة اللغة العربية وبشراها وطواعيتها الخلاقة على أداء أدق النظريات التاريخية ، بأكمل ما يكون الأداء شمولا وعمقا ووضوحا ، كما اني لست في حاجة الى الرد على الذين يتنكرون للعربية ويدعون قصورها وعدم إيفائها اداء رسالتها ، اذ نشر هاته البحوث التاريخية بلغة الضاد ، تكفيني مؤونة الرد عليهم .

ولنا أن نتساءل اليوم ، هل تاريخ مغربنا العربي قد كتب ؟ هل مكتبتنا التاريخية العربية لها من المراجع ما يسد حاجياتنا العلمية ؟ هل يمكن الاعتماد على ما كتبه العرب والاجانب وخاصة الفرنسيون ؟

لا أخالني الا مجيبا بالنفي المطلق ؛ ولعلني لا أبالغ ان قلت ان تاريخنا الحديث لم يكتب ، وان مكتبتنا التاريخية المغربية خالية تماما من الدراسات العلمية الجادة ، كذلك ما كتبه أخواننا المشارقة ، على الرغم من قلته ، لا يستحق الذكر ، اذ أغلبه يخلو من الطابع العلمي الجاد . اما ما كتبه الاجانب وخاصة الفرنسيون فهو على الرغم من كثرة ما ظهر في ائقرن الماضي والحال ،

فان أقله يستحق الاهتمام ، ذلك أنه من غير الطبيعي أن يختص مؤرخون أجانب في تاريخ بلد ما ، دون معرفة لغة ذلك البلد ، واتخاذها وسيلة لكتابة آثارهم ، ومن المؤسف أن يكون جل المؤرخين المختصين بتاريخ مغربنا ، يجهلون العربية .

يضاف الى هذا أن المؤرخين الأجانب قد اتخذوا من دور وثائق بلادهم ، مصدرا لتأليفهم ، دون أن يدركوا ان الوثيقة العربية بتونس أو الجزائر أو ليبيا ، والوثيقة اتركية باستنبول ، يجب أن تشكل منطلقا لكل الدراسات التاريخية العلمية .

ان الوثيقة العربية الموجودة بتونس مثلا ، والتي تعد بالملايين ، لم يقع استغلالها البتة ، وهي تنتظر من يثير عنها الغبار ، لتكون أساسا لدراسات تاريخية ، وليس من الطبيعي ان يعتمد حتى اليوم على دور الوثائق الاجنبية ، دون الاهتمام لما يمكن أن توفره الوثيقة العربية بتونس أو الجزائر أو ليبيا .

كما أنه من غير الطبيعي أن تهمل دور الوثائق بتركيا ، تلك الدور التي يجب أن تساهم هي الاخرى ، في اقرار أحكام تاريخية ، لما توفره من مصادر بكر للمؤرخين المغاربة وكذلك لمؤرخي الشرق ، الذين تهافتوا على ترجمة مؤلفات الغرب وأمريكا ، دون الاهتمام بدور الوثائق العثمانية ، والتي والحق يقال ، تشكل أهم مرجع لتاريخ الشرق العربي .

ان مجتمعنا لم يعد في حاجة الى آجترار المعلومات التاريخية ، وعرضها بأساليب مختلفة ، كما أننا لسنا في حاجة الى كتب تاريخية ، تلهب العواطف ، وتلعب بمشاعر الشعوب ، وتجعلها فريسة للصيغ البلاغية المتبدلة ، بل على العكس من ذلك ، ان تاريخ شعوبنا يجب أن يكتب بلغة ارسينة وبروح جديدة ومتفتحة ، وبأسلوب علمي ، يأخذ بالاعتبار المراحل الدقيقة التي مر بها فن التاريخ مضمونا وشكلا ، كما أنه يجب أن تسلط الاضواء على الشعوب التي صنعت التاريخ .

هذه البحوث التاريخية التي أقدمها لقراء العربية وبالاخص لقراء مغربنا اعرابي ، تريد أن تكون لبنة ومنطلقا لدراسات علمية . لقد طفنا لتأليف هذا الكتاب وجمع وثائقه ، بدور أرشيف تركيا وفرنسا وأنقلترا ، ونقينا عن الوثيقة التاريخية الام ، سواء أكانت تركية أم فرنسية أو انكليزية فضلا عن الوثيقة العربية ، ثم وضعنا مختلفها في اطار تاريخي مغربي شامل ، محللين مضامينها ، ومستمدين منها العناصر التاريخية الجديدة ، وذاهبين مع عدد من الوثائق الى آخر معطياتها التاريخية .

وقد تبين لنا أنه كلما تنوعت التحريات في دور الارشيف ، وتعددت لغات الباحث ، الا وآزداد البحث ثراء وعمقا وأهمية ، وعليه فإن سلاح الباحث اليوم ، غير سلاحه بالامس ، والاعتماد على لغة واحدة ، والغلو فيها ، أصبح نقصا لا يمكن التغاضي عنه .

لقد ترجمنا الوثائق التركية والفرنسية والانجليزية الى العربية ، متوخين الحفاظ على روح الوثيقة الاصلية ؛ ولعل أعسر ما يعترض الباحث ، هو مسؤولية نقل المعلومات التاريخية من لغة الى لغة أخرى ؛ وقد حاولنا ، بكل أمانة ودقة ، المحافظة على روح الوثيقة . ويعلم الله كم صرفنا من وقت للتدقيق في ترجمة بعض النصوص وخاصة من اللغة التركية القديمة والتي كانت تتطلب مزيدا من المعرفة اللغوية والتصور التاريخي لتطور بعض الكلمات وذلك لادراك أبعاد الوثيقة التاريخية ، هذا فضلا عن معميات بعض الفقرات والتي آستوجبت منا التأنى والصبر لحلها .

ومع هذا فنحن لا ندعى الكمال لكل ما قمنا به من أبحاث وترجمة ، ونامل أن تؤول الأخطاء التي قد يعثر عليها ، لحسن نيتنا ، ذلك اننا ما حدنا لحظة عن أن نكون نزهاء في أعمالنا ، وهي لعمري أول الواجبات التي يجب أن يتحلى بها كل باحث ، فضلا عن المؤرخ الحق .

ان نشر الوثائق يخضع في الحقيقة لقواعد ثابتة ، ولعل أهمها يتمثل في آثبات النص الاصل للوثيقة مهما كانت لغتها مصحوبة بصورة فوتوغرافية .

ومن حسن الحظ أن وثائق هذا الكتاب الفرنسية والانجليزية قد نشرت ضمن مطبوعات كلية الآداب والعلوم الانسانية بتونس . أما نصوص الوثائق التركية والمحرورة بالأحرف العربية وهو ما آصطلح عليه بـ « آسكى تركشه » فقد آستحال على آثبات نصوصها وذلك لانعدام أبجديتها في تونس ، كما ويعسر العثور عليها حتى في تركيا نفسها بعد حملة التتريك وقلب أبجدية اللغة التركية الى اللاتينية على يد آتاترك سنة 1928 . وقد اكتفينا بنشر صورة فوتوغرافية للوثيقة .

إن الأبحاث العلمية لتاريخ مغربنا العربي يحتاج إلى جهود باحثي ومؤرخي المغرب جميعا ، وسأكون سعيدا اذا ساهم هذا العمل المتواضع في خلق تعاون مثمر بناء بين جامعاتنا ومعاهدنا العلمية ، كما أؤمل أن يجد طلاب جامعة

تونس والجزائر وليبيا ، فى هذه الأبحاث ما يعزز لديهم الرغبة فى البحث ،
لنعمل جميعا على تنقية تاريخ شعوبنا وكتابته ، إذ ذلك يعد واجبا تفرضه
علينا معطيات عصرنا الحديث .

سوف لا أتناول بالحديث عن النتائج التى توصلت إليها فى هاته الأبحاث ،
غير أننى أدع ذلك للقارىء ، فهو الحكم الاول والاخير ، وأنا أنتظر منه النقد
البناء النزيه ، أنى كان مصدره .

لا أنسى وأنا أقدم هذا العمل أن أرفع شكرى لحافى الوثائق باستنبول
وباريس واكس اون بروفنس ولندن ، للمساعدة التى قدموها الى ، وللصبر
الذى اظهروه تجاه تعدد طلباتي ؛ شكرى للاستاذ كلود كاهين (Claude CAHEN)
الذى كان أول من وجه اهتمامى لهذا الميدان ؛ امتنانى للاستاذ روبرت منتران
(Robert MANTRAN) ، الذى ما فتىء يرعى دراساتي وأبحاثى ، وللسيد
بيار بوايى (Pierre BOYER) محافظ الوثائق باكس اون بروفنس ، والذى
وجدته منه كل مساعدة ؛ كما أقدم شكرى لصديقى الاستاذ عبد الحفيظ
منصور الذى ساعدنى على فهرسة قسم من هذا الكتاب .

عبد الجليل التميمي

تونس فى 20 جويلية 1971

الاصطلاحات

- أ . ح . ت . : ارشيف الحكومة التونسية بالوزارة الأولى بتونس .
- : A. E. ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية بباريس .
- : A. M. G. ارشيف وزارة الحربية بفرنسا (باريس) .
- : A. N. الارشيف الوطني بباريس .
- : A. O. M. الارشيف الوطني لما وراء البحار بأكس أون بروفنس (فرنسا) .
- وهو الارشيف الذي كان بالجزائر ، ونقل الى فرنسا قبيل آستقلال الجزائر .
- : B. A. ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول .
- : B. M. المتحف البريطاني بلندن .
- : E. I. دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الجديدة .
- : F. O. ارشيف وزارة الخارجية البريطانية بلندن .
- : H. A. ارشيف وزارة الخارجية العثمانية باستنبول .
- : H. H. خط همايون .
- : Ibid المصدر السابق .
- : Op. cit. نفس المصدر .
- : R. A. المجلة الافريقية .
- : R. O. M. M. مجلة الغرب الاسلامي والبحر الابيض المتوسط .
- : R. T. المجلة التونسية .
- : S. القسم السياسي بأرشيف وزارة الخارجية العثمانية باستنبول .

I

میں الجدید فی انتفاضتہ
1864 بنوئیس

من الجديد فى انتفاضة سنة 1864 بتونس

يمثل احتلال الجزائر على يد فرنسا ، عدم فاعلية التبعية السياسية بين السلطان من جهة والولايات العثمانية الافريقية من جهة اخرى ، ذلك ان الباب العالى بعدم استطاعته استرداد الجزائر ، كان يعكس ضعف النفوذ السياسى . الا ان الباب العالى استفاد من تلك التجربة ، وقرر ان يكون اكثر حزمًا وفاعلية بضم ولاية تونس وطرابلس الغرب اليه مباشرة ، حتى يقيهما مصير الجزائر .

وقد نجح الباب العالى سنة 1835 فى اسقاط حكم اسرة القرمانليين بطرابلس الغرب ، الا انه فشل ان يجعل من تونس ولاية تابعة للادارة العثمانية ؛ ذلك ان فرنسا باحتلالها للجزائر ، قد فتحت عهدا جديدا لتوسعها الاستعماري ، ولضمان نجاحها ، حالت دون سقوط تونس فى يد العثمانيين ، وعملت جاهدة على ان تحتفظ لنفسها باولية النفوذ السياسى والاقتصادى فى البلاد ، حتى يتسنى لها تأمين الضفة الشرقية للجزائر ، وكانت تشجع ولاية تونس على ان يكونوا مستقلين فى ادارة بلادهم ، محذرة اياهم من التبعية العثمانية .

اما انقلترا فهى الاخرى بعد ما شهدت مسرحية احتلال الجزائر ، ووعود القادة الفرنسيين بالتخلي عنها بعد انعقاد مؤتمر اوروىي يحدد مستقبل ادارة البلاد وعدم قيامهم بذلك ، قد قررت ان تحول دون سقوط تونس فى يد الفرنسيين ، وان تعمل على ربطها بالبلاد العثمانية .

ومن هنا كان تأثير اختلاف مشارب النفوذ السياسى الاجنبى على قادة البلاد ، الاثر العميق فى اتباع سياسة اتسمت بالجفاء تجاه الباب العالى ، وبمحابة فرنسا واتخاذها صديقة للبايات ، تجنبنا لسوء التفاهم ، واتقاء لمصير الجزائر ؛ وبذلك اعتبر البايات قناصل فرنسا ، كالمستشارين ، واصبح هؤلاء يملون ارادتهم واوامرهم على البايات فى شتى امور الدولة ؛ وعليه فان سياسة

الاصلاح المتعثرة والمرجلة التي سنّها احمد باشا ، وطبيعة الحكم الفردى الذى اتسم به بايات تونس ، وضخامة مصاريف حاشية القصر ، وسرقات اموال الدولة على يد بن عياد وخزندار ونسيم ، وضالة واردات البلاد ، واجحاف جانبى الضرائب باستعمالهم وسائل القسوة ضد الشعب ، كل هذه العوامل (I) كانت اساسا مباشرا لنقمة الاهالى على سياسة البايات مما جعل الشائعات تروج بكثرة فى جنوب تونس منذ 3 جويلية 1963 ، من ان السلطان سيتدخل لاختصاص تونس تحت إدارته المباشرة (2) .

لقد عاشت حكومة محمد الصادق باى ازمة مالية فى اواخر سنة 1863 ، كان من اثارها ، اتخاذ قرار مضاعفة الضرائب الشخصية .
 هز هذا القرار جموع الشعب قاطبة ورفضته الاعراب عن بكرة أبيهم ، وعمت البلاد موجة من السخط على الحكام ، سرعان ما انقلبت الى حركة شعبية نادت بشعارات اتحدت فيها كلمة الاعراب ومطالبهم ، الشيء الذى جعل حاكم قسنطينة ، يذهب الى الاعتقاد بان وراء اتحاد هاته الحركة التلقائية والتي شملت كامل البلاد ، ايدى خفية قد عملت منذ زمان بعيد ، على اثارة البلاد بهذا الشمول الذى لم يعرف سابقا (3) .

والحقيقة ، لم يسجل تاريخ بلدنا اثناء العصور الحديثة ، وعيا شعبيا هز كيان الاهالى ضد حكماء الذين اثقلوه بالضرائب ، وأنهبوا قواه ، مثل هاته الانتفاضة التي تظافرت جهودها على المطالبة بالغاء الزيادة فى الضرائب وتعيين حكام من المواطنين عوض الموالى الذين اساءوا اليهم بامتصاص دمائهم ، كما طالبوا بالغاء قانون عهد الامان ، وبالمحاكم الجديدة التي تطيل فى فصل قاضايهم الطويلة ، والذى جرهم سابقا الى التخلي عن زراعتهم وبيعهم وشراهم (4) وكما اتفق قسم منهم على تعيين على بن غداهم بايا عليهم .

من هو على بن غداهم ، ولماذا تكاثفت جهود الانتفاضة حول شخصه، فاصبح بجسم الانتفاضة ويوجه مصيرها لفترة من الزمن ، ولماذا خلعت عليه الاعراب ، دون غيره ، لقب باى العامة ؟

(I) احمد بن ابي الضياف ، اتحاف اهل الزمان فى اخبار ملوك تونس وعهد الامان ، ج . 5 ، ص . 126 - 128 ، تونس ، 1964 .

(2) A.O.M. ، ملف رقم 35 H ، رسالة حاكم قسنطينة الى حاكم الجزائر العام .

(3) المصدر نفسه ، رسالة موجهة بتاريخ 29 افريل 1864 .

(4) B.A. ؛ ملف رقم 78 ، احتلال الجزائر وتونس ، من تقرير حيدر افندى رقم 2 ، المرسل الى السلطان بتاريخ 15 ذى الحجة 1280/22 ماي 1864 . راجع الوثيقة رقم 2 المنشورة اثر هاته الدراسة ، ص . 44 - 58 .

ينعت ابن أبي الضياف ، على بن غذاهم بشيء من الاحتقار من انه « رجل من اولاد مساهل ، من عامة من ينسب نفسه الى العلم ، وقصارى أمره ، معرفة حروف الكتابة ولم يكن له قدم فى امره ولا شهرة » (5) .

الا ان سى محمد العيد (6) شيخ الطريقة التيجانية بتماسين ، عندما سألته السلطات الفرنسية اثناء الانتفاضة ، هل يعرف على بن غذاهم ، اجاب « بانه يعرفه جيدا ، وانه من خيرة احباب الطريقة التيجانية ، لقد كان قاضيا وعزل ، وهو مثقف جدا ، ولم يعرف عنه ، انه اشتغل او اهتم بالسياسة » (7) .

ولما فر على بن غذاهم الى الجزائر ، وضعت السلطات الفرنسية تحت الرقابة عند اولاد عبد النور ، بضواحي قسنطينة ؛ وهناك ادعى على بن غذاهم انه طبيب وولى صالح للطريقة التيجانية ، وكان ذلك سببا فى ازدحام الاعراب عليه من كل جهة حتى اصبح بيته ، سوقا من كثرة الزوار الذين قصدوه من اقاصى الجنوب ، تبركا به كولى صالح ، وبطبه اذ اظهر معرفة جيدة بهذا الفن ، وكسب ثقة الاعراب جميعا (8) .

هذا المظهر الجديد من حياة على بن غذاهم يكشف لنا النقاب عن سر نجاحه بتونس وآنخابه بايا للعامة . فمما لا شك فيه ، أن على بن غذاهم رجل مثقف وقارى ، قد وهب حياته خدمة للطريقة التيجانية وبفضل اتصالاته الشخصية بامام هاته الطريقة ، سى محمد العيد ، كسب بسيرته قبائل ماجر ، ولما فوجئ الناس بزيادة الضرائب ، بعد تازم الوضعية الاقتصادية ، عبروا عن رفضهم لادائها ولو ادى ذلك الى ابادتهم . وعندما تناهت الى اسماع الاعراب ، سخط بقية الاهالى من تلك الزيادة ، ارتأت قبيلة ماجر ، ان تتخذ من الرجل الصالح على بن غذاهم ، (9) وسيطا بينها وبين الباي ، وليرفع اليه عدم قدرة الاهالى على الدفع ، ويطلبه بالغاء ذلك (10) .

(5) احمد بن الضياف ، نفس المصدر ، ج 5 ، ص. 121 .

(6) سى محمد العيد كان يمثل المذهب الروحي للطريقة التيجانية بمدينة تماسين بالجزائر ، انظر : RINN, Louis, Marabouts et Khouan ص. 430 ، الجزائر 1884 .

(7) A.O.M. ؛ ملف رقم 35 H ، ثورة على بن غذاهم ، رسالة من حاكم قسنطينة الى حاكم الجزائر المام بتاريخ 12 أوت 1864 .

(8) المصدر نفسه . تقرير من المكلف بالتحقيق فى هروب على بن غذاهم من الجزائر الى تونس ، والمرسل الى حاكم قسنطينة بتاريخ 26 ديسمبر 1865 .

(9) A.M.G. ؛ ملف رقم 1695 MR تونس ، من التقرير الذى كتبه كمبرون (Campenon) قائد البعثة العسكرية بتونس ، الى وزير الحربية الفرنسى بتاريخ 2 جويلية 1864 والذى يقول فيه : « اعلم ان على بن غذاهم محاط بشيء من الاعتبار الدينى وانه يعمل على تعزيز ذلك الشعور لدى الاعراب » .

(10) انظر : ABUN - NASR, M. Jamil, The Tijanyya, p. 86; Oxford, 1965.

لم يكن في حساب الثائرين ولا على بن غذاهم نفسه ، ان الامر سيتطور الى حد خطير ، فقد عمل على بن غذاهم بادىء الامر ، على تحديد مطالب الاعراب في اجتماع عام ابرم معهم العقد : « على ان القصد بهذا الاجتماع هو الاستعفاء من هذا الاداء الثقيل الذى لا قدرة عليه ، واذا غضبنا عليه بالقتال ، تكون يدنا فى المدافعة عن النفس والمال والحرم واحدة ، ولا يتعرض منا احد لنهب اموال الناس بالحرابة ، ومن تعرض تكون يدنا عليه واحدة ، لان كلامنا مع الدولة واخواننا المسلمون يعذروننا ، فاذا تعرضنا لاختد اموال الناس ، صرنا حربا لله وللسلطان ، ولا يعذرننا احد ، بل تتوافر الدواعى على قتالنا والله معهم وبهذه السياسة ، كف ايدي الاحداث ، وكبح اهل الفساد ، وكاد ان ينزع ما فى ادمغة العربان من العدوان والنهب الذى اعتادوه » (II) .

أليست هاته التعاليم مستوحاة من مبادئ التيجانية نفسها ؟ ولهذا اتسمت الحركة ، فى بادىء امرها ، بالاعتدال والاستقامة والشرعية .

الا ان مجرى الحوادث ، واتحاد القبائل جميعا ضد السلطة المحلية التى عجزت عن القيام باى عمل لصد الثورة ، قد فرضت على بن غذاهم ، ان ينتهز المبادرة ، فكتب الاعراب فى القيروان وسوسة والجنوب ، وطلب منهم ، اتحاد كلمتهم ، لانهم على حق ، واخذ ينتقل بين الكاف والقيروان ، حتى طار صيته ، ونادت به الاعراب بايا لها ، واطهر آنذاك من الحنكة ما مكنه من السيطرة على تلك الجموع الغفيرة ، وقد ادعى على بن غذاهم انه كان سلطان البلاد ، وانه كان يدير سبعين ألفا من الجنود والخيالة وله ألوية خاصة (I2) .

ويضيف كمنون ، ان على بن غذاهم ، كان على علاقة بسى محمد العيد ، الرئيس الدينى ، وان على بن غذاهم كان يطلعه على كل مشاريعه (I3) .

وتكشف لنا وثيقة اخرى ، ان سى محمد بن ابراهيم ، الذى يعد هو الآخر من اخوان الطريقة التيجانية وأحد اقرباء محمد بن مناصر ، رئيس الزاوية العيساوية ، كان الواسطة بين الطرفين ، حيث كان يبلغ رسائل على بن

(II) احمد بن ابي الضياف ، نفس المصدر ، ج. 5 ، ص. 122 .

(I2) A.O.M. ؛ ملف رقم H 35 ، من التقرير الذى حرر عن هروب على بن غذاهم من اقامته عند قبيلة اولاد عبد النور بضواحي قسنطينة ، والمرفوع الى حاكم قسنطينة بتاريخ 26 ديسمبر 1865 .

(I3) A.M.G. ؛ ملف رقم 1695 MR تونس ، من التقرير الاخير الذى كتبه كمنون بتاريخ 2 جويلية 1864 والذى ارسله الى وزير الحربية الفرنسى ، قبل ان يستدعى الى فرنسا بطلب من الباي ، الذى استنكر تدخله السفير فى شؤون البلاد ، انظر : A.E. ؛ ملف رقم 22 تونس ، رسالة الباي بتاريخ 15 افريل 1864 .

غذاهم الى الزعيم الروحي للطريقة التيجانية بتماسين ، ثم الى رئيس الزاوية العيساوية والى ابن حمزة (I4) .

وفى الجزائر عدد على بن غذاهم لقاءاته مع اخوان الطريقة التيجانية ، مدعيا انه ولى صالح وطبيب وسultan تونس و « قد اراد ان يوفد مبعوثين له الى تونس لتلقى المعلومات بواسطة اخوان الطريقة المبثوثين فى جنوب قسنطينة والمخلصين له باعتباره احد اعضائها البارزين والمتمتع بنفوذ كبير بينهم ، وبذلك كان على بن غذاهم لا يحدثهم الا عن سالف سلطته وقوته والجنود الذين كانوا فى خدمته ، ولا يفتأ يعبر عن أمله ، ان يصبح يوما ما ، على رأس الحكومة التونسية » (I5) .

ان التقارير السرية الفرنسية تذهب الى الاعتقاد بان على بن غذاهم قلده سى محمد بن مناصر عباءة التولية ، وان هذا الاخير ، وعد على بن غذاهم ، ان يثير اولاد سى حمادى واولاد سى عبد الملك واولاد سيدى الشيخ ، ليقفوا الى جنبه ويساندوه (I6) ، خصوصا وان اولاد سيدى الشيخ فى ثورة عارمة ضد الفرنسيين فى نفس السنة (I7) .

ومما يؤكد هذا الاتجاه ، اختيار مصطفى خزندار المصيب ، لاستمالة على بن غذاهم عندما طلب من شيخ الطريقة الرحمانية ، مصطفى بن عزوز ، ان يتوسط للصلح ، وقد نجح هذا الاخير فى مهمته .

ولما قبل على بن غذاهم الصلح ، كتب الى الباي يقول : « انا محسوب شريف وصاحب طريقة ، نريد الفضل من الله ثم منك ، انك تتفضل عنا (كذا)

(I4) A.O.M. ؛ ملف رقم 23 H H ، ثورة الجنوب بقسنطينة سنة 1864 ، من التقرير الذى ارسله قائد الجيش بمدينة تبسة الى حاكم الجزائر العام بتاريخ 25 أكتوبر 1864 .

(I5) A.O.M. ؛ ملف رقم 35 H ، من التقرير الذى ارسل الى حاكم قسنطينة عن هروب على ابن غذاهم الى تونس والمرسل بتاريخ 26 ديسمبر 1865 .

(I6) المصدر نفسه ؛ تقرير من رئيس فرقة الجيش بتبسة الى حاكم قسنطينة بتاريخ 21 جانفى 1865

(I7) A.M.G. ؛ ملف رقم 1695 MR ، تونس ، رسالة من وزير خارجية فرنسا الى وزير الحربية بتاريخ 13 افريل 1864 والتى جاء فيها: « ليس فى استطاعتنا حتى الان ان ندرك اهمية الحوادث التى تجرى الان بتونس ، وما اذا كانت ستؤثر مباشرة على مصالحنا بالشمال الافريقى ، ولا نعرف ايضا هل هاته الحوادث لها اتصال ما ، بالاضطراب الذى وقع اخيرا بالجزائر (ويقصد بذلك ثورة اولاد سيدى الشيخ) .

بهنشير الروحية لنستعان به على زاوية أبو (كذا) القطب الاعظم السيد
احمد التيجاني ، (18) .

تقرر الوثائق التي تمكنا من دراستها ، عدم وجود خطة سياسية او
عسكرية لعلى بن غذاهم ، ولا كان يخطط لمستقبل البلاد لو وصل الى الحكم ،
ولكنه نجح بفضل نفوذه الديني ووعوده المعسولة التي كان يلقيها على مسامع
البدو ، من ان ينتخب كما قال هو عن نفسه « رئيسا لاجل مصلحة الجميع ،
ونهي المظالم عن المظلوم [حتى] نقف عند باب الحق بقدر الاستطاعة (19) ٠٠٠ ،
وكما ثار الناس : « لرفع المظالم ونهي البغاة والعمال التي طالت ايديهم عنا
من وجه ما ذكر ، وما اصابنا من خرق العادات السلطانية الماضية وتبديل
عاداتهم العربية ٠٠٠ » (20) .

ان سرعة الاحداث التي توالى في غرب الايالة ، وغارات قبيلة الفراشيش

(18) B.A. ملف رقم 78 ، رسالة من على بن غذاهم الى محمد الصادق باى بتاريخ 17 صفر
1281 / 22 جويلية 1864 . راجع الوثيقة رقم II . ص 81 - 82 .
ومن جهة أخرى ، فلقد عثرنا على بعض أوراق على بن غذاهم الشخصية ، عندما ألقت
سلطات الباي القبض عليه فى أرشيف التونسية بدار الباي بتونس ، ومن بين هاته
الاوراق والحروز ، وجدنا قصيدتين سنقطف بعض أبياتها ، وهى تدل دلالة قاطعة على
انتساء على بن غذاهم الى أخوان الطريقة التيجانية :

يا سيدى احمد يا تيجانى	آتينى من أقصى الابعادى
يا شيخ اقدم وأرعانى	وأنا بالصوت عليك النادى
بالك تغفل وتنسانى	ياروح قلبى ، ثمرت أفادى
يا كمال عقلى ، نور أعيانى	فى الدارين عليك آسنادى
بجاء رب البلادى	والرسول العدنانى
والشيخ البغدادى	عبد القادر الجيلانى ...
... يارب ، يا احمد التيجانى	قنا البلية وأعف بلا خسران
وأعطف علينا كل سلطان ووزير	وحاكم كبير وصغير
اما القصيدة الثانية فنقطف منها ما يلى :	
يارب ، يا عظيم الشأن	يا قديم يا باقى
ان تعطف عني مولى الشأن	احمد التيجانى ...
... يا شيخ راه عليك اليوم	ان تفرج كربتى
وجلى عني ذا الغيم ، نرى النجوم	وتجمع لى عيلتى
حتى نصير مثل القمر	نضوى على الجبال
بالله يا سادانى ، تعطونه طله	نراكم باعين الشيخ الكامل
يارب أجعلنى منهم بسرك يا رحمان	انا وأحبابى والوالدين لاتنسان

راجع هاتين الوثيقتين : أ. ح. ت ، ملف رقم 1049 ، صندوق رقم 185 ،

(19) المصدر نفسه .

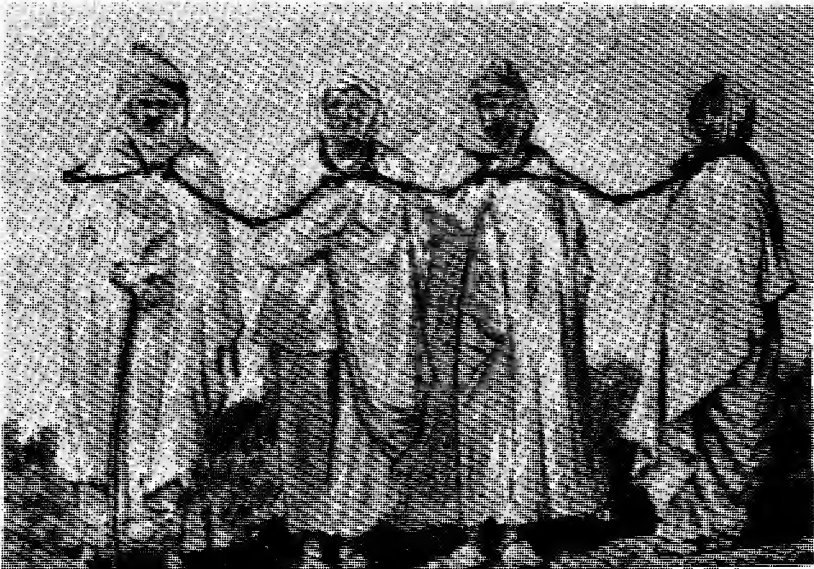
(20) المصدر نفسه .



الشكل رقم 1 - علي بن غداهم .
مجلة الاذاعة التونسية 20 - 4 - 64



الشكل رقم 2 - ختم علي بن غزاهم •
 أ • ح • ت ، ملف رقم 1094 •



الشكل رقم 3 - سجناء تونسبيون •

على منطقة تبسة (21) واولاد سيدي يحيى بن طالب ، ومقتل فرحات ، عامل الكاف ، وتحزب القبائل وراء علي بن غدامه وسريان ذلك في بطون القبائل والمطالب العادلة التي نودي بها ، كل هذه العوامل حولت الانظار اليه ، حتى عد الزعيم بلا منازع .

وعندما لوحظ فقدان التوازن بين الثوار في كل مناطق الايالة ، وانفراد كل مدينة بنزعتها الثورية ، وتشكل مجلس في كل من القبروان وصفاقس لادارة مدنها ، وطرد عمال الباي من كل المدن ، ما عدا العاصمة التي سلمت من ذلك ، ثم عجز السلطات عن مقاومة شرعية الانتفاضة وعدم وجود جيش ليقوم بذلك ، كل هذه العوامل دفعت قصر باردو الى الرجوع في قرار زيادة الضرائب . وعلى اثرها اخذ الباي يرسل المشائخ ورؤساء المدن مطمئنا اياهم ، ومؤكدا لهم الرجوع الى قيمة الضرائب القديمة . وقد اتبع مصطفى خزندار (22) سياسة فرق تسد ، والتظاهر بقبول الامر الواقع ، وتحقيق

(21) **A.O.M. ؛ ملف رقم H 35** ، من التقرير الذي ارسله حاكم قسنطينة الى حاكم الجزائر العام بتاريخ 21 ماي 1864 والذي جاء فيه : « ان قبيلة الفرايش اغارت بتاريخ 19 ماي على منطقة تبسة وقد اسروا بعض الجزائريين ، ولما اطلقوا سراحهم ، حملوا ادهم رسالة جاء فيها : « اذا كنتم مسلمين ، فلن نمسك بسوء ، اما اذا كنتم مع المسيحيين ، فانا سنهجم عليكم مع سيدنا علي بن غدامه على راس 40 الف من الخيالة » .
اما الفارة الثانية ، فكانت بتاريخ 3 جوان على اولاد سيدي يحيى بن طالب فقد بعث الفرايش اليهم برسالة مضمونها ان علي بن غدامه يدعوهم لتأييده . واذا لم يستجيبوا اليه ، فستعرضون لعنقه !

هل كان علي بن غدامه يفكر في اثاره القبائل الجزائرية لمساندته حسبما يقرره حاكم قسنطينة ؟

ان فرضية كهاته ، بعيدة الاحتمال ، ذلك ان علي بن غدامه قد ارسل كتابا الى حاكم تبسة يطمئنه على حسن نواياه ويخبره ان القنصل دي بوفال ، قد كتب اليه اخيرا ، وسوف لن يحصل الا الخير للطرفين كما يطلب منه ان يخبره عن الاشخاص الذين اساءوا اليه ، ليحاسبهم .. انظر : **A.O.M. ؛ ملف H 35** ، رسالة علي بن غدامه الى حاكم قسنطينة بتاريخ 10 جوان 1864 .

(22) **A.O.M. ؛ ملف رقم H 35** ، ثورة علي بن غدامه ، كتب الضابط النقيب فينيرول (Vignerol) الى حاكم الجزائر العام بتاريخ 10 جوان 1864 يخبره : « لقد علمت من مصدر موثوق به ان نبا هاما لم يخطر على بالكم قط قد وصلني اخيرا ، ذلك ان خزندار ، عدونا الحقيقي ، قد تحصل على الجنسية الفرنسية ، ان هذا العمل الذي قام به ليون روش (Léon Roche) (القنصل الفرنسي السابق) هو الهدية الاخيرة لوجوده بتونس ، فقد سلم اثر مفارقة تونس ، اوراق التجنس الى خزندار » .

ان صبح هذا القول ، وهو ليس بعيد ، فان خزندار الذي امتص دماء الشعب بتعاونه مع كثير من الشيوخين ، يكون قد دلل فعلا ، على انه كان يخطط للهروب سرا ، يوما ما بثروته الطائلة . يبقى الان التحري لمثل هذا الرأي وتحقيق المسالة ودراستها .

اما القنصل العثماني بترن (Turin) ، فقد كتب تقريرا الى دولته يخبرها فيه ، نقلا عن تقرير نائب القنصل العثماني بترابوني (Traponi) بتاريخ 2 جوان 1864 ، ان مصطفى خزندار قد ارسل شخصا ، بتاريخ 21 ماي 1864 ، الى مدينة ترابوني ، ليعبرق بالنيابة عنه ، عددا من البرقيات الى وزير خارجية فرنسا ! انظر : **H.A. الملف السياسي رقم 44 ، تونس .**

شعارات الشوار ، وفي نفس الوقت ارسل خزندار اليقرو (Allegro) ،
قنصل الباي بمدينة عنابة ، الى القبايل الثائرة ليثير فيها النعرة القبلية ،
حتى يتسرب لها الملل وتضعف مقاومتها ، ويتحول بذلك اهتمامها الى
مشاكل اخرى ، ووقتها يتسنى تأديبها ، والقضاء على الانتفاضة شيئا
فشيئا (23) .

لقد نجحت سياسة خزندار في القضاء على تلك الانتفاضة وتسنى له
بحملات تخريبية في طول البلاد وعرضها ، ان يخنق انفاس الانتفاضة وينتقم
من اعدائه شر انتقام ، بالاعدام تارة ، وبالضرب حتى الموت تارة اخرى ،
وقد حمل البلاد ، في تلك الفترات العصبية من تاريخها ما لا طاقة لها به ،
حين فرض عليها ضروبا من الاداءات ، استنزفت كل ما بقي من ثروة البلاد .

اما على بن غداهم ، فادرك ان المؤامرة التي حيكت ضده ، قد أتت ثمرتها ،
وان عجلة الزمان لا تدور الى الوراء ، فولى آنذاك الى الجزائر هاربا ، تصحبه
اكثر من ثلاث آلاف خيمة (24) تنشد السلم والراحة ، وتستعيد من الظلم
الذي ألحقه بها الحكام .

وعندما اكتشفت السلطات الفرنسية نشاطه السري بالبلاد ، وخاصة
مراسلاته بتونس ، والذي استعمل فيها الالغاز ، وكيف اصبح مقصد الزوار
جميعا بكسبه عطف اولاد عبد النور ، قررت ان تضعه تحت الرقابة المباشرة
في قصر الضيافة بقسنطينة في انتظار نقلته الى وهران ، حتى يؤمن شرق
الجزائر من انتفاضة جديدة على الحدود بين البلدين .

ولما ادرك على بن غداهم انه لم يعد يستطيع ان يقوم باى عمل ، خصوصا
وان القبايل التي التجأت الى الجزائر ، اجبرتها السلطات الفرنسية على تسليم
كل ما لديها من سلاح ، قرر على بن غداهم الرجوع الى وطنه ، بهروبه من قصر
الضيافة .

وقد تدارس حتما ، قبل ان يقوم بذلك ، موضوع رجوعه الى تونس مع

MARTEL, André, Louis ARNOLD et Joseph ALLEGRO
Consuls du Bey de Tunis à Bône PP. 96 - 97, Tunis, Paris, 1967.

(24) A.O.M. : ملف رقم H 35 ، ثورة على بن غداهم ، الرسالة التي بعث بها حاكم قسنطينة
الى حاكم الجزائر العام بتاريخ 12 جانفي 1865 .

سى معمر (25) أح شيخ الطريقة التيجانية سى محمد العيد ، واتفق ان هذا الاخير يدعى عزم السفر على الحج ، واثناء مروره بتونس ، يلتجئ على بن غذاهم الى كنفه ليطلب له الأمان من الباي . غير أن الباي عندما قبض على على بن غذاهم ، وعد شيخ الطريقة بالحفاظ على حياته ، مقرا بذلك سجنه الذى وجد فيه الموت مسموما !

ان على بن غذاهم لم يكن الشخصية القائد لتلك الثورة ، فقد اخل بها وخانها حين كان الآخرون يستमितون فى اندفاع عنها .

ان على بن غذاهم بقبوله الصلح مع قصر باردو ، قد ضرب الثورة فى الصميم وعجل خنقها وموتها .

يتعذر علينا فى مثل هاته الدراسة السريعة ان نأتى بالبحث على كل دقائق لانتفاضة ومضاعفاتها ، ذلك ما نأمل ان نقوم به المستقبل .

ولنتعرض الآن الى سياسة الباب العالى تجاه تونس وتأثير سياسة قناصل الدول الغربية على مجرى الحوادث .

**

كانت سياسة القنصل الانقليزى وود (Wood) مع حكام باردو اكثر تبصرا وادراكا للواقع ، فقد استطاع بروحه وخبرته الشرقية ان يكسب اليه مصطفى خزندار وان يلعب دورا سريا لضرب النفوذ الفرنسى وعزله تماما عن حكام باردو (26) وبذلك تمكن من ان يعقد معاهدة سرية ، يضمن بها حق المواطنين الانقليز ، شراء الملكية بتونس (27) .

(25) المصدر نفسه ، عندما زار سى معمر على بن غذاهم عند اولاد عبد النور ، ساله على بن غذاهم : « هل يجب على أن احرق ؟ » رد عليه سى معمر : « نعم ولكن تان ، ولا تخش شيئا ، لقد اعطوني زعمائك الأمان على حياتك ، ساكتب من جهتي الى باى تونس ، وقريبا باستطاعتك الرجوع الى وطنك » .
نلاحظ استعمال على بن غذاهم للإلغاز فى احاديثه ، وذلك خشية المخابرات الفرنسية التى احاطت به فى كل مكان .

GANIAGE, Jean, Les origines du protectorat français en Tunisie, (26) pp. 242 - 246, Tunis, 1959.

كذلك :

SAFWAT, M. Mohamed, A British Consul General in Tunisia, Richard Wood, 1856 - 1879.

مجلة كلية الآداب بجامعة فاروق ، ج. II ، القاهرة . 1944 .

(27) A.M.G. ؛ ملف رقم 1695 MR تونس ، كتب كمينون الى وزير الحربية تقريرا بتاريخ 17 جانفي 1964 جاء فيه : « ان الاتفاقية الانقليزية كانت نتيجة لظهور قانون عهد الاسمان ، وعليه ، فان عدم العمل بالقانون المذكور ، سيؤدى ولاشك الى الغاء تلك الاتفاقية .. »

هذا الامتياز والحظوة التي تحصل عليهما وود ، احفظ القنصل ليون روش (Leon Roche) ثم دى بوفال (de Beauval) . وقد صمم هذا الاخير عندما تعين قنصلا بتونس ، ان يعمل على ترميم سياسة ومكانة فرنسا ، ويضمن لها الاولوية فى انتاثير على حكام باردو . ويحق لنا ان نتساءل ، هل كان دى بوفال يسعى لتحقيق الامال العراض التي تداعب خيال الامبراطور نابليون الثالث (Napoléon III) ؟

كان نابليون الثالث يطمح ، بعد ان اعتق الامير عبد انقادر الجزائري من منفاه بفرنسا ، ان يجعل منه امير دولة عربية فى الشرق ، تقوم على انقاض ممتلكات الرجل المريض ببلاد الشام (28) .

اما بالنسبة لتونس وطرابلس الغرب والجزائر ، هل كان نابليون يفكر فى اقامة مملكة عربية تضم هاته الولايات الثلاث ؟ (29) .

ان مسألة دقيقة كهاته ، لم تدرس بعد ، وذلك لعدم وجود وثائق تكشف لنا النقاب عن ذلك ؛ ولكننا هنا سوف نحاول دراسة بعض الخطوط العامة لسياسة نابليون بالجزائر وتونس .

كان نابليون يرى ان الجزائر ليست مستعمرة عادية بالنسبة لفرنسا ، ولكنها مملكة عربية ، كما كتب بذلك الى حاكم الجزائر العام المرشال بليسييه (Pélissier) فى 1 نوفمبر 1861 (30) .

وكان يلقب نفسه بامبراطور العرب والفرنسيين عندما كتب الى بليسييه « بان الجزائر ليست مستعمرة بالمعنى الصحيح ، ولكنها مملكة عربية ، فان

AGERON, Charles-Robert, *Abdelkader, Souverain d'un état arabe d'Orient*, in. *Mélanges André FUGIER*, 1968. *Cahiers d'histoire*, T. XIII, p. 1 - 2.

ص. 19 - 26 ، راجع ايضا دراسة المؤلف الثانية والتي القاها فى المؤتمر الثانى للدراسات المغربية المنعقد باكس اون بروافنس ما بين 27 - 29 نوفمبر 1968 :

ABDDELKADER, *Souverain d'un royaume arabe d'Orient*, in R.O.M.M. العدد الخاص ، 1970 ، اكس اون بروافنس (فرنسا) .

MARTEL, André, *Les Confins Sahara - Tripolitains de la Tunisie* (29) ص. 119 ، تونس ، 1965 .

GUIRAL, Paul et BRUNO, Raoul, *Aspects de la vie politique et militaire en France à travers la correspondance reçue par le Maréchal Pélissier*. (30) ص. 333 ، باريس ، 1968 .

رعايا الجزائر لهم الحق الكامل لرعايتي كما هو بالنسبة للمستعمرين ، فانا امبراطور العرب والفرنسيين على حد سواء ٠٠٠ » (31) .

وعندما عين محمد الصادق باي ، يوسف اليثرو ، قنصلا له بمدينة عنابة ، فان سياسة الامبراطور بقبولها ذلك ، لم تعط اي صبغة رسمية لكل وكلاء الايالة كما هو معلوم لدى الباى (32) .

ولا شك ان الامبراطور الذى كان يدرك ضعف عرى الصلة بين تونس والباب العالى ، وضيق الازمة الاقتصادية التى اودت بالبلاد الى الافلاس ، قد دفع الى الاهتمام بمصير تونس والواقعة على حدود ممتلكاته ، وهو الذى ارسل جيوشه للقيام بحملات استعمارية ضد الصين وضد المكسيك ، رغم اعلان مذهب منرو الشهير .

كان نابليون الثالث رجل المؤامرات والمشاريع السرية ، وكان يعشق ذلك ، فكثيرا ما اتخذ جواسيس له فى شتى امور الدولة لتنفيذ قرار ضد سياسة وزرائه . والذى يهمنى هنا ان دى بوفال كان يدين بقرار تعيينه قنصلا بتونس الى مدام كورنو (M^{me} Cornou) مفتاح اسرار الامبراطور .

كان دى بوفال يرسل سرا مدام كورنو بانتظام ، ناقلا لها انطباعاته عن وضعية تونس ، التى يمكن ان تكون هدفا لانجاز مشروع نابليون .

ففى رسالة من دى بوفال الى مدام كورنو ، يصرح علانية ، متحدثا عن الثورة وشمول اندلاعها بانه : « يكون من اللائق للامبراطور ، ان يجمع فيما بعد ، كل القبائل التونسية فى فيدرالية عربية صغيرة (petite confédération arabe) ففى هذا المشروع تكمن فكرة المستقبل » (33) .

كما صرح دى بوفال لمحمد الصادق باي : « بان عطف جلالة امبراطور فرنسا على الجزائريين ، لمرآة صادقة تعكس فيها احساساته نحو الايالة التونسية » (34) .

(31) المصدر نفسه ، ص . 336 ، ارسلت تلك الرسالة بتاريخ 6 فيفري 1863 .

(32) ص. 93 . MARTEL, André, Louis ARNOLD... op. cit.,

(33) EMERIT, Marcel, La révolution tunisienne et le secret de l'Empereur, R.T., المجلة التونسية ، عدد 39 - 40 ، ص. 1939 - 1940 .

(34) وثائق تونسية ، ثورة على بن غداهم 1864 ، ج. I ، ص. 17 ، تونس ، 1967 .

واثناء الثورة ، شاع فى شرق الجزائر الرأى بان « أصابع الامبراطور وراء هاته الثورة ، وان التأثير على الجماهير التونسية كان بواسطة الجنرال دوفو (Desvaux) وان هاته الفكرة اصبحت اليوم ، اليقين الراسخ ، لدى قناصل انقلترا والنمسا واسبانيا » (35) .

اما وزير الحربية الفرنسى ، فقد اصدر اوامره بخصوص مهمة الضابط النقيب فينيورول (Vignerol) الى السفر الى تونس ليقوم : « بدراسات تاريخية ، هدفها العثور على اثار الاحتلال الرومانى بتونس ٠٠٠ هاته الابحاث التى لا تخلو من فائدة ، ستمكننا من وضع خريطة للبلاد ، توضح المدن ونقاط المراكز الحساسة (36) ، التى استعملها الرومان عندما اصبخوا سادة البلاد ، كما تبين لنا المسالك التى كانت تنتهج للتجارة سابقا » .

كذلك ، كان حاكم قسنطينية ، يود استغلال الازمة بتونس ، حتى يتمكن من ضبط الحدود التونسية الجزائرية ، الا ان وزير الحربية الفرنسى ، عارض هذا الراى : « لا اعلم ما هى التغييرات التى يمكن ان تدخل على الحدود منذ سنة 1844 - 1846 واطن ان اتوقت ليس مناسبا لادخال هذا التحوير » (37) .

هل كان نابليون يخطط بضم تونس الى الجزائر حتى يتمكن من انشاء المملكة العربية التى يود ان تقوم على انقاض مخلفات النفوذ التركى بالمنطقة ؟ ليس من السهل البت فى هذا الامر ، ولكننا من ناحية اخرى ، نرى من العناصر المتعددة التى ذكرناها سابقا ، ما يدفعنا الى احتمال قبول تلك الفرضية ، ولا نرى ابلغ من سياسة دى بوفال على ذلك !

كان هذا الاخير يرى فى قيام الانتفاضة تعلقة لتدخله حتى يتسنى له الاطاحة بخزندار (38) الذى اظهر له عداة مستحكما ؛ وقد طلب من الباي ،

(35) NOUSCHI, André, *Correspondance du Docteur A. VITAL avec I. URBAIN*, ص. 110 - 111 ، الجزائر ، 1958 .

(36) A.O.M. ؛ ملف رقم H 35 ، المسائل التونسية ، من التقرير الذى ارسله الجنرال مرتنبرى (Martimprey) الى حاكم الجزائر الادم بتاريخ 31 ماي 1864 .

(37) A.O.M. ؛ ملف 23 H 11 ، ثورة قسنطينة 1864 ، رسالة من وزير الحربية الفرنسى الى حاكم قسنطينة بتاريخ 20 جوان 1864 .

(38) F.O. ؛ ملف رقم 102/72 ، يلخص لنا القنصل وودفى تقرير طويل بتاريخ 26 نوفمبر 1864 مطالب القنصل الفرنسى من الباي : T : الغاء كل المعاهدات الاجنبية ، 2 : عزل الوزير الاول مصطفى خزندار - 3 : عزل مستشارى الباي الست المنتورين - 4 : الغاء قانون عهد الامان . 5 : عدم الترخيص بالامتيازات لشاريح اجنبية واقتصادية ، قبل الحصول على موافقة فرنسا مسبقا - 6 : عدم السماح مطلقا باستقبال او ارسال رد من اولى الباب العالي.

تنحيته من رئاسة الوزراء في مقابلة اتسمت بالتحدى (39) ثم اخذ على عاتقه ، مساندة الثورة ، ضاربا الصفح عن تعليمات وزير خارجيته الذي نهاه عن التدخل باى شكل من الاشكال ، ما لم تمس الانتفاضة ، حياة المواطنين الاوروبيين ، فارسل الى علي بن غدامه (40) عدة رسائل يشجعه على مواصلة حركته وينبئه الى الاخطاء التي ارتكبها خزنदार مع القنصل وود ضد الشعب ، ويعدده بالتصير ، وان جلالة امبراطور فرنسا يشد ازره ، لانه يؤمن بشرعية مطالبه (41) .

فبعد ان عدد ، فى رسالة الى علي بن غدامه ، مساوىء الحكم ، اخلص الى القول : « هذه الامور الفاحشة الذى (كذا) لا يرضاها من له شفقة على ابناء جنسه ، لهذا اشتد غيظ دولتي وعزمها بارسال الشقوف الحربية لاجابتكم بعزل الوزير البائع ، ولا يلزم اهل عمالتكم هذه الفواحش شيء (كذا) كما يلزما ان نبين لكم ان اجتهاد دولتي فرنسا الفخيمة ، مصروف فى مصالح جميع الاقاليم ، وخصوصا فى عمالة تونس التى هى مجاورة للجزائر » (42) .

كان دى بوفال يرى ان نجاح الحركة الشعبية ، سيؤدى حتما الى عزل خزنदार واحلال النفوذ الفرنسى المكانة الاولى ، وكان يكتب الى وزير خارجيته ، متحدثا باطناب وتفاؤل عن شمول الحركة ومدى ما حققته من نجاح ، وكان يعزو سبب الاضطراب الى سياسة مصطفى خزنदार والقنصل الانفليزى وود الذى كان يتآمر ليتخذ من تونس ، « فى احتمال نشوب حرب ، قاعدة حربية وعسكرية ضد الجزائر ، اما فى اوقات السلم فان مساعى الحكومة

(39) لقد ارسل الباي الى السلطان ، تقريراً عن هاته المقابلة ، انظر B.A. ؛ ملف رقم 78 ، احتلال الجزائر وتونس . راجع الوثيقة رقم 2 المنشورة اثر هاته الدراسة ، ص. 44 - 58 . يجدر بنا هنا ان نلاحظ : لو ان الباي او وزيره قام بحركة غير لائقة ، كان رفض مقابلة دى بوفال ، او تجرأ باتهامه ومناوشته ، لآتخذ دى بوفال من ذلك ذريعة للتدخل الفعلى . ان التاريخ يعيد نفسه وذكرى نتائج المروحة مازالت عاقلة بالاذهان !

(40) لقد عثرنا على نسخ من هاته الرسائل التى ارسلها الباي الى السلطان ، كدليل على ما قام به قنصل فرنسا من تدخل سافر فى شؤون البلاد الداخلية ، بمساندته على بن غدامه وقنصل استغل على باشا ، وزير خارجية الدولة العثمانية ، تلك الرسائل مخبرا وزير خارجية فرنسا بما قام به قنصله بتونس ، وقد ترتب عن ذلك ، عزل دى بوفال فى مطلع السنة الجديدة .

(41) A.O.M. ؛ ملف رقم H 35 ، من المحضر الذى حرر فى التحقيق عن هروب علي بن غدامه من قصر الضيافة بقسنطينة بتاريخ 26 ديسمبر 1865 ، وقد صرح علي بن غدامه : « بان الحكومة الفرنسية وعدته الكثير ، ولكنها لم تف بذلك ولم تقم باى شيء تجاهه ، بل قد اخلت به » !

(42) B.A. ؛ ملف رقم 78 . رسالة وجهها دى بوفال الى علي بن غدامه بتاريخ 25 ذى الحجة 1280 / جوان 1864 . راجع الوثيقة رقم 6 المنشورة اثر هاته للدراسة ، ص. 67 - 71 .

الانفليزية ، تقتصر على اجتماع كلمة الدول الكبرى ، للحفاظ على حياد تونس ، ومعنى هذا ، ان نكون نحن الفرنسيين ، فى المرتبة الثالثة او الخامسة بدل ان نكون اصحاب النفوذ الوحيد فى البلاد ٠٠٠ » (43) .

ان وضعية تونس كانت خطيرة جدا عندما تقاطرت على موانئها سفن فرنسا وايطاليا وانفلترا . وكانت هناك خطة عسكرية مشتركة بين هاتين الدول الثلاث لاحتلال تونس العاصمة اذا هاجم الثوار ، الاحياء الاوروية ، وقد عرض الضابط النقيب فنيورول ، المكلف بوضع خريطة للبلاد ، على حاكم الجزائر العام مراحل تحقيق ذلك ، والخطة العسكرية التى اتفق على تنفيذها ، وفى آخر التقرير يطلب من رئيسه : « هل يكون من الصواب او من الممكن اذا نفذنا ذلك ، ان نقدم على حرب شوارع ٠٠٠ » (44) .

وايطاليا هى الأخرى ، قد اظهرت اهتماما بالغا لما يجرى بتونس ، عندما ارسلت عددا ضخما من سفنها للحيلولة دون سقوط تونس فى يد الفرنسيين .

اما وزير خارجيتها ، فقد صرح فى مجلس الشيوخ الايطالى : « بان بلده ، يتطلع الى البحر الابيض المتوسط ، وان المستعمرة الايطالية بتونس ، تشكل اكبر مستعمرة ايطالية على الاطلاق ، ولذا فان الحكومة ستتبني سياسة تراعى فيها مصالحها دون ان تفكر فى القيام بحملة عسكرية على البلاد » (54) .

ومن جهة اخرى ، فان ايطاليا قد ارسلت سرا ، ضابطين هما ريشي (Ricci) وريبولا (Ribollo) : وقد كلفنا بالقيام بتحقيقات حول المراكز الحساسة والقلاع الداخلية ، وجمع كل المعلومات للتحضير ، تحت طى الكتمان ، احتلال مدينة تونس (46) .

نعطف الآن بالحديث على مظهر آخر لهاته الثورة ، وهو موقف الباب العالى والسياسة التى تنبأها تجاه الحوادث .

(43) **A.O.M.**؛ ملف رقم **H 35** ، رسالة من دى بوفال ارسلت الى حاكم قسنطينة بواسطة كمبون بتاريخ 20 أوت 1864 .

(44) **المصدر نفسه** ، من التقرير الذى كتب الضابط النقيب فنيورول الى حاكم الجزائر العام بتاريخ 6 جوان 1864 .

(45) **H.A.**؛ **الملف السياسى رقم 44 تونس** ، من التقرير الذى كتبه قنصل الباب العالى بتورن (Turin) الى وزير خارجية الباب العالى بتاريخ 16 جوان 1864 .

(46) **A.M.G.**؛ **ملف رقم 1695 MR. تونس** ، من التقرير الذى ارسله كمبون الى وزير الحربية الفرنسى بتاريخ 19 جوان 1864 .



الشكل رقم 4 - مصطفى خزندار •

قصر الرئاسة بقرطاج •



الشكل رقم 5 - محمد الصادق باشا •

قصر الرئاسة بقرطاج

عندما نعى الى وزارة الخارجية التركية ، خبر اندلاع الثورة ، وسقوط الباي وتعيين احد الاعراب واليا على البلاد (47) وعدم اتصال الدولة العثمانية باى تقرير من الوالى ، بودر بارسال حيدر افندى (49) ، السفير بطهران ، للتحقيق فى المسألة محملا بتعاليم سرية (49) .

كان الباب العالى يصرح فى تعليماته السرية لحيدر افندى ، انه لم يعترف بوراثنة الحكم فى السلالة الحاكمة بتونس كما هو الشأن بالنسبة لمصر ، وانه يرغب فى التدخل فى هاته النواحي من اراضيه منذ استيلاء فرنسا على الجزائر (50) ، التى اصبحت قاعدة حربية ضد تونس وطرابلس الغرب (51) ، الا ان صرامة موقف فرنسا وخشيتها من وقوع تونس تحت الادارة العثمانية المباشرة ، حال دون تحقيق ذلك (52) وعليه فان على حيدر افندى ، ان يتصرف بحكمة فى تنشيط وتأكيد تبعية الوالى الجديد للدولة العلية .

ولما حل حيدر افندى بتونس، اتصل بمحمد الصادق باى، وبعض القناصل المعتمدين بالبلاد ؛ وفى مقابلاته مع الباي ، صرح هذا الاخير متحدثا عن موقف فرنسا : « باى صورة تبعث به فرنسا وباسلافه ، ان وضعية تونس خطيرة

(47) H.A. ؛ الملف السياسى رقم 44 ، تونس ، من البرقية التى ارسلها جميل باشا ، سفير الباب العالى بباريس الى وزير خارجيته بتاريخ 23 افريل 1864 .

(48) فانياج ، نفس المصدر ص ، 242 كتب قنصل فرنسا دى بوفال الى وزير خارجيته متحدثا عن حيدر افندى : « لم اذكر وسعا فى استجلاب حيدر افندى لوجهة نظرنا ، تلك الشخصية ذات الوزن الخفيف جدا والتى وجهها السلطان للقيام بدور فى تونس ، لانسبة ولا مناسبة بينه وبين المهمة الاستطلاعية التى ذكر من البداية انه مكلف بها » .

(49) لم نعثر على تعليمات الباب العالى عندما كلف حيدر بهاته المهمة الاستطلاعية ولكننا عثرنا على التعليمات السرية التى ارسلها الباب العالى الى تونس ، اثناء وجود حيدر بها ، وهى على اية حال ، تعكس بدقة سياسته تجاه تونس ! راجع الوثيقة رقم 9.8 المنشورة اثر هاته الدراسة ص. 74 - 78 .

(50) H.A. ؛ ملف رقم 707 ، تونس ، راجع ايضا ، ترجمتنا لا طروحة السيد ارجمنت كوران ، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسى للجزائر ، 1827 - 1847 ، ص 91 - 92 او 104 - 106 ، نشر كلية الآداب والعلوم الانسانية بالجامعة التونسية ، تونس ، 1970 .

(51) H.A. ؛ الملف السياسى ، رقم 44 تونس .

(52) كان الباب يفكر فى التدخل فى تونس ، كلما سنحت له الفرصة ، وظهور هاته الثورة كان عاملا مقننا لمحاولة ذلك ، انظر :

MANTRAN, Robert, Le statut de l'Aigérie de la Tunisie et de la Tripolitaine dans l'Empire Ottoman, p. 211, in, Atti Del I congresso internazionale di Studi Nord - Africani, Cagliari 22 - 25 gennaio, 1965.

جدا ولا بد من إيجاد مخرج لذلك » (53) ثم اخلص الى القول : « على انه اذا امنت لي بعض الشروط ، وجعل الحكم وراثيا كمصر ، لماذا لا أكون مطيعا للباب العالي والسلطان بقدر ما يفعل المصريون ؟ » (54) .

وبذلك يتضح لنا ، كيف كان الباي واتباعه يعملون جاهدين للحفاظ على العرش ! لقد حلل حيدر افندي الوضعية بمزيد من الامانة والدقة ، وكان يرى ان العائلة المالكة قد بالغت في اسراف اموال الدولة ، حتى اودت بالبلاد الى الافلاس والخراب ؛ وان البلاد كانت محط تنافس القنصلين الانكليزي والفرنسي ، اذ اسباب عداوتهما ترجع الى انهما يراقبان نفوذ بعضهما البعض (55) . وعليه لانقاذ البلاد من السقوط في ايدي الفرنسيين ، لا بد من الوصول الى تسوية المسألة التونسية ، خصوصا و « ان الدولة الانكليزية تعمل على تدعيم حقوق الباب العالي بتونس ، الشيء الذي سيدفع فرنسا ان تنظر الى هذا العمل بحسد لضياح مصالحها ونفوذها ، وسوف لن تصبر على ذلك » (56) .

لقد تكاتف حيدر افندي مع القنصل وود ، الذي اظهر اخلاصا للباب العالي ولمصلحه في اتباع سياسة تتماشى مع مصالح الطرفين . اما مع القنصل الفرنسي دي بوفال فان حيدر افندي ما فتئ يشتكى من تصرفاته الغير اللائقة ، وتحديه له وتدخله في شؤون البلاد ، وكان يرى انه « لو تخلى الطرف المستفيد من الثورة (ويقصد بذلك دي بوفال) عن مقصده اللعين ، بتشجيعه الثوار ، لما طرأ على أمن مدينة تونس شيئا ولزالت اثار هاته الثورة مع مرور الايام » (57) .

لقد اثار وجود حيدر افندي بتونس ، احساس الجماهير الديني والعاطفي تجاه السلطنة العلية، كما ان النخبة المستنيرة من البلاد، والمستديمة على قراءة جريدة « الجوائب » الصادرة في استنبول باللغة العربية (58) ، واطلاعها على

(53) B.A. ؛ ملف رقم 78 ، تقرير حيدر افندي رقم 2 ، المرسل الى السلطان بتاريخ 25 ذي الحجة 1280/12 ماي 1864 .

(54) المصدر نفسه .

(55) المصدر نفسه .

(56) المصدر نفسه .

(57) B.A. ؛ ملف رقم 78 ، من التقرير رقم 4 الذي كتبه حيدر افندي بتاريخ 18 ذي الحجة 1280/25 ماي 1864 ، والمرسل الى السلطان ، راجع الوثيقة رقم 5 المنشورة اثر هاته الدراسة . ص. 64 - 66 .

(58) ممثل جريدة الجوائب بتونس هو : الحاج حسن اللازلي ، لقد نشرت الجريدة بتاريخ 15 ذي الحجة 1280/22 ماي 1864 ، فضلا عن الانتفاضة التي اندلعت بتونس .

أحداث العالم ، قد دفع الشعب للتعبير عن تعلقه بالسلطان في المساجد والشوارع ، وذهبوا الى حد مناداتهم بسقوط الباي ، واحلال السلطان محله بصفاقس وسوسة ، تعبيرا عن نفقتهم ، وعدم ارتياحهم للوضع القائم (59) وقد نجح اهل الساحل في جمع الاموال لشراء المدافع والسلاح ، وارسلوا وفدا عنهم الى جزيرة مالطة ، ليقلع منها الى الباب العالي ، للتعبير عن ولائهم للسلطان ، الا ان حيدر افندي ، راسلهم سرا ، واخبرهم انهم : « اذا ارادوا عدم الخروج عن طاعة السلطان ، فعليهم ان ينقادوا للوالى الذى نصب بفرمان منه » (60) .

كانت مساعي حيدر افندي تتركز حول تأكيد وتنظيم التبعية العثمانية مع الباي ؛ وجاء الرد من الباب العالي سريعا : « ان تسوية المسألة التونسية يقتضى حلين ، احدهما ان يتفاهم الباب العالي مع الدول الصديقة في جعل تونس تحت كفالة دولية كما هو الحال بالنسبة لمصر ، وبعض الولايات الاخرى (يعنى تدويل المسألة التونسية) وثانيهما : ان يجرى الوالى مع هاته الدول محادثات ومعااهدات تبئغ صورتها الى الباب العالي (لتصديقها) وعلى الوالى ، ان يعتمد الى تأكيد تبعيته ، للسلطنة العثمانية ولاصلاحية لاحد في الاعتراض على ذلك » (61) .

وتأكيدا لهذا الارتباط الروحي والدينى والسياسى ، سارع السلطان لمساعدة والى تونس ، بارساله عشرة آلاف غروش (62) .

ومن جهة اخرى ، فان الباب العالي كان يعتبر استمرار عصيان الاهالى

(59) B.A. ؛ ملف رقم 78 ، من التقرير رقم 5 والذي كتبه حيدر افندي بتاريخ 5 محرم 1281 8 جوان 1864 ، والمرسل الى السلطان ، راجع الوثيقة رقم 8 المنشورة اثر هاته الدراسة ، ص. 74 - 76 .

(60) المصدر نفسه ، من التقرير رقم 18 والذي كتبه حيدر والمرسل الى السلطان بتاريخ 22 23 ربيع الاول 1281/25 أوت 1964 راجع الوثيقة رقم 6 المنشورة اثر هاته الدراسة .

(61) H. A. ؛ ملف رقم 708 ، وثيقة تركية من التعليمات السرية التى ارسلها الباب العالي لحيدر افندي . لم نعث على تاريخ لهاثة الوثيقة . ولكن من المحتمل انها ارسلت خلال شهر جوان 1864 : راجع الوثيقتان رقم 8 و 9 والمنشورتان اثر هاته الدراسة ، ص 74 - 78 . (62) ان ريالاً تونسياً يساوى ثلاثة غروش عثمانية .

وحسب دى بوفال «كان حيدر محمداً بخمس أو ست صناديق مملوءة ذهباً بما قيمته 500.000 فرنك ، وقد سمح هذا المبلغ لقصر البارود في اوائل شهر أوت 1864 ، صك عملة جديدة باسم السلطان ، وتجهيز جيش قوامه 2.000 رجل كانوا قد تمركزوا في مدخل باردو » راجع ، A.E. ؛ تونس ، ج. 23 : ذكرت هاته المعلومات بالعمل التالى : »

El Mokhtar Bey.

Du rôle de la Dynastie Husseinite dans la naissance et le développement de la Tunisie moderne, p. 1529, t. IV,

رسالة دكتوراه في الحقوق ، باريس ، 1968 ، (مخطوط) .

على الباب الذى نصب بفرمان منه ، عملا غير مشروع ، ولهذا يجب مقاومته (63) .

**

وعندما تناهى الى سمع حيدر افندى ان على بن غذاهم اشترط قبول الصلح كفالة وتوسط السلطنة العلية (64) ، طلب من آلباى ان يقوم بهذا العمل الحميد ، الا ان الباى ومن ورائه خزندار توجسا خيفة من هاته الوساطة ، خصوصا وهما يعملان على اغتيال على بن غذاهم (65) ، اما اذا اقام حيدر افندى بالتوسط فى الامر ، فسيترتب عن ذلك ، الحفاظ على حياة على بن غذاهم وتسكين الثورة ، لا القضاء عليها .

الا ان حيدر افندى انتهز البادرة ، خصوصا وتعليمات الباب العالى تخول له القيام باى عمل من شأنه ان يحسم النزاع ، ويعيد للبلاد هدوءها ، فكتب على بن غذاهم ونصح به بالكف عن الثورة ، ويقول حيدر افندى : « ان على بن غذاهم عندما استلم رسالتى التى هى عبارة عن تعليمات الباب العالى ، اطاع من الغد ، ورجع الى مقره وتبين ان لا مجال للاعتراض الآن لقد زالت تلك الثورة بفضل عناية السلطان والصدر الاعظم » (66) .

وقد صرح حيدر افندى ، اثر ذلك ، لدى بوفال : « ان مساعى الشخصية هى التى ادت الى استتباب الامن ، واستقراره بالبلاد » (67) .

لقد كان نتيجة هاته الثورة ، ان اعترف الباب العالى بوراثه الحكم فى تونس ، واصدر فرمانا يحدد بمقتضاه تبعية تونس للباب العالى ، كما يعطى للسلطان اولية النظر فيما سيجد من احداث فى مستقبل الزمان (68) ، الا ان

(63) انظر ملحوظة رقم 61 .

(64) A.E. ؛ دفتر تونس رقم 23 ، وثيقة فرنسية . كتب دى بوفال الى وزير خارجية فرنسا بتاريخ 17 اوت 1864 يقول : « ان الثوار طلبوا لقبول الصلح ، انسحاب خزندار عن المسرح السياسى او كفالة المبعوث العالى ، وتذهب الأقوال انهم نادوا بكفالة الدول الكبرى »

(65) SLAMA, S. L'insurrection de 1864 en Tunisie, ص. 113 ، تونس .

1967 .

(66) B.A. ؛ ملف رقم 78 ، وثيقة تركية ، من التقرير 18 الذى ارسله حيدر افندى الى السلطان بتاريخ 29 ربيع الاول 1281/2 اوت 1864 ، راجع الوثيقة رقم 16 ، المنشورة اثر هاته الدراسة ، ص. 89 - 90 .

(67) A.E. ؛ دفتر رقم 24 تونس ، من البرقية التى ارسلها دى بوفال الى وزير خارجية بلاده بتاريخ 13 سبتمبر 1964 .

(68) H.A. ؛ ملف رقم 708 ، رسالة من الباب العالى الى محمد الصادق باى بتاريخ 22 نوفمبر 1865 ؛ راجع الوثيقة رقم 21 المنشورة اثر هاته الدراسة ، ص. 97 - 98 .

فرنسا عبرت عن استيائها ، واستفادت من حادث بسيط على الحدود لتطلب من الباي ، تحت انذار احتلال البلاد عسكريا ، ترضية لذلك ، وقد نجحت في خطتها .

**

تلك هي بعض مظاهر هاته الانتفاضة ، وعى شعبي ، واحساس وطني صادق وعواطف اسلامية بريئة ، على ان تلقائية شمول الثورة واندلاعها ، يعكس في الحقيقة ، جانبا من مظاهر النضج الاجتماعي للجماهير الشعبية ، ولكن التنظيم كان ينقص تلك الانتفاضة ، والبدائية في تصرفاتها ، شل حركتها ، مما سهل على اعدائها ضربها في الصميم .

ان احلال علي بن غداهم ، محل الزعيم لتلك الانتفاضة كان خطأ تاريخيا في حين اختفت اسماء الثائرين بالساحل وصفاقس والقيروان ؛ غير أن الخط من قيمة ودور علي بن غداهم ، ليس هدفنا في هاته الدراسة .

ان عددا آخر من الوثائق الموجودة في ارشيف رئاسة الجمهورية بتونس ، وفي عدد آخر من دور الارشيف ، تنتظر من يدرسها لتكون في خدمة العلم والبحث اذ التاريخ بعد لم يقل كلمته الاخيرة لانتفاضة الشعب هاته . ففي انتظار تلك الدراسات ، نأمل ان تكشف لنا قريبا حقائق جديدة ، تساعدنا على اثراء تاريخنا الحافل والغني ، والذي ما زال مجهولا .

أكس أون بروفنس (فرنسا)
25 أكتوبر 1969

قسم الوثائق :

وثائق عن انقضاة

1864 بنو

المدخل إلى الوثائق

تشكل هاته الوثائق القسم الاكبر والهام مما عثرت عليه في دور ارسيف استنبول بتركيا وترجمت بعضه من اللغة التركية . اما القسم الفرنسي فنشر في النسخة الفرنسية لكتابى هذا (*) .

نظمت هاته الوثائق على اساس تاريخ كتابتها ، وبذلك يمكننا ان نتتبع تطورات الانتفاضة لحظة بلحظة ، حتى تكون الصورة التاريخية اكثر شمولاً ووضوحاً .

ع . ت .

(*) راجع النسخة الفرنسية لكتابى :

Recherches et Documents d'Histoire Maghrébine , La Tunisie , l'Algérie et la Tripolitaine de 1816 à 1871

نشر كلية الآداب والعلوم الانسانية بالجامعة التونسية ، 1971 .
أما القسم الفرنسي لتكملة وثائق انتفاضة سنة 1864 بتونس ، فيشتمل على 23 وثيقة ، ص. 41 - 77 .

الوثيقة رقم 1

تقرير الصدر الاعظم الى السلطان

ليتفضل السلطان بالاطلاع على ما يلي :

من خلال البرقيات التي وصلتنا ينهى الينا ما يلي : ظهرت ثورة هذه الايام في ايلة تونس . وقد نصب العربان أحدهم واليا، كما أرسلت انقلترا وفرنسا وايطاليا للمحافظة على مواطنيها بعض السفن الحربية . ومن هذا الخصوص فان السلطنة العلية بمقتضى اعتنائها وكمال عنايتها ، دعت المجلس للانعقاد للتدارس والمشاورة ؛ وبعد المداولات والنقاش حول الموضوع فقد انتهى المجلس الى تبني ما يلي :

ان تونس تعتبر من الولايات المتممة لاجزاء الامبراطورية العثمانية ، وبالنظر الى اننا لا نعرف تماما حقيقة ما يجري ، لذا يكون من المناسب سعيانا الى استطلاع حقيقة الامر من الآن خصوصا اذا لم تظهر تدابير اصلاحية لمعالجة ذلك ؛ فنعمد اذن على ارسال باخرتين صحبة موظف يكون على مستوى من الدراية والسياسة ، وقد اختير لهاته المهمة باتفاق الجميع السفير بطهران حيدر أفندي لما يتمتع به من الصفات المطلوبة ولما يظهر امثاله من القدرة على تسيير الامور بذكاء وخبرة . وفي ما يتعلق بارسال السفن العثمانية فبالاضافة الى قدوم السفن الاجنبية الى المنطقة، يرجى من صاحب الامر والشأن أن يوافق على ذلك بحيث يسافر حيدر فى باخرة صغيرة الى أثينا ومنها يقطع رأسا الى مالطة .

لقد زود حيدر أفندي بتعليمات خاصة وسوف يبرق الى الباب العالي آن وصوله الى تونس ولدى رجوعه الى مالطة بكل تفاصيل الوقائع ، كما أن حيدر اذا سئل من طرف الموظفين الاجانب عن طبيعة مهمته ، فله أن يرد بأنه قدم للتحقيق فى اسباب الحوادث الجارية بتونس .

(1) B.A. ؛ خارجية ملف 1221 ، ملف 78 ، سنة 1280 / 1864 م ، وثيقة تركية . بدون تاريخ .

ولقد أمرنا أن يكون برفقة حيدر أفندي موظفون يتكلمون العربية والتركية والفرنسية على أن تكاليف سفرهم ستكون على حساب الدولة، وسيدفع حالا الى حيدر أفندي 75.000 غروش وله أن يستلم 25.000 غروش ويصرفها حسب متطلبات السفر ٠٠ أما اذا احتاج الى أكثر من ذلك فاننا نأذن له أن يأخذ من طرابلس الغرب أو مالطة ٠

وسوف يسافر غدا يوم السبت على جناح السرعة وليتفضل صاحب السلطان بالاذن له بذلك باصدار القرار السامي السلطاني ٠

الوثيقة رقم 2

الحوادث التي اعترضت عبدكم اثناء وجوده بتونس (I)

وصل عبدكم ميناء حلق الوادي في الحادي عشر من مغادرته دار السعادة استنبول . وقبل أن نرسو ، كان بجانبنا الاسطول الفرنسي الذي يتركب من ثلاث بوارج حربية ، وثلاث بواخر . وكان خلف الاميرال دربنغم (D'Herbinhem) قارب صغير ؛ وعندما كنا فوق الباخرة العثمانية ، أشير إلينا بالتوقف .

وفي الجهة التي كنا سنتوقف بها ، كان أحد القوارب وبه ضابط فرنسي يقترب منا ، ولدى وصوله خاطبنا بقوله : « لماذا جئتم الى تونس وأى مهمة أنتم مكلفون بها ؟ » ، وأضاف قائلا : إنه في حالة عدم قبولكم الرد ، فانكم ستغادرون المكان » ، وقال أيضا : « ان الاسطول الفرنسي سيظل قريبا منا وسيمنعنا اصلا من الرسو والنزول الى البر » .

وقد كان من الطبيعي معارضته . أعلمنا موظف الاميرال انه بمقتضى الصداقة والود التي تتمتع بها علاقات الدولة العلية مع دولة فرنسا ، ونظرا لعلم الدولتين أن الحرب بينهما لا تؤدي الى نتيجة مجدية ، فانكم بعدم مهاجمتنا وبوصولنا سالمين الى تونس ، تكونون قد ساعدتم على حل المشكلة . اذ من البديهي اننا سنرسو في المكان الذي نختاره ، لان الاسطول الانكليزي والايطالي وسفننا ستؤمن لنا ذلك . أما عن مهمتي ، فابنت ما يلي : « ان تونس تعتبر من الاجزاء المتمة للدولة العلية الحاقانية ، وقد قدمت سفننا للتحقيق في الحادث ويكون من غير المجدي أن تعترضوا سبيلنا » .

غير ان الموظف الفرنسي رد على بقوله : « مهما كانت الظروف، فان التعليمات

(I) B.A.؛ ملف رقم 78 ، وثيقة تركية تقرير حيدر أفندي رقم 2 والمرسل الى السلطان ؛

انظر الشكل رقم 6 ، ص. 48 - 49 .

التي تلقيناها من حكومتنا تمنعنا من ذلك ، وسوف نجبرك على الرسو قرب السفن الفرنسية » . وقد رددت عليه بقولي : « انا لا اخضع لغير تعليمات السلطان في المملكة ، وسوف أوجه الى المكان الذي اريده ، ومنه سأنزل الى البر مع ملاحظة ان أساطيل دول أخرى أيضا توجد في الميناء ، وتحقيق هاته الرغبة من جانبنا لا يتطلب قطعاً تدخلكم في الامر . أما اذا كانت فرنسا ترى من حقها ان تقف دون مبعوث الباب العالي الى تونس ، لاتمام مهمته ، فان سفيركم لدى الدولة العثمانية هو الذي يحق له أن يطلب من حكومتى بيان ذلك . على انى اعلمكم أن عدم اعتراض موظفى الدول الاخرى أصلا على مهمتنا ، يجعلكم تتحملون نتائج المخالفة وما تستوجبه هاته المسؤولية من عواقب وخيمة جدا ، واذن فلا نتيجة ترجى من اصراركم على الوقوف ضدنا . كما أن غرض ارسال السلطان سفنه الى تونس ، انما هو للتحقيق في هاته الحوادث التي كانت تونس مسرحا لها ، ولا توجد قطعاً أى علاقة مباشرة بغير ذلك . وعليه فسأوجه الى الرسو بالميناء ، وعليكم أيضا أن تسيروا وفق تعليمات حكومتكم » . وقد رد على الضابط بما يلى : « ما دمتم ستترسون قرب الاسطول الفرنسى ، وما دام قرارنا بعدم القبول سائرا ، وما دمتم تصرون على الرسو فانى ارجوكم أن تتوقفوا حتى أخابر سيادة الاميرال » .

الا أن السفينتين العثمانيتين «مخير سرور» و «بك شرف» المتأخرتين عنا قليلا ، جعلنى انتظر وصولهما ، ولدى اقترابهما ابنت عزمى على الرسو فى المكان الذى اريده . واثناء توقفى بينت للموظف الفرنسى أن الاميرال يستطيع أن يقدم ، فسوف يجدى هنا للتناقش معه .

وبذلك ترون كيف اتخذ عبدكم المطيع الصبر والتأنى وسيلة لتجنب الخطر من هاته الבלية ، وقد توقفت آن قدوم السفينتين العثمانيتين . واثناء ذلك ربط قارب الى احد سفن الاميرال ، وعند اقترابه منا ظهر رئيس مترجمى الاميرال ، وقد استقبلته فى مجلس الادارة البحرى ، وأوضح الترجمان ان الاميرال لا يرى مانعا من رسونا ، اذا قدمنا ايضا حلات حول مكان النزول ومخابرتنا بعد ذلك . وقد طالبنا رسو سفنكم قرب سفننا ، وذلك لشكنا أنكم احضرتم مزيدا من الجيوش للنزول الى تونس ، وما دام لم يشاهد عدد كثير من الجند ، فان المهمة التى عهد اليكم ، هى فعلا التحقيق من المسألة ، وعليه تستطيعون الرسو فى المكان الذى تفضلونه .

وقد أظهر عبدكم ارتياحا نرد الاميرال الودى ؛ وبعد أن غادرنا المترجم ، اخبرنا أن موظفا آخر سيأتى لزيارتنا .

وبمقتضى الاصول البحرية اللازمة ، فقد بين عبدكم المطيع الى العقيد القائد صاحب العزة صالح باى ، بأننا سنتجه الى مكان قرب السفن الانقليزية والايطالية للرسو .

وثناء ذلك ، وقبل أن تمر إحدى عشرة دقيقة قدم الاميرال علينا ، وقد استقبلناه عند ظهوره ، وخاطبني بقوله : « لو لم ينقل إلى مترجمي ، صدقكم وامكانية التفاهم معكم ، لكان بإمكاننا هلاككم دون التفكير في المسؤولية المترتبة عن ذلك . أنى شككت في وجود العساكر بسفنكم ؛ وحسب التعليمات لتي تلقيتها من حكومتى ، فانه من المؤكد أن سياسة فرنسا هو عدم السماح مطلقا بنزول الجيش التركي الى تونس . أما بالنسبة لكم ، فقد تجرأت بغير تعليمات من حكومتى ، وكنتم ذلك ، على اجباركم على الرجوع وهلاك سفنكم ، وعليه فانكم الآن بالاتفاق مباشرة مع فرنسا تستطيعون النزول ، وسوف تجدون لدى قنصلنا العام السيد دى بوفال (de Beauval) المساعدة والمشورة ، اذ أن رغبة الامبراطور تتماشى تماما مع ما تهدفون اليه . أما قولنا سنهلككم لو ظهر الجند بسفنكم ، فاننا نأسف لمثل هذا القول . ذلك أنه لا يصح أن تواجه باخرتين مسطحتين ، تملك ما بين 15 و 20 مدفعا ، مع بارجتين كبيرتين . وأعلمكم أيضا ان اطلاق المدافع على سفينتين صغيرتين ، لا يتماشى مع حقوق الامم ؛ وعلى هذا الاساس سوف لن أقوم بذلك تجاهكم لاقتناعى بعدم جدواه . بل يجب ان اتصرف وفق تعليمات ومهمة الامبراطور » .

وعندما وصل البحث الى هذا الحد ، رددت عليه بقولى : « ان دولة فرنسا كانت تتعاون مع الباب العالي منذ السلطان سليمان . كما أن وقوع الباب العالي في بعض المشاكل ، دفعه الى مراجعة رأى الدول الاخرى ، وقد استوجب ذلك معاهدة باريس . الا أن حقوق الدولة العلية بتونس لا تحتاج قطعا الى اثباتها حتى من الباي نفسه ، وعليه فانى أؤكد لكم ان ليس هناك أصلا ، خطة سرية ستتخذ في المستقبل » .

وقد رد الاميرال : « انكم ستتقابلون مع الصادق باشا ، والى تونس ، واذا وجدتم ارائه فاسدة ، فان ذلك يرجع الى الاشخاص الطامعين والفاستدين ، الذين تسببوا بسوء تصرفاتهم ، الى ظهور هذا الاضطراب بالملكة ، ونتيجة لمرض الباي وتكدره ، فاننا نرى أن أكبر مفسد ، هو الوزير مصطفى خزندار ؛ وعليه فاننا نلتمس من جنابكم أن تنصحوا الباي بإبعاده هو ومن شاكلة من المفسدين » .

ولقد أجبتنه : « بأن أساس مهمتى هو التحقيق فى أسباب الاضطراب ، وتقديم ذلك الى دولتى ، أما حق حكومتى فى التدخل فى شؤون المملكة ، فان ذلك خارج عن نطاق مهمتى ، واعتذر عن عدم ايفائى طلبكم » . واثّر ذلك ودعنا وخرج .

أما نحن ، فقد اجرينا المراسيم البحرية المعتادة ، وخلال هاته الفترة ارسلت مبعوثا الى قائد الاسطول الانغليزى المتكون من بارجتين ومدركة ، ليشرح له طبيعة المحادثات التى جرت مع الفرنسيين ، واطلاعه على جميع مراسلاتنا ، وكيف كنا سنمنع من النزول الى البر . وقد عبر القائد الانغليزى عن لومه الشديد للفرنسيين وعلى موقفهم . وشكرنا على تقديم تلك المعلومات اليه .

وثناء ذلك قدم علينا على ظهر قارب صغير ، القائمقام الرئيس أحمد اسكندراني ، وتقدم قائلا : « إن السيد الوالى يتفضل ، بمزيد من الرعاية ، بدعوتكم لمقابلته غدا » . ومن الغد فى الصباح ، قدم علينا من جديد ترجمان الاميرال ، وبعد اسداء التحية ، اخبرنا : « ان اظهر العام العثماني سيكون سبب فتنة ، وكما أن وضعية تونس المضطربة حاليا ، يجعل فرنسا لا تخفى ان تحركات الباب العالى هى لغزو البلاد ، حتى أن الشعب عندما سمع بقدومكم ، فانه اساء امس البارحة الى أحد الفرنسيين امام دار القنصلية الفرنسية وضربه ضربا قويا (2) ، وانه لما اتصلنا بقنصليتنا ، قررنا أن نمنعك من دخول المدينة » .

وقد رددت عليه : « أن وجودنا فى تونس ، سيكون سببا لأمن وهُدوء البلاد وعلى العكس من ذلك انه من المسلم به ، أن الاهالى لا يرغبون فى وجودكم فى تونس حيث تسبب ذلك فى تزايد حدة الاضطراب والثورة . أما سماعنا الاقوال التى تدعى أن الدولة العلية ستغزو البلاد لاجتثاث هذا الفساد ، فليس هناك ما يدفع الباب العالى الى القيام بذلك ، فضلا عن أن هذا الرأى لا يستحق الاستماع اليه ، ولن يكلفنى مشقة الرد عليه . ولكن اذا رغب القنصل الفرنسى أن يتحدث معى ، فسأكون ممنونا ومستعدا لذلك ، فى الوقت الذى يراه مناسبا » .

اما رد الموظف فكان بهذا المضمون : « ان القنصل سوف يقدم اليوم على سفينة الاميرال واذا قدمتم للتناقش معه هنا ، فالرجاء منكم أن تعينوا الوقت

(2) لم ترد أقسام النص بكثير من الحواشى ، ذلك أن كتاب ابى أبى الضياف ، اتعاف .. نفس المصدر ، ج. 5 ، يقدم لنا عرضا كاملا للحوادث السياسية .

مع ملاحظة أن يوافق ذلك رغبة الاميرال أيضا » . ولقد اجبته : « بانه اذا لم يأت مبعوث الباشا الآن ، ولم يعرض على الدعوة ، فانى سأقدم على الساعة الحادية عشر صباحا » . اثر ذلك ، نهض ترجمان الاميرال ، وقال : « أنا مكلف بالاعتذار لديكم عن تصرف الاميرال البارحة تجاهكم اثناء دخولكم الميناء » .

وقبل أن تمر نصف ساعة على ذلك ، قدم علينا أحد امراء وخدام الوالى بلباس رسمى ، هو الفريق أحمد أغا مع شخص يتكلم التركية قليلا ، وقال : « لقد حضرنا لنبلغكم سلام الوالى ، وقد دعاكم للنزال فى دار الباي » . الا أن ارتين أفندى اعتذر عن مصاحبتنا وذلك ليتمكن من مقابلة حضرة الاميرال الفرنسى .

أما الآغا المشار اليه القادم من طرف حكومته ، فقد احضر قاربا صغيرا ربط الى سفينة صغيرة ، وبعدها نزلنا فى ميناء خلق الوادى ؛ وهناك كانت توجد الادارة البحرية . وقد توقفنا قليلا ، ومنها سعدنا الى العربات . وبعد عدة ساعات اشرفنا على مدينة تونس التى يقع بها مقر اقامتنا ؛ واثناء نزولنا فى الطريق صادفنا القنصل الفرنسى بلباس رسمى ، وقد استقبله عبدكم فى عربته ليتناقش معه حسب مقتضى الحال ، الى أن وصلنا الى مقر مكان الإقامة وقد ودعناه عند الباب . وقد اخبره عبدكم بكل ما جرى مع الاميرال الفرنسى وقد شكرنى القنصل لافادته ما وقع ، و اضاف : « ان اتخاذ الاميرال موقفا ضد علم الدولة العثمانية لا يعد عملا لائقا ، ولا يصح القول انى قدمت لمثل هذه الشكون العادية ، والرجاء ان تغضوا الطرف عن تصرف الاميرال تجاهكم ، وفيما يتعلق بهذا الموضوع فان اى حل ترونه نافعا لاصلاح ذلك فسأعمل على تحقيقه ، وانى ارجوكم من جديد ان لا تكبروا تصرف هذا الرجل المسن ، الذى لا يستطيع ان يدرك شيئا فى مثل هذا العمر من الخدمة العسكرية » .

سبب الاضطراب

إن القناصل الفرنسيين يرون أن سبب الاضطراب، أن ولاية تونس السابقين كانوا يشعرون باحتياجهم الى 30.000 جندي للمحافظة على الامن وادارة المملكة بنجاح ، وكذلك أيضا لجوارها مع الجزائر . وعليه فان قوة عسكرية تقل عن هذا العدد ، سوف لن تتمكن من التغلب على القبائل المتوحشة ، ولذا فان الولاية المشار اليهم ، قد وقعوا فى نزاع مع فرنسا ، التى لم تسمح لهم ابدا ان

١٠٠
 ١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠
 ٢٠١
 ٢٠٢
 ٢٠٣
 ٢٠٤
 ٢٠٥
 ٢٠٦
 ٢٠٧
 ٢٠٨
 ٢٠٩
 ٢١٠
 ٢١١
 ٢١٢
 ٢١٣
 ٢١٤
 ٢١٥
 ٢١٦
 ٢١٧
 ٢١٨
 ٢١٩
 ٢٢٠
 ٢٢١
 ٢٢٢
 ٢٢٣
 ٢٢٤
 ٢٢٥
 ٢٢٦
 ٢٢٧
 ٢٢٨
 ٢٢٩
 ٢٣٠
 ٢٣١
 ٢٣٢
 ٢٣٣
 ٢٣٤
 ٢٣٥
 ٢٣٦
 ٢٣٧
 ٢٣٨
 ٢٣٩
 ٢٤٠
 ٢٤١
 ٢٤٢
 ٢٤٣
 ٢٤٤
 ٢٤٥
 ٢٤٦
 ٢٤٧
 ٢٤٨
 ٢٤٩
 ٢٥٠
 ٢٥١
 ٢٥٢
 ٢٥٣
 ٢٥٤
 ٢٥٥
 ٢٥٦
 ٢٥٧
 ٢٥٨
 ٢٥٩
 ٢٦٠
 ٢٦١
 ٢٦٢
 ٢٦٣
 ٢٦٤
 ٢٦٥
 ٢٦٦
 ٢٦٧
 ٢٦٨
 ٢٦٩
 ٢٧٠
 ٢٧١
 ٢٧٢
 ٢٧٣
 ٢٧٤
 ٢٧٥
 ٢٧٦
 ٢٧٧
 ٢٧٨
 ٢٧٩
 ٢٨٠
 ٢٨١
 ٢٨٢
 ٢٨٣
 ٢٨٤
 ٢٨٥
 ٢٨٦
 ٢٨٧
 ٢٨٨
 ٢٨٩
 ٢٩٠
 ٢٩١
 ٢٩٢
 ٢٩٣
 ٢٩٤
 ٢٩٥
 ٢٩٦
 ٢٩٧
 ٢٩٨
 ٢٩٩
 ٣٠٠
 ٣٠١
 ٣٠٢
 ٣٠٣
 ٣٠٤
 ٣٠٥
 ٣٠٦
 ٣٠٧
 ٣٠٨
 ٣٠٩
 ٣١٠
 ٣١١
 ٣١٢
 ٣١٣
 ٣١٤
 ٣١٥
 ٣١٦
 ٣١٧
 ٣١٨
 ٣١٩
 ٣٢٠
 ٣٢١
 ٣٢٢
 ٣٢٣
 ٣٢٤
 ٣٢٥
 ٣٢٦
 ٣٢٧
 ٣٢٨
 ٣٢٩
 ٣٣٠
 ٣٣١
 ٣٣٢
 ٣٣٣
 ٣٣٤
 ٣٣٥
 ٣٣٦
 ٣٣٧
 ٣٣٨
 ٣٣٩
 ٣٤٠
 ٣٤١
 ٣٤٢
 ٣٤٣
 ٣٤٤
 ٣٤٥
 ٣٤٦
 ٣٤٧
 ٣٤٨
 ٣٤٩
 ٣٥٠
 ٣٥١
 ٣٥٢
 ٣٥٣
 ٣٥٤
 ٣٥٥
 ٣٥٦
 ٣٥٧
 ٣٥٨
 ٣٥٩
 ٣٦٠
 ٣٦١
 ٣٦٢
 ٣٦٣
 ٣٦٤
 ٣٦٥
 ٣٦٦
 ٣٦٧
 ٣٦٨
 ٣٦٩
 ٣٧٠
 ٣٧١
 ٣٧٢
 ٣٧٣
 ٣٧٤
 ٣٧٥
 ٣٧٦
 ٣٧٧
 ٣٧٨
 ٣٧٩
 ٣٨٠
 ٣٨١
 ٣٨٢
 ٣٨٣
 ٣٨٤
 ٣٨٥
 ٣٨٦
 ٣٨٧
 ٣٨٨
 ٣٨٩
 ٣٩٠
 ٣٩١
 ٣٩٢
 ٣٩٣
 ٣٩٤
 ٣٩٥
 ٣٩٦
 ٣٩٧
 ٣٩٨
 ٣٩٩
 ٤٠٠
 ٤٠١
 ٤٠٢
 ٤٠٣
 ٤٠٤
 ٤٠٥
 ٤٠٦
 ٤٠٧
 ٤٠٨
 ٤٠٩
 ٤١٠
 ٤١١
 ٤١٢
 ٤١٣
 ٤١٤
 ٤١٥
 ٤١٦
 ٤١٧
 ٤١٨
 ٤١٩
 ٤٢٠
 ٤٢١
 ٤٢٢
 ٤٢٣
 ٤٢٤
 ٤٢٥
 ٤٢٦
 ٤٢٧
 ٤٢٨
 ٤٢٩
 ٤٣٠
 ٤٣١
 ٤٣٢
 ٤٣٣
 ٤٣٤
 ٤٣٥
 ٤٣٦
 ٤٣٧
 ٤٣٨
 ٤٣٩
 ٤٤٠
 ٤٤١
 ٤٤٢
 ٤٤٣
 ٤٤٤
 ٤٤٥
 ٤٤٦
 ٤٤٧
 ٤٤٨
 ٤٤٩
 ٤٥٠
 ٤٥١
 ٤٥٢
 ٤٥٣
 ٤٥٤
 ٤٥٥
 ٤٥٦
 ٤٥٧
 ٤٥٨
 ٤٥٩
 ٤٦٠
 ٤٦١
 ٤٦٢
 ٤٦٣
 ٤٦٤
 ٤٦٥
 ٤٦٦
 ٤٦٧
 ٤٦٨
 ٤٦٩
 ٤٧٠
 ٤٧١

[illegible]

141
 142
 143
 144
 145
 146
 147
 148
 149
 150
 151
 152
 153
 154
 155
 156
 157
 158
 159
 160
 161
 162
 163
 164
 165
 166
 167
 168
 169
 170
 171
 172
 173
 174
 175
 176
 177
 178
 179
 180
 181
 182
 183
 184
 185
 186
 187
 188
 189
 190
 191
 192
 193
 194
 195
 196
 197
 198
 199
 200
 201
 202
 203
 204
 205
 206
 207
 208
 209
 210
 211
 212
 213
 214
 215
 216
 217
 218
 219
 220
 221
 222
 223
 224
 225
 226
 227
 228
 229
 230
 231
 232
 233
 234
 235
 236
 237
 238
 239
 240
 241
 242
 243
 244
 245
 246
 247
 248
 249
 250
 251
 252
 253
 254
 255
 256
 257
 258
 259
 260
 261
 262
 263
 264
 265
 266
 267
 268
 269
 270
 271
 272
 273
 274
 275
 276
 277
 278
 279
 280
 281
 282
 283
 284
 285
 286
 287
 288
 289
 290
 291
 292
 293
 294
 295
 296
 297
 298
 299
 300
 301
 302
 303
 304
 305
 306
 307
 308
 309
 310
 311
 312
 313
 314
 315
 316
 317
 318
 319
 320
 321
 322
 323
 324
 325
 326
 327
 328
 329
 330
 331
 332
 333
 334
 335
 336
 337
 338
 339
 340
 341
 342
 343
 344
 345
 346
 347
 348
 349
 350
 351
 352
 353
 354
 355
 356
 357
 358
 359
 360
 361
 362
 363
 364
 365
 366
 367
 368
 369
 370
 371
 372
 373
 374
 375
 376
 377
 378
 379
 380
 381
 382
 383
 384
 385
 386
 387
 388
 389
 390
 391
 392
 393
 394
 395
 396
 397
 398
 399
 400
 401
 402
 403
 404
 405
 406
 407
 408
 409
 410
 411
 412
 413
 414
 415
 416
 417
 418
 419
 420
 421
 422
 423
 424
 425
 426
 427
 428
 429
 430
 431
 432
 433
 434
 435
 436
 437
 438
 439
 440
 441
 442
 443
 444
 445
 446
 447
 448
 449
 450
 451
 452
 453
 454
 455
 456
 457
 458
 459
 460
 461
 462
 463
 464
 465
 466
 467
 468
 469
 470
 471
 472
 473
 474
 475
 476
 477
 478
 479
 480
 481
 482
 483
 484
 485
 486
 487
 488
 489
 490
 491
 492
 493
 494
 495
 496
 497
 498
 499
 500
 501
 502
 503
 504
 505
 506
 507
 508
 509
 510
 511
 512
 513
 514
 515
 516
 517
 518
 519
 520
 521
 522
 523
 524
 525
 526
 527
 528
 529
 530
 531
 532
 533
 534
 535
 536
 537
 538
 539
 540
 541
 542
 543
 544
 545
 546
 547
 548
 549
 550
 551
 552
 553
 554
 555
 556
 557
 558
 559
 560
 561
 562
 563
 564
 565
 566
 567
 568
 569
 570
 571
 572
 573
 574
 575
 576
 577
 578
 579
 580
 581
 582
 583
 584
 585
 586
 587
 588
 589
 590
 591
 592
 593
 594
 595
 596
 597
 598
 599
 600
 601
 602
 603
 604
 605
 606
 607
 608
 609
 610
 611
 612
 613
 614
 615
 616
 617
 618
 619
 620
 621
 622
 623
 624
 625
 626
 627
 628
 629
 630
 631
 632
 633
 634
 635
 636
 637
 638
 639
 640
 641
 642
 643
 644
 645
 646
 647
 648
 649
 650
 651
 652

يتخذوا أكثر من ثلاثين ألف جندي ، وفي نفس الوقت فإن تجار فرنسا الذين كانوا يبيعون باستمرار بضائعهم بأعلى الأثمان ، قد جعلوها تسقط مدانة لهم . وفي زمن الوالي السابق أحمد باشا ، كانت واردات البلاد تفي بحاجياتها فقط ، الا أن الوالي المرحوم محمد باشا كان يشعر باستحالة إيفائه تكاليف ثلاثين ألف جندي ، فضلا عن تسديده ديون البلاد ، ومن هنا كان لا بد من العثور على مخرج .

نصح قنصل فرنسا أنباي بتنزيل عدد الجيش الى النصف، فرأى الباى في ذلك دبيراً عاجلاً ، فاذن بتسريح 15.000 ، والحفاظ على النصف الآخر . وعندما درست الحكومة سياستها المصرفية ، انتهت الى عدم الارتياح ، ولم تصوب الحكومة فكرة الاقتراض . غير أن نصحاء الباى ومستشاريه اشاروا عليه من جديد بتقليل الجيش الا أن الاجل وافاه ، فاستلم صادق باشا الوالى الحالى ، امارة البلاد ، وانتهى الى أنه اذ لم يعثر على وسيلة لتسديد الديون ، فان تقليل الجيش يؤدي الى كسر نفوذه .

ارادت تونس أن تقترض من شركة البنك ايرلنجي (Erlanger) فى باريس ما مقداره : 35.000.000 فرنك . الا أن شركة البنك رفضت تسليم ذلك الى تونس ، ومن جهة أخرى فان الفائض سوف لن يسلم نتيجة طبيعة المعاملات . ولوحظ انه اذا لم تقدم مخصصات (معاشات) الجيش ، فانه سيدفع حتما الى تسريحه . وعليه فقد ابلغ الشعب أن كل شخص عوض أن يدفع 36 ريالا سيدفع 72 أو 120 ريالا .

هذا بالاضافة الى أن قتل الشعب التونسى ليهودى ، سب الدين الاسلامى قد دفع الى وضع قانون يتماشى مع العصر الحديث . وبموافقة فرنسا وتدخل انقلترا صدر القانون اى دستور العمل(3)، آخذا الشيء الكثير من التنظيمات الحيرية الانقليزية والكثير من قوانين فرنسا .

ومن أحكام القانون المذكور ، تشكيل محاكم فى اماكن متعددة لفصل نوازل الشعب ، على أنه اذا بدأت النظر فى قضايا العرب المقيمين فى البادية ، فلها أن تفصل فى قضاياهم الطويلة بسرعة ، الشيء الذى جرهم سابقا الى التخلي عن زراعتهم وبيعهم وشراهم ؛ الا أنه بمقتضى القوانين الجديدة فان المحاكم المذكورة ما زالت أيضا تطيل فى فصل دعاوى الفقراء ؛ وعليه فقد اشتكوا منها واضطروا الى مغادرتها . وبالإضافة الى هذا ، فان مضاعفة الرسوم على الشعب، قد جعل البدو ينصبون حسب اصولهم القديمة،

(3) يقصد بذلك عهد الامان .

رئيسا وقاضيا ومفتيا في مشائخ جلاص وونيفة • وقد أباؤوا للحكومة عن مطالبهم ويتمثل ذلك في ، أولا : طرح الزيادة الجديدة من الرسوم ، واصرارهم على عدم دفعها • ثانيا : عدم اعترافهم بالقانون وبالمحاكم الجديدة • ان ما ذكرته الآن يشكل اسس الاضطراب ، ومنشئ البلاء بتونس •

اللقاء الاول مع حضرة والي تونس

ان التعليمات التي تسلمها عبدكم يوم أن غادر دار السعادة استنبول ، مفادها أنه اذا سقط الوالي عن كرسي الحكم ، فعلى ان أتصرف بها أراه نافعا • الا أن الحال غير ذلك ، فان الوالي الباشا ما زال على رأس الحكومة ، وعليه فأساس مهمتي عدم الاساءة الى عبدكم ، والتصرف وفق مصالح الباب العالي •

ارسل الوالي مبعوثا لاستقبالنا في الميناء واعلمنا رغبته لمقابلتنا ، واتجهنا الى مقر اقامتنا في دار الباي بتونس ، وهم باختيارهم هذا المكان ، أظهروا لنا عدم الرعاية والاهتمام •

ومن الغد قدم أحمد آغا ليصبحنا الى قصر باردو للتحدث مع الباي ، وقد قابلته وهو يعاني قليلا من تعكر مزاجه ، ولما رأني نهض من فراشه وسار الى وسط الغرفة ليستقبلني ماسكا يدي وقائلا : « ان مبعوث سلطاني العظيم قد قدم علينا ، وكان يجب أن استقبله بنفسى في الميناء ويحصل لي الشرف لولا مرضى الذى حال دون ذلك » • وقد دعوته الى الجلوس حتى لا أسبب له مشقة الوقوف وقلت له : « يكفينى رعاية اني قابلت حضرتكم باعتباركم أحد ولاة سلطاننا ، خادم الحرمين الشريفين وهذا بالنسبة لي رتبة قد حزت عليها » • وقد اجابني : « لقد ارسلنا خير الدين باشا الى دار السعادة ليشرح لهم وضعية البلاد ثم رفع يديه الى رأسه وقال : أنا عبد من عباد السلطان » •

وبعد أن بينت للوالى سبب عدم ارتياحي لما جرى اثناء قدومنا ، أردفت قائلا : « ان الاضطراب الذى حصل بتونس ، وارسال السفن الفرنسية والانجليزية والايطالية الى ميناء حلق الوادى ، قد دفع الباب العالي بصورة مباشرة الى التحقيق فى المسألة بقرار ارسالى الى تونس » •

ان صهر الوالى السابق مصطفى خزندار مع خير الدين باشا ، يشكلان الشخصيتين الاكثر نفوذا وادراكا بالنسبة لكل الموظفين التونسيين • وقد توجهت الى الباي قائلا : « لم قعدتم حتى الآن عن عدم اخبار الدولة

العلية ، ولم تكتبوا لها عن سبب هذا الاضطراب وبواعثه ؟ » • فرد قائلاً : « ان هذه الحوادث التي وقعت بتونس ، لم أكن في أى وقت مضى ، لأعرف مضاعفاتها • ولو كنت أعلم أنها ستتفاقم الى هذا الحد ، فانه لا يوجد أحد مثل سلطاننا ، لأعرض عليه حقيقة الامر ؛ وبالتأكيد كنت سأفعل ذلك » ، ثم أضاف مبيناً : « بأى صورة تعبت فرنسا به وبأسلافه حتى الآن ، ثم بين أن وضعية تونس خطيرة ، ولا بد من إيجاد مخرج لذلك » • وكان ردى : « ان السبب فى ذلك ، نتج عن اسلافكم • وقد ادرتكم سوء النتيجة المترتبة عن تلك التصرفات وانكم باختياركم طريق الدين القويم ، وكسبكم عطف الباب العالى ، لبارك لكم المكانة التي ستحوزون عليها ، ذلك أن علاقتكم بفرنسا لا تجدى نفعاً ، بل على العكس ، ان اطاعتكم للسلطنة العلية سيؤدى ولا شك الى كسبكم رضا الله يوم الآخرة ثم رضا وعطف الدولة العلية •

انظروا الى ولاية مصر وواليتها كيف اطاع الدولة العلية ، فمن عليه بالغناء والراحة • وسلمت بلاد مصر من شر الاعداء • فياترى لو أبديتهم الى السلطان مثل ما فعلوا ، الا يقبل منكم ذلك ؟ أم أن ذلك لا يوافق الاسلام ؟ وعليه فان مآخذنا على اسلافكم كثيرة جداً • اما اذا كانت توجد لديكم حسن النية ، فانه ليس لدى غير تقديم الشكر لكم » •

وأجابنى بعد ان توقفت عبراته : « ليس الآن وقت معرفة الغيب • على أنه اذا امنت لى بعض الشروط ، وجعل الحكم وراثياً كمصر ، لماذا لا أكون مطيعاً بقدر ما يفعله المصريون ؟ وليس اليوم وقت تحسر ، فلكم أن تطلعوا حضرات السنية العلية ، وما يقرونه ، فسأكون مستعداً لتقبل شروطهم التي ستفضلون بتوجيهها الى ، حتى نتمكن من انقاذ البلاد من هذا الخطر • غير انى أوجه نظركم الى أن موقع تونس البعيد عن الباب العالى ، خلاف موقع مصر القريب منها ، يحتم عليكم مزيداً من الاهتمام والاعتناء بهاته المملكة ، وان شاء الله سوف يسوى قريباً هذا الخلاف » • ثم ختم كلامه قائلاً : « ان تفضلكم بقرار مساعدتنا لتسوية هذا الاضطراب ، سيقابل بمزيد من الارتياح كما أن ارادة سنية ستمكننا من انقاذ البلاد » •

وبعدها غادر عبدكم القصر ورجع الى محل اقامته •

اللقاء الثانى والثالث

منذ أن قدم عبدكم الى تونس ، تقابلت مع الوالى ثلاث مرات ، وقد عرضت عليكم ما جرى فى اللقاء الاول • أما اللقاء الثانى فقد ابنت للوالى أنه يستوجب

اعلم .باب العالى وشرح أسباب هذا الاضطراب واطهار الطاعة والولاء للدولة العلية .

أما لقائي الثالث فقد دعيت قبل يوم الى قصر باردو ؛ وعندما قابلت الوالى ، ستفسرت ما اذا كانت توجد بعض الاوراق لارسالها الى السدة السنية ؟ أجابنى الوالى بما يلى : « انه صحيح أنى من أتباع السلطان وانى مستعد لتقبل اى قرار يأتى منه ، ولكن اذا لم يصدر سفراء الدول الاجنبية بالباب العالى قرارا فيما يتعلق بتونس ، فانا لا أجرؤ على ذلك خوفا من مسؤولية مجابهة الفرنسيين ، لانهم أعداؤنا . ولو كنت أعلم مضاعفات هذا الاضطراب ، لكتبتت قطعاً الى الباب العالى ، شارحا الوضعية برمتها . والبارحة قدم على قنصل فرنسا وكعادته فقد صدرت منه أقوال تنم عن الحفارة . ولو أردت أن اشتكى للباب العالى حررت لكم رسالة غير ممضاة عن كيفية ذلك . واقدمها لكم غدا لترسلوها الى الباب العالى حتى نحصل منه على الجواب (4) وانى لارجوكم أن ترسلوا مذكرة عن ذلك ، مع العلم اننا لا نعلم ما سيحدث عن اتفاق الدول مع الباب العالى » . وفى المساء قدم الى الوالى تحريره دون امضاء والذى ستجدونه ملفوفا ضمن الاوراق التى تشرفت بتقديمها الى الدولة العلية .

لقائي مع قناصل الدول الصديقة بتونس

فى هذه الاثناء كان يفهم ما تصرف أعضاء القنصلية الفرنسية ، أنه للحد من النفوذ الانقليزى على الباي ، واتخاذ هذا الاخير أصول جديدة للحكم حسب متطلباتهم ، فان الفرنسيين مستعدون ان يظهروا مزيدا من الاخلاص لحقوق الباب العالى بتونس .

وعندما قدمت بيوم على تونس ، زارنى قنصل فرنسا ثلاثة مرات ، وأعلمنى أنه يأمل أن نعمل باتفاق حسب التعليمات التى تلقاها من دولته ، وأنه لو راجع السلطان امبراطور فرنسا مباشرة ، لتأكيد حقوقه فى تونس . فإنه مما لا شك فيه أن صاحب الامبراطور ، سيظهر عطفه وتأييده لذلك . وقد شكرته على قولته ذلك .

(4) لقد عشنا فى أرشيف رئاسة الوزراء باستنبول ، على الرسالة الغير المضاة التى أرسلها محمد الصادق باشا الى الباب العالى ، راجع مختصر تلك الرسالة فى : ابن ابى الضياف ، نفس المصدر ، ج. 5 ، ص . 50 - 153 .

ولما سألته عن طبيعة المساعدة التي يمكن أن تقدمها دولة فرنسا بشأن تبعية وانقياد والى تونس الى الباب العالي ، أجابني القنصل بقوله : « ان دولة فرنسا لا تريد أن تجعل من تونس ولاية كمصر ، ذلك أن ولاية تونس السابقين ، لم يظهروا في كل حالاتهم ، الطاعة والتبعية للباب العالي ، بل حافظوا على استقلالهم » .

وقد أجبتة : « ان ولاية تونس السابقين وكذلك واليها الحالي ، قد أيّدوا حقوق اندولة العلية وصادقوا عليها ، ولو لم يكن كذلك ، لما صدرت اليهم ارادتنا السامية . أما عن مهمتي الآن فهي التحقيق في الحوادث الجارية واعلام دولتي التي آتندبنتني لذلك . ولو لم تعرضوا على بحث هذا الموضوع ، لما فصلت الحوض فيه » .

وقد عارض القنصل نفسه عندما قال : « ان ما قلته صدر عني وهي افكار شخصية » ، ثم نهض وخرج . أما الزيارة الثانية فقال : « لقد قدمت بصورة رسمية لاسألكم ، هل ستتدخلون في شؤون تونس الداخلية أم لا ؟ » . وقد اعدت على مسامعه ما بينته له سابقا ، الا أن القنصل ، وقبل أن تمر على مغادرته لى ساعة من زمن ، قدم على من جديد وقال : « أود أن أقدم لكم هاتين الرسالتين اللتين تتناولان بالتفصيل ما وقع بمدينة سوسة ، وأخرج من جيبه رسالة أخرى وقال لي : « في حانة رغبة الدولة العلية اتخاذ قرار بشأن ادارة مملكة تونس تحت بعض الشروط المدروسة بالاشتراك مع فرنسا ، فاني بعد أن أطلع على رأى الامبراطور ولدى استلامي تعليماته الجديدة واذنه بذلك ، فلكم أن تخابروني للقيام بهاته الاتفاقية » .

أما الرسالة المذكورة فكانت تتضمن المواد التالية ، أولا : ان تعترف الدولة العلية بتونس وتمنحها استقلالا محدودا مع تعهد تونس بدفع شيء من المال الى الباب العالي . ثانيا : على أن سائر التفصيلات ستكون محل مذاكرة وبحث .

ومن الغد تقابلت مع القنصل الانقليزي السيد وود (Wood) وتباحثنا حول علاقة تونس بالباب العالي ، والوضعية الخطيرة التي عليها تونس الآن . وقال القنصل : « اني أرى انه حان الوقت لاتخاذ الدول المتفقة ، قرارا بشأن انقاذ تونس من الاحتلال الفرنسي لها » . وعندما ابنت له اقتراحات القنصل الفرنسي دى بوفال ، لم يظهر القنصل الانقليزي اى وعد حول ذلك .

على أنه اذا كانت سائر الدول راضية على تصديق قرار بخصوص تونس مع الباب العالي ، فان الانقليز غير راضين بمنح تونس امتيازات أخرى غير

التي قدمت للمصريين • ومن جهة أخرى فاني ألاحظ أنه اذا طبقت القوانين والمعاهدات العلية بتمامها في تونس ، فان الدولة الانغليزية سوف تحرس على تنظيم وتطبيق ذلك بالتعاون مع تونس ، وأوضح القنصل الانغليزي أن قانون استملاك الاراضي في تونس سيزال ، وأفاد أنه اذا لم تكن اصلاحات وتنظيمات الباب العالي نافعة وجارية بتونس ، فان دولة فرنسا سوف لن تقبل بحقوق الباب العالي بالمملكة •

وقد رددت عليه : « ان دولة انغلتر عندما ارادت ضم أو عدم ضم الجزر السبع الى اليونان ، فانها لم تهمل رأى الاهالى في ذلك ، بل اخذت رأيهم وموافقهم على هذا الانظام • واذا أظهر والى تونس ميلا وطاعة الى الباب العالي ورغب أن يوفق في ادارة تونس ، كما هو الحال بالنسبة لادارة مصر ، هل سيطلب من انغلتر مساعدة لحل المسألة التونسية ، كما قدمت الى اهالى الجزر السبع ، عندما ضمتها الى اليونان ؟ » •

الا أن القنصل الانغليزي رد على بقوله : « لا يصح مطلقا ان نقيس وضعية تونس بالجزر المذكورة » • ويفهم من كلامه ان الانغليز لا يرضون بمزيد من ولاء تونس الى الباب العالي •

لقد كتب الى القنصل المذكور رسالة يتناول فيها ما جرى بمدينة سوسة ، وقد أرسلت ذلك الى الباب العالي مع الرسالة التي قدمها لي قنصل فرنسا بنفس الواقعة ، حتى يلاحظ الاختلاف ويساعد ذلك على فهم الوضعية •

ومن الغد تقابل عبدكم مع القنصل الايطالى والاسبانى والامريكى والنمساوى • ولاحظت انهم يوافقون على اتخاذ الباب العالي قرارا بشأن تونس اذ آن الاوان لذلك • على انى ألفت نظرهم ، الى ان كلام القنصل الايطالى لا يختلف كثيرا عن القنصل الفرنسى ، وعندما غادرني أسر إلى قائلا : « أنه لا يرغب ان يرى الفرنسيين قريبين من جزيرة صقلية وسرديا ، والايطاليون بالرغم من انهم يماشون الفرنسيين ، الا انهم لا يريدون ان تحتل فرنسا تونس » •

مشاهداتى بتونس

اثناء مروى في الشارع كنت اسمع الشعب يردد قائلا : « اننا من أتباع لسلطان ، صاحب الاخلاق الحميدة والوصاف السامية ، فريد زمانه وحضرة مولانا وولى النعم ، فطاعته موجب فوز وفلاح ان شاء الله » •

ان الشعب هنا فى كمال الشوق لحضرة السلطنة العلية وهو لا يفتأ يردد بصوت عال أدعيه خيريه للسلطان حتى إنى عندما توجهت لصلاة عيد الاضحى فى جامع حمودة باشا ، لاحظت أن الناس لا يكتفون بذكر السلطان مرة واحدة ، بل على العكس ، فمحافلهم ومنابرهم لا تألوا جهدا فى تنشيط الناس جماعات جماعات ، على اظهار الولاء والاخلاص للدولة العلية .

يا صاحب السلطان ، ان هذه الملة مسلمة ، وليبقيكم الله ذخرا لها ، أمين .

ان واردات الحكومة التونسية القارة هي عبارة عن 15.000.000 ريال ، ويأتى من الضرائب المشتملة من عشر المحاصيل ما مقداره 5.000.000 ريال ، وتكون الجملة 20.000.000 ريال .

ان ريالا واحدا يساوى ثلاث غروش وبذلك تمثل واردات تونس حوالى 60.000.000 غروش .

ان ما شاع فى الباب العالى ان والى تونس قد غير ضرب النقود والخطبة باسمه ، لا أصل له من الصحة ، وحتى زمن الولاة السابقين ، كانت العملة المضروبة هنا ، تحمل فى احد وجهيها اسم السلطان وفى الوجه الثانى ضرب فى تونس ، اما العملة المضروبة الآن ، فتحمل فى احد وجهيها اسم السلطان وفى الوجه الثانى (مدت فلان تونس) وهذا تفسير ما يراه عبدكم لتغير العملة .

وبالتالى لاحظت فى تقريرى ان عدد تلك العملة قديمها وجديدها تبلغ تسعة ، وهى تبين اسم انوالى ومدة حكمه اثناء ذلك .

بعض الحوادث

لقد اصيب التجار الاوروبيون الساكنون مدينة سوسة الواقعة على الساحل ، بخوف أثر الحوادث الجارية ، ويوجد بالمدينة القائمقام (أمير الامراء) السيد رشيد ومعه 500 نفر للمحافظة على أمن المدينة ، الا أن نصف هذا العدد فر ، ولا يعرف السبب . وقد وجد القائمقام نفسه مضطرا ان يبلغ وكلاء القناصل الاجنبية رسميا ، بأن رعاياهم الموجودين بالمدينة فى خطر . واثّر ذلك اعلن القناصل ان رعاياهم سوف يغادرون المدينة . واثناءها كانت البواخر الايطالية والفرنسية راسية فى مدينة تونس ؛ وتسرب الى المدينة من البواخر الايطالية أربعين نفرا مسلحين مع قائدهم . وصادف ان خرج فى تلك الليلة الجنود ،

وطن الالهالى أن المسيحيين الذين نزلوا المدينة ، سوف يحتلونها ، وعليه فقد تفاقم الامر حتى وصل الى درجة تسليح الالهالى .

الا أن الايطاليين عندما شاهدوا ما آلت اليه الوضعية ، أمروا برجوع الاشخاص المذكورين الى بواجرهم .

لقد عرض الرؤساء الثائرون بمدينة صفاقس الطاعة على الحكومة ، وانهم يرغبون فى توسط انقلترا فى ذلك ، ومن جهة اخرى حسب بعض الروايات ، ان القيروان التى احتلها عربان المشاة (البريين) عرضوا أيضا الطاعة على الوالى .

مطالعات

ان نفوذ فرنسا وانقلترا وايطاليا فى تونس قد وضع تحت المحك ؛ وقد تدخلت السياسة فى هاته الثورة الحالية ، الا أن انقلترا استطاعت أن تنتصر بقوة نفوذها على اعدائها ، أما فرنسا واتباعها كالايطاليين فانهم لاستيلائهم على هاته المملكة كانوا عادة يحرضون المسلمين ضد المسيحيين ليحصل بينهم القتال وتمكن فرنسا وايطاليا من تحقيق مطامعهم . ولا يستبعد أن تكون هناك وسيلة أخرى لذلك . ذلك أن الحوادث التى كنت عرضتها عليكم ، توضح أن العربان المشاة ، بعرض طاعتهم على الوالى ، التجأوا الى توسط انقلترا فى الامر ، ويجب أن نتصور هاته القبائل البدوية المتعصبة كيف طلبت توسط الاجنبى .

ومعلوم أيضا أن استمرار هذا الاضطراب ناتج عن نفوذ الاجانب الذين استفادوا منه ، وفى الواقع ان دولة انقلترا تم تمس الدولة العلية بسوء ، وفى بعض المصالح لم تعارض فى تقديم المساعدة والنصيحة ، ولا أعلم شخصا سر ذلك ، أهل للابقاء على نفوذها فى تونس أم لانها غيرت أرائها حول المسائل الشرقية ؟ لقد عقدت انقلترا أخيرا مع الحكومة التونسية اتفاقية لضمان حقوقها فى استملاك الاراضى ، كما انها مستعدة أن تحمي استقلال تونس من الاطماع الفرنسية فى الاستيلاء عليها . وهى لا تنكر حقوق الباب العالى الشرعية فى تونس .

ان أسباب عداوة الانقليز مع الفرنسيين ، ترجع الى انهما يراقبان نفوذ بعضهما البعض .

ان الموظفين التونسيين كانوا يجارون فرنسا منذ زمن ، فكانت هاته

ترى ان ادارة تونس تحتاج الى 30 ألف جندي حتى تتمكن فرنسا من تخريب وافلاس المملكة ، وبعدها تنصح بفضل نفوذها ، تقليل الجيش ، وترغب الشعب في استعمال ما يستورد من أوروبا ، وعليه كانت فرنسا تدعى ، وعلى غير اساس ، ان الاهالي والحكومة قد استلما منها الملايين ؛ وعليه فان تونس ستسقط شيئا فشيئا وبمرور الزمن في يد فرنسا ، ويكون مصيرها كمصير الجزائر .

ولانقاذ البلاد من اي هلاك ، يمكن أن يلحق بها في المستقبل ، فان مصطفى خزندار وخير الدين باشا كانا يحتمان ارتباط تونس بالباب العالي بشروط معينة وموثوق بها ؛ على أن الانقليز اذا لم يحصلوا على اتفاقية استملاك الاراضي ، فانهم لا يساعدون على ذلك . وقد عقدت انقلترا مع تونس ، ودون علم فرنسا ، اتفاقية منذ سنة أو ستة أشهر ، غير أن الفرنسيين عندما سمعوا بذلك وعلموا مضمون المعاهدة ، دفعهم الحسد الى أخذ الثأر من تونس ووضع العراقيل ، وليسوا بقاصرين على القيام بذلك ؛ استغلوا مثلا ، مضاعفة الضرائب وادعوا انه عمل مخالف للشرع وكذلك تطويل الدعاوى في المحاكم الشرعية .

الا أن حضرة الوالي قد الغى أخيرا الضرائب المزايدة والمحاكم الحديثة .

ان المرء لا يحتاج الى عمق تفكير حتى يدرك الفساد الذي أحدثته الفرنسيون هنا ، ومن جهة أخرى فان الفرنسيين يرغبون في عزل مصطفى خزندار وخير الدين باشا ، ذلك أن هاذين الشخصيتين نصحا الوالي بربط تونس بالباب العالي وأثرا على تفكيره . وبما أنها أيضا نظما وعقدا الاتفاقية المذكورة ، فانه مما لا شك فيه أن هذين الشخصيتين لو وقعا في يد الفرنسيين ، لشربوا من دمه .

وقد اتخذت فرنسا ، من الجزائريين المسلمين الذين لا وطنية لهم ، وسيلة لتحريك العربان المشاة ، فنادى هؤلاء بعزل الوزيرين المذكورين وأوضحوا انه ما لم يعزلا فان الايالة لن تعرف الاستقرار والامن ، كما أن مرادهم وامانيهم لن تتحقق كاملة . غير أن الوالي الباشا لم يقبل قطعاً عزل الوزيرين المذكورين .

ولو كانت تونس ملزمة على القيام ببعض التضحيات والتنازلات ، فان تحقيق هاته الرغبة لم يكن في موضعه . واذا لاحظ أصحاب هاته الرغبة ان لا مخرج ولا منفذ لهم ، فان فرنسا سوف تحتل تونس باتخاذها ذلك حجة وسببا ، وسوف لن تفتأ تقوى من نفوذها حتى تجعل تونس مع ممر الزمن

بلاداً ضعيفة، وعلى أساس هذا التقييم للوضع، فإنه يتحتم على الباب العالي، تسوية المسألة التونسية بسرعة . ذلك أن الباب العالي لا يعلم كيف يعامل تونس ولا يعرف مكانته منها . وبذلك يتوجب عليه أن لا يتمادى فى ترده بل أن يغير رأيه من تونس ويحدد علاقته بصورة رسمية معها .

وإذا استمرت الوضعية على ما هي عليه الآن ، فإن تونس سوف تسقط ويكون لها وضعية أخرى ، وبما أن الوالى الحالى قد أظهر طاعة وميلاً للسلطنة العلية وكذلك اعتراف كل أوروبا بحقوق الباب اعالى بتونس ، فاني أرى أنه بشئ من التضحية ، يمكن انقضاء على هذا الاشكال ، اذا صدر من السلطنة العفو . ذلك أن دعوى النفوذ بين القناصل جميعا ، سيدعمهم يتدخلون شخصيا فى هذا الاضطراب ، ولذا يصعب علينا حل القضية . فالباب العالي صاحب الشأن هو الذى سيتذاكر كيفية تسوية القضية فى دار السعادة ويحصل على موافقة الدول الصديقة حتى يتمكن من اصدار قرار عادل فى ذلك .

ان عبدكم يرفع اليكم ما يلى : ان خير الدين باشا بالاضافة الى ذكائه ودرايته واطلاعه ، قد أظهر أيضا محبة خالصة للباب العالي ، وسوف يقصد مع بعض الامراء التونسيين ، عتبة الباب العالي قريبا .

I5 ذى الحجة 1280 (I)

حيدر أفندى

مأمور تحقيق

الوثيقة رقم 3

الحمد لله (I) وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الصدارة العظمى والرتبة الشامخة الشماء وباب الدولة الاحمى، عز الوزارة وصدر رجالها ومركز دائرة أعمالها، والمتصرف فى عزيز أحوالها، تاج العظماء والاركان، وموضع الامانة والامان، الكافى الصيت بكل مكان، وهل تخفى الشمس ليس دونها حجاب عن العيان، الصدر الاعظم والركن المنبيع الاعظم والمشير الافخم السيد فؤاد باشا، لا زالت الدولة بارائه باسمه الثغور، مملوءة باليمن والسرور، المتمتع بمحاسن الشيم والآداب الفائقة، المتخلق بالاخلاق الجميلة، والوصاف الرائقة، فخر الاعيان ومن لا يعى بشمائله البيان، أن المشير المفخم السيد حيدر باشا لما قدم الى هذا القطر، وعلمنا منه أنه بلغ للابواب السلطانية العالية وقوع تحيير خطير بتونس وأعمالها، رأينا لاجل ذلك، تحرير هذا الكتاب لوزارتكم العظمى، لاعلام الحضرة العلية بحقيقة الحال، وان ما وقع لم يبلغ لدرجة ما نقل. ومحطها ان بعض الرعايا ادعى ثقل الاداء وتشكى من تأويل فصل النوازل بالمجلس، وداخل فى ذلك بعض آخر منهم حتى حـ (2) لاغراضه وعند ذلك حرروا بمطلبهم المذكور، من غير أن يقع منهم سفك دم ولا مد يد لأحد، إلا شردمة متفرقة، تعرضت لعاملها الهمام الأعز أمير الامراء ابننا فرحات آغا، وغدرت به وقتلته. ومد البعض من امثالهم يده لآخذ ما يجره من كسب من لم يدخل مدخلهم، وكثير من العروش لم يفعل ما فعلوا. فبادرنا لارشادهم بطرق سياسية، منها التخفيضات فى الاداء، وتسهيل فصل النوازل وغير ذلك. فاذعن غالبهم، ورد ما أخذ (كذا) وطلبوا الامان فأمناهم رفقا بهم، وشرعت فى القدوم وتباشروا بعدم المؤاخذه عما صدر منهم، هذا كله والحاضرة لم يقع بها شيء

(I) B. A. ؟ ملف رقم 78 : مجلس مخصوص خارجية ملف 5 ، 1221 ، وثيقة عربية ، رسالة من الصادق باشا الى الصدر الاعظم فؤاد باشا .

(2) كلمة غير مقروءة .

من التحجير كما هو مشاهد للعيان ، كذلك جميع بلدانها الا قليلا منها ، فان من لا دراية له من رعا ع العربان المجاورين لها ، مدوا أيديهم لنهب متاع قليل، ولم يقع سفك دم من أحد لا فيها ولا فى غيرها . على أن ذلك كاد أن ينقطع الآن بالمرّة والحمد لله ، حسبما علم ذلك وسمعه رسول الحضرة العلية ولم يقع شيئا والشكر لله ، ولو وقع ذلك لكان أول ما نفعله أخبار الحضرة السلطانية !دام الله جلالتها ، وحرس سعادتها ، وأيد ملكها وعزها وبهجتها ، ودمتم ودام لكم الاسعاد وبلوغ المراد على ممر الآماد والسلام من معظم قدركم الفقير الى الله تعالى عبد المشير محمد الصادق باشا باى .

كتب فى 12 ذى الحجة 1280 (3)

الوثيقة رقم 4

يتشرف عبدكم باعلامكم ما يلي : (I)

يشتري ولاية تونس وافراد العائلة الحاكمة الاقمشة والتحف ، من المغازات الاجنبية وخاصة مغازات الايطاليين ، بالدين ، ولم يتخل هؤلاء التجار عن أموالهم التي انتظروها كثيرا ، دون ان تجلب لهم أى ربح .

وعندما يتسلم أفراد العائلة المالكة معاشاتهم الشهرية ، يصرفونها فى اغراضهم الخاصة ، فلا يتمكنون من تسديد ديونهم وعليه يلجؤون الى استعمال طرق اللين والتسويق التى لم تعد تبرر اعتذاراتهم، مما دفع التجار الى تقديم شكواهم الى قناصل دولهم ، وهؤلاء بدورهم قد عرضوا المسألة على الحكومة التونسية ، مما دفع الوالى الصادق باشا الى تسديد ديون حاشيته كلها .
قرر التجار المذكورون عدم بيع بضاعتهم من الآن بالدين الى أفراد العائلة المالكة ، كما أبلغ أصحاب البنوك الاوروبيين أفراد العائلة بانهم لن يقروضهم شيئا .

واذا باع التجار بالدين أو اقترضت البنوك ، ولم يستلموا أموالهم ، فان دعوام هاته المرة تعد لاغية ، ولا يحق لهم مطالبة الحكومة بذلك .

وعندما سلمت مذكرة بهذا الشأن الى القناصل الدول الاجنبية ، ابلغ بعضهم رسميا قبولهم بذلك ، أما البعض الآخر فقد عبر عن معارضته .

لم يستغرب الايطاليون الذين كانوا يقرضون بربرى فاحش ، ما آلت اليه الوضعية ، بل استمروا يبيعون بالدين كما فى السابق ، ونتج عن ذلك قدوم بعض البواخر الايطالية لطلب أموالها من أفراد العائلة المالكة ومن بعض أفراد

(I) B.A.؛ ملف رقم 78 ، احتلال الجزائر وتونس ، وثيقة تركية ، تقرير حيدر افندى رقم 4 والمرسل الى الباب ، أنظر الشكل رقم 7 ، ص. 65 - 64 .

الشعب ، و بررت قدموها بأنها تريد أن تنهى هذا العمل ، وهم بهذا يريدون اكتساب قاعدة في افريقيا للتوسع .

توجد الآن أربع فرقاطات وأربع بوأخر بين كبيرة وصغيرة ، كما قدمت البارحة 2 فرقاطات جديدتان محملتان بعدد وافر من المهمات الحربية والبارود ، وبها 1.200 جندي ، وقد وصلتني أنباء تقول بأنه بالإضافة الى 3 فرقاطات ، توجد الآن 3 بوأخر حربية في طريقها الى تونس .

زارني قنصل انفلترا يوم الاحد الماضي ، ومن خلال احاديثي معه ، انتهينا الى أنه سيجرى تحقيقا حول أمر البوأخر الايطالية الموجودة هنا ، والتي تتكون من 10 فرقاطات و 3 بوأخر حربية والتي تشكل قوة بحرية ، وسوف تحقق إيطاليا رغبتها الشديدة بانزال العساكر الى تونس منتهزة أى سبب للضغط على الحكومة التونسية .

تتمتع انفلترا وإيطاليا باتفاقية تنص أحد بنودها أنه اذا حصل نزاع بين التونسيين والايطاليين ، فان على هؤلاء الاخيرين ان يراجعوا انفلترا ليأخذوا رأيها في ذلك ، واذا تناسى الايطاليون هذا البند ، فاني على يقين ان انفلترا ستذكر إيطاليا بذلك .

يقول وود : « يجب أن يتخذ قرار بشأن مشكلة تونس قبل فوات الاوان . ويكون ذلك من طرف الباي والباب العالي ، لان هذا الوقت هو أنسب الاوقات وأصلحها » ، وأضاف القنصل وود قائلا : « مما لا شك فيه أن إيطاليا ستراجع انفلترا قبل أن تضغط على الحكومة التونسية » .

وقد اجبته : « لا يوجد تباعد بين سياسة فرنسا وإيطاليا ، لذلك لا يمكن لإيطاليا أن تتجاسر على هذا ، معتمدة على قوتها الحاضرة ، ومعتبرة المعاهدات التي بين إيطاليا وانفلترا لاغية » .

وأجابني القنصل : « سيتيسر وجود مخرج الى ذلك الاحتمال ، ولكنه يتحتم على انباب العالي ، الوصول الى حل عاجل لوضعية تونس المضطربة » .

وأجبته : « أمل أن تتخذ الدولة العلية قرارا بشأن تونس بعد أن تتفق مع سائر الدولة الاجنبية الاخرى » .

ارسل أمس السيد دي بوفال كاتب سره الاول ليخبرني ، سماعه ان الدولة العلية تنوى ارسال العسكر الى تونس ، وقد وصلت الآن الى مالطة ،

باخرة تحمل عددا وافرا من العسكر . وكما وصل الى الاسكندرية 500 نفر ،
واضاف قائلا : « باني (أى حيدر أفندى) سأسافر الى الباب العالى ، ولذا
طلب من كاتب السر باسم القنصل استفسارا عن ذلك » .

وأجابه عبدكم : « لماذا يتخذ قنصل فرنسا من الارجيف ، حقائق ؟ ولو
كان فى نية الباب العالى اتخاذ مثل هذه الاجراءات ، فان ذلك يكون بواسطة
سفيرها فى باريس ، او سفير فرنسا لدى الباب العالى ، ويتفق الباب العالى
مع فرنسا فى اى اجراء ينوى اتخاذه ، ولا داعى لازعاج قنصل فرنسا بتونس ،
أما سفرى الى الباب العالى وتاريخه فان ذلك من متعلقات دولتى وانا تحت
امرتها » . ثم شكرنى الكاتب وانصرف .

وحسب رأيى ان فرنسا تحسدنا على ولاء الوالى والشعب التونسى للباب
العالى ، وقد لجأت فرنسا الى هاته الالاعيب السياسية حتى توحى الخوف الى
الوالى تجاهنا ، ولتتمكن بعد ذلك من تجميد العلاقة القائمة بين الایالة والباب
العالى .

ولقد اخبرت القنصل الانقليزى أمس بسير الحوادث .

ان البدو الذين قد انتخبوا فى أول الامر على بن غذاهم رئيسا لهم، قد تخلوا
عنه أمس وأطردوه، ففر هذا الاخير صحبة عشرين أو ثلاثين شخصا الى ناحية
ما ، كما أن اثنين من مشائخ العرب سيقدمان على الوالى ليعبرا عن طاعتهما .

ولو تخلى الطرف المستفيد من الثورة عن مقصده اللعين ، بتشجيعه
الثوار ، لما طرأ على أمن مدينة تونس شيئا ، ولا زالت آثار هذه الثورة مع
مرور الايام .

I8 ذى الحجة I280 (I)

حيدر أفندى

مأمور تحقيق

الوثيقة رقم 5

الحمد لله نسخة مكتوب نصه (I)

الحمد لله وحده من عبد الله سبحانه بوفال قنصل الفرنسيين بتونس الى الاعز المحترم العالم السيد على بن غذاهم ، وبعد السلام عليكم ، نعلمكم خير ان شاء الله ، ما تفره به أعيونكم (كذا) وتطمئن لهم قلوبكم ، فأول ما نقسم لكم بانله الذى انزل الانجيل على عيسى عليه السلام الا نخفى عليكم شيء (كذا) من الواقع وما هو متعلق به غرض دولتنا الفخيمة فان قدوم مراكبنا لمرسية (مرسى) خلق الوادى فى تأكيد على دولتكم لتجيبكم فى مطالبكم ، التى من فقرها تغيرت أموالكم وايدانكم وحمايتكم، ولما خطبنا (كذا) السيد الباي لايجابه (كذا) مطالبكم طلب منا الامهال فى رد الجواب نحو أربعة أيام . فبعد انقضاء الاجل أجابنا بكونكم لم طلبتم (كذا) ما بينا له وانما بعض السفهاء يروجون فى هذه الاخبار والبلبل (كذا) عن هذا . ها وقادمين (كذا) مشائخ الجباهية ليلحق علينا على عادتهم ، فالزمنا نترقب . فبعد الايام (كذا) قدموا له البعض من مشائخ الجباهية على دعواهم ، وبعدهم أتت جماعة أخرى . وهذا فعند قدوم هؤلاء الناس عرفنا بأن بقية العروش كلها قادمة . ونحن نتحقق بأن ذلك لا أصل له ، وان هؤلاء القادمين من الرعية النازليين بالبحاير الذين لا عمدة عليهم ، وانما قدومهم لما يوعدونهم (كذا) العمال بلبس الجبايب (كذا) اكرام الدولة معهم ، وكما نتحققوا (كذا) أن ذلك لم يتغير به عصبتكم التى منشأها (كذا) على مصلحتكم ، ومصلحة بلدانكم وكما نعلموكم (كذا) بما هو يقوى غيرتكم عن خراب بلدكم ان وزراءكم عقدت شروطا مع الانجليز فى هذه المدة الفارطة قبل ثورتكم .

أول شرط ، أن تملك رعايا (كذا) اربع والعقار والاراضى، وبهذا لم يبق منكم

(I) B.A. ملف رقم 78 احتلال تونس والجزائر 1231 : وثيقة عربية ، رسالة موجهة من قنصل فرنسا الى على بن غذاهم. وقد أرسل محمد الصادق باشا نسخة من هاته الرسالة الى الباب العالي ليدل على تدخل دى بوفال فى شؤون البلاد الداخلية بتشجيعه على بن غذاهم على الانتفاضة .

مالك في هذه الانوار لان كسبكم لم يطابق كسبهم ، وبيان ذلك : الارض الذى (كذا) لم قدر (كذا) أحدكم على تقدير ان يزرع فيها قفيز قمح وقفيز شعير ، فلرعية المذكور أن يشتروها بعشرة آلاف على مقتضى حرفةهم ليزرعون (كذا) فيها القطن وغيرها فى انهمات التنى لا طاقة لكم عليهم (كذا) ، ولاجرت بها عادتكم ولا يقتضيها كسبكم .

والشرط الثانى : أن يجعلون (كذا) ثنايا الحديد كالذى فى بلداننا ، وتبقى فى حوزكم الى أن يخلصون (الى أن يسددوا نفاقتها) من مدخولها ، وهم مصدقون فى حسابها . وهذا عين تملكهم عن بلادكم (كذا) لان مقتضى قوانينهم ما انحاز شئ وبقي بيده عشرين سنة ، يصير ملكا من املاكه ، ولا يجاب لطلبه ولو كان بيده عقده ، لان شريعتهم ٠٠٠٠٠ (2) ، لحوز المذكور على الرسم .

الفصل الثالث : ان يجعلوا دارا بالحاضرة بها مالا كثيرا وهى الذى تسمى (كذا) عندهم بالبائكة ، لمن أراد السلف يؤدى المائة فى كل شهر وبهذا تصير جميع اهل بلدانكم مدينين لهم ، بحيث اذن (كذا) ترجعوا لما قالته العرب : مديانك سلطانك .

الفصل الرابع : مهما ارض بوطنكم ، ان جبل به معدن كالذهب والفضة والرصاص وغير ذلك من المعادن ، تكون على ملك الانقليز ، وهما عليهم بالتفتيش على أنفوسهم (كذا) بحيث أن الانسان بهنشيريه وهم قادمون عليه ، لتفتيش عارفتهم ، فان وجدوها يصير ذلك المكان الذى يجدون به المعادن على ملكهم ، ولا يبقى لمالكه فيه حق لانه صدر البيع من دولته . وبهذه الامور الفاحشة الذى لا يرضاها من له شفقة على ابناء جنسه ، ولهذا اشتد غيظ دولتى وعزمها بارسال الشقوف الحربية لاجابتكم بعزل النوزير وابطال القانون الناشئ عنه الشروط ، لان زوالها تزول بزوال القانون ، والنوزير وهو البائع . ولا يلزم اهل عمالتكم بحول الله هذه الفواحش شئ (كذا) . كما يلزمنا أن نبين لكم ان اجتهد دولتى أفرنسا (كذا) الفخيمة مصروف فى مصالح جميع الاقاليم وخصوصا فى عمالة تونس التى هى مجاورة الجزائر ، وسياسة ملوكها الحسينية معه . ولكن الذى نعلمكم به أيضا وان وزارتكم (كذا) يحرضون فى الباي ليوجه لكم المحلة بالعسكر والمدافع على طريق باجة او القيروان وان مرادهم ليحرضوا عليكم العروش قبل قدومكم بيوم أنتضعيف حزبكم . فعليكم بالقدوم الى سيدى على الخطاب بقدر أربعة آلاف خيل وتخبرونا قبل قدومكم بيوم ان شاء الله لما تتقدموا تطلبوا

(2) كلمة غير مقروءة .

الحلقة • وان شاء الله أنا نكون معكم على لسان الجد • يكون الا الخير والسلام
من كاتب الحروف جانينو قنصل صفاقس لمقيم الآن بتونس المأذون بكتيبة
(كذا) هذا الجواب من سيدي القنصل دي بوفال نائب سلطان فرنسا ومن
محبكم كاتبو كاردينال الفرنساوية •

25 ذى الحجة 1280 (I)

الوثيقة رقم 6

يتشرف عبدكم باعلامكم ما يلي : (I)

عندما قدمت اليكم تقريرى السابقين ، أبنت لكم عوارض هذا الاختلال وكيف ان العصاة كانوا يتمنون الغاء الضرائب المزايدة والمحاكم الجديدة ، وتعيين قواد منهم ، ولو قبل حضرة الوالى هذه الطلبات ، لامكن القول أن الثورة قد خمدت شيئا فشيئا ، ولدخل العصاة الطاعة .

ان فرنسا بتاريخ 24 ماي قد عززت فجأة قوتها البحرية الموجودة هنا ، وأصاب العرب الخوف ، خصوصا من كان منهم على السواحل الجنوبية من صفاقس وسوسة ، وأشيع أن فرنسا ستستولى على البلاد ، لذا أراد الباي تسكين روعهم بارساله للقائمقام عثمان آغا الى صفاقس ، وعندما وصلها تجمع الاهالى فجأة فى المسجد وتساءلوا عن سبب قدومه ، فرد عليهم عثمان : « أنه مكلف من طرف الحكومة للمحافظة على الامن وقرأ عليهم صورة البيان عن مأموريته » . الا أن الاهالى ردوا قائلين : « نحن لا نعترف بالوالى ولا باطاعتك ، أننا ندين بالولاء لسيدنا لسلطان عبد العزيز خان ، وصاحوا بصوت عال ، الله ينصر سلطاننا الاعظم » .

ثم ان الاهالى أخذوا من عثمان مفاتيح قلعة المدينة ورفضوا قبوله واليا عليهم .

يوجد بالمدينة عدد كثير من الاجانب ، الذين لم يمسهم سوء ، بل على العكس من ذلك ، قد اركبوا بكامل الرعاية سفنا فرنسية وايطالية للرجوع الى بلادهم . ونص على أنه اذا قدمت باخرة فرنسية فى المستقبل لغرض ما ، فان على المدينة أن تغلق موانئها دونها .

(I) H.A.؛ ملف رقم 707 ، احتلال الجزائر وتونس ، وثيقة تركية ، تقرير حيدر أفندى رقم 5 والمرسل الى السلطان .

أشيع أن أهالي مدينة سوسة صرحوا بعدم اعترافهم بالوالى ، اثر مغادرة
الاجانب المدينة سالمين .

ان هاته التعليمات قد تسلمتها من التقرير السرى الذى ارسله الى عبدكم ،
قنصل اسبانيا ، وسوف تجدون هذا التقرير ضمن هاته الرسالة (2) .

زارنى قنصل فرنسا السيد دى بوفال أمس على اثر هاته الحوادث ، وذكر
لى انه حسب تحقيقات القنصل وما وصلتته من معلومات ، تؤكد أن وجودى
هنا ، قد حول الامر الى مسألة دينية . ذلك انه كلما ازداد الاسطول الفرنسى
قوة فى السواحل المذكورة ، كان الشعب يعتريه الخوف من ذلك .

ومن رأيى أن وكيله بسوسة ، هو الذى أكد مثل هذا القول . وقد أحضر
القنصل رسالة بهذا المضمون ، الا ان عبدكم رد عليه : « لو كان موظف الباب
العالى قد جاء لتحريك الناس على العصيان ، لزاد الطين بلة ، ولاقتضى وجوده
بالبلاد اكثر من شهر الآن ، ظهور حوادث اخرى مثل ما وقع بصفاقس . الا
أن الحقيقة على العكس من ذلك ؛ فعند وصولى الى البلاد أخذ الشعب ينقاد الى
الطاعة شيئا فشيئا على الرغم مما أصيب به من هلع ، نتيجة تعزيز فرنسا قوة
اسطولها ، وعليه فان ما اسند الى موظف الباب العالى ليس من الحقيقة فى
شيء ، بل كنتم السبب فى حادث صفاقس . وان ما كتبتموه الى قنصلكم
بسوسة يثبت صحة ذلك ، بالاضافة الى أن وجود (بارجتين) فرقاطة للمحافظة
على سلامة رعاياكم ، يشكل بالنسبة لتفكير الشعب ، قوة بحرية ضخمة هدفها
الاستيلاء على البلاد . ويعزى عدم استقرار الشعب واستمرار الاضطراب وعدم
حصول الامن ، الى تزايد قوة اسطولكم . وهذا ما حدا بالدولة العلية لارسالى
الى تونس ، وقد ادركت من المعاملة التى وقعت لى مع أميرالكم عند دخولى
تونس ، أن أى اعتراض لكم على وجودنا سيكون غير مجد ، ان قناصل الدولة
الصديقة لم يعترضوا على نشاطى وهم راضون تماما » .

وبعدها غادرنى القنصل دون أن ينبس ببنت شفة .

ان القنصل المذكور سيعرض على حكومته ما جرى بيننا . وقد قدمت
لصاحب الدولة جميل باشا (3) صورة عن تلك الحادثة كما عرضتها
عليكم الآن .

(2) راجع نص هذا التقرير منشورا فى النسخة الفرنسية لكتابى هذا ، وهو الوثيقة رقم 7 .
ص. 51 .

(3) راجع نص رسالة حيدر أفندى والمرسلة الى جميل باشا ، فى النص الفرنسى لكتابى هذا .
وهى الوثيقة رقم 22 . ص. 54 - 56 .

أخبرت قنصل انفلترا بما وقع لي مع قنصل فرنسا ، واستحسن ردي .
واخبرني انه سيكتب ايضا مخبرا اللورد بذلك .

ان القبائل العصاة من العرب قد نصبت على بن غذاهم واليا عليها ، واتخذ قرار بتشكيل حكومة في مدينة القيروان . واخبر كل المشائخ بوجوب حضورهم جميعا ، ذلك أن بعض المشائخ قد تظاهروا بالتأييد كرها لعل بن غذاهم وجماعته . فالعربي البيومي الذي كان يأمل انقضاء على الثورة ، كان قد بعث برسالة الى أحد المشائخ ، ولكن لا يعرف كيف سقطت هاته الرسالة في يد علي بن غذاهم الذي أمر باعدام العربي البيومي فورا ، فاتجهوا الى مقره ، واتفوا منزله ولم تسلم نساؤه من القتل أيضا .

ولو أظهر علي بن غذاهم الطاعة ، وقدم على الى تونس ، لما اتهم بمثل هذه الاعمال الشنيعة . ولكنه صحبة 5.000 أو 6.000 وربما اكثر من هذا ، قد حط رحاله بضواحي مدينة الكاف الواقعة بالتراب التونسي وعلى حدود الجزائر ؛ اما فرنسا فانها شجعت موظفيها في الجزائر بالعمل على اتساع الثورة في تونس . وعندما يلاحظ سريان الثورة الى الجزائر ، فان فرنسا ترى من الضروري عليها تعزيز قوة اسطولها من جديد . ولن يقع هذا الامر بحول الله ، لان الدولة العلية مع الدولة الانكليزية تعملان معا على تأسيس وتدعيم حقوق الباب العالي بتونس ، الشيء الذي سيدفع فرنسا أن تنظر الى هذا العمل بحسد ، لضياح مصالحها ونفوذها ، وسوف لن تصبر على ذلك .

على الرغم من مكانة وسمعة فرنسا ، فان صاحب الامبراطور بتصرفه هذا ، قد دفع شعبه الى الانحطاط . هل كان يعمل قنصل فرنسا ، لزيادة نفوذه في البلاد ؟ أم كان يهدف الى فشل مهمة الباب العالي او عزل قنصل انفلترا ؟ أم كان يعمل على الغاء المعاهدة التي عقدها الوالي مع انفلترا والتي بموجبها تستطيع انفلترا استملاك الاراضي ؟ وعليه يستوجب علينا الاجراءات اللازمة حتى لا يظفر القنصل بتحقيق اي منها .

أخبر قنصل فرنسا الوالي انه اذا رغب هذا الاخير ، في دخول الجيش الى تونس ، فان 30.000 ستكون تحت طلبه . وقد أردت التحقيق في المسألة . فاتجهت أمس الى قصر باردو ، وعندما قابلت الوالي سألته عن احتمال دخول عسكر الفرنسيين الى تونس ؟

وقد رد علي الباي : « من الذي قال هذا الكلام ؟ » وأضفت أنا : « معاذ الله أن يدخل الجيش الى تونس ، ولو وقع ذلك لقددم الشعب التونسي تفسيراً

آخرا ولا تتخذوا من معارضتهم لكم ، حجة لاعلان الجهاد ، وعليه ليكن العقل والادراك رائدكم ولا توافقوا على مثل هذا الرأى » .

واثناء احاديثنا تطرقنا الى حوادث صفاقس وكيف أن الشعب اصابه الخوف من تزايد الاسطول الفرنسي ، وكيف نادى الناس جميعا بكلمة واحدة الله ينصر السلطان . اما الاجانب فلم يصابوا بسوء . ورد على الوالى : « انى مع الشعب انادى الله ينصر لسلطان . ولم اتردد لحظة عن ذلك ؛ ثم ان قنصل فرنسا نسب اليكم الاضطراب الاخير ولكن الحقيقة غير ذلك فوجودكم هنا ، من شأنه أن يهدىء من اشتعال الثورة ويسكن من حداثها ، بل ان الاسطول الفرنسى هو الذى عقد المشاكل . وقد شكرته على ذلك ؛ وقد عرضت عليكم ما جرى بيننا ، ليكون ذلك فى شريف علمكم حتى تتخذوا ما ترونه صالحا من أوامر وتعليمات .

محرم 1281 (4)

الوثيقة رقم 7

ان عبدكم يتشرف اعلامكم بما يلي : (I)

لقد كتب قنصل فرنسا السيد دى بوفال الى وزارة الخارجية الفرنسية ، يخبرها ان الباب العالي سيرسل الى تونس اسطولا وعساكر ، وعليه فقد طلبت وزارة الخارجية بواسطة سفيرها السيد مستيى (Moustier) أن يستفسر عن حقيقة الامر من الباب العالي وان يبرق الى السيد دى بوفال بذلك .

وقد تقابل القنصل الفرنسي مع حضرة والى تونس ، وذكر له أنه لا يرى فائدة من اقامة مبعوث الباب العالي هنا ، وان وجوده يساعد على اثارة التعصب لدى الشعب . وعندما ذكر عدة اراء من هذا القبيل ، رد عليه الوالى بقوله : « ان السلطان قد أرسل حيدر أفندى فى مهمة اسلامية الى تونس ، وهو الآن ضيف عندنا . ومهمته هو التحقيق فى الوضعية ، ليعرض ذلك على مسامع الباب العالي . أما دولة فرنسا فلا يحق لها أن تعارض مهمته بهذا الشكل السافر » .

لقد سمعت ذلك من الفريق سالم .

ان البدو المسلحين أصحاب هذا الاضطراب قد انتخبوا لانفسهم رئيسا . أما على بن غذاهم فقد فر حسب المعلومات الاخيرة ، صحة جماعته الى ضواحي الكاف وقتل العربى البيومى . الا أن حاشيته قد أصابها الخوف وقدمت على الوالى ، عارضة ولائها وطاعتها . وحسب ما يذكر الآن ، ان مشائخ قبيلة جلاص الذين كانوا منذ بداية الاضطراب سندا قويا لزعيم الحركة ، قد أوضحوا رأيهم قائلين : « بناء على اعفاء الوالى الضرائب ، والغاء المحاكم الجديدة ، وتعيين رؤساء منهم ، فان آمالهم قد تحققت ولا يوجد الآن باعث للاستمرار على الثورة ولا الى ما يدعوهم الى مساندة زعيمها » .

(I) B.A. ملف رقم 78 ، احتلال تونس والجزائر : وثيقة تركية تقرير حيدر افندى رقم II ، الموجه الى السلطان . أنظر الشكل رقم 8 ، ص . 72 - 73 .

لقد لوحظ استحالة جمع العساكر واخراجها لمجابهة الثوار ، وذلك للافلاس الذى تعانيه الحكومة التونسية . وعليه فقد ارتأى الوالى فكرة استقراض 400.000 فرنك فرنسى مرسلا الصراف القايد نسيم اليهودى الى باريس ، لغرض ذلك . وعندما وصل نسيم الى باريس اظهر تشبهاً لذلك ، مما دفع الفرنسيين الى عدم قبول ذلك ، إذ لم تتوفر الشروط اللازمة .

يوجد الآن ، مدافع وسرية ونصف من العسكر مع 2.000 من المتطوعين للجيش . ولو أخرج هؤلاء جميعا من قصر باردو لرد العصاة ، فان هؤلاء الجنود الذين لا يعرفون ماهية ما يجرى ، سيهلكون جميعا ، ويتمكن الثوار من احتلال تونس ، اذ هؤلاء الثوار لا يعرفون شيئا من مظاهر المدنية ، وسوف يصطدمون بالمسيحيين هنا . وهو الشيء الذى ترغب فيه فرنسا ، حتى تتخذ ذلك الاصطدام ، سببا لانزال جيوشها ؛ وهذا ادراك قوى الاحتمال .

واذا لم ترسل العساكر فانه لا يصح القول بأن ثورة على بن غدام ستنتهى ، اذ حسب البريقة التى اتصل بها قنصل فرنسا بتونس ، يفهم من مضمونها أن فرنسا ستعمل باتفاق مع الدولة العلية . على انى لا اعلم هل ستمانع فرنسا دخول العساكر العثمانية الى تونس أم لا ؟ كما أننا نتساءل هل لدى القنصل فعلا تعليمات أم هي أشياء اختلقها من عنده ؟

ان القنصل المذكور أصبح يتردد على الوالى باستمرار هذه الايام ، ليضغط عليه قبول فكرة ارسال العسكر الى تونس . فإى طريقة تأمرون عبدكم الضعيف اتباعها ، وإى تدبير يجب اتخاذه ؟ ذلك أن دوام هذه الثورة قد عطلت الاعمال التجارية كلها وبدأ التجار يشكون .

وقد فكرت فى احتمال محاولة قنصل فرنسا وإيطاليا اتخاذ شكوى التجار وسيلة لتحقيق مبتغاهم ، بتحريض حكومتيهما على اتخاذ موقف حازم . وقد تقابلت مع قنصل انفلترا واطلعت على الامر . وقد بين لى أن الحكومة التونسية مفلسة وان دوام الحالة بهذا الشكل خطير . واقترح على ان يقرض الباب العالى حكومة تونس ، مبلغ 4.000.000 غروش ، ويسلم هذا المبلغ بواسطة صراف ، ويكون ذلك تحت كفالة القنصل الانثليزى . وقد رددت عليه : « سوف لن أوافق على هذا الاقتراح ، قبل أن أتلقي تعليمات من الباب العالى » . وأجابنى بقوله : « انه سيعرض هذا الاقتراح على سفير انفلترا بالباب العالى » . وبالنتيجة لا يستبعد احتمال التجاء صادق باشا الى المحادثات مع الفرنسيين ، اذا لم تؤمن البلاد وتحل مسألة تونس .

واذا كان ما روينا صحيحا ، ان قبيلة جلاص قد تخلت عن علي بن غداهم ،
فان هذا الامر سيؤدى قريبا بعناية الله تعالى ، الى خمود الثورة شيئا فشيئا .

اجتمعت مع القناصل هنا واقترحت عليهم اتخاذ تدبير مشترك غير مرة ،
الا انهم رفضوا ذلك . ولى أمل انى لو توسطت بين الدولة التونسية والشوار
لنجحت فى مسعاى التوفيقى ، بفضل سمعة سيدنا ومولانا سلطاننا الاعظم ،
ذلك أن عدله واستقامته ومكانته من الناس ، تساعدنى فى مهمتى ، غير أن
الفرنسيين لن يوافقوا على هاته المحاولة ، وزيادة على ذلك فانى لم اتلق امرا
ولا اتصلت بتعليمات بهذا الشأن ، فاخترت السكوت . وها انى اعرض عليكم
ذلك قائلا ان الامر وانفرمان لحضرة سلطاننا الاعظم .

I7 محرم I28I (2)

الوثيقة رقم 8 (I)

قد وصلنا تقريركم المؤرخ فى II من الشهر السابق ، والذي يحمل رقم 2 ، وهو يشتمل على ثمانية بنود وتحدثتم فيه عن وصولكم الى ميناء تونس ، واستقبال النوالى لكم ، ومعارضة الاميرال الفرنسى لكم ، ومقابلتكم القناصل الصديقة وبيانكم لمنشئ الاضطراب واقتراحاتكم الاصلاحية الممكنة . وقد عرضنا على السلطان ما ارسلتموه من بيانات بالعربية والفرنسية . وبأمر السلطان اطلعنا على محتوياتها ، وعرضنا خلاصة مناقشاتنا على السلطان ، ونحن الآن ، بأمر منه ، نبلفكم القرارات التالية :

فهم أن سيادة الوالى مخلص للدولة العلية ، ولكنه يشتكى من عدم اهتمام الدولة العلية له ، كما كان ذلك بالنسبة للولاة السابقين . وهو يخاف خطر وقوعه تحت تأثير القناصل الاجنبية . كما أنه عازم على سلوك مسلك مستقيم مع الدولة العلية . وافر ذلك بعد التجربة التى مر بها . كما أننا نلاحظ أنكم قمتم بوظيفتكم التى أنيطت بعهدتكم أحسن القيام ، باستعمالكم الحكمة والاذعان والصبر .

إن موضوع تدعيم ولاية تونس بالباب العالى ، هى مسألة واضحة لا تستدعى منا التأكيد عليها ، ولم يصدر عن الباب العالى حتى الآن قرار بجعل الحكم وراثيا فى العائلة الحاكمة كما هو الحال بالنسبة لمصر . ومع ذلك فان الولاة قد عينوا وصودقت ولايتهم أكثر من مائة سنة ، بالنسبة لاعضاء العائلة المالكة . واعطى لهم استقلال داخلى لادارة البلاد فى القديم ، بالإضافة الى ان الباب العالى لم يعترض على المعاهدات التونسية التى عقدت مع الدول الأجنبية ، وبالنتيجة إن علاقات الباب العالى مع تونس قد وصلت الى حد ، كان الباب العالى يصادق على تنصيب الوالى فقط ، وهذا الاخير يرسل بدوره هدايا كل 5 أو 6 سنوات .

(I) H.A. ! ملف رقم 707 ، تونس ؛ وثيقة تركية ، وهى التعليقات السرية المرسلة الى حيدر أفندى أثناء مأموريته التحقيقية بتونس .

ومن ناحية أخرى ، كان الباب العالي يرغب التدخل في هاته النواحي من أراضيهم منذ استيلاء فرنسا على الجزائر ، ولكن هاته الأخيرة عارضت بشدة وإبانت انها ستحارب لو اقتضى الامر ذلك . ولو أرسل الباب العالي عسكريا او اسطولا الى تونس ، استجابة لطلب الشعب والوالي ، لقوت فرنسا من اسطولها ، بارسالها مزيدا من العساكر والمهمات الحربية . وقد أخبركم قنصل انفلترا ان نية فرنسا هي تقوية اسطولها ، الى حد يتسنى لها معها ، الاستيلاء على تونس .

ومن ناحية أخرى ، ان لرعايا الانقليز في تونس ممتلكات ، ومن البديهي أن لا تسمح انفلترا باجراء المعاهدات السلطانية في تونس . وستتشبث كل من فرنسا وانفلترا بما حصل عليه من امتيازات ، وعليه لا يمكن التفكير بجعل تونس اية مباشرة للباب العالي ، كما هو الحال بالنسبة لطرابلس . ولو حاولنا تحقيق ربط تونس بالباب العالي ، لتحتم علينا مواجهة الحرب مع فرنسا ، وهذا أمر خطير . ونظرا للظروف الحالية فلا ينبغي أن نحاول ذلك بالقوة ، وانما يستوجب علينا تدعيم تابعة تونس للباب العالي ، مستغلين طلب الباي والشعب التونسي ، وهذا ما يبدو اتخاذه مجديا .

ان تسوية المسألة التونسية تقتضى حلين ، اولا : أن يتفاهم الباب العالي مع الدول الصديقة في جعل تونس تحت كفالة دولية كولاية مصر وبعض انولايات الاخرى . ثانيا : ان يجري الوالي مع هاته الدول محادثات ومعاهدات تبلغ صورتها الى الباب العالي ؛ والظاهر أن انفلترا سوف لن تخالف في ذلك ، كما أن فرنسا لن تظهر سوء النية وذلك للحفاظ على علاقاتها بالباب العالي ، وللجوار مع تونس التي تعتبر ولاية صغيرة ، وبهذا لا يسمح بتغيير شيء من وضعية البلاد . ويظهر أن الحل الثاني هو الاقرب الى التحقيق ؛ يعتمد الوالي الى تأكيد تابعة تونس للباب العالي ولا صلاحية لاحد في الاعتراض على ذلك . كما يجب أن تحافظ الولاية على العادات القديمة والاتفاقيات المعقودة مع الدول الاجنبية ، مع أخذكم بالاعتبار لشروطها والتي ستستمد من القانون ، وتشروحوا لحضرة الوالي اصولها وأحكامها الجارية ، ثم ترسلوا لنا نسخا منها للاطلاع عليها . وعلى اساس هذه الشروط ، يقع تقوية مفهوم التبعية بتحرير رسمي ويقدم للباب العالي . وعليكم أن تنصرفوا بكامل الاعتناء لتحقيق ذلك ، مع أخذكم بالاعتبار ردود الفعل وانعكاساتها .

عندما سلمت اليكم التعليمات في بادئ الامر للتحقيق في المسألة ، كنا قد علمنا أن العصاة قد استولوا على ادارة البلاد . وبما أن الوالي الباشا ما زال قائما ، وان العصيان تحول مسرحه الى داخل البلاد ، فان وظيفتكم التي

هى التحقيق فى الحوادث الجارية ، لم تعد ملائمة . وعليه ستجدون معارضة
انفرنسيين الذين سيندفعون الى تعزيز أسطولهم ، ويسبب ذلك زيادة هلع
الاهالى . وقد ذكرتم أن الفرنسيين يعملون على احتلال مدينة صفاقس
وسوسة .

تتمثل وظيفتكم الآن فى اسداء النصح للوالى فى مقابلات خاصة . وبما
أن الوالى قد نصب بموافقة السلطان . فان عصيان الاهالى يصبح عملا غير
مشروع ، وعليه تجب مقاومته . ولكم أن تصرفوا بالطريقة التى ترونها
صالحة باعلانكم على الاهالى ، افكار الباب العالى ، حتى تتمكنوا من القضاء على
هذا الاضطراب ومقاومة الشوار ، وتأمين الرعايا الاجانب على أرواحهم
وممتلكاتهم ، وتبلغوا الوالى الرسائل التى سنبعثها له .

لقد أرسلنا الى سفارتنا بباريس طالبين استفسارا من وزير خارجية
فرنسا ، للمعاملة الغير الودية ، التى أظهرها أميرال الاسطول الفرنسى
بميناء تونس ، وكذلك قنصل فرنسا بتونس تجاه حيدر أفندى ؛ وقد اعتذرت
وزارة الخارجية عن هذا العمل .

لقد اطلعنا على التقارير رقم 4 و 5 و 6 و 9 و 10 وعلمنا منها ان اهل
صفاقس فى بادىء الامر ، لم يظهروا الطاعة للوالى واخيرا قبلوا ذلك . كما
أن العرب اطرذوا من حضيرتهم على بن غداهم ، وعلى ضوء هاته التعليمات
الجديدة ، تصرفوا بحكمة مع قناصل الدول الصديقة واخبرنا بنتيجة
ذلك (2) .

(2) لم اعثر على تاريخ لهاته الوثيقة .

الوثيقة رقم 9

كانت يوجه (I) لقب المشير والرتبة الوزارية السامية الى ولاية تونس منذ قديم الزمان ، وكان ينتخب أكبر العائلة الحاكمة ، ليعين واليا .

أما أصول الحكم الداخلية في تونس ، فكانت تسير وفق احكام قديمة مع تفويض الوالى كل شيء . ومن أجل المحافظة على الايالة ، يؤذن للوالى باتخاذ قوة برية وبحرية لاحتياجه ، ويترك له تقرير ذلك . وتجرى في تونس كافة الاحكام والاتفاقيات التى عقدتها الدولة العلية مع الدول الاجنبية ، ولكن في صورة عدم نقض ولاة تونس الاحكام العامة للاتفاقيات ، وعدم الاخلال بحقوق الايالة التابعة للدولة العلية ، وكذلك عدم وضع امارة البلاد بصورة اجبارية ودائمة للسلاطة الحاكمة ، فانه في هاته الحالات ، يؤذن بتنظيم وعقد الاتفاقيات الخاصة . غير أنه فيما يتعلق بغير هاته الشؤون ، فانه يستوجب مراجعة الباب العالى .

تشكل تونس مع الجزائر التى تديرها فرنسا الحدود المشتركة . وعليه يجب مراعاة هاته الحدود ، كما يجب رعاية الاهالى . ولأجل استتباب الامن على طرفي الحدود ، فان ذلك يقتضى اتخاذ التدابير مع الموظفين الفرنسيين ، على أن تراعى معهم أسباب الامن وحسن الاتفاق .

ان كافة الموظفين المدنيين والعسكريين يستطيعون عزل وتنصيب الوالى ؛ وتوجه الى العسكريين رتبة الميرالى (اى امارة) ومقابلها الى المدنيين فى الدولة العلية .

وبقدر ما يطلب الينا ارسال الرتب والمكافئات ، فان الباب العالى، سيتفضل

(I) B.A. ؛ ملف رقم 78 ، مجلس خارجية ملف I، 224، وثيقة تركية . هاته التعليمات صادرة عن الباب العالى ، ولكن لم اعثر خلال ابجائى ، عن تاريخ ارسالها .

بذلك . ليبى علم تونس كما هو الشأن علم الدولة العلية أحمر يتخلله قوس
ونجمه .

بمناسبة تبدل الولاة من حين لآخر ، كانت تونس تقدم الهدايا السنوية
الى السلطنة العثمانية ، الا أنهم كانوا يقدمون فقط 10.000 كيس آقجه (2)
ثم ان تونس منذ عشرين سنة لم تقدم شيئا لضعف امكانياتها .

(2) أسم للنقد المالى فى الامبراطورية العثمانية ، وتعادل كيسه آقجه (Kisa Akçe) حوالى ١25
فرنك ، خلال منتصف القرن الماضى .

الوثيقة رقم 10

الحمد لله (I)

حفظكم الله تعلى (كذا) الاعز الامثل العالم المتوكل ، على فضل مولاه الطيف (كذا) السيد على بن محمد بن اغذاهم (كذا) الشريف ، اكرمه الله أمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد اتصل بنا الاعز جوابكم ، وعلمنا ما فيه وحمدنا الله على عافيتكم ، وقولكم انا (كذا) لم نرسل لكم جواب (كذا) ضد جوابكم الذى ارسلتم (كذا) لنا صحبت (كذ) السىاى (كذا) الذى اناكم بالزوج اصغير (كذا) • تعلم سيدى لما تحققنا انه من جنابكم استغنيا من كتيب (كذا) الجواب وملينا (كذا) عليه جميع نصايحكم (كذا) وكتبها بخط يده الذى كنا عرفناكم عليهم (كذ) فى أجوبتنا وهما (كذا) ان تقيموا وثيقة مشهودا فيها على جميع العروش بعسرة (كذا) او اثنا عشر عدل مطبوعتا (كذا) بطابع الفضى الموجود عندكم ، مثل قاضى ادريد (كذا) وقاضى تستور ، وطبعك ، وترسلوها لنا عن (كذا) الفور من غير تراخي وتخطبنا بجواب صرته (كذا) الى القنصر (كذا) جنرال دولة فرنسة بتونس الذى نعرفوكم (كذا) به خير ان شاء الله ، كما فى علمكم مما اصابنا من الضر والاسى الذى لاطفت للبشر عليه (كذا) فبهاذا (كذا) التفتنا (كذا) على زواله ، وزوال الناس الذى كانت لنا فيه واصطه (كذا) بيننا وبين دولتنا وبقينا على هاذ (كذا) الحالة مترقبين ، ولم نرو (كذا) علامت (كذا) خير فى ذلك (كذا) ، بل تحققنا الضرر والهرج الذى سيقع من ذلك (كذا) ونحن نتحقق ان مطابنا على الحق (كذا) كما ذلك (كذا) تتحققه كل دولة ساعيت (كذا) فى مصالح العباد • المطلوب منكم ان تكونوا واسطة بيننا وبين دولتنا على عادت (كذا) سياستكم والسلام من على بن اغذاهم (كذا) • وبعد ما ترسل لنا هاذ (كذا) بيومين او ثلاثة ، تقدم الى سيدى على الخطاب فى خمسة او ستة آلاف خيل وتخطب الباي ليرسل لكم من تحلف ليه ،

(I) ا. ح. ت ، ملف رقم 1031 ، صندوق 184 ، وثيقة رقم 45 . رسالة من قنصل فرنسا بتونس الى على بن اغذاهم . انظر الشكل رقم 9 ، ص. 80 - 81 .

وتخاطبنا لنقدم لكم الى سيدى على الخطاب المذكور ، وان شاء الله بذلك (كذا) تتم جميع مطالبكم . وهاذه (كذا) مرة المطالب الذى تبينوهم (كذا) فى الوثيقة وفى الجواب الذى ترسلوهم (كذا) لنا (2) . ازالتم (كذا) الوزير واتباعه وعدم رجوع القانون وانتخيف فى الادا (كذا) وامر الامان فيما صدق منكم وفيه ضمانتنا وقولكم اننا عرفناكم مع السىاى ، لان لا تأخذ كلام الحاج العروس (كذا) ، لم يصدر منا ذلك (كذا) . وان العروس المذكور من جنابنا وصديقنا ولا تضنوا (كذا) فيه سوء . ونحن غنييناكم (كذا) عن كلام كل واحد لان بيننا لكم فى اجوابتنا (كذا) جميع مصالحكم . وقولكم ان السىاى ذكر لكم ان الجوز من عندنا لا اصل لذلك (كذا) وانه للحاج العروس . ونعرفوكم (كذا) اننا مستغربين (كذا) فيكم الذى الان (كذا) مدة ونحن نتكاتب نحن نعرفوكم (كذا) بجميع الامور تفصيل (كذا) وأنتم جميع اجوبتكم فارغة لم تبينوا (كذا) لنا فيها الامور تفصيلا ، الذى هى فى مصالحكم، وقولكم نرسل لكم قبر وفلس فضة وان شاء الله يوم الذى تنتم (كذا) مطالب الجميع نهادكم (كذا) بالامور (كذا) المهمة الذى تليق بمقامنا ومقامكم . واما مطلبكم هذا لا عبرت (كذا) به والسلام من محبكم القنصر (كذا) جنرال دولة فرنسة بتونس حرسه الله أمين .

IO محرم I28I (3)

(2) كان القنصل الفرنسى دى بوفال يعمل على الحصول على نص رسالة بخط وخاتم على بن غذاهم متضمنة كل المطالب التى نادى بها الثوار ، وبها يطلب على بن غذاهم توسط القنصل الفرنسى، حتى تكون تلك الرسالة مبررا شرعيا لمساندته الثورة وسندا قويا للتقارير الحاططة والتى ما فتىء يوفدها الى وزير الخارجية الفرنسية ، والتى تتحدث بتفاؤل عن نجاح هاته الانتفاضة ومن هنا ندرك خطة دى بوفال عندما اقترح على بن غذاهم أن يحرر له هاته الرسالة .

(3) 15 جوان 1864 .

[illegible]

الوثيقة رقم 11

نصه بعد (فاتحته) : (I)

المعروض به اشرف مسامعكم الزكية الخير والعافية ، انه لما زادت عنا
المظالم من جانب السادة ، فميزنا ذلك ، فليس وجدنا (كذا) لها طاقة مع ما
كان ممنوعا عنا ، من الاغاثة من نظر السيادة فيما نلجوا (كذا) اليك لرفع
المظالم عنا ، ونهى البغاة والعمال التي طالت أيديهم عنا من وجه ما ذكر ، وما
أصابنا من خرق العادات السلطانية الماضية وتبطيل عاداتهم العربية ،
وخفضهم للغير ، فلا غرو نفرت النفوس وطلبت عدمها من دار الدنيا أهون
من ذلك ، فحضرت جميع العروش واتفقوا معنا على كلمة واحدة من غير خلاف
بينهم بأننا نكون رئيسا (كذا) عنهم لاجل مصلحة الجميع ونهى الظالم عن
المظلوم، ونقف عند باب الحق بقدر الطاقة، اى ان تشفق عنهم وتحلم على جميع
رعاياك وترحمهم ، وانت محل ذلك ويرجع كل منهم تحت نظر اسياده
كالعادة . ثم الآن لما أن بلغنا بأنك حلمت عنا وشفقت عنا لانك والد حنين
فحفظنا لما أمرت به ، وصرت ننهى فى الاعراش ، ونسكن فى روعهم
بالسياسة ، فقبل جلهم بنا ونحمل فى آخرهم . والان هنا نازلين قرب
قرية تبرسق بجبل أعراش أفريقية ، ومعنا الاجلاء الذاكرين الزاهدين السيد
مصطفى بن عزوز ، والسيد أحمد بن عبد الملك بن عبد الوارث ، ومقايدهم
(كذا) ونازلين (كذا) معنا . ويطلب (كذا) الصلح ويجاه الله يتم أمرنا
على قريب بالخير ، مع تمام للشروط ، شرطتها (كذا) الاعراش . كما تأتيك
عن قريب بعد اجتماع المشايخ (كذا) واعيان العروش على يد المكرم الاجل
الامجد الارشد السيد اسماعيل (I) ، صاحب وأيضا يا نعم السيادة أنا
محسوب شريف وصاحب طريقة نريد الفضل من الله ثم منك ، انك تتفضل
عنا بهنشير الروحانية لنستعان به على زاوية أبو (كذا) القطب الاعظم السيد

(I) B.A. ؛ ملف 78 احتلال الجزائر وتونس 1231 : وثيقة عربية . نسخة من رسالة لعل
ابن غدامه الى محمد الصادق باشا .

(2) كلمة غير مقروءة .

أحمد التيجاني رضي الله عنه • وكذلك ان عرش اخواننا ماجر خاطبتهم على ما يتولى عنهم فطلبوا أخينا (كذا) سيدى عبد النبي لتطمين (كذا) به نفوسهم ويصلح به حالهم ان استوى للسيادة وتفضلت عنا بذلك مظهر لنا أوامر مع العاملين والسلام الى آخره •

• مؤرخ في 17 صفر 1281 (3) •

الوثيقة رقم 12

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (I)

الصدارة العظمى ، والركن الاعظم الاحمى ، والرتبة الشامخة السماء صدارة ركن الدولة والوزارة ، ومنتهى الآمال ، ومصدر الاشارة ، ومن لا تفى بمحاسنه العبارة ، الوزير المشير الصدر الاعظم السيد محمد جواد باشا ، لا زال كما يختار ، سعيد الاراء ، محمود الاثار ، ومناقبه تخلدها اقلام الاقدار .

أما بعد التحية السنوية المحلية بما يلزم لتلك الرتبة العلية ، فالمنهى لابواب الصدارة العظمى ما لنا من الشكر لفضائل الخلافة العلية وجميع اعتنائها بالاقطار الاسلامية ، كيف وقد رأينا من عنايتها واعانتها ما يقصر اللسان عن القيام بشكره وحبه أن يعمر الاوقات بترديد ذكره ، والسلطنة العظمى أهل لكل كمال ، وموضع لسائر (كذا) الامال والدعاء بدوام هذه الدولة وتمكين ما لها من ميادين انفخار من الجولة (كذا)، وان يديم جلالها الشامخة ومزاياها الباذخة وأن يمنحها من مرضاتها الامل ، ويعينها على ذلك بالقول والعمل ، وحسن التبليغ الذى قرره أحد الاعيان ، أهل الرفعة والشان الثقة الاكمل السيد حيدر أفندى . فاننا رأينا من كمالاته ما يقصر عن عده بيان اللسان ، ولا يختلف فيه اثنان . وقد أحسن التبليغ بما نقطع به عن الفضل البليغ وأرانا من (كذا) انتجته أنوار الخلافة ذات الفضل والانابة من الاعتناء والانعام ، الذى رأيناه عيانا ، وأقام على ذلك دليلا واضحا وبرهانا . ولا غرابة فى صدور الفضل من موضعه ، واشراف النور من مطلعته ، هذا وان العافية قد تقرر ، فى العمالة بفضل الله تعالى أصولها ، وتمهدت ، وعادت الراحة لاهلها ، كما عهدت ورجع كما عرش لمكانه قانعا بما حصل له من الاسعاف ، ولم يبق بينهم نزاع ولا خلاف . وذلك كله من غير أن يقع لاحد

(I) H.A.؛ ملف رقم 78 ، مجلس خصوص . خارجية ملف 8 ، وثيقة عربية ، رسالة من محمد الصادق باشا الى الصدر الاعظم محمد جواد باشا .

ضرر في بدن ولا مال ولا ارتياح بحال • فانبسطت لذلك امالهم ، وحسنت ،
والمنة لله ، أحوالهم • كل ذلك باعانة الله تعالى ، التي منها رضى الخلافة
وحسن اعتنائها ، ونصرها الجميل وولائها • ولم يبق الا القليل الآن ببعض
قرى الساحل ، ونرجو من الله تعالى لجميعهم دوام الهدى والرشاد وما يشمر
الخير الذي هو غاية المراد ، ودمتم ودام لكم الاسعاد على ممر الاماد • والسلام
من معظم قدركم العالى الفقير الى ربه تعالى عبده المشير محمد الصادق باشا
باى وفقه الله تعالى •

• كتب فى 15 ربيع الاول 1281 (2) •

الوثيقة رقم 13

الحمد لله (I)

نصه بعد افتتاحه :

وبعد نعم سيدي رعاك الله ، ها قادمين (كذا) لكم حاملين الجواب (كذا)
السيد العماري بن السلامي وسي مصباح ، بأيديهم جواب الى السيد المشير ،
هناؤه الله أمين ، لتبلغه بيده وتفهمه عنه ، وتكون لنا اعانة من ذلك ، ويحكموا
لك الحاملين المذكورين مشافات (كذا) على ما صدر بين وبين الاعراش
جملة . وعلى ما وقع جملة خطاب من المحروسة تونس في جانبك انت وليس
رضيت (كذا) لانك أنت مصباح الملكة ومفتاح أفريقية وربنا يستر الجميع .

آمين والسلام .

• مؤرخ في 71 صفر 1281 (2) .

(I) B.A. ، ملف رقم 78 احتلال الجزائر وتونس - ملف 6 ، 1231 ، وثيقة عربية ، رسالة
من علي بن غداهم الى مصطفى خزندار .
(2) 22 جويلية 1864 .

الوثيقة رقم 14

الحمد لله وحده (I)

نصه بعد فاتحته :

فالمعروض على الجنب العلى هو أن ساعة كتبهم (كذا) ، قدم علينا للمحلة المنصورة المشار سيدى مصطفى بن عزوز وسيدى أحمد بن الوارث وسيدى الحاج محمد الصديق بن الشيخ سيد محمد الصالح ، وصحبتهم أعيان العروش المذكورين علاه بقصد اتمام مصالحهم . واما على بن غداهم ومن كان معه من عرش ماجر فانهم توجهوا الى منازلهم ، بعد أن اشهد المذكور ، الشيخين سيدى أحمد بن عبد الوارث وسيدى مصطفى بن عزوز ، لانه لم يعد لمباشرة ما يتعلق بالعروش اصلا ، واعطى خط يده وطابعه للشيخ بن عزوز فيما يتعلق بالصلح بعد رياضه (رضائه) به . وان شاء الله بعد التاريخ نعرف الجنب الاعلى بما يقع بيننا من مخاطبتهم ودمتم للمعالى على ممر الليالى والسلام الى آخره .

مؤرخ بصبيحة 23 اربعاء من صفر 1281 (I) وباعلاه المكتوب ما نصه :

عرش دريد ، اعيانه ؛ اعيان عرش اولاد سيدى عبيد ، اعيان العرب ؛ اعيان مشارق الحاماسة وذرفان ؛ اعيان جندوبة ، اولاد يعقوب ؛ اعيان الزعامة ، اعيان اولاد عيار ، اعيان ورتان ، اعيان اولاد بو سالم .

(I) B.A.؛ ملف رقم 78 احتلال تونس والجزائر ، وثيقة عربية ، رسالة من صاحب الطابع الى محمد الصادق باشا باى .

(2) يوم الاربعاء 28 جويلية 1864 .

الوثيقة رقم 15

الحمد لله وحده نسخة مكتوب نصه بعد افتتاحه : (I)

حفظكم الله تعالى ذات المكرم الاجل الاكمل الامثل الاشمل الانجم الاحزم
الامجد الارشد الاسعد الاوحد أمير الامراء وزير العمالة سيدى خزندار ،
اكرمهم الكريم ، ولا يفارقه النعيم ، وشأنه عند الله وعند الله عظيم ، السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته ، واذكى تحياته واعم فضله ورضوانه . وبعد :
نعم سيدى رعاك الله بعين الرعاية ، انه لما تفضل عنا سيدنا نصره الله بولاية
اخينا ، على اخواننا ماجر ورتبت انت معنا فى جميع امورنا ، فحمدنا فضل
السيادة عند كل من حضر بين أيدينا ، من عمالة الشرق والغرب ، وهاته
الساعة ولينا (كذا) خدام السيادة وان شاء الله الحديم وسيدى ، اذا اجتمعت
نيتهما يكون الخير بين الجميع . والحال رب يبيحك ، الهنشير التى (كذا) كلمتكم
عنه وهنشير ووعدتنى به ، وسمعت به أفريقيا ، وباركوا بذلك ، وان هاته
الساعة نقيم فى الزاوية ومهييها لوعد الكرام . وكذلك يا نعم السيادة عندنا
رجلين من ماجر يخوضوا فى العرزش ويقولوا لهم فلان غدركم وراح الزماله
سته وثلاثين ريالاً . فهانى كتبت فيهم جوابا الى مولانا وسيدنا نصره الله ،
فلتفهمه على ذلك وهما المكرمان أحمد بن حسين العمرانى ، وابراهيم بن
عبد الله الحلفاوى لا غير ، وأوصيت لنا على أجل أجوبة الفرنسيين نرسلها الى
السيادة فيها تأتيك وتطلع عليها وتنظر ما قالوا فيها . ولو كان انسان غيرى
ليس عنده عقل لعمل بكلامه . وأنا أول وقت ارسلت لهم بعض الاجوبة ضد
جواباتهم لعلهم يأتوك بها ، ليس عندى معهم نية ، لانك أنت وزيرنا وسيدنا
وظهرت رجال لا لهم اهل ولا نسب ، ولا فعل سليم لا مع الخالق ولا مع
المخلوق ، وفازوا فى وقتك . ولو علمت بافعالهم لقتلتهم بيدك . والله يبقى
لنا وجودك ووجود ساداتنا وموالياتنا ، هناهم الله آمين . والسلام من خدامكم

(I) B.A.؛ ملف رقم 78 احتلال الجزائر وتونس - 1231 ، وثيقة عربية ، رسالة موجهة من على
بن غدام الى مصطفى خزندار .

وغرس احسانكم على بن محمد بن غزاهم ، وأخيه عبد النبي ، مصباح بن عباس
العمرائي وجل أعيان عرش ماجر ، لطف الله بالجميع آمين .

• 7 ربيع اول 1281 (2) .

الوثيقة رقم 16

يتشرف عبدكم باعلامكم ما يلي : (I)

وصلت الى تعليماتكم ونص أمركم الى حضرة الوالى الباشا بواسطة الباخرة العثمانية « بك شرف » التى وصلت الى حلق الوادى يوم الاثنين 20 صفر .

لقد قابلت حضرة الوالى بعد اطلاعى على تعليماتكم ، وفهمى اياها ، وأبلغته أن حضرة السلطان المأمور بخدمة الحرمين الشريفين ، قد أهدى 10.000 كيسه أقجه ، لتصرف لصيانة أمن تونس . وارسل نصف هذا المبلغ الآن على أن يلحقه النصف الآخر عند الطلب . ولما سلمته امركم وقف احتراماً له ، شاكرًا حضرة السلطان . ثم سألتى الباي عن كيفية تسلم المبلغ وزمانه وقد اجبته وفقاً لمأمرىتى : سأسلم لكم هذا المبلغ ان استلامى وصلاً منكم . وعندها أمر الباي مصطفى خزندار الذى كان حاضراً بتسليم الوصل وأخذ المبلغ قائلاً ، الله ينصر السلطان .

ومن الغد وصلتنى رسالة ممضاة ومختومة بطابعه ، والتى أرسلتها اليكم .

تسبب افلاس تونس عن عدم قدرتها على مواجهة مشاكلها من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فان اقتراب على بن غداهم من الاماكن التى تبعد 7 أو 8 ساعات عن تونس فقط ، واقتراح الفرنسيين ارسال العسكر الى تونس ، سبب اضطراب الشعب والوالى ، وبلغ ذلك حداً منهما لا يمكن تصوره .

ان الوالى والشعب التونسى ينتظران الاغاثة من الله ، ثم من وصول الباخرة العثمانية « بك شرف » الى تونس ، وقد تسبب قدومها فى سرور الشعب ، فكان ذلك عيداً لهم .

ارسل ثلاثة أشخاص من الصالحين الذين وردت اسمائهم فى الرسالة الواردة من على بن غداهم الى الوالى ، وقد ارسلت لكم صورتها مترجمة الى

(I) B.A. ، ملف رقم 78 احتلال الجزائر وتونس : وثيقة تركية ، تقرير حيدر أفندى رقم 18 والمرسل الى الباب العالى . انظر الشكل رقم 10 ، ص. 88 - 89 .

التركية . ان هؤلاء الاشخاص الثلاث المحترمين ، قد توجهوا الى معسكر العصاة ، وتكلموا مع علي بن غداهم لامالته الى الطاعة . وقد ذكر لهم انهم لن يطيعوا الباي دون كفالته وتوسط السلطنة السنية . وقد سمعت هذا الكلام . الا أن الباي لم يكن يرغب في مصارحتي بذلك . وعندما اطلعت الباي باني مستعد للتوسط في مثل هذا الامر الخير ، وتحمل المسؤولية التي تترتب من شكاية الفرنسيين بهذا الشأن ، شكرني على ذلك . وعندها بدأنا في اتخاذ التدابير اللازمة .

قدمت الباخرة « بك شرف » التي سلمتني تعليماتكم والتي ساعدتني في مهمتي . ولقد ترجمت تلك التعليمات الى العربية وارسلت نسخا منها الى علي بن غداهم ، والى مساجد مدينة تونس لقراءتها على الناس ، ومن الغد أطاع علي بن غداهم ورجع الى مقره ، ثم ان اكثرية العصاة البالغ عددهم 200 قد انتحقوا بالجيش، وتبين أن لا مجال لهم للاعتراض الآن . اتفقت الحكومة مع العصاة على تخفيض 20 قرشا من الضرائب الشخصية والتي كانت تبلغ 36 قرشا يدفعها العرب .

ثم ان هذا التخفيض قد تسبب في نقص وارادت الدولة ، وبينت لحضرة الباشا بالادلة المقنعة ، انه يجب عليه تحمل ذلك النقص للخلاص من هاته البلية والتي صعب التغلب عليها . لقد زالت تلك الثورة بفضل عناية السلطان والصدر الاعظم . وعليه نصب اهالي القرى والمعتمديات الساحلية وضواحي مدينة سوسة ، اعلام الدولة العلية معلنين ولائهم للدولة العثمانية ، وعدم اعترافهم بالوالي . وادى حماسهم الى جمع المال من الاثرياء لشراء المدافع والسلاح . وارسلوا جماعة منهم الى جزيرة مالطة لذلك الغرض ، الا أنهم لم يوفقوا .

وارسلت مخبرا اياهم (2) سرا انهم اذا رادوا عدم الخروج عن طاعة السلطان ، فعليهم أن ينقادوا للوالي الذي نصب بفرمان منه ، ولا ريب انهم سيطيعون الوالي وتهدا نفوسهم ، حينما يعلمون أن ما سيقومون به ، مخالف لرضى السلطان .

ان وزير خارجية فرنسا دورين لويس قد أرسل رسالة الى والي تونس، وقد حصلت على نسخة منها ، وسأرسلها مع بقية الرسائل الاخرى ، لتعرضوها على السلطان الذي له الامر والنهي (3) .

22 و 33 ربيع الاول 1281 (4) .

(2) راجع الوثيقة التالية وهي نص رسالة حيدر أفندي الى أهل الساحل .

(3) راجع نص هاته الرسالة منشورا في النسخة الفرنسية لكتابي هذا ، وهي الوثيقة رقم 18 ص. 64 - 65 .

(4) يوم الخميس ، 25 أوت 1864 .

الوثيقة رقم 17

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

نهدي السلام التام (1) والتحيات والاكرام الى الاعيان الكرام من أهالي سوسة وغيرهم من أهل الاسلام ، وبعد قال سبحانه وتعالى انما المؤمنون اخوة فهذه الآية نصت بان كافة المؤمنين اخوان ومتحدون بالقلب والجنان . فلهذا يا اخواني المسلمين واهل التوحيد واليقين ابسط لكم مقال الحكمة في اجراء الوعظ والنصيحة كما روى عن سيد الانام عليه افضل الصلوة (كذا) والسلام أنه قال : الدين النصيحة ، فننصحكم بان سلطاننا المعظم ومولانا مولى ملوك العرب والعجم اعنى به السلطان ابن السلطان مولانا السلطان عبد العزيز خان دامت نصرته ، وما دامت الازمان المظهر لهم آيته : انا جعلناك خليفة في الارض ، في طول ممالك الاسلام والعرض لما قرع سمعه السلطانى واذنه الخاقانى ، وقوع بعض الاختلال فى حوالى تونس ، ارسلنا وبعثنا الى هذه الحاضرة ، لنصلح بالنصح ما فيها من الاختلالات الظاهرة ، ونحن لما جئنا وتلاقينا مع الباشا المتصف بالنصفة (كذا) والعدالة ، الوالى لهذه الايالة ، المنصوب بفرمان سلطاننا صاحب الشوكة والجلالة ، اعنى حضرة المشير محمد الصادق باشا ، رأينا ووجدنا افكاره للعدل والحقانية (كذا) موافقه . ولما التزم مولانا المفتخر بعنوان خادم الحرمين الشريفين من العدل والانصاف مطابقة ، فظهور هذا الاختلال والفساد فى هذه البلاد ليس مرضيا لرب العباد . قال الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم ؛ فبموجب تفسير هذه الآية الكريمة ، يجب شرعا على كل احد من المؤمنين الطاعة والانقياد اولا لرب العالمين ، وثانيا لرسوله الامين ، وثالثا لظل الله فى أرضه إمام المسلمين . ثم ان طاعة الولاة العظام المنصوبين من طرف خليفة الاسلام لما كانت راجعة لحضرتة الخاقانى ، واجبة ايضا على الاهالى المقيمين فى ايلاته السلطانى ، فعلى هذا ما ستحسننا وقوع هذا الاختلال فى هذه الحكومة

(1) ا. هـ. ت. ملف رقم 1026 ، ص. رقم 184 ، وثيقة رقم 79 ، رسالة حيدر أفندى الى أهل الساحل . انظر الشكل رقم II . ص. 96 - 97 .

المشروعة ، بل قبحنا تابع هذا الاختلال ومتبوعه . وغير أهالى سوسة لما عرفوا حسن افكار حضرة مولانا السلطان وعرفوا ايضا موافقة افكار الباشا لافكاره العادلة المنتشرة فى الاكوان ، تركوا الحشونة وابرزوا الانقياد والسكونة ، والذوات الذين انتم بعثتموهم بالوكالة من طرفكم ، أعطى لهم الباشا التأمينات اللازمة ، فلتكن قلوبكم مطمئنة ، بأنه لا يلحق بكم من طرف الباشا بعد اليوم لا عتاب ولا عقاب ، فيجب عليكم ان لا تخرجوا من دائرة الاطاعة المرضية وان لا تقصروا فى تقوية ما يترتب على عهدة الرعية ، وان تجهدوا الايفاء وظائف التابعة (كذا) وان تسعوا لاطفاء ثائرة الاختلال فى هذه البقعة المحمية، وهذا هو الواجب عليكم بالشرع . هذا ونحن على المشى (كذا) والذهاب من ههنا فى اخوانى اذ علمتم انتم بما يوافق لهذه النصائح ، يصير حضرة مولانا المعظم وسلطاننا المفخم عنكم راضيا ، وكذلك الباشا يصير مسرورا . ولا شبهة ان اموالكم وارواحكم واولادكم فى سلامة وامنية . وقد نصحتكم نصيحة الوالد المشفق ، واكتفينا بهذا المقدار من الاخطار ، فلا زلتم دائمين وعلى التيقظ مقيمين بحرمة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين . والسلام من المأمور من طرف مولانا المعظم وسلطاننا الافخم السيد ابراهيم حيدر بحرمة سيد البشر أمين ، أمين .

فى 2I ربيع الثانى 128I (I) .

الوثيقة رقم 18

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
الصدارة العظمى (I) والركن الاعظم الاحمى والرتبة الشامخة الشماء صدارة
ركن الدولة ، وعز الوزارة ومنتهى الآمال ومصدر الاشارة ، ومن لا تفى
بمحاسنه العبارة ، الوزير المشير الصدر الاعظم السيد فؤاد باشا ، لا زال كما
يختار سعيدا الاراء محمود الاثار تخلد مناقبه اقلام الاقدار ، أما بعد :

التحية السنية المؤدية لما يلزم لتلك الرتبة العلية ، فالمنهى لابواب الصدارة
العظمى الدعاء بتأييد السلطنة الفخيمة واشكر لاثار نعمها الصميمة ، على ما
شاهدناه من اعتنائها وحسن التفاتها ، وعظيم افضالها المناسب لعليانها
وجلالها ، فقد رأينا من اثار رضى السلطنة الجليلة لا زالت الاقدار بها مساعدة
والقلوب على تعظيمها متعاضدة ، ما نشكر الله تعالى عليه من امتداد العافية
ورجوع الراحة والامن على سبيلهما المعتاد حتى أن بعض قرى الساحل التى
سبق منا الاعلام ببقاء بعض التحجير فيها ، ابتدأت الآن فيها الراحة والامن
والاقبال على الطاعة ، ورأينا من المحترم بحرمة الدولة العلية ، الموشح بنعمتها
نخبة الاعيان السيد حيدر أفندى ، ما يملأ العين قرة والاذان مسرة ، بحسن
قيامه بالوجهة التى أنيطت خدمتها بعهدته ؛ ولا غرابة فى كمال من قدمته
السلطنة العلية ، أدام الله تعالى عزها . ولما عزم على السفر للتشرف بالحضرة
السلطانية المخدمة بالعمل والمنية ، وجهنا لابوابها العالية هذا الكتاب ، شكرا
لفضلها . وأسأل الله تعالى من فضله أن يمتعنا ببقاء هاته السلطنة العلية ،
رفيقة المقدار ، طائرة الصيت من سائر الاقطار ، عصمة للاسلام من جميع
الاكدار مؤيدة لما تجدد وتختار ، ودمتم ودام لكم الاسعاد ، على ممر الآماد .
والسلام عن معظم قدركم العالى الفقير الى ربه تعالى عبده المشير محمد الصادق
باشا باى وفقه الله تعالى .

وكتب فى 2I ربيع الثانى 128I (2)
ذلك ختم محمد الصادق دون امضائه

(I) B.A. ؛ داخلية 36640 ملف 5 رسالة وثيقة عربية ، رسالة من محمد الصادق باشا الى
المصدر الاعظم فؤاد باشا .

(2) 22 سبتمبر 1864 .

الوثيقة رقم 19

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (I)

جناب فخر الاعيان وفارس ميادين العرفان ، ومن لا يختلف في كمالاته
اننان ، الاعز الهمام ، ومن لا تفي بتعداد مزاياه الاقلام ، السيد حيدر أفندي ،
أدام الله تعالى حفظه ، وجزل من العز حظه . أما بعد : السلام عليكم ورحمة
الله تعالى وبركاته ، فقد كنا أعلمنا جنابكم بقدوم العروش للمحلة لطلب العفو
وعرض مطالبهم وبالامس ورد الاعلام من أميرها فانهم رضوا بما وفينا لهم
به ، ورجع كل منهم لوطنه لمباشرة أحواله ، ووجد أمر المحلة المحجة التي كتبها
العروش على أنفسهم في رضاهم ، بما ذكر وحررنا لجنابكم هذا لما نعلمه من
مسررتكم به ، والله يديم اسعادكم وفوزكم . والسلام من الفقير الى ربه تعالى
عبده المشير محمد الصادق باشا باي وفقه الله تعالى .

وكتب في 18 ربيع الانور 1281 (2)

يلي ذلك ختم محمد الصادق باشا باي دون امضائه

(1) B.A.؛ ملف رقم 78 مجلس مخصوص خارجية ملف 1 ، 1231 ، رسالة بالعربية من محمد
الصادق باشا الى حيدر أفندي .

(2) 19 أكتوبر 1864 .

الوثيقة رقم 20

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (I)

الباب العالى ومصدر المعالى ومدعم الفضل المقدم بالفضل التالى وحامى حوزة الاسلام على ممر الليالى خليفة رب العالمين وجامع كلمة الدين ومحى سنة الخلفاء الى الشريف ومن طاعته من فروض الدين سلطان السلاطين وخاقان الحواقين ولباب آل عثمان العباد الصالحين عن اختياره العزيز سبحانه لعباده واعده لقبول مواهبه واجداده ، وخصه بعنايته واسعاده، واحيى به سنن ابائه واجداده ، اللهم اعنا على ما أوجبت له من فروض الطاعة واحفظ بسياسته الملة من الاطاعة واجمع به العصاة الاسلامية ، حتى تكون يد الله مع الجماعة . أما بعد السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله : تمتة الخلفاء الراشدين وأئمة الدين وأداء ما يجب من الآداب بين يدى ذلك الجناح ، وإن ناب فيه الكتاب عن التشرف بالخطاب فإن العبد الناشئ كسلفه فى خدمتكم المغنا (كذا) بنبان نعمتكم المتقرب الى الله بطاعتكم وأداء ما يجب لحلافتكم ، لم تزل صنوف نعمتكم تتوالى عليه ، وعنايات السلطنة وإرادة الله ، تتجدد الى هذا الآن بتجدد الازمان ، واعظمتها رضى مولانا السلطان . وتوالى هذه النعم مع عظم قدرها اعجزت العبد الفقير عن واجب شكرها ، فأوكل كل ذلك الى العالم بسرها وجهرها ، ووجه الى باى أمير الامراء ومحظ رجال الآملين مقام ابنه الوزير الهمام المفخم أمير الامراء خير الدين وبث امانته وصدقه ونجابته ، ما ينهيه الى مقام الخلافة من اداء بعض الشكر الواجب والعمل الطيب لا يحجبه صاحب فان القدرة لا تفى بشكر النعم التى يقصر عن تعدادها لسان القلم ، والله تعالى المسؤول أن يديم العز والنصر لمولانا السلطان ، ويحمى به شعائره (كذا)

(I) B.A.؛ ارادة 36800 داخلية ملف 1 ، وثيقة عربية ، رسالة من محمد الصادق باشا الى السلطان العثمانى .

الايمان عن أروق الحلل او نقصان على ممر الاحقاب والازمان ؛ والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله تعالى ، من أسن بيت طاعته وخدمته ، الرافل في ثياب حرمة ، السابح في بحار نعمته ، المشير محمد الصادق باشا باى .

وكتب فى 15 جمادى الثانى 1281 (2)

يلى ذلك ختم المشير دون امضائه

الوثيقة رقم 21

الحمد لله صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (I)

الصدارة العظمى والرتبة الشامخة السماء وباب الدولة العليا الاحمى عز
الوزارة وصدور رجالها ، ومركز دائرة اعمالها ، والمتصرف فى عزيز
أحوالها ، تاج العظمة ، وموضع الامانة والامان ، الطائر (كذا) الصيت بكل
مكان ، وهل تخفى الشمس ليس دونها حجاب عن العيان ، الصدر الاعظم
والركن المنيع الاعصم ، والمشير الافخم السيد فؤاد باشا ، لا زالت الدولة
بارائه باسمه الثغور ، مملوءة باليمن والسرور ، ناجحة المقاصد فى كل الامور .
أما بعد التحية المناسبة لتلك الرتبة العلية . فقد كنا أتهينا لجناب وزارتك
السامية من الشكر الذى يقصر عن أدايه (كذا) اللسان ولا يحيط بتفاصيله
الجنان وذنك عن النعم الفاخرة الحسان الظاهرة للعيان ، الغنية عن الشرح
والبيان ، الواردة لنا من الابواب العلية والسلطنة الاسلامية المخدمة بالعمل
والنية ، على الاعتناء الذى لا يتسنى ذكره على ممر الازمان ، ولا يختلف فيه
اثنان . ولما لم يزل ذلك نصب العيان أوفدنا الى بابكم وعلى جنابكم مقام ابننا
الاعز الهمام المفخم الوزير أمير الامراء خير الدين ، مصحوبا بمكتوب منا لابواب
السلطنة العلية القدر ، الغنية بما لها من المفاخر عن الذكر من الشكر على
النعم المتوالية وافتضائل العالية . وحسبنا الدعاء لها ببلوغ المرام ودوام
الاجلال والاعظم ، وأصبحناه بكتابتنا هذا ، لرفع جنابكم من الشكر على ما تتحقق
من أنك أعظم الاسباب من هذه النعم ، التى يقصر عنها لسان القلم ، وقد زال
والمنة لله سبحانه وتعالى ، ما بقى من التحجير ببعض قرى الساحل ، وذلك
أنهم لما وجهنا اليهم من يرشدهم ويدلهم على طريق النجاح ، سولت لهم أنفسهم
الاقدام عليه فدفعهم فى موقف واحد (كذا) وبذلك عادت لجميع الوطن الراحة
وامنت كل ساحة ، والله المسئول أن يديم العافية لاقطار المسلمين ، ويجمع

(I) B.A. ارادة 36800 داخلية ملف 1 ، وثيقة عربية ، رسالة من محمد الصادق باشا الى
الصدر الاعظم فؤاد باشا .

كلمتهم على اعلاء الدين ، وان يديم لكم الاسعاد على ممر الاماد ؛ والسلام من
معظم قدركم ، الفقير الى ربه تعالى المشير محمد الصادق باشا باى .

وكتب فى 15 جمادى الثانى 1281 (2)

بلى ذلك ختم المشير دون امضائه

الوثيقة رقم 22

قدم علينا (I) صاحب السعادة خير الدين باشا ، ليشرح لنا الاحداث المحزنة الاخيرة التي كانت تونس مسرحا لها ، وتفضل السلطان بالاطلاع على التحريرات التي سلمها له خير الدين .

ان الخلافة الاسلامية قد وشحت عبر الدهور بالعدل ، ويقتضى ذلك منا ومن اتباعنا حسن الادارة واللباقة في تسيير أمور المسلمين ، وان الفضل والمنة لله وحده . صرفت الحادثة الخطيرة التي وقعت بتونس ، هم ومساعي الباب العالي لحلها ، باحثا عن فرص الامن والاستقرار ، ولأجل ذلك فان الباب العالي لمثل هذه القضايا لا يضمن بتقديم المساعدة ؛ وعلى هذا الاساس اذا ظهرت مشكلات في المستقبل ، فانه يجب رفعها الى الباب العالي حتى يتسنى له حلها .

تعتبر تونس من الاجزاء المنتمية للخلافة الاسلامية ، والسلطنة العظمى ، وترتبط معها بروابط دينية . وفي القديم كانت تجرى الخطبة والسكة باسم السلطان ، وما زالت تونس حتى الآن حريصة على اجراء ذلك ؛ كما أن سائر المعاملات ما زالت مرعية، بحيث أن الولاية سلكت تلك الرشد والصلاح وستستمر على ادارة البلاد حسب الشرع الشريف حتى تؤمن حياة الأهالي واراوحهم وممتلكاتهم ، بما يتماشى مع روح القوانين العادلة ، كما أن الشؤون العسكرية والمالية تخضع هي الاخرى في تطبيقها الى القانون .

أما معاملات تونس مع الدول الصديقة فتبقى جارية كما كان مرخص لها من قبل . أما والى البلاد فيكون من أكبر العائلة سنا ، ويبحث الى السلطنة العلية بمحضر توليته ، ونحن بمقتضى أمرنا العالى السلطاني ، نرسل منشور الوزارة ورتبة المشير ونصدر فرماننا العالى بكامل الامتنان اذا طلب منا ذلك .

(I) B.A.؛ ملف رقم 707 ، وثيقة تركية ، رسالة الباب العالى الى محمد الصادق باشا باى .

قدم لنا خير الدين افادته الشفاهية حول الحادث وهذا هو عنوان اخلاص،
تمكن الباب العالى بواسطته أن يعرف معطيات الوضع .

لاشبهه أن علاقات تونس مع الباب العالى تتشكل فى تلك الروابط القديمة
والدينية معها ، وللحفاظ على أسس البلاد وسلامتها ، يجب التخلص من
الاشخاص الذين يسيئون الى ذلك مع رغبتنا فى دوام الرعاية للولاية ، كما أن
حضرة السلطان سوف لن يألو جهدا فى تقديم المساعدة .

23 رجب 1281 (2)

II

في الذكرى المئوية لانتفاضة المقراني 1871 - 1971 :

سياسة الباب العالي

تجاه انتفاضة شرق الجزائر 1871

سياسة الباب العالي تجاه انتفاضة شرق الجزائر

سنة 1871 (*)

ان كل المؤرخين الذين درسوا انتفاضة المقراني بشرق الجزائر سنة 1871 ، لم يضعوا السؤال حول سياسة الباب العالي هل كانت وراء هاته الانتفاضة أم لا ؟

إن ذلك يرجع حتما الى قلة الوثائق من جهة ، ومن جهة أخرى الى عدم الاطلاع على السياسة العثمانية في البحر الابيض المتوسط ، وتأثيرها على الولايات العثمانية الافريقية في ذلك الوقت (I) .

ولكن الصدف قد أتاحت لنا العثور على رسالتين قد وجهتا من زعماء جزائريين الى الصدر الاعظم محمود نديم باشا ، اثناء انتفاضة المقراني ، وبذلك وجدنا أنفسنا منساقين الى بحث هذا العنصر الجديد،والذى سيساعدنا على توضيح بعض النقاط التاريخية الاخرى ، والمجهولة حتى اليوم .

(*) طلب الى الصديق الاستاذ أبو القاسم سعد الله ، مدير مجلة كلية الآداب لجامعة الجزائر ، بتاريخ 1970/II/17 « أن أساهم في تحرير مجلة كلية الادب بمقال أو مراجعة كتاب أو نحو ذلك ... »

وايمانا من أنه آن الاوان لخلق تعاون علمي مشعر بناء بين بلدينا أرتأيت ارسال هاته الدراسة الى الدكتور سعد الله ، حتى يتمكن من نشرها في العدد رقم 3 من المجلة المذكورة ، وأذكر أين أوفدت اليه دراستي هاته ، قبل موفى شهر نوفمبر 1970 .

أمل أن يتم ظهور هاته الدراسة قريبا بالمجلة المذكورة حتى توفى بالفرض الذى قصده .

(I) نلاحظ ان المؤرخ الفرنسي شارل اندرى جوليان (Charles-André JULIEN) قد ذكر فى كتابه : *Histoire de l'Algérie Contemporaine* ، ص. 484 ، اغنية شعبية جزائرية : « عبد المجيد العثماني وبأى تونس سيأتان لمساعدتنا . كنا نامل ان يكونا لنا رفيقنا معركتنا ... » وقد علق المؤرخ جوليان على هاته الاغنية : « ان الامال التى علقت على المساعدة الخارجية قد باءت بالفشل ، فسلطان تركيا وبأى تونس ، لم يتدخل اثناء اندلاع هاته الانتفاضة »

ان السلطان عبد المجيد المنصوص عليه فى هاته الاغنية قد تولى الحكم من 1839 الى 1861 ، ولا شك ان هاته الاغنية لم تدع اثناء انتفاضة المقراني لتعكس الغيبة التى شعر بها الجزائريون حينما اخل بهم العثمانيون والتونسيون ! الا تكون هاته الاغنية قد قيلت اثناء كفاح الحاج احمد باى قسنطينة والامير عبد القادر !

ان نابليون الثالث (Napoléon III) ، امبراطور فرنسا قد اهتم كثيرا بمشاكل الشرق الاوسط ودفعه ذلك الى تتبع تطوراته باهتمام بالغ .
اعتبرت الحكومة الفرنسية الاتراك « الرابطة الوحيدة والقادرة على منع تجزىء ملل الامبراطورية العثمانية من صقالبة ويونان وعرب الى اتباع لروسيا والنمسا أو انقلترا (2) » .

وبذلك شجعت الحكومة الفرنسية القادة العثمانيين على تبني التنظيمات واصلاح الادارة والتعليم واعادة تنظيم الجيش ، وقد لقيت تركيا تأييدا مطلقا من طرف فرنسا (3) .

لقد اظهر على باشا الصدر الاعظم ميلا الى سياسة فرنسا (4) وسعى الى تطبيق الاصلاحات ؛ الا ان الحرب الفرنسية الالمانية والتي دارت رحاها سنة 1870 قد اثرت بصورة سلبية على تطبيق تلك التنظيمات ، وادى ذلك بالتالى الى ضرب النفوذ الفرنسى فى الصميم (5) .

ان نتائج الحرب الفرنسية الالمانية على التحزبات الاوروبية الصغيرة وخاصة على تركيا ، كان عميقا .

ادرك على باشا (6) أهمية فقدان التوازن الناتج باوروبا ، وعليه فقد سعى الى كسب سياسته الخارجية ، آتجاها جديدا ، خصوصا وان : « التحالف بين روسيا وروسيا والنمسا ، قد جعل الامبراطورية العثمانية فى وضعية تبعث على القلق ويعرضها الى مجابهة القوة ، وعليه كان شغل القادة العثمانيين

(2) ص. 187 ، باريس . 1918 . DRIAULT, Edouard, La question d'Orient,

(3) ENGELHART, Ed, La Turquie et le Tanzimat, ص 7 - 56 ، ج II ،

باريس ، 1884 ؛ كذلك راجع :

LEWIS, Bernard, The Emergence of Modern Turkey.

ص . 112 - 116 ، الطبعة الاولى ، لندن ، 1961 .

(4) تاديف مباحيلرى ، ص . 95 ، استنبول ، 1920/1339 .

(5) دريو ، ادوارد ، نفس المصدر ، ص . 190

(6) يعد على باشا من اكبر رجال الدولة العثمانية كصدر اعظم فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ارسل فى سنة 1835 كسكرتير اول لدى سفارة الدولة العثمانية بالنمسا ثم بعدها بلندن مع السفير مصطفى رشيد باشا . وعندما احرز على تجربة سياسية عالية ، كلف بمهام عديدة وارسل سنة 1846 الى لبنان لتهدئة البلاد ، شغل منصب وزير الخارجية ثم الصدر الاعظم ، وقد بقى فى هذا المنصب حتى مياع اجله .



الشكل رقم 12 - المقراني •

ESQUER, G, *Iconographie historique de l'Algérie*,
t. III, planche, n° 147.

الشرعى ، هو التفكير فى ايجاد الوسائل الكفيلة للدفاع عن وحدة
الامبراطورية (7) » .

هذا الاهتمام قد فرض : « تغييرا مضعفا على أساليب وتفكير مستشارى
السلطان ؛ وكان هؤلاء يقترحون تقوية الدولة باتباع سياسة مركزية تجاه
الولايات العثمانية مع التخلص من النفوذ الاجنبى على البلاد (8) » .

ان الصدر الاعظم على باشا الذى كان يقوم بمهام وزير الخارجية فى نفس
الوقت اراد : « ان تعتمد تركيا على نفسها قدر ما تستطيع لتبنى اصلاح
البلاد ، وان تفند الحكم الذى صدر ضدها فى سنة 1867 بعجزها على القيام
بذلك » .

ان على باشا رغم تحفظه ، يقترب هنا من اراء اعضاء تركيا الفتاة حيث كان
مذهبهم يتمثل فى هاتين الفكرتين : « شن الحرب على الاجانب ، وانقاذ
الامبراطورية ، معتمدين فى ذلك على وسائلها الدفاعية الخاصة (9) » .

ان على باشا الرجل الحازم والمستبد برأيه ، قد استطاع ان يحتفظ لنفسه
بالسلطة وان يقود باصالة رأيه ، مصير الامبراطورية العثمانية .

لقد وهب هذا الرجل فطرة سياسية وعمق نظر للمشاكل ، وقد عمل بكل
نشاط على ربط الولايات العثمانية بالمركز .

هاته السياسة التى تبناها على باشا ، هى التى دفعته الى ان يرفض سنة
1866 طلب اسماعيل باشا ، تغيير نظام الخلافة بولاية مصر ، كما ولم يسمح
له ، عند تدشين القناة ، استدعاء الدول الاجنبية ، بحجة ان الباب العالى وحده
له صلاحية القيام بذلك « باعتباره مالكا للبلاد (10) » .

ولكن اسماعيل باشا لم يعط اهمية لآذارات على باشا ، بل على العكس
من ذلك ، اظهر مزيدا من الاستقلال فى تصرفاته حيث قوى اسطوله الحربى
وسلح كل سواحله ، الشيء الذى جعل الباب العالى يرى فى هاته

(7) انقلهت ، نفس المصدر ، ج . II ، ص . 90 .

(8) المصدر السابق .

(9) المصدر السابق .

(10) (تاريخ العثمانيين) ص . 45 ، ج . 7 ، KARAL, Enver Zuya, Osmanlı Tarihi, انقره ، 1956 .

« الاستعدادات نوعا من التحريض والتحدى (I1) » .

الا انه بعد هزيمة فرنسا في حربها مع بروسيا ، تبني عالي باشا سياسة خارجية اكثر صلابة ، الشيء الذى حير مساعديه ، عندما اتخذ عالي موقفا صلبا تجاه والى مصر بقرار اخضاعه وفرض ارادة الباب عليه وتغييره : « كما اقترح على السلطان مصادرة استقلال مصر (I2) » .

الا ان اسماعيل باشا كان حذرا هاته المرة تجاه ارادة عالي باشا ؛ وعندها اضطر الى تغيير سلوكه ، وبذلك تحقق ما كان يهدف اليه الصدر الاعظم بربط مصر الى الامبراطورية العثمانية .

ان سياسة عالي باشا قد تبنت نفس السلوك تجاه طرابلس الغرب وتونس والجزائر : ارادة ربط الولايات العثمانية بالمركز وحزم الباب العالي لتحقيق تلك الاهداف ، معتمدا على وسائله الخاصة .

كان عالي باشا على علم بمشاكل الولايات الافريقية العثمانية ، فبعد احتلال الجزائر سنة 1830 والمحاولات الفاشلة لاسترجاع تلك الولاية ، واقدام الباب العالي بجراء على ضم طرابلس الغرب سنة 1835 ، اخذ عالي باشا على نفسه « امضاء معاهدة سنة 1871 والتي تنص على ان ولاية طرابلس الغرب ستكون مرتبطة بالمركز ، شأنها في ذلك ، شأن بقية الولايات العثمانية الاوروبية والآسيوية المتمتعة بشروط معينة » (I3) .

اما تونس ، فهي الاخرى لم تسلم من نتائج هاته السياسة ، فبعد الازمة التي اجتاحت البلاد على اثر انتفاضة 1864 ، اخذ الباب العالي بزمام المبادرة عندما ارسل خيدر أفندى (I4) الى تونس للتحقيق فى المسألة ، مظهرا بذلك اهتماما خاصا ، و متمنيا ربط البلاد بالامبراطورية العثمانية عندما اعلن فرمان 1864 (I5) .

(I1) آنغلبرت ، نفس المصدر ، ص. 93 .

(I2) المصدر نفسه .

(I3) نفس المصدر ، ص . 95 .

(I4) راجع دراستنا الاولى : من الجديد فى انتفاضة سنة 1864 بتونس. والوثائق التى نشرت اثرها ، ص. 19 - 37 .

(I5) راجع نص هذا فرمان المنشور فى كتاب قانياج ، نفس المصدر ، ص . 275 - 276 ، كذلك ، متران ، نفس المصدر ، ص . 29 - 31 .

اما في خريف 1870 فقد انتشر على الحدود التونسية الليبية خبر تدخل الباب العالي في تونس ، وان الذخائر الحربية قد وصلت الى طرابلس الغرب لاحتلال تونس مما دفع « الباشا الى ايفاد مبعوثين عنه الى جربة وصفاقس وقابس ليعملوا على اثارة الرأي العام المؤيد لنسلطان كما وان ثمانية ضباط اترك يتقنون اللغة العربية ، قد جابوا الجنوب التونسي في مهمة ، وهذا ما يفسر المبالغ الضخمة التي كانت في حوزتهم . ولكن فرنسا قد تحصلت على الاذن بعودتهم الى طرابلس الغرب في شهر ديسمبر ، ثم ترحيل المؤن الحربية في شهر افريل 1871 . لقد كذب الباب العالي قطعا ، أي رغبة له بضم تونس الى المركز ، ولكنه كان يؤكد من جديد ، حقوق السيادة السلطانية على تونس » (16) .

ان تونس التي كانت مسرح تنافس فرنسا وايطاليا وانقلترا قد اثارت اهتماما بالغا لدى المسؤولين الاتراك والتونسيين على حد سواء ، الشيء الذي دفع هؤلاء الى ايفاد الجنرال خير الدين مرة ثانية الى استنبول سنة 1871 لعقد معاهدة جديدة تضبط بموجبها تبعية تونس للسلطان (17) .

ولكن خير الدين عندما وصل الى استنبول ، اخبر ب وفاة الصدر الاعظم عالي باشا الذي كان من مؤيدي صدور ذلك الفرمان ، واضطر خير الدين الى امضاء المعاهدة مع خلفه محمود نديم باشا في شهر اكتوبر 1871 . ولكن هذا الفرمان لم يلق اي صدى بعد وفاة عالي باشا .

(16) مرتال ، أندري ، الحدود ... نفس المصدر ، ج . I ، ص . 141 - 142 .

(17) MZALI, M.S. et PIGNON, J. Documents sur Kheredine.

A mes enfants. Mémoire de ma vie privée et politique, in R.T.

المجلة التونسية ، ص . 200 - 199 ، سنة 1934 ، يذكر خير الدين في مذكراته ما يلي : « في سنة 1870/1288 خلال الحرب العالمية الفرنسية كنت ارى بقلق ان ايطاليا التي استغلت ضعف فرنسا ، بدأت تحيك مؤامراتها بتونس ، لقد خشيت ان يؤدي ذلك الى تنافس فرنسا وايطاليا ، وان يؤدي الامر باحدى هاتين الدولتين الكبيرتين ، عاجلا ام اجلا الى ارتكاب اعمال تضر الولاية ، وقد وجهت انذاك الى الصدر الاعظم عالي باشا ، رسالة مثيرا اهتمامه الى هذا الخطر وشارحا له الوضعية السياسية لمطامع فرنسا بتونس ، وكذلك سياسة ايطاليا الجديدة ، وفي النهاية طلبت منه اتخاذ فرمان سلطاني يقع اعلانه بدون تاخير ، وهذا الفرمان الذي وعدت به سابقا وجب احترامه من طرف دول اوروبا بأسرها ، حتى يكون ذلك الفرمان الهامويوني ، الضمان الناجع لسلامة تونس . اهتم الباب العالي بمقترحاتي ، ونتيجة لذلك ، كتب عالي باشا الى باي تونس ، طالبا منه تعيين مبعوث له لدى الباب العالي للتدارس في هاته القضية الشائكة . لقد وقع تعييني مرة اخرى ووصلت الى القسطنطينية بعد ايام من موت عالي باشا ، الذي خلفه في الصدارة العظمى محمود نديم باشا » .

هل سعى على باشا الى تطبيق سياسته المركزية وانقاذ الامبراطورية العثمانية تجاه الجزائر ؟ هل كان يفكر فى اثاره شرق الجزائر ضد فرنسا المهزومة فى حربها مع الالمان سنة 1870 ؟

ان الوثيقتين اللتين سننشرهما اثر هاته الدراسة ، تؤكدان ذلك بوضوح ؛ ولكنه كان من المستحيل علينا ، ايضاح بعض المشاكل نتيجة انطباع السرى وغموض بعض فقرات الرسالتين من جهة ، ومن جهة أخرى ، عدم وجود رسائل اخرى (18) من شأنه ان يساعدنا على استكمال الصورة التاريخية للحوادث .

ان هاتين الوثيقتين لا تكشفان عن اسماء الزعماء الذين وجهوا هاتين الرسالتين الى الباب العالي ، ولا عن الاماكن والتواريخ التى كانت مسرحا للحرب مع العدو . الا ان الوثيقتين بينت لنا أن « زعماء الجمعية الحيرية الاسلامية » هم الذين كانوا على اتصال بالصدر الاعظم على باشا ثم مع خلفه محمود نديم باشا .

لم يذكر لنا ولا مؤرخ واحد ، شيئا عن هاته الجمعية ، ومن هنا كان الغموض قد احاط القضية كلها .

ففى الرسالة الاولى المؤرخة فى 25 سبتمبر 1871 والموجهة الى الصدر الاعظم محمود نديم باشا، كان زعماء الجمعية الحيرية الاسلامية يعلنون ان (19) « أصل محاربتنا وعصياننا على اعداء ديننا (كذا) ، كان باختيار ورغبة الدولة العلية ولا حصل منا التقصير فى شىء لما رغبته الدولة العلية واشارت به علينا بواسطة المرحوم على باشا الوزير السابق وحضرت تورس باشا (20)

(18) نذكر ان قسم وفاق رئاسة الوزراء باستنبول ، اين وجدت هاتين الرسالتين ، لم يرتب بعد حتى نعث على بقية الرسائل . راجع كلمتنا للدخل الوثيقتين ، ص . 123 .

(19) راجع نص الرسالة الاولى المنشورة اثر هاته الدراسة ، ص . 124 - 125 .

(20) لم نعث اثناء تحرياتنا على بعض المعلومات حول تورس باشا .

وما وعدنا به من الاعانة السرية والجهرية بالاسلحة والنقود ، واحيل امر توزيع ذلك على حضرة مصطفى باشا فاضل المصرى » (21) .

وعليه فقد طلب على باشا من اعضاء الجمعية ان يعينوا ممثلا جزائريا عنهم حتى يستطيع ان ينظم معه المسائل المرتبة ، وقد عهد بذلك الى العالم « محمود (22) الذى طلب حضوره لطرفكم على باشا الوزير السابق » (23) .

لقد ارسل زعماء الجمعية الخيرية الاسلامية بتاريخ 18 محرم 1288 / 28 مارس 1871 عريضة مفصلة الى الباب العالى (24) حيث كانوا يقترحون على المسؤولين العثمانيين حلين : « نطلب من فضلكم ومن مراحم حضرة مولانا السلطان الاعظم ، عظم الله له الاجور ، النظر ل حالنا بعين الشفقة والرحمة والانصاف والغيرة الاسلامية ، التى جبلت عليها ملوك الدولة العثمانية العلية بتوسيط باقى الدول الاجنبية ، بطلب حقه (الباب العالى) الثابت له فى اقليمنا من الدولة الفرنسية ٠٠٠٠ او ان يجرى مخاطبة الدولة الفرنسية المذكورة بالزامها فى التنازل عن اقليمنا فى مقابلة على حسب الاقتضاء ، ونحن نتعهد بتسداده لسدته الملوكية حالا وسريعا حسب الشروط التى تربط لذلك ، وان ابت الدولة المذكورة عن هذا وذاك ، فيصير اعلان الحرب معها فى اقرب وقت » (25) .

وبالفعل كان الباب العالى بتأثير على باشا قد قرر مساعدة الجزائريين وانها « (اى الدولة العلية) موجهة عنايتها فى خلاص اسرنا من تحت يد الدولة الفرنسية وافكارها مشغولة بذلك اثناء الليل واطراف النهار ، بعد تقديم عرض محضرنا الى حضرة السلطان الاعظم ، خليفة الله فى ارضه وصدور

(21) وجل دولة من مصر ، بعد ان كلف بهمات وزارية اطرد من الامبراطورية العثمانية حيث غادر استنبول فى 4 افريل 1866 ملتبجا الى باريس .

كان اسماعيل باشا والى مصر ، قد سعى الى ضمان ولاية مصر لابنائها فقط مانعا اخفاء مصطفى فاضل باشا من التمتع بحقه بالولاية .

تعاون مصطفى فاضل باشا مع زعماء تركيا الفتاة حيث دعاهم الى الالتحاق به فى اوربا كما وساعدهم بفضل امواله على شن حملتهم الصحفية ضد الحكومة الاستبدادية باستنبول .

اما فى افريل 1870 فقد اصبح وزيرا للمالية الا انه اقبل من منصبه فى 18 ديسمبر من السنة نفسها ثم بعدها اصبح وزيرا للعدل من اكتوبر 1871 الى جانفى 1872 . راجع : E-I : ج . II ، مادة مصطفى فاضل باشا .

(22) لم نعرض على اية معلومات حول شخصية هذا العالم ، كما جاء فى الوثيقة .

(23) راجع نص العريضة الموجهة الى محمود نديم باشا ، ص . 126 . 129 .

(24) المصدر نفسه .

(25) المصدر نفسه .

أمره العالى بالمساعدة لنا بصرف خمسين ألف جنى (26) (كذا) لنشتري مهمات حربية بها بمعرفة مصطفى فاضل باشا والوزير السابق ، ليجرى امدادنا بها حالا وسريعا على طريق تونس او طرابلس الغرب ، اشتد عضدنا وقوى عزمنا وتضاعف سعينا فى امداد القبائل (كذا) والعربان بالمال والتحريض لهم على زيادة الحرب والقتال ، املا فى ورود تلك الاعانة لهم ، لعلنا ان امر الحصرة الشاهانية لا ينقض ، وان انجازه محقق ، وصرنا فى انتظار ورود تلك الاعانة لنا مدة اشهر ، بناء على الجوابات التى ترد لنا من وكيلينا المحمودين (27) فى الدنيا والآخرة نقلا عن لسان الوزير السابق وحصرة تورس باشا « (28) » .

بماذا نعلل السبب فى تدخل على باشا فى شرق الجزائر ؟

لقد كانت الجزائر جزءا من الامبراطورية العثمانية ، ولكن فرنسا اغتصبتها بقوة السلاح ، وقد آن الاوان الالتجاء الى السلاح ، وتشجيع الشعب على الثورة لاسترجاع البلاد واعادة هيبة الامبراطورية العثمانية ، بضم كل ولاياتها اليها ، سواء كانت اوروبية أم آسيوية أو افريقية .

ان زعماء الجمعية الخيرية الاسلامية قد وجهوا سبع رسائل الى مصطفى فاضل باشا عندما كان وزيرا للمالية ، طالبين منه ان يشرح حقيقة الوضع على السلطان ، وليتفضل بعدها بتقديم المساعدة .

يبدو ان على باشا ومصطفى فاضل باشا ، اللذين كان يسيران تقريبا فى نفس الاتجاه ويعملان على تحقيق المركزية ، كما ويعطفان على قادة « تركيا الفتاة » ، كانا السبب فى هاته المبادرة عندما شجعا الجزائريين على القيام ضد فرنسا ووعدهم بمساعدة وتأييد الباب العالى .

ولكن عندما سقط على باشا مريضا ، وهو الذى كان وراء هاته المبادرة وكف عن مباشرة مهامه فى شهر جوان 1871 الى ان وافاه الاجل فى 7 ديسمبر 1871 (29) ، احبطت محاولة مساعدة الجزائريين وخابت الامال .

(26) الا تكون جنيته ؟

(27) هما مثلا الجمعية الخيرية الاسلامية لدى الباب العالى ، راجع نص الرسالة الثانية ، ص. 126 - 129 .

(28) المصدر نفسه .

INAL, Mohamed, Osmanlı Devrinde Son Sadriazmalar (29)

(اواخر الصدرء العظام للامبراطورية العثمانية) ، ص . 25 ، استنبول ، 1940 ، توفى على باشا عن عمر لم يتجاوز السادسة والخمسين .

وأما خلفه محمود نديم باشا ، فلم يعمل على تحقيق المشروع رغم رسائل ونداءات الزعماء الجزائريين اليه .

وعندها حرر الوكيلان الى زعمائهم بالجزائر، رسائل عديدة يؤكدان فيها «ان الدولة العلية مشغولة بالتبديل والتغيير ، ولا بد لها من النظر (كذا) الى حالنا ولو بعد حين » (30) .

ان عدم اكتراث الباب العالي المفاجيء ، قد ضرب في الصميم حماس الجزائريين وعرضهم بالتالى الى مشاكل خطيرة : الذخيرة الحربية والمال لمتابعة الكفاح (31) .

لم يدرك زعماء الجمعية الحيرية الاسلامية سبب سكوت الباب العالي للمساعدة التى وعدوكم بها والتى لم تصل بعد .

ومن هنا كان الافتخار بشجاعتهم فى الحروب وطاعتهم للباب العالي ، وهم بذلك يهدفون الى اثارة اهتمام الحكومة العثمانية لمشاكلهم ، ومحاولة اعلان الحرب على الفرنسيين بحجة ان الوقت مناسب لذلك اذ ان : « أهالى اقليمنا يلبغون الخمسة ملايين وكلهم تحت أوامر الدولة العلية ، ومستعدون لمقابلة المترايوز (كذا) بصدورهم كمقابلتهم اياه مدة السنة المذكورة ، وشجاعتنا ليست منكورة ، ويشق علينا ضياع هذه الفرصة التى اغتنمت فيها ايطالية رومة » (32) .

كان زعماء الجمعية الحيرية الاسلامية فى الرسالة الثانية يشرحون فيها هجماتهم ضد الجيش الفرنسى : « ان جهة الصحراء لم تزل عاصية ومحاولة الى الآن ، وان من مدة العشرين يوما (33) قد نصر المسلمين وكسروا العرضى (33 مكرر) الكبير ، امتاع (كذا) جنرال قسنطينة الذى توجه الى جهة تغرت بالغرب من جهة جريد ، كسرة عظيمة ، ولم يبق فيه احد ، وهذا العرض هو الذى كان عليه اعتماد الفرنسيين . وما بقى المحال التى خرجت الى الجهات القريب (كذا) صار فيهم خلل كبير ، الله ينصر من نصر الدين ويخذل من خذل الدين بجاه سيد المرسلين » (34) .

(30) راجع نص الرسالة الثانية . ص . 126 - 129 .

(31) المصدر نفسه .

(32) المصدر نفسه ، احتلت القوات الايطالية مدينة رومة بتاريخ 2 اكتوبر 1870 واعلنت على انها عاصمة ايطاليا الموحدة .

(33) هاته الرسالة وجهت الى الباب العالي بتاريخ 28 مارس 1872 وعليه فان اصحاب هاته الرسالة يشيرون الى معارك دارت رحاها فى مطلع شهر مارس 1872 !

(33 مكرر) يقصد بالعرضى هنا ، فيالق الجيش الفرنسى بمنطقة قسنطينة .

(34) راجع نص الرسالة الثانية . ص . 126 - 129 .

هل يمكن ان يساعدنا هذا النص على تخمين بعض اسماء زعماء انتفاضة شرق قسنطينة » والمحتملين ان يكونوا من اعضاء الجمعية الخيرية الاسلامية ؟ » .

هاته الرسالة حررت وارسلت الى الباب العالي بتاريخ 28 مارس 1872 . من هم اذن ، القادة الذين ما زالوا يكافحون في الصحراء حتى هذا التاريخ ؟

« ان الانتفاضة التي بدأت في 15 مارس 1871 في مدجانة باعلان عصيان الباش آغا (المقراني) قد انتهت في 20 جانفي 1872 (35) عندما اعتقل بومزراق في ورغلة . . . ان طلقات بنادق جيوشنا الاخيرة كانت بتاريخ 17 جانفي 1872 في عين طيبة على بعد 640 كلم من جنوب مدجانة » (36) .

من هم اذن بقية الزعماء الذين شاركوا في الانتفاضة في جهة الصحراء واستولوا على طوغرت (تغرت) وواجهوا الجيش الفرنسي في أواخر سنة 1871 ؟

ان كتاب رين (Rinn) الفصل عن الانتفاضة ، يقدم لنا في فصل بعنوان « صفوف الصحراء » اسمين لرعيامين لهاته الانتفاضة وهما : ناصر بن شهرة وبوشوشة .

اعلن بوشوشة على الشعب بعد انتصاره : « انتم اعضاء الجماعة لينعم الله عليكم ببركته بفضل شفاعتنا وليديم الخير بيننا . . . ان خلافتنا ستحكم فيكم بالعدل والقسطاس وسوف نفتدى بأوامر الشريعة المحمدية وليرفع الله هاته الشريعة الى أوج علاها ! امين » (38) .

(35) جوليان ، نفس المصدر ، ص . 490 ، ليس صحيحا ما ذهب اليه من ان اعتقال بومزراق كان بتاريخ 20 جوان 1872 . ألا يكون ذلك ناتجا عن خطأ مطبعي ؟

(36) RINN, Louis, Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, ص . 645 ، الجزائر ، 1882 .

(37) حسب المؤرخ رين ان الاستيلاء على طوغرت كان بتاريخ 5 ماي 1871 ، وبالرغم من ان الرسالة تغطي لتاريخ الاستيلاء اواخر مارس 1872 ، فانه من المحتمل ان يكون زعماء الجمعية الخيرية قد ارادوا بذلك ، اثارة الباب العالي باشادتهم للانتصارات التي حصلوا عليها اثر المعارك التي شنوها قبل ذلك بقليل .

(38) رين ، نفس المصدر ، ص . 612 ، يعتبر بوشوشة احد المفارمين ، ولم يصبح زعيم الصحراء بفضل مزاياء الشخصية ، بل على العكس من ذلك ، انما هي الظروف الاستثنائية التي دفعته الى ذلك .

نذكر هنا ان العبارات التي تفوه بها بوشوشة عند موته البطولية التي لاقاها رميسا بالرصاص ، هي في الحقيقة رمز حي للمعاني الوطنية التي تختلج على كل لسان زعيم حقيقيا ! أنظر الشكل رقم 13 ، ص . 112 - 113 .



الشكل رقم ١٣ - بوشوشة .

ESQUER, G, *Iconographie historique de l'Algérie*,
t. III, planche n° 995.

ان بوشوشة الذى اعلن الجهاد على الفرنسيين فى نواحي الصحراء ، اصبح فى زمن قليل ، الزعيم بلا منازع وحاكم الصحراء من نفطة الى ورغلة (39) :
« كما لوحظ ان نقل البارود لبوشوشة فى جنوب تونس ، اصبح رائجا بصورة لم تعهد سابقا » (40) .

ان الصديق الحميم لبوشوشة هو ناصر بن شهرة ، اذ كان هذا الاخير لا يتكف عن اسداء النصيح واطهار مزيد من الاخلاص لصديقه فى كثير من المناسبات .

وعندما قرر بوشوشة التوجه الى متليلي ، ترك صديقه ناصر بن مشهرة كخليفة له بمدينة طوغرت (41) .

كان ناصر بن مشهرة زعيم سلاح ضد الفرنسيين منذ سنة 1855 ، وقد انحدر من قبيلة كبيرة وهو ذو شخصية لامعة ، وقد ارتبط اسمه بقضية محي الدين بن الامير عبد القادر ، وظهوره بنفطة ، وسريان الشائعات باستعداد الحرب ضد الفرنسيين بجنوب قسنطينة ، تلك الشائعات التي هزت السكان واثرت عليهم تأثيرا عميقا .

اعلن زعماء القبائل ان « المقدمين وشيوخ الطرق هم المثقفون الوحيدون فى البلاد ، قد قرؤوا على جماعاتنا رسالة من محي الدين بن الامير السابق عبد القادر، الذى قدم الى الجزائر على الرغم من ارادة آبيه ، معلنا : « لقد قدمنا لانقاذ الاسلام الذى هو فى خطر ، ان الله سيهلك الفرنسيين اذ لم يبق لهم لا اراضى ولا جيش ، ان ساعة انطلاقكم قريبة جدا وخلصنا مؤكدة ... خذوا حذرکم ... » (42) .

وقد ذكر فى احدى الرسائل التي حررها محي الدين وناصر بن شهرة لرؤساء القبائل وللشعب ان : « محي الدين قد نزل عند ناصر بن شهرة لاعلان الجهاد المقدس وان سلطان استنبول قد ارسل جيشا الى طرابلس

(39) رين ، المصدر السابق ، ص. 615 .

(40) مرتال ، الحدود .. نفس المصدر ، ج. II ، ص. 415 .

(41) رين ، نفس المصدر ، ص. 615 .

(42) GENLAUX, Charles, La Kabylie, 1871 -

in, La Revue de Paris, Juillet, 1917. ص. 27 .

الغرب ، وهو يرغب من عرب الجزائر ان يتخلصوا من الفرنسيين قبل ان يقع احتلالهم من طرف البروسيين » (43) .

واعلن ناصر بن شهرة في احدى رسائله التي بعث بها الى الوجهاء والقضاة « ان سيدنا محي الدين بن الامير الحاج عبد القادر قد وصل الينا باذن من السلطان (كذا) وبمشيئة الله ، سيتوجه من هنا الى الجزائر ليلتحق بأبيه الذي يحتاجه ... ان جنود السلطان الغزاة قد وصلوا الى طرابلس الغرب » (44) .

ينقل لنا الشيخ عبد الرزاق البيطار ، صديق محي الدين الحميم الاسباب التي دفعت محي الدين الى الظهور في الجزائر : « وقع بين دولة فرنسا والمانيا للقتال اعظم سبب ، فانتشبت بينهما نار الحرب وتقاتلت الدولتان بالسفك والظعن والضرب ، وآل الامر في مدة اربعة اشهر الى انتصار المانيا على الدولة الفرنسية ، وتكبدت فرنسا خسائر ومشقات قوية فخطر في بال المترجم (محي الدين) ان الحرب يطول بين الدولتين ، فينتهز الفرصة لتخليص وطنه الجزائر من يد فرنسا ويزيل عن الوطن الكدر والفن ، فتوجه بقصد الزيارة في الديار المصرية ، فحينما وصل الى مدينة اسكندرية ، توجه منها الى تونس الغرب » (45) ثم الى جنوب الجزائر .

رأى محي الدين : « ان اسباب اغتنام الفرصة متسهل بواسطة الخلاف الذي وقع بين فرنسا والمانيا (46) » وعليه فقد نادته نخوته واصالته ان يأخذ المبادرة لتحرير الجزائر (47) .

ويمكن لنا ان نتساءل ، هل كان لمحي الدين اتصالات مع الصدر الاعظم

(43) رين ، نفس المصدر ، ص . 107 .

(44) المصدر نفسه ، ص . 106 - 107 .

(45) الشيخ عبد الرزاق البيطار ، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر 1213 - 1335 ج . 3 ، ص . 1426 ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق دمشق ، 1961 - 1963 .

(46) المصدر السابق ، ص . 1428 .

(47) يروي لنا الشيخ عبد الرزاق البيطار هاته الابيات الشعرية التي نظمها محي الدين :
على ماذا الخمول وانت قمرم
وانك لا تنال المجد حتى
تعوض من شذا الشاذي سهيلا
واطيب من عناق الخرد حقا
فقرمى سادة عسرب كرام
مطاع في العشائر لامتسارى
تقود عرمرما يميل الففارا
وعن طيب القوال اغتض غبارا
عناق مدرع يورى الشمرارا
بنير الحرب مانالوا فخارا

على باشا ومع وزير المالية مصطفى فاضل باشا ؟ وهل طلب منهما مده بالاعانة
فى حالة نجاحه اثاره الشعب الجزائرى ضد فرنسا ؟ هل تبوأ محى الدين
مقاما رفيعا لدى رجال الدولة العثمانيين ؟

ان وجود شخصية الامير عبد القادر التاريخية بدمشق ، قد سهلت ولا
شك الاتصال بين افراد عائلة الامير وبين رجال الدولة العثمانيين .

والذى يهمننا هنا ان محى الدين الذى عرف بسعة علمه وثقافته الواسعة ،
قد احرز على وظيفه « ازمير بايا مجردى » (48) وعلى وسام الصنف الرابع من
النيشان العثمانى (49) كما وقع تعيينه سفيراً للدولة العثمانية فى
مراكش (50) .

(48) 1. ح. ت. ملف 929 ، رزمة 78 ، وثيقة رقم 2 و 3 ، وفيما يلى نص فرمان السلطانى :
« جناب اقضى قضاء المسلمين واولى ولاية الموحدين ، معدن الفضل واليقين رافع اعلام الشريعة
والدين ، ووارث علوم الانبياء والمرسلين المختص بعناية الملك المبين ، ابن عبد القادر افندى
الجزائرى محى افندى احييت هذه المرة الى عهده وظيفه ازمير بايه مجردى (وظيفه قضائية)
عند توقيى الهمايونى الرفيع يكون المعلوم ، انه لما كنت موصوفا بين اقراك وامثالك
بجوهر العلم ومنحل بالادب والفضل واستحققت العناية بكل وجه قد اصدرت امر بتوجيه
وظيفة قضائية ازمير المذكورة الى عهدهك اعتبارا من اليوم السابع من شهر صفر الخير سنة
الف ومائتين واثنين وثمانين ، وذلك بالاشارة من طرف يولانا عمر حسام الدين افندى حفيد
شيخ الاسلام ومفتى الانام ، جلال الدين افندى عاطف زادة وقد اصدرت فرمانى هذا وامرتك
بان تتصرف فى الوظيفة المذكورة اعتبارا من التاريخ المذكوران تواظب بدوام الدعا (كذا) و ..
الاقبال لدولى العلية اعلم هكذا واعتمد علامتى الشريفة وحرر فى غرة شهر صفر 1282 / 27
جوان 1865 » .

لقد عثرنا على نص فرمان السلطانى باللغة التركية وبامضاء رئيس الكتاب ومن الغريب
ان يوجد هذا الامر الهمايونى بارشيف الدولة التونسية مع العلم ان محى الدين لم يكن مقيما
بتونس يوم صدور فرمان !

(49) 1. ح. ت. ، ملف 929 ، رزمة 78 ، الوثيقة رقم 81 و 82 ، وفيما يلى نص فرمان السلطانى:
« الحمد لله ، انه لما كان مولانا محى الدين افندى بن عبد القادر افندى الجزائرى المقيم
بالشام زيدت فضائله متحليا بالعلم ومنصفا بالمعارف ومحززا من كل الجهات (...) السنية
الملوكية ، وبناء عليه قد استحق اصدار امرى الشريف السلطانى الصنف الرابع
من النيشان العثمانى احسانا منا وعناية . وبوجهه كتب امرى هذا فى اوائل صفر 1288 / 21
جوان 1865 » .

(50) عادل الصلح ، سطور من رسالة ، ص. 166 ، بيروت ، 1966 . حدث تعيين محى الدين سفيراً
لدى بلاط مراكش يرجع الى ان ملك المغرب ، لما رأى ان تهاوت الدول الأجنبية على بلاده وعلى
البلاد الإسلامية ، فكر فى ربط علاقاته السياسية مع الدولة العثمانية والاستفادة من خبرات
رجالها خصوصاً ، وان السلطان عبد الحميد يعمل على انشاء جامعة الدول الإسلامية . وقد ارسل
مولاي حسن بعد مؤتمر مدريد وفدا برئاسة الوزير بريشة الى استنبول وقد استقبل بظفاوة
بالفة من طرف السلطان عبد الحميد الذى كان عظيم الاهتمام بقضية الشمال الافريقى ، وقد
اتفق الطرفان على تبادل التمثيل الدبلوماسى ، وعليه قررت الدولة العلية ايفاد الامير محى
الدين كسفير لها بمراكش .

يدلنا هذا على ان محي الدين قد تبوأ بالفعل مكانة رفيعة لدى رجال الدولة العثمانيين (51) ويبدو انه لعب دورا في تنشيط الجامعة الاسلامية والعمل على استرجاع الجزائر الى حضيرة الباب العالي .

غير اننا لا نملك اى سند علمي لعلاقة محي الدين بالصدر الاعظم على باشا او بوزير المالية مصطفى فاضل باشا للعمل على اثارة الجزائر ، اثر انكسار فرنسا في حربها مع الالمان .

لا نعلم بالضبط متى وصل محي الدين الى تونس ولماذا قصدها قبل الجزائر؟ الا اننا من جهة اخرى نعلم ان اقامته بتونس كانت في شهر نوفمبر سنة 1870 وان باي تونس محمد الصادق ، قد قلد محي الدين نيشان الافتخار بتاريخ 18 نوفمبر 1870 (51) .

غير أن قنصل فرنسا الذي اتصل بمحي الدين ينقل لنا أن محي الدين قد أظهر له تعلقا بفرنسا وأنه وصل تونس نتيجة بعض الخلافات مع والده وقد كتب الى مصطفى خزندار ليتدخل له لدى والده لحل مشاكله المادية معه .

ويضيف قنصل فرنسا أن محي الدين قد آهتتم خلال اقامته بتونس بالمخطوطات والمخطوط العربية وقد عاش منعزلا وبعميدا عن كل التيارات والمحافل (51مكرر) .

ويبدو ان محي الدين اراد الاطلاع على اراء رجال الدولة التونسيين ومدى استعدادهم لمساعدته ، اذا ما تزعم حركة الثورة ، دون ان يكشف النقاب صراحة عن مقصده . وقد تظاهر بالانعزال وبدراسة المخطوطات العربية حتى يصرف عنه كل الشبهات وظنون المخابرات الفرنسية والتونسية التي أحاطت به خلال اقامته بتونس .

(51) المصدر نفسه ، ص . 146 .

(51 مكرر) A.O.M; 25 H 18 ، الوثيقة رقم 16 من رسالة قنصل فرنسا بتونس الى وزيرالخارجية الفرنسية بتاريخ 5 نوفمبر 1970 .

(52) ا. ح. ت ، ملف 929 ، رزمة 78 ، الوثيقة رقم 79 ، وفيما يلي نص الامر التونسي :
« من عبده سبحانه المتوكل الخوض جميع الامور اليه المشير محمد الصادق باشا باي صاحب المملكة التونسية سدد الله اعماله وبلغه من اعزاز هذا القطر اماله الى من يقف على هذا المنشور والخطاب المحرر المسطور ، اما بعد فان الاعز الاكمل سي محي الدين ابن الهمام نخبة الاعيان السيد عبد القادر الحسني (كذا) بمقتضى مطلب وزيرنا الاكبر بما له من الشان والخصال الحسان الظاهرة للعيان ، البسناه نيشان افتخار ليظهر للابصار ماله من الرزمة والمقدار مطروا باسمنا وهو من الصنف الثاني من رسمنا ، وهو بهذه الرتبة حقيق ولنيلا خليق وعلى الواقف على هذا الكتاب ، والمتدبر قدزما فيه من الخطاب ان يعرف مقامه ويظهر احترامه والله ولي التوفيق الى سبيل الهدى وطريقه ، وكتب في 23 شعبان الاكرم 1287 / 18 نوفمبر 1870 »

ولما تبين له صعوبة ، بذه ، استنحالة مساعدة التونسيين له ، قصد مالطة ومنها الى طرابلس الغرب .

تذهب التقارير السرية التونسية التي حررها اعوان الحكومة بالجريد والكاف والاعراض انه : « في يوم عيد الفطر قدم ابن السيد عبد القادر بن محي الدين الى وطن نفزاوة ، متنكرا بلباس غرابية ومعه اربعة انفار قصصوا محمد بن الناصر الغربي القاطن بوطن نفزاوة واقام عنده يومين ثم توجهوا معا الى ناحية سوف وركب معهم جميع الغرابية القاطنين بالمكان المذكور واخبر انه أتى من طرابلس الغرب .

ثم انه في التاريخ قدم لطرفنا خمسة انفار غرابية من طرابلس على طريق البحر وصحبته عشرة نساء وبعض اثاث وبيوت شعر وغير ذلك من اثاث العرب ، صحبة الرئيس مصباح العجيمي الجربي ، فعند ذلك جلبناهم اليينا بسياسة، لنستفسر احوالهم فذكروا انهم قاطنين (كذا) بنواحي طرابلس الغرب وبلغهم ان وطنهم ، وطن الجزائر متحير ، وان السيد عبد القادر المذكور (اي محي الدين) قدم من مالطة الى طرابلس الغرب فاخبرهم انه متوجه الى عمالة الجزائر على طريق نفزاوة كما بلغنا ايضا ان اناسا كثيرين من غرابية من عمالة الجزائر القاطنين بنواحي طرابلس قادمين (كذا) الى بلادهم . . . » (53).

ويذهب تقرير آخر الى ان : « ناصر بن شهرة المغربي القاطن بغرب نفزاوة قدم له نفران احدهما من الشرق وسما (كذا) نفسه من ابناء السيد عبد القادر بن محي الدين والثاني من الغرب يسمى ابراهيم بن عبد الله وتوجهها صحبة ابن الناصر المذكور الى جهة الغرب . كما وتعلم جنابكم السامي ان لزام محصولات نفطة عشر على قفل من اهل سوف متوجهين الى نواحي الغرب حاملين جانباً من البارود وزنه بضرفة (كذا) ثلاثة وستون رطلا ، وقد وضعنا البارود المذكور تحت يد محبنا البنباشي بتوزر . . . » (54) .

(53) 1. ا. ح. ت. ، ملف 929 ، رزمة 78 ، وثيقة 26 ، تقرير محمد ناصف خليفة الى وزير الحرب سیدی رستم بتاريخ 9 شوال 1287 / 2 جانفي 1871 .

(54) 1. ا. ح. ت. ، ملف 929 ، رزمة 78 ، وثيقة 28 ، تقرير الامير لواء حسن اغا الجريد الى امير الامراء سیدی خير الدين الوزير المباشر بتاريخ 11 شوال 1287 / 4 جانفي 1871 .

نثبت هنا رد الحكومة التونسية على رسالة عامل الجريد : « بلغنا مكتوبكم المؤرخ في 11 شوال في التعريف بما بلغكم من قدوم ابن السيد الحاج عبد القادر ومعه ناصر بن شهر ودخلولهما للناحية الغربية من جهة نفزاوة وعلمناه والمؤكد (كذا) عليك ان تعمل حزمك في التمكن على المذكورين او احدهما وتسجنهما وقد كان الواجب على خليفة نفزاوة ان يتمكن عليهما حين قدما لنفزاوة ، اذ من الواجبات التي في عهده ، رد البال من امثال هاته النوازل والمبادرة بفعل ما يلزم فيها قبل فواتها ، لان ما قصده ابن السيد الحاج عبد القادر وهو تحجير بعض اعمال الجزائر يقضى الى وقوع تحجير بالملكة (التونسية) والغفلة عن ملاحظة ذلك ، تعود بالضرر على سكان المملكة ، فالتغافل عن اعماله ، يعد من القاء النفس للتهلكة ، فتنبه لشل ذلك فان الواجب التنبيه في كل حال والسلام . » راجع هاته الوثيقة ب : 1. ا. ح. ت. ، ملف 929 ، رزمة 78 ، الوثيقة رقم 29 ، بتاريخ 11 شوال 1281 / 4 جانفي 1871 .

لقد شعرت حكومة محمد الصادق باى بخطر حركة محى الدين على البلاد التونسية وتأثير ذلك على العلاقات التونسية الفرنسية ، وعليه فقد طلبت من كل ولايتها على توقيف محى الدين وجماعته وسجنهم ثم ارسالهم الى تونس .

غير ان محى الدين الذى أدرك موقف ولاية تونس منه ، عمل بفضل عارفى مسالك الصحراء وسرعة التنقل والتنكر بلباس اهل البادية ، على النجاة من الوقوع فى قبضة التونسيين .

لقد لوحظ ان ظهور محى الدين بالجنوب كان مرفوقا بعدد من الالمان اذ كان يصحبه : « اوروبيا ذا عينين زرقاوين ولحية ضاربة الى الحمرة وشعرا كستنائى اللون وبشرة لامعة ، كما انه يجيد العربية » (55) .

ان آنكسار فرنسا سنة 1870 وخسارتها الحرب مع المانيا قد شجع هاته الاخيرة على ايفاد بعض أعوانها لاثارة الشعب العربى ضد الفرنسيين .

وعليه أوفدت الحكومة الألمانية جرار روهلس (Gerald Rohls) الى تونس لاثارة القبائل الجزائرية ، وكان روهلس ، الذى كان مرفوقا بالاستاذ وتزتاين (Wetzstein) ، قد وصل ميناء حلق الوادى بتاريخ 19 أوت 1870 . غير أن مصالح الأمن التونسية التى أخبرت بمهمة روهلس من طرف قنصل فرنسا بتونس ، قد نجحت فى آحباط محاولته ، وأن مهمة الألمانين قد آنتهت بتاريخ 2 سبتمبر 1870 عندما أجبرا على مغادرة البلاد على ظهر باخرة أبحرت بهما فى اتجاه ميناء مسينة بايطاليا (56) .

كما ذكر أيضا أن جرار روهلس الذى اشتغل سابقا كجندى فى حرس الشرف بالجزائر : « قد اثار الانتباه اثناء اقامته بطرابلس الغرب سنة 1869 بسيرته الغربية ، وبعزة نفسه مع العرب وخاصة بأحاديثه معهم حول « عدم تسامح الفرنسيين الدينى تجاه الجزائريين ، وعدم شرعية احتلالهم البلاد وسهولة العصيان عليهم » . كان جرار روهلس الذى يتكلم العربية قد اخذ على عاتقه ثلب النظام الفرنسى فى الجزائر ، كما وان احتلالنا للبلاد قابل للزوال وليست له القدرة على البقاء ، اذا اجبرنا تحت ظروف استثنائية تخفيض عدد جيوشنا بالبلاد » (57) .

(55) دين ، نفس المصدر ، ص . 105 .

(56) GHERING, Gilbert, Les relations entre la Tunisie et l'Allemagne avant le protectorat français, pp. 25 - 28, in, Les Cahiers de Tunisie, t. XVIII, n° 71 - 74, 3^e et 4^e trim. 1970, نشر سنة 1971 .

(57) FERAUD, Charles, Annales Tripolitaines, p. 424, Tunis, 1929.

ان المؤرخ الفرنسي رين يذكر انه في شهر جانفي 1871 كان المواطنون مقتنعين ان الاراضي التي احتلها الالمان ستبقى خاضعة لهم ، وانه اذا سقطت باريس فان فرنسا والجزائر ستصبح بلادا تابعة لالمانيا . اما الجزائريون الذين علموا بقوة وسرعة الشعب الالماني ، فلم ترضهم هاته الفكرة ، وكان هذا الرأي يعبر عنه بصراحة في كل القبائل الصحراوية (58) .

هل سعى محي الدين الى كسب تأييد المانيا باتخاذ بعض المستشارين خركته الثورية ؟

سؤال لا نستطيع تأكيده ولا تفنيده .

عندما وصل محي الدين الى جنوب الجزائر « حرر لرؤساء الجزائر نحو المائتي كتاب لكي يتهيأوا لمحاربة فرنسا ، عند قدومه المستطاب وارسلها من تونس مع الرسل الخفية » (59) .

« لقد استبشر رؤساء الجزائر بالجنوب بقدوم محي الدين ، فتراسلوا وتآمروا واطهروا العصابة على دولة فرنسا وانتشب القتال بينهم في كل مكان ، فلما وصل اليهم بايعوه على السمع والطاعة ووقعت بينهم وبين الجيوش الفرنسية مقاتلات عديدة » (60) .

حاول محي الدين ولكن بدون جدوى ، التحالف مع المقرانيين واضطر بعدها ان ينزل بنفريين بتاريخ 9 مارس 1971 ولم يتمكن من الاستيلاء على تبسة .

ان انتهاء المانيا الحرب مع فرنسا ، جعل هاته الاخيرة توفد جيوشها الى الجزائر لقمع حركة الانتفاضة التي عمت البلاد . وعندما : « يقن (محي الدين) بعدم اقتداره على مقاومتهم والتمست فرنسا من حضرة والده ارسال امر ونصيحة له ، فعندها رجع الى حدود تونس بمن معه » (61) .

(58) رين ، نفس المصدر ، 110 - 111 .

(59) الشيخ عبد الرزاق البيطار ، نفس المصدر ، ص . 1426 .

(60) المصدر السابق ، ص . 1427 - 1428 .

(61) المصدر السابق ، ص . 1428 ، راجع الوثيقة ، رقم 3 . ص 130 والمنشورة اثر هاته الدراسة ، والتي دعا فيها الامير عبد القادر قنصل فرنسا بطرابلس الغرب ان يعمل على ترحيل ابنه الى الشرق .

هل كان ناصر بن شهرة الذى يعد صديق محي الدين ، عندما وقف الى جنبه واعلانه الحرب المقدسة ضد الفرنسيين للدفاع عن البلاد ، واشهاره مساعدة السلطان ، قد استمر فى طلب الاعانة من الباب العالي ؟ (62) .

انه من المحتمل جدا ان يأخذ ناصر بن شهرة بعد انسحاب محي الدين ، مبادرة الاتصال بالمسؤولين العثمانيين . ان وجوده الى جانب وبوشوشة واخوان الطريقة الرحمانية الذين اعلنوا الجهاد بتاريخ 8 افريل 1871 (63) قد دفعه الى الاتصال بالباب العالي واستمراره طلب الاعانة حتى شهر مارس 1872 ، فى الوقت الذى لم يبق زعماء فى جهة الصحراء غير ناصر بن شهرة وبوشوشة .

ان هاته النتيجة التى توصلنا اليها لا يمكن ان تتأكد ، الا بوجود هاتين الرسالتين واللتين توضحان وجود بعض الزعماء فى الصحراء القسنطينية .

لا نستطيع فى هاته الدراسة الوجيزة ان نتعرض لدور ناصر بن شهرة وبوشوشة وبقية زعماء الصحراء الذين حرضوا الشعب على الثورة ، فهذا يتجاوز حدود موضوعنا ، الا اننا من جهة اخرى نذهب الى الاعتقاد ان هاته الانتفاضة التى هزت الشعب الجزائرى (64) ، وجعلت المعمرين يعيشون ايام قلق وحيرة ، لا يمكن ان تبدأ الا فى اواخر 1870 بظهور محي الدين بن عبد القادر . وعلى الرغم من ان هذا الاخير لم يقيم بدور حاسم فى هاته الانتفاضة ، الا انه يبدو ان ظهوره وسط زعماء الجنوب ، قد ساهم فى تهيئة جو الانتفاضة بشرق البلاد ، وهذا ما يؤكد فيما بعد ، تلقائية وسرعة وعموم الانتفاضة فى طول البلاد وعرضها .

اكس اون بروفنس (فرنسا) 9 ماي 1970

(62) راجع الفصل رقم 2 ، ص . 27 - 53 ، باريس ، 1965 .

SAHLI, Mohamed, *Décoloniser l'histoire*,

(63) المصدر السابق ، ص. 41 .

(64) للاطلاع على العرض التاريخي لانتفاضة 1831 بشرق الجزائر ، راجع :

AGERON, Charles-Robert, *Les Algériens musulmans et la France* (1871 - 1919).

ج . 1 ، ص. 3 - 36 ، باريس ، 1968 .

قسم الوثائق

- 1) رسالة من زعماء جزائريين الى الصدر الاعظم محمود نديم باشا .
- 2) رسالة ثانية من زعماء جزائريين الى الصدر الاعظم محمود نديم باشا .
- 3) رسالة من عبد القادر الجزائري الى قنصل فرنسا بطرابلس الغرب .

المدخل الى الوثيقة رقم 1 و 2

اثناء تحرياتي في وثائق رئاسة الوزراء باستنبول ، طلب الى احد الموظفين يوما ، ان اساعده على تلخيص رسالتين باللغة العربية وبخط مغربي .

وبعد ان قمت بهذا العمل طلبت تصوير الرسالتين نظرا لاهميتهما التاريخية ، الا انه اعترض بادى الامر على تحقيق ذلك ، بحجة ان هذا القسم من الوثائق لم يفهرس بعد .

غير انى تقدمت بطلب خاص الى مدير المركز ، حيث تفضل بالقبول .

انتهازهاته الفرصة لاقدم شكرى للسيد مدير وثائق رئاسة الوزراء الاستاذ مدحت سرت اوغلو لاعطائه الاذن بتصوير الرسالتين .

وعليه فانى انشر هاتين الرسالتين دون ان اتمكن من معرفة ارقام مصادرها ذلك ان اهميتهما التاريخية كانت الدافع الوحيد لنشرهما .

امل ان يتم فهرست هذا القسم من الوثائق حتى يتمكن الباحثون قريبا من العثور على بقية الرسائل لدراسة جوانب جديدة للسياسة العثمانية تجاه انتفاضة قسطنطينة 1870 - 1871 .

ع . ت .

الوثيقة رقم 1

الحمد لله رب العالمين والصلوات (كذا) والسلام على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين (I) .

حمدا لمن جعل كلمة الذين كفروا ، السفلى (كذا) وكلمة الله هي العليا ، وانعم على المسلمين بتولية الوزارة ، لناصر الشريعة والدين ، وجرّد من الملة الاسلامية سيفاً عثمانياً ، اذل به كل كافر في الدنيا ، وصلاة وسلاماً على من جاهد في اعلاء كلمة الله ، حق جهاده ، وعلى آله واصحابه الذين بذلوا انفسهم من مرظاته (كذا) فباءوا بالسعادة والاسعاد . فان رؤساء الجمعية الخيرية بالجرائر المحمية ، قد رفعوا الى الله اكف الطنب (2) . . . التي بها يستفتح كل ارب على ان يديم لهم ايام فخر الاسلام والمسلمين ، ناصر شريعة سيد المرسلين ، سيد الوزراء في العالمين ، مغيث الغزاة والمجاهدين ، الواثق بربه الكريم ، حضرت (كذا) سيدنا محمود باشا نديم ، ادام الله ايامه الزاهرة ، وافاظ (كذا) على القاصدين غيوث مكارمه الماطرة ولا يرح الزمان بوجوده دايماً (كذا) المسرات ، والبلاد امنة مطمينة (كذا) تهني عليها بحسن نظاره (كذا) سحب الخيرات ، امين .

ثم الذي نعرضه على مراحمكم السنية واخلاقكم الذكية بظرورة (كذا) علم حضرتكم بان اصل محاربتنا وعصياننا على اعدائنا (كذا) كان باختيار ورغبة الدولة العلية ، ولا حصل منا التقصير في شيء ، لما رغبته الدولة العلية ، واشارت به علينا بواسطة المرحوم عالي باشا ، الوزير السابق، و حضرت (كذا) تدرس باشا . وما وعدنا به من الاعانة السرية والجهرية ، بالاسلحة والنقود واحيل امر توزيع ذلك على حضرت (كذا) مصطفى باشا فاضل المصري بعد تلاوة عرط (كذا) محضرنا على حضرة مولانا السلطان المعظم الذي يسأل

(I) B.A.؛ رسالة باللغة العربية موجهة من رؤساء الجمعية الخيرية الى الصدر الاعظم محمود نديم باشا : انظر الشكل رقم 14 ، ص . 129 - 128 .

(2) كلمة غير مقروءة ..

عنا وعن دمائنا وانفسنا بين يدي الله سبحانه وتعالى . ومفصلات هذه القضية تعلم ، لحضرتكم العلية من العالم العلامة الدراكة الفهامة التحرير ، الشيخ المفتي سيدى محمود بن المرحوم المنعم برحمة الله العلى الاكرم ، امير عساكر بلدنا سابقا ، وحضرة الوجيه الفاضل السيد محمود ابن (كذا) المكرم الاجل انسيد على احد اعيان وجوه بلدنا القايمين (كذا) بطريق النيابة عنا وعن كافة اهالى اقليمنا فى التكلم وطلب الاعانة وغيرها من العرط (كذا) محضر المرسل (كذا) منا سابقا للحضرة السلطانية ، وجواب على باشا امين (؟) لاننا اوضحنا له فيه كافة اضرارنا وما نحن فيه من المشقة والتعب والتجملد الفايق (كذا) عن طاقة البشر بمصادمة الاعداء وحث المسلمين على القتال خين ورود المساعدة التى صدر لنا بها الامر السلطانى الذى لا ينقظ (كذا) وغاية رجانا (كذا) ان تنظروا لنا بعين الرحمة والشفقة والغيرة الاسلامية ، بعرط (كذا) حالنا على حظرة (كذا) مولانا السلطان المعظم ، لعل وعسى ان يرحمنا ويفك اسرنا ويمسح دموع صغارنا وكبارنا ، بانقاذنا من تحت يد ظلم اعدائنا الكافرين . وما علمنا اسباب سكوت الدولة العلية عن انجاز ما وعدتنا به بعد تحريظنا (كذا) على القتال والعصيان (I) ٠٠٠٠ على اى شيء مع اننا نحن نبليغ نحو الخمسة ملايين ، وكلمتنا كلمة واحدة وايماننا ، لله الحمد ، ثابت وجسارتنا فى الحروب ، سارت بها الركبان . ولو كان عندنا مدافع واسلحة ونقود وغير ذلك مما يلزم الحروب ما كنا نطلبوا (كذا) الاعانة من الدولة العلية وكنا بعد الزاله (كذا) الكفرة من اقليمنا ، اعداء ديننا ، نسلمه لها ، لاننا من ضمن رعاياها سابقا ولاحقا ، لتحكم فيه بما يرضى الله ورسوله والمسلمين والله على ما نقول شهيد . ونطلب منك يا حضرة سيدنا الوزير الاعظم ان تقرأ كتابنا هذا ، على حضرة مولانا السلطان الاعظم وكلما صدر به امره الكريم تعرف به وكلانا (كذا) المحمودين لان المدة قد طالت والفتن زادت واليهول تضاعف لانك الآن صرة (كذا) انتى (كذا) عنا المسؤول دنيا واخرى ، جعلك الله ملجأ للقاصدين بجاه سيدنا الاولين والآخرين والسلام عليك من كافة المسلمين والمجاهدين فى سبيل رب العالمين .

الجمعية الخيرية

فى ١٥ رجب سنة ١٢٨٨ (2)

بلى ختم الجمعية الخيرية

(1) كلمات غير مقروءة .

(2) 25 سبتمبر 1871 .

الوثيقة رقم 2

الحمد لله رب العالمين والصلاة (كذا) والسلام على سيدنا محمد ، امام المرسلين ، رسول رب العالمين (I) .

المقام الذى يجب احترامه ويتأكل اعظامه ، وتفتح بالنصر ايامه وتخفق بالظفر اعلامه ، سيف الدولة العلية وركن الملة المحمدية ، سيد الوزراء أمير الكبراء ، ذو رأى السديد والبطش الشديد ، المتوكل على السميع العليم ، حضرة محمود باشا نديم ، خادم الملة والدين ، زاده عزا واقبالا ، امين .

فان رؤساء الجمعية الخيرية والغيرة الاسلامية والجسارة الربانية يعرضون على ساحة حضرتكم السنية ، بان اقليمنا ما تجاهر بالحرب والعصيان مع الدولة الفرنسية ، الا باشارة الوزير السابق وامره لنا ، على باشا ٠٠٠ (2) الملة الاسلامية والحضرة الشاهانية . ولما تحقق لنا من مكانة وكيلينا بان الدولة العلية موجهة عنايتها فى خلاص اسرنا ، من تحت يد الدولة الفرنسية ، وافكارها مشغولة بذلك اثناء الليل واطراف النهار ، بعد تقديم عرض محضرنا الى حضرة مولانا السلطان الاعظم ، خليفة الله فى ارضه وصدور امره العالى بالمساعدة لنا ، بصرف خمسين جنى (كذا) لنشتري مهمات حربية بها ، بمعرفة حضرة مصطفى باشا فاضل والوزير السابق ، ليجرى امدادنا بها حالا وسريعا على طريق تونس او طرابلس الغرب ، اشتد عضدنا وقوى عزمنا وتضاعف سعينا فى امداد القبائل (كذا) والعربان بالمال والتحريض لهم على زيادة الحرب والقتال ، املا فى ورود تلك الاعانة لهم ، لعلمنا بان امر الحضرة الشاهانية لا ينقض ، وان انجازه محقق وصرنا فى انتظار ورود تلك الاعانة لنا مدة اشهر ، بناء على الجوابات التى ترد لنا من وكيلينا المحمودين ، فى الدنيا والآخرة ، نقلا عن لسان الوزير السابق وحضرة توركس باشا .

(1) B.A. ؛ رسالة باللغة العربية موجهة من رؤساء الجمعية الخيرية الى الصدر الاعظم محمود نديم باشا : انظر الشكل رقم . 15 ، ص. 129 - 128 .

(2) كلمة غير مقروءة ..

ولما طال علينا المدا (كذا) والتسويق ، ومن الله علينا وعلى باقى المسلمين بتولية حضرتكم الصدرة العظمى ، استبشرنا بنوال المقصود ، وبالظفر بالاعداء ، لانه بلغنا بان لكم غيرة اسلامية وجسارة ربانية موروثه عن الاباء مع الصدق فى خدمة الملة المحمدية ، وانه لا بد من وصول تلك الاعانة لنا . بوقتها بادرنّا بتحرير جواب لعواطفكم الرحيمة فى عشرة رجب سنة 1288 (3) استرحمنا فيه بعد طلب عرضه على حضرة مولانا السلطان المعظم ، اغانة لهفتنا وفك اسرنا لما نحن فيه ، وبامدادنا بما صدر به امر الحضرة السلطانية ، وسبعة جوابات الى حضرة مصطفى باشا فاضل اوضحنا له فيهم (كذا) الحقيقة والتمسنا منه بعد عرضهم (كذا) على مسامعكم الكريمة يجرى قراتهم (كذا) مجلس الوكلاء الفخام . وكلما صدر استصوابه ، يعرفنا به بواسطة وكيلينا المذكورين .

فوردت لنا (كذا) جملة جوابات من وكيلينا المومى اليهما مضمونها بان الدولة العلية مشغولة بالتبديل والتغيير ، ولا بد لها من النظر (كذا) الى حالنا ولو بعد حين . فبوقتها ضعفت هممتنا وقل ما بايدينا من الاموال والنقود . والقبائل (كذا) والعربان صاروا لا يجدون ما يكلونه (كذا) فضلا عن الاصلحة (كذا) والبارود . وسبب ذلك تغلب الفرنسيّ على اغلب الجهات ، بعد تجلدهم على المحاربة معه ، وظفرهم بعساكره مدة عشرة اشهر ، وزيادة ونهب اموالهم واخذ اسلحتهم ، واستولى على اراضيهم البالغ قدرها مليون ونصف المليون اكنار (4) (كذا) بطريق الغصب والعدوان ، وشنع بهم التشنيع العجيب الذى لا يخطر ببال .

ومن جملة الاراضى التى غصبها خمساية (كذا) اقطار (كذا) ملك السيد محمود امر وكيلينا (كذا) الذى طلب حضوره لطرفكم على باشا السابق ، الله ينتقم منه فى قبره وممن لا يرحمنا بفك اسرنا من تحت يد ظلم العولة الفرنسيّ المتعدية علينا وعلى اموالنا وانفسنا ، وان جهة الصحراء لم تنزل عاصية ومحاربة الى الآن ، وان من مدة نحو العشرين يوما قد نصر الله المسلمين وكسروا العرضى الكبير امتاع (كذا) جنرال قسنطينة الذى توجه الى جهة تغرت بالغرب من جهة جريد ، كسرة عظيمة ، ولم يبق فيه احد . وهذا العرض هو الذى كان عليه اعتماد الفرنسيين . واما باقى المجال التى خرجت الى الجهات القريب (كذا) صار فيهم خلل كبير ، الله ينصر من نصر الدين ويخذل من خذل الدين بجاه سيد المرسلين على آله عليه وسلم .

(3) راجع الوثيقة رقم I والمنشورة اعلاه . ص . 124 - 125 .

(4) هكتار . من الكلمة الفرنسية Hectare وهو ما يساوى عشرة آلاف متر مربع .

ومن حيث انه الآن ليس خافيا على حضرتكم ، بان جميع ما اصابنا من ضياع الاموال والانفس والمشاق ، التي لم نزل نكابدها فهو ناش (كذا) من امثالنا لاوامر الدولة العدلية ، الصادرة لنا من وزيرنا السابق ومن حضرة تدرس باشا ٠٠٠٠ لان نحن الجميع نطلب من فضلكم ومن مراحم حضرة مولانا السلطان الاعظم ، عظم الله له الاجور ، النظر لما لنا بعين الشفقة والرحمة والانصاف والغيرة الاسلامية ، التي جبلت عليها ملوك الدولة العثمانية العلية ، بتوسيط باقى الدول الاجنبية بطلب حقه الثابت له فى اقليمنا من الدولة الفرنسية المذكورة بموجب العرض ، محضر المقدم منا للحضرة العلية فى 21 محرم الحرام سنة 1288 (5) ، او ان يجرى مخاطبة الدولة الفرنسية المذكورة بالزامها فى التنازل عن اقليمنا فى مقابلة على حسب الاقتضاء ، ونحن نتعهد بتسديده لسدته الملوكية حالا وسريعا على حسب الشروط التى تربط لذلك . وان ابت الدولة المذكورة عن هذا وذاك ، فيصير اعلان الحرب معها فى اقرب وقت ، لان اهالى اقليمنا يبلغون نحو الخمسة ملايين ، وكلهم تحت اوامر الدولة العلية ، ومستعدون لمقابلة المترايوز (كذا) (6) ، بصدورهم كمقابلتهم اياه مدة السنة المذكورة ، وشجاعتنا ليست منكورة ، ويشق علينا ضياع هذه الفرصة التى اغتنمت فيها دولة ايطالية رومة .

وان كانت عدالت (كذا) الحضرة المنوكية قضت عدم التدخل فى امرنا ، وما نحن فيه من المشاق والتعب والظلم والجور والعدوان بعد تحريضنا على الحرب والعصيان ووقوعنا فى البلاء التى لا تتحملها الجبال فضلا عنا وعن كل انسان ، بضياع الانفس والاموال ، فنسترحم تواطفها الرحيمة المبادرة بارسال الشى مسلم (كذا) من طرفها كباقى الدول الاجنبية ، بعد تصديقها لدولة فرنسا المذكورة ، بان اقليمنا صادر حقا (كذا) وملك لها ، كى بوقتها نقطع امالنا ويمكننا ان نحتمى بحمايته ، بدخولنا تحت سيطرته (كذا) .

وها نحن جميعا قد اقمنا ، حضرة العالم العلامة ، التحرير الشيخ سيدى محمود بن المرحوم المنعم ، أمين العساكر والمحاربة الاسلامية السابقة ، ودولتكم الوزرية (كذا) مقام انفسنا فى التكلم عنا فى هذا الامر ، الذى تناوبون عليه دنيا واخرى ، وفى عرض جميع ما ذكر على حضرة مولانا السلطان المعظم (كذا) وفى قراءة جوابنا هذا حرفيا ، بمجلس الوكلاء الفخام وجميع ما يلزم لذلك على حضرته وغيره من الاشارات (كذا) ، يجرى تعريفنا عنها بواسطة (كذا) وكيلين المحمودين .

(5) 28 مارس 1872 .

(6) من الكلمة الفرنسية (Mitraillette) أى مدفع رشاش .

وها نحن قد عزمنا على ارسال شخص آخر على طريق تونس ، ليكون معينا
لهما فى ما يلزم واذا كنت الدولة العلية صرفت النضر (كذا) عن هذا الامر ،
واقترضت عدالتها تمكين الكفرة اعداء الدين من رقابتنا واموالنا ، فنفوض الامر
الى الله .

ونطلب ايضا من مكارم اخلاقكم الخاتمية ، بذل الهمة المشهورة فى مشارق
الدنيا ومغاربها، فك السيد محمود ابن (كذا) على، احد الوكيلين المذكورين، الذى
طلب حضوره لطرفكم ، الوزير السابق ، من مدة سنة وكسور ، ولم يفتقد
حاله شىء مطلقا ؛ وهو مقيم بمنزل السيد محمد المفتى ، وارساله لطرفنا بعد
مكافئته على مدة عطلة وارضه التى غصبت ضمن الاراضى المذكورة سابقا ،
البالغ قيمتها تقريبا نحو الافين (كذا) ، بنقد لويز من مبلغ الاعانة الذى
صدر به امر حضرة السلطان المعظم السابق ، توضيحه او عمال دولتكم لازلتهم
ملجا (كذا) للقاصدين بجاه سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم
والسلام عليكم من كافة جميع المسلمين المجاهدين فى سبيل رب العالمين ، فى
18 محرم الحرام سنة 1289 (7) من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلوات
(كذا) وازك (كذا) التحية .

ينلى ذلك ختم الجمعية الخيرية ، الايالة (؟) الجزائر محمية .

الوثيقة رقم 3 (I)

الحمد لله

ذو المزايا الباهرة والسجيا الزاهرة قوصل (كذا) جنرال الدولة
الفرانسوية الفخيمة بطرابلس الغرب ، بعد السؤال عن احوالكم السنية ،
نخبر حضرتكم العلية انه لنا ولد اسمه محي الدين كان قد اعتراه
مرض في هذه البلاد الشامية قد اعجز الاطباء ثم ان بعضهم اشار عليه ان يغير
الهواء في البلاد الحارة ، فاذنت له ان يتوجه الى الاسكندرية ومصر ثم انه بلغني
في تشرين الثاني ، انه توجه الى تونس .

ولما كان ذلك بغير اذني ، ولا ارضى به ، كتبت الى قوصل جنرال بتونس
والى الوزير السيد مصطفى ، واخبرتهم بعدم رضائي لتوجهه الى ذلك القطر ،
وظننت انهم يردونه حالا الى هذه البلاد ؛ فاذا بهم تغافلوا عنه ، وقد بلغني
الآن انه جاء الى مالطة ومنها الى طرابلس ، وانه توجه منها الى نواحي الصحراء .
فالرجو من جنابكم والمؤكد به عليكم ان تخبرونا عنه وان طالت يدكم الى رده
فلا تقصروا ، وبذلك تصير لكم مزية عظيمة علينا ، ودمتم كما رمتم .

المخلص عبد القادر الجزائري

في 18 ذى القعدة 1287 / 9 فيفري 1871

يلي ختم عبد القادر

(I) A.O.M. ، 2 x 10 ، رقم . 110 ، رسالة بالعربية من الامير عبد القادر الى قنصل فرنسا
بطرابلس الغرب .

III

حذل كُنَّابُ "المرآة" لمحمدان خوجسته

حول كتاب « المرأة » لحمدان خوجة

ظهر في باريس في شهر اكتوبر 1833 كتابا بعنوان :

« Aperçu historique et statistique sur la Régence d'Alger »

وبالعربية « المرأة » لحمدان بن عثمان خوجة مترجما من العربية الى الفرنسية بقلم : H. D. ... Oriental. أى ح. د. الشرقى . (I)

ولنا ان نتساءل هل الترجمة الفرنسية كانت عن مخطوطة عربية ام هو من املاء مؤلفه ؟ هل حسونة الدغيس هو فعلا المترجم الحقيقى ؟ ولماذا اكتفى عند نشر الكتاب بوضع « ح. د. الشرقى » دون ان يكشف النقاب عن شخصه ؟ سنحاول الاجابة عن هاته الاسئلة متخذين لهذا البحث وثائق جديدة .

يعد حمدان بن عثمان خوجة الشخصية الجزائرية الوحيدة التى تمتعت بثقافة واطلاع واسعين جدا والذى ترك عددا من الوثائق السياسية الهامة حول احداث الجزائر اثناء الاحتلال الفرنسى للبلاد .

ان كل الوثائق العربية والتركية التى تركت لنا حول هاته الفترة ، اذا استثنينا حمدان خوجة ، تعكس ضعف المستوى الثقافى للدايات والبايات والاغاوات ، أما الانكشاريون رجال سلاح وحرب ، فلم يعلقوا اهمية بالغة لهذا الميدان .

وبذلك كانت الوثائق العربية او التركية صعبة القراءة ، لكثرة ما اشتملت عليه من اخطاء متنوعة . (2)

(I) هى الحروف الاولى للطرابلسى حسونة الدغيس ، انظر دراستنا السادسة : « حسونة الدغيس الطرابلسى وقضية الماجور لايى ص . 263 - 264 . انظر أيضا الشكل رقم 16 ، ص . 136 - 137 .

(2) ان الدفاتر العربية والتركية بالجزائر والتى درسناها لاعداد فهرست محتوياتها ، لكافية للدلالة على ما ذهبنا اليه . كذلك الرسائل العربية الكثيرة الموجودة بمركز الوثائق باكس أون بروفنس (بفرنسا) وهى الوثائق التى كانت سابقا بجزائر العاصمة وانتقلت الى فرنسا قبيل الاستقلال.

ان كتابات حمدان خوجة تعد الاستثناء الوحيد ، ذلك ان حمدان كان يجيد العربية والتركية كتابة كما ويتكلم الفرنسية والانجليزية بطلاقة ، ولكنه لا يكتبهما ، وهو يعد عالما كبيرا في جزائر العاصمة • (3)

وبالنتيجة لم يحرر احد من مواطنيه بمثل ما عرف عن حمدان ، من طلاقة ووضوح في الراى وتلاعب بمترادف الكلام والافكار ، يضاف الى ذلك خط شرقي جميل •

ودون ان نقف على جزئيات حياته ، نؤكد ان حمدان خوجة كان قبل احتلال بلاد الجزائر كما قال هو عن نفسه : « احد كبراء واغنياء المدينة ، لقد كنت املك في منطقة المتيجة (Mitidja) بمزارعى عشرة الاف راس غنم وستمائة راس بقر ومائتى زوج بقر (للحراثة) وستين جملا ، مائتى ما بين فحول وفرسان ، وستين بغلا ، وعددا اخر من الحيوانات •

كنت املك بالاضافة الى هاته الثروة الفلاحية ، ستمائة معسلة ، وخمسة آلاف كلية(4) من القمح والشعير وعدة آلاف من المساحة الصالحة للحراثة(5) •

وما عدا هذا كنت تاجرا بالجزائر ، ولى تجارة واسعة يرأس مال تجاوز ثلاثمائة ألف فرنك،تعامل بها في جزائر العاصمة وبقيّة اطراف البلاد(6) •

اما تجارته الخارجية ، فقد كانت هي الاخرى هامة اذ قد اشترك مع بعض اليهود فى ذلك كما كان يقوم بشراء ازوطات البوطاس « Azotate de Potasse » من انقلترا للجزائر (7) •

غير انه بعد احتلال الجزائر وتغيير دفة الحكم التى اصبحت بيد الفرنسيين دفع حمدان خوجة الى تبني سلوك الحذر والتوفيق بين الطرفين • من ذلك أنه

(3) A.O.M; 15 MI 12, Vol. 14

(4) ان عيار الكلية يساوى 25 كيلو غرام •

(5) A.M.G; H 32 الجزائر : من التقرير الذى حرره حمدان خوجة وقدمه الى ملك فرنسا لويس فيليب Louis PHILIPPE بتاريخ 19 جوان 1835 ، راجع نص هذا التقرير، الوثيقة رقم 6 ، ص . 189 - 194 •

(6) المصدر السابق ، انه من الصعب جدا تقدير ثروة حمدان خوجة ، الا ان الادارة الفرنسية كانت تعدّها بحوالى اربعين مليون فرنك ، من رسالة حمدان خوجة الى بوضربة ، الموجهة اليه بتاريخ 26 ماي 1836 الموجودة فى A.O.M; 1 H 1 : راجع كذلك : F.O; 3/33 رسالة من سان جون ، قنصل انقلترا بالجزائر ، وهو بتاريخ شهر أفريل 1831 ، والتي جاء فيها : « يعد حمدان بن عثمان خوجة هنا ، أهم تاجر بالبلاد » .

(7) A.O.M; 15 MI 12, Vol. 4 ، راجع أيضا حول تجارة حمدان خوجة مع انقلترا : A.O.M; 15 MI 49, Vol. 381.

انظر الشكل رقم 17 ، ص 137 - 136 وهو الرسم التى تخيله الرسام التونسي زرباط لشخصية حمدان بن عثمان خوجة •

عندما سقطت مدينة الجزائر في يد الفرنسيين ، ارسل حمدان ابنه للتفاوض مع الجنرال المنتصر بورمن (BOURMONT) وقد عد حمدان فيما بعد من الاشخاص الذين اظهروا ميلا للفرنسيين .

و اثناء تولى الجنرال كلوزال (CLAUZEL) القيادة العامة للجزائر ، عينه هذا الاخير عضوا لبلدية مدينة الجزائر لمساعدة الادارة الفرنسية على ادارة اموال الاوقاف ، وبعدها كلف بمهمات كثيرة ، عينه الجنرال كلوزال عضوا باللجنة التي عهدت اليها مهمة تعويض الاشخاص الذي تضرروا بهدم ممتلكاتهم لفائدة النفع العام ، كبناء الشوارع والمستشفيات وغير ذلك (8) . الا ان حمدان قد عزل بعد قليل من هاته اللجنة لمعارضته مشاريعها .

وبذلك يكون حمدان خوجة قد عاش مشاكل ومشاكل الادارة الفرنسية و اظهر انذاك سلوكا ذكيا مع المسؤولين الفرنسيين للحفاظ على امتيازاته من جهة ، ومن جهة اخرى لغرض إفهام القادة الفرنسيين معطيات البلد وعاداته ، محذرا اياهم عدم مس الدين ونظام الحبس وهتك حريات الاشخاص والاستيلاء على ممتلكاتهم غصبا .

ولكن عددا من القرارات التي اتخذها القادة الفرنسيون قد اثرت بعمق على الشعب ، عندما استولت الادارة الفرنسية على المساجد وحولت بعضها الى ملاجئ لفرق الجيش ، والبعض الآخر الى مستشفيات وكنايس (9) . اما احباس مكة والمدينة فقد وضعت تحت الادارة الفرنسية المباشرة (Domaine IO) كما ان دور وجهاء المدينة قد استولوا عليها الجنرالات ، اما اترك البلاد فقد نفوا من البلاد بدون حق شرعي مع مصادرة اموالهم جورا ، واتخذت اقل الحجة لمصادرة اموال المواطنين الشخصية .

★★

ان التجربة التي حصل عليها قادة الجيش الفرنسي اثناء حملتهم على مصر ،

YVER Georges, Hamdan Bin Othman Khoja, in, R.A. 1913, p. 100.

JULIEN, Charles-André, Histoire de l'Algérie Contemporaine,

ص 91 باريس . 1965 ، يذكر ان حاكم الجزائر العام دوك دوروفيقو (Duc De Rovigo)

عندما اخبر انه لم يسلم له الا مسجدا غير لائق واقل اهمية من غيره ، ثار انذاك غضبا وقال : « لا اريد هذا المسجد بل اطلب الاجمل ، اننا اسياة البلاد والمنتصرون ، لا اود ان اكون مشار صحك (يقبوله ذلك المسجد) » .

(IO) هو القرار الصادر عن الجنرال كلوزال بتاريخ 7 ديسمبر 1830 .

لم تمكنهم بعد، من فهم الشعوب الاسلامية ، فقادة الحملة الفرنسية على الجزائر كانوا يجهلون معطيات الشعب الجزائري دينا وادارة ، بل على العكس من ذلك كان الحقد الاعمى الذى تضاعف فى اوربا فى اوائل القرن التاسع عشر ضد الولايات العثمانية بشمال افريقيا ، قد تشبع من نفوس قادة الحملة الفرنسية على الجزائر .

كل هذه العوامل تفسر الاخطاء الفادحة التى ارتكبتها الادارة الفرنسية والغير المبررة ، والتى توضح تناقضاتها وعجزها وروح الانتقام التى سادت مشاعر قوادها .

ان حمدان خوجة الذى اصطدم بعناد الادارة المدنية وبارادتها السيئة عندما داست حرمة المعاهدة ، قد ثار ضد هتك الاتفاقية التى عقدت يوم 5 جويلية 1830 بدون موجب قانونى . وادى ذلك الى دوس حقوق الجزائريين وسلب ثرواتهم بما فى ذلك ممتلكاته وثروته الشخصية .

فضيعته بمصطفى قد افكتك منهم غصبا (II) ، « لقد فرض على كما يقول حمدان اداء ضريبة غصبا عنى ، مقدارها 1.200.000 . لا ادفع شيئا لانى لست مطالبا بشيء فرضه على القانون ، لقد رمونا فى السجن ، خالى المسن والبالغ من العمر ثمانين سنة وانا ، عبدكم الحقير ، كما ختمت منازلنا ولم نستطع الخروج من السجن الا بعد ان دفعنا ضريبة مقدارها 132.000 فرنكا » (I2) .

لقد احس حمدان باستبداد الادارة المدنية الفرنسية بالجزائر وان المصائب التى حلت بسكان البلاد كانت نتيجة للتعسف والابادة وكل افات الحرب التى كانت جميعا يرتكبها باسم فرنسا ، اعوانها بالجزائر اذ كان يعمل هؤلاء ضد مبادئ التحرر والحضارة (I3) .

(II) ان الجنرال فوشار (Feuchères) هو الذى استولى على ضيعة حمدان خوجة ، وعندما طلب منه حاكم الجزائر العام دوك دوروفيقو التخلي عن الضيعة وردها الى صاحبها ، رد عليه الجنرال بانه « ان الدوك دوروفيقو » كان خاضعا لتاثير معين وان هذا الاخير يعمل على سلبه حق التمتع الى الابد بهاته الضيعة . ذلك الحق الذى فرض اثر النصر الفرنسى فى الجزائر » راجع **ESQUER, Gabril, Correspondance du Duc de Rovigo,**

ج. I ، ص. 582 - 583 ، الجزائر ، 1914 .

(I2) A.M.G; H 32 الجزائر ، انظر الوثيقة رقم I ص. 146 - 165 . المنشورة اثر هاته الدراسة ، قارن ايضا ، اسكر ، نفس المصدر ، ج. III ، ص. 104 : « ان حمدان خوجة قد دفع 59.074,80 فرنك كضريبة فوق العادة ، فرضت على الشعب الجزائرى » .

(I3) ايفر ، نفس المصدر ، ص. 113 .

APERÇU
HISTORIQUE ET STATISTIQUE
SUR
LA RÉGENCE D'ALGER,

INTITULÉ EN ARABE LE MIROIR,

PAR

SIDI HAMDAN BEN OTHMAN KHOJA,

ET DE LA CAUSE DU COMMERCE D'ÉTAT (MARTAN) DE LA RÉGENCE D'ALGER,

TRADUIT DE L'ARABE

PAR H. D. ORIENTAL.

Quand c'est l'égoïsme qui renverse la
justice, il ne faut que se porter
la main à la gorge.

Benjamin Constant.

Volume Premier.

PARIS,
IMPRIMERIE DE GOETSCHY FILS ET COMPAGNIE

RUE DE LA HARPE, N° 55.

1833

الشكل رقم 16 - الصفحة الأولى لكتاب « المرأة » لحمدان خوجة .



الشكل رقم 17 - حمدان بن عثمان خوجة .

رسم زرياط .

به حدود المسلمين وبرايسا وهرمي ونيديو واسبان
 واما هذه اولادهم وبنوتهم وبناتهم فليسوا
 مع اليهود والنصارى في حكمهم بل هم منكم
 واما ما يخصهم من دار الايمان فربما يستعملون المروة
 في بارئها فاحسن وانما في اقصاها
 فقد في بعض ايام زادت ريرة الدواب فخطب المهدي
 الذي يرمي فلم يقصر بعد ذلك المسيرة وبقى اليه
 والمسلمون يركبوا بطون الدواب
 وهذا من اقلها في القروط لا تنفع فيه لانه لا يتم فيه
 ستة اشهر وفي كل شهر من كل المائتين ثوب دار الايمان
 ثوب اهل دار دخولها يتحولون الى دارم يدخلوها وبالنسبة
 على حسب انقضاء مدة ما كانوا وهم يعملونه
 فبعضهم اياما وهم يحلقون مرة المسلمين ويدخل عليه
 ما وقع في نفسه فاذنوت اجر قبل الثاني يتحول ثلثة
 اشهر استعملت بحكم المروة زوجة الدولة وزوجة
 اتداه يدير وزوجة اشدان سبعين وقدوت كل
 واحدة بحصة زوجها انه لا يكون حضور الرجال حتى
 تأتي ولكن اباه فلا يحضر فاقى يلاوت العرس
 ومعهن سيد جليل يبرس وقوسوى اخر فدهن و
 خط معين فلما توسط الدار فصاح المسوان فادار
 اليه ابنى واخرجه بالكلية والذبح ثم يصعدوه ولا
 قرب بيت العروس ففصاح المسوان رفع اليه ابنى و
 اخرهما بعقد وصار الى منما
 فطلب اليه ثم هذا الطفل الشيخ الذي تھا شواله ولة
 القروية عن قوله مما حله
 واما ما ارادوه فكل ان تصاف حصرتم
 وقد سمعنا ان هذا الامر الذي حكم به فقد
 الاموال والمصرف والاساقية وراى بيده وا
 مما ارادوا بعد ذلك المظرة ومزات فيرون هل
 اذا او تفحص كذا مضربها او مضربها
 معين موصو هذا الامر على الحكم الثابتين استلوا
 وقالوا لا بد من شلخصا من اذن الوزير فلم يوجد
 عندهم انكم قابضوا وبقى امر تفقد النسا
 فاسال عنه الغالب انه كذلك

[illegible]

الشكل رقم 18 - صورة من تقرير حمدان الى وزير الحربية الفرنسي

Naturel, sans verine d'élocution rhétorique qui embarrasse l'écrivain
habile s'il a écrit toujours en traduisant les longues orations en français
l'énergie, les tournaux, les phrases, et même les idées les plus belles, sans valeur
même, tandis qu'en français vous me comprenez mieux, qu'en l'étranger
et est par conséquent les règles de grammaire et les règles de syntaxe
comme l'orthographe,

voici donc l'analyse ou résumé de cette lettre écrite en huit
principes fondamentaux, pour éviter toute équivoque

Savoir

- 1 = ma reconnaissance à vos majestés et au Gouvernement du S. M. A.
- 2 = mon départ pour l'Inde sera par le voie de l'Europe occidentale qui
me permettra
- 3 = d'accepter le service du Gouvernement du S. M. A.
- 4 = mon service ne sera que après le règlement de l'affaire
- 5 = le Gouvernement du S. M. me considérera comme un anglais ou naturalisé
- 6 = l'indemnité de 100000 sera présente à l'Inde pendant la période
- 7 = le Gouvernement me rend garant de son départ en Australie
- 8 = l'affaire sera réglée par devant le parlement en public

Je vous prie de m'excuser à propos de votre joie, votre bonheur, vos
compagnons et votre vénérable famille, mes compliments à Sir John Mackinnon
et votre ami Mr. Robert of Broad Street

Recevez je vous prie l'assurance de mon inviolable attachement
et de ma dévouement
Votr. ami
Haffner D'Gies

ان الله يحقر كما يقول حمدان خوجة ، الذى يتألم ويحتلم الاحتقار (I4) .
وعليه فقد قرر حمدان ان يشد رحاله الى باريس لغرضين اثنين : جلب
انتباه الحكومة الفرنسية لما يجرى من فضائح وظلم بالجزائر ، ورفع شكايته
الى العدالة الفرنسية .

ان حمدان خوجة وابراهيم بن مصطفى باشا الذى يسأله ، كانا العضوين
النشيطين اللذين اخذا على عاتقهما مسؤولية اعلام وتنبيه السلطان العثماني
لما يجرى فى الجزائر ، وطلب مساعدته لاسترداد البلاد من جهة ومن جهة اخرى
جلب عطف الوسط الفرنسى الذى عرف بمناهضته احتلال الجزائر .

قدم حمدان بن عثمان خوجة فى 3 جوان 1833 عريضة الى المرشال سولست
(Soult) وزير الحربية الفرنسى ، بسط له فى ثمانية عشر بنداً ، شكايات
الشعب الجزائرى .

بأى لغة كتبت وقدمت هاته العريضة الى وزير الحربية الفرنسى ؟

ان اكتشافنا لهاته العريضة بارشيف وزارة الحربية بفنسان (Vincennes)
بباريس ، يثبت لنا ، ان حمدان قد حررها اولاً بالعربية ثم اتبعها بترجمة
فرنسية بحيث نجد فى نفس الصفحة ، النص العربى وترجمته الفرنسية (I5) .

لقد نشر حمدان نص الترجمة الفرنسية كاملاً وبلمون اى تحريف ما ، فى
كتابه « المرأة » (I6) .

ان على رضا باشا ، ابن حمدان خوجة ، قد الف هو الاخر كتاباً بعنوان
« مرآة الجزائر » وقد ذكر فى مقدمة كتابه، ان اباه : «عندما كان مقيماً بباريس
اراد ان يطلع وزراء الحكومة الفرنسية على مساوىء الادارة المدنية بالجزائر ،

(I4) A.O.M. ؛ ملف 1H1 ؛ رسالة من حمدان خوجة الى احد اصدقائه بالجزائر مرسله بتاريخ
22 ماي 1836 .

(I5) A.M.G; H 20 ، الجزائر ، ان كل الرسائل التى وجهها الجزائريون الى وزير الحربية
الفرنسى كانت محررة بالعربية فقط ولأول مرة اعثر على وثيقة تحمل النص الاصلى بالعربية
مرفوقاً بترجمته الفرنسية ، انظر الشكل رقم 18 ، ص . 137 - 136 .

(I6) حمدان خوجة ، نفس المصدر ، ص . 328 - 351 .

(I7) لا نملك مع الاسف الا الترجمة التركية لهذا الكتاب عن اصل عربى ، قام بالترجمة على
شوقى ، استنبول ، 1876 .

النتيجة عن احتلال البلاد، فألف كتابا بالعربية ثم ترجمه الى الفرنسية وطبعه .
لقد اتخذ ابي لتحرير كتابه مصادر تاريخية بالعربية والفرنسية (18) » .

ان الرسائل الكثيرة التي حررها حمدان خوجة الى السلطان العثماني وإلى
اصدقائه خلال إقامته ببباريس ، تشهد بغزارة مراسلاته وكتاباته كما قال هو
عن نفسه : « وانا يا اخي وحدي واولادي وعيالي تحت ايدي الكفار ، لا اقصر
فيما اقدر عليه بلساني وقلمي ولوان الكفار يعلمون شطر ما فعلت من تحريرات
وتأليف كتب ومراسلات مع الاجناس ، وغير ذلك ممالا اقدر على تحريره ، كل
ذلك لاجل انقاذ البلاد ، لاكلوا لحمي واوقعوا بي؛والحمد لله سترني الله»(19) .

نستنتج من ذلك ان حمدان قد الف فعلا كتابه باللغة العربية (20) اولا ،
ولاشك انه قام بجمل العمل اثناء اقامته ببباريس وانه على اية حال قد اعد كل
عناصر كتابه التاريخية .

ان قول معاصرين (21) ان حمدان املى كتابه ، يبدو صعب الاحتمال ان لم
يكن مستحيلا .

يبقى علينا الان ان نعرف من الذي قام بالترجمة من العربية الى الفرنسية ؟
هل هو حسونة الدغيس ؟

هل يتقن هذا الاخير اللغة الفرنسية حتى يستجيب لترجمة عمل يتطلب
كثيرا من الدقة والمعرفة اللغوية ؟

هل حسونة الدغيس هو فعلا المترجم الحقيقي والوحيد للكتاب ؟

لنحلل الان نصا باللغة الفرنسية حرره حسونه الدغيس في شهر جويلية
1830 : (22)

(18) المصدر السابق ، المقدمة .

(19) B.A., H.H 37528 رسالة من حمدان خوجة الى محمود الوكيل السابق للجزائر بتونس ،
والمقيم بالزمير . راجع نص الوثيقة رقم 3 ، ص. 174 - 181 .

PLAYFAIR, Sir R. LAMBERT, A bibliography of Algeria from the
expedition of Charles V in 1541 to 1887, n° 528, London, 1898.

(21) جوليان ، شارل اندري ، نفس المصدر ، ص. 74 يذكر ان رولان دي بوسي
هو الذي كان يذهب الى تلك الفرضية .
(Roland DE BUSSY)

Veuillez je prie (sic) de présenter mes respects et témoigner (sic) mes connaissances à son Excellence le Ministre de S.M.B. Sir Georges Murry (sic), pour la communication (sic) qu'il a vous avoir (sic) fait à mon sujet et de la haute opinion forma (sic) de moi, assurez le de nouveau de mon innocence et que je suis incapable de pensé (sic) même à une affaire si noire ; dit (sic) à lui que mon intention toujours est de me rendre en Angleterre, j'ai proposé même à Warrington de nous rendre ensemble pour que l'affaire sera jugé (sic) là, il m'a refusa (sic) pour à vous (sic) éprouve (sic) de plus la vérité, voyez de la copie d'une lettre ci-jointe écrite en Consul de France (sic) à Tanger réponse (sic) à une qui m'été adresse (sic) par lui et Mr. Drammund Hay, Consul de S.M.B. à Tanger le 3 juin...

Voici mon cher Scarlett, je vous réponds en français bien ou mal toujours vous le déchiffrez et connaître mes sentiments naturels (sic) sans vrais (sic) ni élocution (sic) rhétorique (sic) qui embrasse l'interprète habile (sic) qu'il ne soit toujours en traduisant les langues orientales on perd de l'énergie, les toujours de phrases et même les sensés (sic) des discours sans vouloir même, tandis qu'en français vous ne comprenez (sic) mieux, quoique l'orthographe n'est pas parfait (sic) et les règles (sic) de grammaire n'est (sic) pas suivre (sic) considérez le, comme sténographie » (23).

لاحظ كثرة الاغلاط الكتابية والنحوية ثم تركب الجمال ، يضاف الى ذلك هذا الاسلوب الركيك الذي يوضح قطعاً ان حسونة الدغيس لم يكن هو المترجم .

هل يمكن تصور فكرة احتمال ان حسونة الدغيس قد اتقن اللغة الفرنسية في الفترة الفاصلة بين كتابته هاته الرسالة في جويلية 1830 وبين ترجمته الكتاب الذي ظهر في اكتوبر 1833 ؟

يمكن قبول ذلك ، ولكن يبدو من الشك ان حسونة الدغيس قد اجاد اللغة الفرنسية تماماً خلال هاته الفترة حتى استجاب لمتطلبات ترجمة دقيقة وامينة وموفقة كل التوفيق لغة واسلوباً .

لنحلل نصاً ثانياً كتبه حسونة الدغيس باللغة الفرنسية بتاريخ 18 سبتمبر 1832 :

(22) F.O; 76/37 : رسالة من حسونة الدغيس الى زميله سكارلوط بتاريخ 20 جويلية 1830 : راجع الوثيقة ، رقم 2 من الدراسة السادسة ص. 291 - 294 . أنظر الشكل رقم 19 ، ص. 137 - 136 .

(23) المصدر السابق .

« Naturellement on n'oubliera jamais la cause ni l'auteur de ces désastres ; cependant votre Excellence veut prendre en considération mes remarques sans préventions ni préjugés, je ne doute pas qu'il ne s'empresse de chercher à remédier un mal et de faire représenter cette grande nation comme elle doit l'être. Je me ferais un devoir de prêter mon assistance si ce plan est adopté, comme je réponds à la bonne disposition de mon beau frère Sidi Ali Bey, qui ne demande pas mieux que de lier et d'augmenter les communications des deux peuples sur des bases solides et durables » (24).

يتبين لنا من هذا النص ، ان حسونة الدغيس الذى اقام بباريس طيلة سنتين !صبح يتكلم اللغة الفرنسية بطلاقة وقد مكته ذلك من ترجمة كتاب (المرأة) ويمكن ان تكون هاته الترجمة قد روجعت من طرف بعض المتعاونين الآخرين .

يكون من المحتمل جدا أن يكون قد ترجم كتاب فتل (Vattel) (25) عن الفرنسية الى العربية كما يخبرنا بذلك حمدان بن عثمان خوجة (26) .

هل تعاون حسونة الدغيس مع حمدان خوجة على أدراك وسبر اغوار معطيات الوسط الفرنسى واتجاهاته السياسية ؟ هل السفارة العثمانية بباريس ، قد شجعتهما على اتمام هذا العمل ، حتى يكسبا عطف الفرنسيين الذين كانوا يناهضون احتلال بلاد الجزائر ؟ هل مترجمو السفارة العثمانية بباريس كانت لهم يد بشكل أو بآخر على تحقيق نشر كتاب المرأة ؟

ان قلة الوثائق حول هاته النقاط ، تجعل من العسير علينا ، فى الوقت الحاضر ، أن نقرر حكما ما .

ولنا ان نتساءل الان لماذا نشرت فقط الحروف الاولى للمترجم حسونة الدغيس ؟

للإجابة على هذا السؤال ، لابد ان نتعرض لنشاط حسونة الدغيس السياسى بباريس .

(24) F.O., 76/33 ؛ رسالة حسونة الدغيس الى الوزير البريطانى فودريك (GODERICH) VATTTEL, Emer, *Le droit des gens ou principes de la loi naturelle appliqués à la conduite et aux affaires des nations et des souverains*, 3 t, nouvelle édition, Paris, 1863.

لم نعثر على أية معلومات لترجمة هذا الكتاب أو جزء منه ، على يد حسونة الدغيس .

(26) ايفر ، *Mémoire de Hamdan Khoja*, ص. 138 ، المجلة الايفريقية ، 1913 .

نعلم ان حسونة الدغيس كان على علاقة طيبة مع وزير خارجية فرنسا آنذاك
دوك دوبروفلي (Duc De BROGLIE) .

لقد استقبل هذا الاخير حسونة في جلسة خاصة في مبنى وزارته ، للنقاش
معا حول احداث طرابلس العرب في صيف 1832 (27) وحول الاقتراح الذي
سلمه حسونة مسبقا الى وزارة الخارجية .

طلب حسونة الدغيس من الوزير الفرنسي تدخل فرنسا في طرابلس الغرب
« سوف يكون من المناسب لملك فرنسا ، كما يقول حسونة ، ان يضع مبادئه
الانسانية موضع التطبيق وان يظهر شعوره الوفى تجاه الافارقة بل ايضا عليه
ان ينتهز انفرصة ليعطى الدليل القاطع على حسن عطفه وخلقه وليمسح ايضا
التأثير السيئ الناتج عن سلوك الحكام الفرنسيين بالجزائر » (28) .

كان دافع حسونة الدغيس شخصيا عندما اظهر عطفه للفرنسيين والتمس
تدخلهم وبالتالي وجودهم بطرابلس الغرب . هذا النشاط السياسي قد منع
حسونة الدغيس ان يتحول من يوم الى اخر الى مناهض لهم ، ويبدو ان هذا
السبب هو الذي جعل حسونة يقبل نشر : ح د ، اوليات حروف اسمه ، دون
ان يكشف النقاب عن شخصه .

هل ترجمة كتاب « المرأة » قد تمت بمساعدة بعض المتعاونين الفرنسيين
الذين عرفوا بمناهضتهم لاحتلال الجزائر وان حمدان خوجة وحسونة الدغيس
استطاعا بذلك ان يستخدماه لانجاز ترجمة ادبية رائعة ؟

اذهب الى الاعتقاد الى ذلك .

ان فنصل انفترا بالجزائر سان جون (St JOHN) قد اوضح من جهته
« ان الكتاب الذي نشره اخيرا حمدان بباريس يتضمن اتهامات عنيفة ضد
المرشال كلوزال ، الشيء الذي دفعني الى الاعتقاد بانه لم يتجاسر عن القيام
بذلك الا بعد حصوله على ضمانات مسبقة من الوزارة الفرنسية » (29) .

(27) لمزيد من الاطلاع على نشاط حسونة واقتراحاته لتدخل فرنسا راجع دراستنا : حسونة
الدغيس الطرابلسي وقضية الماجور لايين ، ص. 263 - 274 .

(28) A.E. ؛ طرابلس الغرب ، رسالة من حسونة الدغيس الى وزير خارجية فرنسا بتاريخ 13
سبتمبر 1832 ، راجع الوثيقة رقم 3 ص. 295 - 302 .

(29) F.O.3/35؛ رسالة من سان جون الى الوزارة الخارجية الانجليزية بتاريخ 10 ديسمبر 1833 .

اما المؤرخ الفرنسى شارل اندرى جوليان فيذهب الى الاعتقاد بان كتاب حمدان « الصادر عن رجل يتكلم الفرنسية ولا يقرأها يتضمن تعابير وطنية وبعض الافكار لبنجيمين كونستن (Benjamin CONSTANT) وغروتيوس (GROTIUS) وطاسبت (TACITE) بحيث لا تصدر مثل تلك الاقوال عن فكر متشبع بالروح الاسلامية بل على العكس من ذلك ، هي وليدة افكار احرار ملكية جويلية (Monarchie de Juillet) الذين كانوا جميعا معجبين بانتفاضات اليونان وبولونيا وبلجيكا » (30) .

بعد ان اتم حمدان الترجمة بمساعدة حسونه وبعض الاشخاص ، وجد نفسه مضطرا لسبب سياسى او لغيره ، ان يكتم السر وان لا يكشف عن اسمائهم .
ومن هنا ندرك سبب حذر حمدان خوجة بوضعه اوليات حروف اسم حسونة الدغيس متبوعة بهاته الصفة .. الشرقى (Oriental) وذلك ليوحى ان تحقيق الكتاب تاليفا وترجمة كان من عمل مغربى صرف .

هذه هي النتائج التى استنتجناها من الوثائق الجديدة التى اكتشفنا فى دور الارشيف .
هل نامل ان تكشف لنا وثائق اخرى يوما ما ، مزيدا من الايضاحات حول هذا الموضوع ؟

اكس اون بروفنس (فرنسا)
1970/4/26

قسم الوثائق :

- مذكرة حمدان خوجة الى الوزير الفرنسى للحربية ، ورد هذا الاخير عليها .
- رسالة حمدان خوجة الى السلطان محمود الثانى .
- رسالة حمدان الى صديقه محمود بن أمين السكة .
- أسئلة اللجنة الافريقية المطروحة على حمدان خوجة ورد هذا الاخير عليها .
- رسالة حمدان الى وزير الحربية الفرنسى .
- رسالة حمدان الى الملك لوى فيليب .

مدخل الوثيقة رقم 1

قدم حمدان بن عثمان خوجة مذكرة الى وزير الحربية الفرنسى بتاريخ 3 جوان 1833 ، عدد فيها الاخطاء التى ارتكبتها حكام الجزائر وشكايات الجزائريين ضدهم . وقد طلب حمدان ردا على مذكرته . غير أن وزير الحربية الفرنسى لم يرد عليه .

ولنا أن نتساءل ، لماذا لم يستلم حمدان خوجة ردا على مذكرته ؟

ما هي التأويلات السياسية لمواقف وزارة الحربية تجاه حكام الجزائر ؟ هل كانت تؤيد سياستهم الداخلية بالبلاد ؟

ان رد وزارة الحربية على مذكرة حمدان ، يقدم لنا الاجابة عن هاته الاسئلة .

ان تحليل المشاكل السياسية بالجزائر من طرف السلط العليا الفرنسية بباريس ، يجعلنا نلمس مدى التناقض الذى كان يفصلهم عن الحكام الذين عينوهم ببلاد الجزائر ، وعدم موافقتهم للسياسة التى اتبعوها هناك ، بحيث ان حكام الجزائر يتحملون المسؤولية الكاملة لحرق الاتفاقية المعقودة فى 5 جويلية 1830 ؛ وقد جاء فى رد الوزارة الحربية : « يجب علينا أن لا نثق بعمى فى السلطة المحلية بالجزائر والتى يمكن ان تحاول تغطية الاخطاء التى ترتكبها هناك » .

اعتبرت وزارة الحربية مذكرة حمدان ، هامة . اما رد الوزارة الحربية على المذكرة ، فهام جدا ، بحيث عكس لنا بامانة وبدقة ، السياسة الفرنسية المركزية بالجزائر . وهذا هو السبب الذى جعلنا نذهب الى الاعتقاد ، بأن نشر النص الكامل سيكون مفيدا لفهم معطيات الاحداث السياسية الخطيرة والتى كانت الجزائر مسرحا لها .

ع . ت .

الوثيقة رقم 1

الحمد لله (I) .

حضرة الوزير الاعظم وفقه الله .

بعد التحية اللائقة والادعية الفائقة ، المعروض منا هو ان دخول الدولة الفرنسية للجزائر ، كان بشرط صيانة ديننا وحريمنا واملاكنا واموالنا ، واحترام مساجدنا وشريعتنا .

رد وزارة الحربية :

ليس الآن وقت دراسة ما اذا كانت المعاهدة ضرورية لاحتلال الجزائر أم لا .

لقد وقعت تلك المعاهدة ووجب ان تخلق مفعولها ؛ فضلا عن ذلك فان المعاهدة لم تنص على ان لا تطبق السياسة والعدل حسب المبادئ المعروفة .

شكاية حمدان خوجة رقم 1 :

اول ما وقع من المخالفة بعد نفي القاضى والمفتى بغير حق ، ان استولوا على اوقاف مكة والمدينة ، وهى صدقة منا ومن والدينا على الفقرا (كذا) بمقتضى الشرط بعد الموت على وفق ديننا ، لا طريق لهم الى الاستيلاء عليها وأخذ ما كان عند الوكيل من النقود .

نطلب ردها كما كانت وان يردوا كلما اخذوا من نقود وكراء ، وما سكنوا من ديارها وبساتينها ، بدون اجرة ولا تقدير ، فيسلموا كل ذلك للوكيل على وفق ديننا المشترط صيانتة واحترامه .

(I) لقد راينا من المفيد نشر نص مذكرة حمدان خوجة بالعربية على ان نتلو كل بند من بنودها بترجمة رد وزارة الحربية الفرنسية عليها من الفرنسية الى العربية .
راجع هاته الوثيقة بـ : A.M.G. ; H 20 .

رد وزارة الخربية :

ان الاجراءات التى اتخذت تجاه القاضى والمفتى ، قد كانت زمن حكم الجنرال بورمن (Bourmont) والجنرال كلوزال (Clauzel) فى الوقت الذى كانت فيه دسائس الاتراك بالولاية قد حتمت طردهم منها .

يبدو ان القاضى والمفتى ، اللذين لم يستخدموا نفوذهما لمساندة السلطة الفرنسية ، بل كانا على العكس من ذلك ، سندنا للاتراك ، يبدو ان ذلك هو السبب فى اتخاذ آجراء نفيهم (2) .

اما احباس مكة والمدينة فقد استولوا عليها كما هو الشأن بالنسبة للمساجد ولاملاك الاتراك ، بقرار من الجنرال كلوزال بتاريخ 8 سبتمبر 1830 .

الا انه عند التنفيذ ، فان هذا القرار لم يؤد الى مصادرة تلك الاملاك . اما القرار الذى اتخذته الجنرال برتزين (Berthezène) بتاريخ 10 جوان 1831 ، فانه لم يقض الا بالحجز ؛ وعليه فان الاجراء قد قضى بالحجز فقط .

ان الادارة الفرنسية بالجزائر لم تصدر رأيا بعد بشأن الملكيات . لقد عرضت هاته القضية على مجلس رئاسة الوزراء ، مصحوبة بقضية اخرى تتعلق بطلبات داي الجزائر حسين باشا .

لقد بينا فى كثير المناسبات للوزير ، ضرورة اعادة تلك الملكيات الى اصحابها .

شكاية حمدان رقم 2 :

الثانى : هدموا املاكنا واملاك الاوقاف ، وادعوا ان الهدم لتوسيع الازقة ولعمل البلاصة (3) . وكتب كلوزال وشهر ان الكويبرنو (4) يعطى كراء المهذوم وقيمته ، وعين كومسيون (5) كنت انا واحدا منهم ، وامرنا ان نقوم المهذوم بالسعر الذى كان فى مدة الترك ، ثم اعطوا كراء نحو الثمن مما قومنا فى مدته ؛ وتوالى الهدم الى يومنا هذا ، فهدم نحو ثلث البلاد من املاكنا ، والى

(2) هى المحاولات التى ترتبت عن احتلال الجزائر : تعسف واستبداد وجور وانتهاك لحقوق المواطنين .

(3) من الكلمة الفرنسية (Place) اى ميدان .

(4) من الكلمة الفرنسية (Gouverneur) اى حاكم الجزائر .

(5) من الكلمة الفرنسية (Commission) اى اللجنة .

مدة مسيويشون (5) كانوا يقيدون ما هدموا . وفي مدة مسيو جنتيل تبيوسي (6) صاروا يهدمون ولا يقيدون كالمال المباح . فنطلب كراء ما هدموا ، وقيمته سواء كان لنا او كان اوقاف مكة والمدينة ، او من اوقاف المساجد .

ثم نحن قابلين بحكم الشرع ، وذلك حيث ان املكنا كانت في مدة الترك بسعر ، وفي هاته المدة بسعر زائد ؛ فان كان حكم الشرع بأقل السعيرين ، فلا محيص لنا عنه . وان حكم الشرع بازيد السعيرين ، او بالتوسط ، فلا نرضى ان يضيع حقنا .

رد وزارة الخربية :

ان طلب حمدان هذا يبدو عادلا . يوجد بالميزانية رأس مال للتعويضات . ويتعلق الامر فقط باعطاء الاذن بتصفية ذلك ، على ان تقوم السلطات المحلية بدفع تلك التعويضات ، ويبدو ان تلك السنطة لم تقتنع بعد ، بضرورة احترام هذا الوعد ، خلافا لرغبة الحكومة .

ان تطبيق ذلك سيؤدي الى وقف عملية الهدم ، التي نفذت بكثير من العجلة والتي ما زالت جارية حتى الآن بصورة مخيفة جدا .

شكاية حمدان رقم 3 :

الثالث : هدموا جامع السيدة واخذوا سارياته وابوابه الرخام وزلايجه (7)

(5) (PICHON) هو وكيل الادارة المدنية بالجزائر (Intendant Civil) ان وظيفة الوكيل المدني قد احدثت بقرار شهر ماي 1831 قصد فصل السلطة العسكرية عن السلطة المدنية ، وتنحصر وظيفة الوكيل المدني بالاشراف على الخدمات المدنية والمالية والعلمية ، على أن يكون الوكيل تابعا لرئيس الوزراء الفرنسي مبانسة . راجع : Pellissier DE REYNAUD, Annaies Algériennes, nouvelle édition, t. 1, pp. 224-225, Paris, Alger, 1854.

(6) (M. Genty DE BUSSY) هو الوكيل المدني الذي خلف الوكيل ببشون .

(7) H 20, A.M.G. : رسالة من رئيس الشرطة بالجزائر الى الجنرال تريزل (Trézel)

عزيزي الجنرال :

« ان امام مسجد سيدي عبد الرحمان الواقع خارج المدينة عند باب الوادي ، قد اتانى مشتكيا من السرقات التي يرتكبها الجنود يوميا لهذا المسجد . وبالرغم من وجود لافتة على الباب ، فان الجنود المذكورين ينفذون الى المسجد ، وياخذون الخشب والاحجار الموضوعة بين مربعات الخبز ، التي تحيط بالنوافذ .

ان هؤلاء الجنود الذين يرتكبون هاته السرقات ، هم من قسم المدفعية والذين لهم حدائق في الضواحي ، واني لارجوكم ان تصدروا اوامركم ، لاحترام هذا المسجد الذي يتمتع باحترام كل المواطنين ... » .

وأنواحة الارز الذى يأتى من فاس وهو يقرب من لوح السرو ، كما هدموا ثلاث
او اربع مساجد حوله صغيرة لاجل البلاصة .

اما اولاً : فان البلاصة ليست مذكورة فى الشروط حتى يهدم بها
المشترط صيانتها . وثانياً : ليس فى بلاد المسلمين بافريقيا بلاصة . وثالثاً :
المضمون بالشروط ، اذا اقتضته المصلحة بزعمهم ، تعطى قيمته .

فنتطلب ثمن ما هدموا من الجوامع والمساجد ، وثنم ما اخذوه من آلاته
ونقضه . لان المساجد للمسلمين ، كل واحد منهم له فيها حق ، لا خصوصية
لسلطان ولا قاض ولا مفتى ، كالمملك المشترك ، لا يأخذ منه احد شيئاً ، ولا
عبرة باذن الحاكم بالاخذ بل اذنه مردود عليه ؛ لانه لا يختص بزمان دون
زمان ، بل لمن سيوجد الى يوم الدين ، وكل مسلم له حق المطالبة بما اخذ منها .

رد وزارة الحربية :

ان انشاء ذلك الميدان كان ضروريا ، الا ان المساحة التى اتخذت لذلك
كانت كبيرة جدا ، مما الحق الاضرار بالآخرين ، وعده خطأ لكثير من الاسباب .

لا يمكن لنا ان نقبل مبدأ أن المعاهدة قد رفعت عنا ، حق هدم مسجد لبناء
مكان عام . وعندما وعدنا باحترام الدين الاسلامى ، فاننا لم نلتزم مطلقا
عدم مس تلك الاماكن لاي سبب من الاسباب .

نستطيع ان نتصرف باى ملكية ، سواء أكانت دينية أو غيرها لفائدة النفع
العام ، شريطة أن تعوض عن قيمتها (8) .

اما اذا كانت الملكية لاحد الافراد ، فان ذلك لا يشكل اى صعوبة ، خلافا
اذا كانت الملكية لنفع عام . وهنا ايضا يجب ان نعرف اى الجماعة التى تستطيع
ان تطالب بحق مسجد قد تهدم ؟ ان هذا المسجد قد شيده واقام على رعايته
أحمد باشا (9) وجماعة الانكشاريين . واستعمل من طرف المفتى الحنفى
(التركى) وكان مختصا لعباده هاته الفرقة الدينية الاخيرة . اما اليوم فلم

(8) ان كل المصائب الى حلت بالجزائر ، كما يؤكد حمدان . قد نتجت عن خرق روح الاتفاقية
المقودة ، ورد وزارة الحربية هنا يؤكد ذلك .

(9) حكم أحمد باشا بالجزائر من 1 سبتمبر 1805 الى 7 ديسمبر 1808 .

يعد هناك دأيا ولا انكشاريين ولا اترك بالجزائر ، بحيث يمكن لهم ان يشكلوا مجموعة خاصة بهم . كما ولا يوجد جمعية انكشاريين ، بحيث تستطيع ان تطالب بقيمة هذا المسجد المهدوم .

واخيرا كيف يمكن تميم هذا المسجد ؟ ما هي قيمة أى مسجد ما اذا اخذ بالاعتبار ان المسجد فى نظر المسلمين لا يستعمل لغير أداء الصلاة ؟ وعليه فليس للمسجد قيمة مالية الا فى حالة واحدة ، عندما يلمس الاحتياج لاقامة الصلاة . ففي ذلك الوقف ، يعمد الجزائريون على بناء مسجد آخر ؛ غير ان كثرة المساجد اليوم ، لا يؤدى حتما الى ذلك .

ان الاشياء الزخرفية المتأنية عن الهدم قد سلمت الى الدومان (Domaine) (IO) غير ان الوزير قد امر منذ اشهر عديدة الوكيل المدنى تسليم تلك الاشياء الى المساجد الاخرى لتنتفع بها .

شكاية حمدان رقم 4 :

والرابع : اخذوا جوامعنا ومساجدنا ، ولم يبق بيد المسلمين الا اربع جوامع وعدة مساجد صغار ، ونحو ثلاث ارباعها اخذوه وسكنوها واكثروها للتجارة .

فنطلب رد جميعها بحكم الشرط ، ونطلب ترميم ما افسدوه ، وثمان ما اخذوه من سواثرها والواحها ، لانه لا يجوز للمسلم ان ينتفع بالمساجد بغير الصلاة واوقات التدريس ، وان خربت وان تعطلت ، هذا ديننا .

رد وزارة الحربية :

تعد هاته النقطة من المسائل التى تؤثر تأثيرا عميقا على الجزائريين ، وكانت موضع جدال بين الوزير والسلطة المحلية .

شكاية حمدان رقم 5 :

والخامس : اخذوا جامع كجوة وصيروه كنيسة وهو اجد جوامعنا ، ومشيد بما لا مزيد عليه ، فنطلب رده لما ذكرنا ، ولان الدولة الفرنسية لا تعجز عن بناء امثاله ، حتى تنفر القلوب ، وتغير امر الدين وتخالف الشروط .

(IO) أى الادارة المدنية المكلفة بذلك .

رد وزارة الحربية :

ان يقين ادارة الجزائر لم يطرأ عليه أى تغيير ، وعلى الرغم من مرافعاتها الجديدة ، فان الادارة المذكورة ما زالت تستحوذ على مساجد اخرى ، نظرا لقلّة الاماكن حاليا ، لايواء مختلف خدمات الجيش .

سيكون من المفيد صرف زيادة ثلاث او اربع آلاف فرنك لمصاريف البناء والحفظ وكراء المغازات ، على الاستمرار فى الاستيلاء على المساجد . ان ذلك لذو فائدة اقتصادية .

هناك وسيلتان لاختضاع الولاية ، اما استعمال اللين المعزز بقوة السلاح ، او استخدام السلاح فقط . مع العلم ان هاته الوسيلة الاخيرة تكلف ثمننا باهضا من الاولى .

ان احتلال المساجد لا يدع لنا مجالا للاختيار !

شكاية حمدان رقم 6 :

والسادس : اخذوا زاويات ، وهى بيوت مبنية وفقا على فقراء المسلمين ، يسكنونها بدون كراء على شرط الحبس ، كما سبق ؛ ولكل فقير فيها حق ، كما لكل غنى اذا افتقر ؛ هذا ديننا ولا وجه لاختها .

فنطلب ردها ورد ما اخذوه فى كرائها ، فنعطيه للفقراء الذين اخرجوهم منها بدون مهلة ، كل واحد بفراشه على ظهره .

رد وزارة الحربية :

نفس الملاحظة السابقة ، يجب ان نضيف : ان اعادة هاته المؤسسات الى اصحابها الاول ، سيكون وسيلة للحد من البؤس الذى سجل تقدما بانتشاره بين المواطنين ، ولهذا وجب على الادارة ، ايجاد حل للتخفيف عن المواطنين .

شكاية حمدان رقم 7 :

والسابع : بيوت الخلا (كذا) مياه جارية وقف على المسلمين ، وعلى من اراد قضاء حاجته ، ويتوضئون منها ، اخذوها واكثروها ، وهى من جملة اوقافنا حتى لا ينجس الناس الازقة . لا وجه لاختها ولكل واحد فيها حق .

وسامحنى فى سوء الادب بذكرها لانهم لم يستحيوا باخذها وكراثها
للتجار ، فكيف نستحي بطلبها ؟

فنطلب ردها ، ورد ما اخذوه من كراثها ، فنفرقه على الفقرا (كذا) فى
مقابلة انها وقف لاجل الثواب .

رد وزارة الحربية :

لا تملك ادارة الجزائر اى معلومات حول هذا الحادث ؛ ويمكن ان يكون قد
اتخذ هذا الاجراء لنفع جبائى ، او لفائدة صحية عمومية . وعليه وجب طلب
شرح ذلك من السلطة المحلية بالجزائر .

شكاية حمدان رقم 8 :

والثامن : مقتضى ديننا وسياستنا ، احترام الاوليا (كذا) واحترام
تربتهم ، حتى ان من هرب الى تربة ولى ، ولو كان عليه قصاص شرعى ، لا
نخرجه من التربة ، بل نترصد خروجه بنفسه ، احتراماً لذلك الولي وتعظيماً
لن اطاع الله ، فهى بمنزلة الجوامع فى الاحترام ، واشترك الناس فى زيارتها
والاحتماء بها . ولكم ما يقرب من ذلك فى الكنائس (كذا) فاخذوا منها مواضع
عديدة ، داخل البلاد وخارجها ؛ فمنها ما هو مسكن لهم ومنها ما هو مستأجر
للتجار ، وكتبوا لنا من الجزائر انهم اخذوا بعد سفري ، تربة سيدى الجودى
واكثروه بمائة فرنك (كذا) . كيف يلوثون اسم دولتهم بمائة فرنك
وليست من املاك البايك ؛ فإى طريق لهم لآخذها ؟

فنطلب ردها كما كانت ؛ وترميم ما أفسدوه ، واعطاء ما اخذوه فى كراثها ،
نتصدق به على ذلك الولي لمن له اهلية لقبول الصدقة .

رد وزارة الحربية :

ان ما لاحظناه سابقا حول المساجد ، يطبق هو الآخذ على مدافن الاولياء .
وعليه يجب اعادتها خصوصا اذا علمنا ان هاته المدافن لا تشكل اماكن ذات
اهمية ، وان احتلالها بالتالى لا يستند الى اى عذر .

ان الفائدة التى يمكن ان نستنتجها ، من كراثها ، قليلة الاهمية ولا تعلل
فى اى حال من الاحوال ، انتهاك اماكن المسلمين المقدسة .

شكاية حمدان رقم 9 :

والتاسع : اخذوا بساطات جوامعنا ، افترشوها فى ديارهم . وآخر من اخذ مسيو برندات دخل جامعنا بدون رضائنا واختار البساطات بنفسه ، واخذها . واختار قتاديل وثريات رفعها ، ووجد منبر رخام كنا آتينا به من جامع السيدة المهديم فرفعه . وافترشوا البساطات بدياهم ، واوقدوا الثريات فى جمعياتهم .

فنطلب رد المنبر والقتاديل والثريات ، او قيمتها ان عذمت وقيمة البساطات ، لانهم وطئوها بنعالهم فلا تجوز الصلاة عليها . وهى كالجوامع وقف لا ينتفع بها فى ديننا فى غير الجوامع ، ولكل مسلم فيها حق ، ولا ينفذ عطاء من اعطاها ولو كان اميرا او قاضيا .

رد وزارة الحربية :

هذا الطلب يوافق النتائج التى سجلت فى تقرير ، ورفع اخيرا الى الوزير بمناسبة طلبات حسين باشا داي الجزائر السابق (II) .

شكاية حمدان رقم 10 :

والعاشر : اخنوا املاك الترك المتزوجين مع بناتنا ، بعد ان نفوهم بغير حق ، بل بمجرد الدعوى . وسافر بعضهم بلا نفى ، نحن لا نرضى ان يضيع حق بناتنا واولادهم ، لان مثاله اليهم . وما زوجناهم لبناتنا ، الا لاجل عقارهم ومالهم . ولم يكن فى شروط الصلح الا تسليم القصبه والابراج وما يتبعها املاك البايك . اما سائر الاملاك فانها مضمونة .

فنطلب ردها الينا بجمع كرائها لمصرف بناتنا الباقين عندنا بلا ازواج ، ونرسل لمن سافروا مع ازواجهم ، ونطلب كرائها وكراء ما سكنوه منها بتقويم المقومين .

رد وزارة الحربية :

اذا كان هذا الحادث صحيحا ، فيجب ان يعاب بشدة ، ان ظروف الحادث التى نقلها حمدان فى تقريره ، هى ولا شك ، مرتبطة بامتلاك الدومان للاشياء المتأتية عن هدم مسجد السيدة وبعض المساجد الاخرى .

(II) المعلوم ان داي الجزائر رفع تقريراً الى الحكومة الفرنسية بواسطة وكيله حسونه الدغيسى الطرابلسى طالب فيه ، ان تمده فرنسا بمبلغ مالى لتسديد حاجياته ، على اساس ان قسما من ثرواته الشخصية لم يحملها معه حينما اضطر الى مغادرة البلاد اثر الاحتلال الفرنسى للجزائر .

هاته الاشياء التي لا يمكن ان تطالب بملكيته اى جمعية الآن ، قد استحوذ عليها الدومان ، ويكون من اللائق اعادتها الى شعائر الدين الاسلامى ؛ وقد أمر الوزير بذلك منذ مدة .

شكاية حمدان رقم 11 :

والحادى عشر : لنا ولغيرنا املاك واوقاف مسكونة للعساكر وللجنرالات ونحوهم ، حتى للاطبا (كذا) وامثالهم ، لم يعطوا كرائها ولا قوموها ، وبساتين كذلك ، قطعوا اشجارها وقلعوا سقفوها وابوابها ، فاحرقوها حطباً .

فنطلب كرائها وثمر ما افسدوه منها بتقويم المقيمين .

رد وزارة الحربية :

ان مسألة التعويضات الناتجة عن احتلال عسكري ، هى من المسائل التى لم تجد حلاً بعد ؛ لقد طلب الوزير من السلطة المحلية بالجزائر بيانات عن ذلك . واذا اثير من حيث المبدأ ، احترام المعاهدة كما نذهب الى التفسير فى ذلك ، فانه يكون من المستحيل عدم ترضية طلب حمدان هذا (I2) .

شكاية حمدان رقم 12 :

والثانى عشر : انهم عملوا طرقاً لطلوع الكرايط للمواضع العالية ، اخذوا بها يمينا ويسارا ، فدخلوا باكثرها بساتيننا ، وجعلوها طريقاً عريضة ؛ وافسدوا ما حولها من اشجار وبناء . نحن لا نستخدم الكرايط (I2 مكرر) .

فنطلب ثمن التراب الذى اخذوه ، والشجر والبناء الذى افسدوه ، كما هو مقرر فى كل الاوروبا . ولكون نساننا يحتجين ، نكره البستان المكشوف ، فنطلب الفرق بين الذى تشقه الطريق والذى لا تشقه .

رد وزارة الحربية :

نفس رد الاعتراض السابق ، اذ النتيجة متأتية عن نفس المبدأ .

شكاية حمدان رقم 13 :

والثالث عشر : من يوم دخول الفرنسيين للجزائر الى يومنا هذا ، لم يزالوا يحفرون مقابر ابائنا واجدادنا ، يستخرجون الاجر والاحجار ، فيبنون

(I2) تعترف وزارة الحربية هنا وهى اعلى سلطة ، بشرعية منال حمدان خوجة .

(I2 مكرر) أنظر الشكل رقم 20 ، ص. 160 - 161 .

بها ؛ وعظام موتانا يبيعونها ، فترسل الى مرسيلية بالمراكب ومسيو بيشون عمل تأويلا لعدم بيعها ، وبغزله بطل . وعينوا لنا لدفن موتانا موضعا . مع كونه لا يكفيننا ، شرعوا في حفر مقابرنا فيه .

اما ارضها فاکثرها مملوك ، وباقيه وقف على الفقرا (كذا) وعلى من ليس له جبانة المحبس لاکثرها اسمه بوئندورة . لكل واحد من المسلمين فيها حق ؛ وقد اتلفوها بان جعلوا بعضها بلاصة ، وبعضها طريقا ، وبعضها بساتين باعوها او اکتروها .

فنتطلب رد ما امکن رده منها ، واعطاء ثمن ما لم يمكن رده بتقويم المقومين . واما عظام ابائنا التي باعوها ، فنتطلب ان يحكم الشرع العيسوى او الموسوى او المحمدى فيها ، بما يسترضى ابن الحلال عن عظام ابائه وامهاته . كنا نرى رؤس (كذا) انسا (كذا) بشعورهن والرجال بلحاهم . فانظر مروءة الدولة الفرنسوية فى جبر ما لا يمكن جبره .

رد وزارة الحربية :

ان مدافن المسلمين كانت على جانبى مداخل أبواب المدينة ، وكان يجب عبورها لشق طرق ضرورية ، من جهة ، ومن جهة اخرى ، لايجاد محل عام لعمليات التدريب العسكرى . وعليه كان اتخاذ ذلك الاجراء ، ضروريا ؛ غير أنه نفذ بقليل من الرعاية وبالبلانغة فى الهدم بحيث ان سرعة تلك الاعمال ، لم تسمح بوضع حد لها فى الحال (13) .

اما مسألة فتح القبور ، فقد اصبح من العسير عدم انتهاكها من طرف اشراز المسيحيين واليهود ، حيث كانوا يترددون لاختار الاحجار الثمينة او العظام ليرسلوها لصنع فحم العظام بمصانع مرسيليا (14) .

(13) بليسي ، نفس المصدر ، ج. I ، ص. 227 ، يذكر : « ان اشغال احداث طريق حتى قلعة الامبراطور (Fort d'Empereur) مع اشغال الساحة التي وقعت خارج طريق باب الوادى ، قد ادت الى هدم مقبرتى المسلمين . لقد كان من المستحيل تجنب ذلك ، وكان من الواجب ، احتراما للاموات ، ان لا تعطل حرية تنقل الاحياء . ولكن كان من الواجب ايضا ، التصرف بلطف وليس بفظافة كما حدث ، حتى لا يقترب الشعب المحاصر فضائح انتهاك حرمة القبور . لقد كان من الواجب ان يتم نقل رفات القبور بنظام واحترام الى مكان لائق ، بدل ان تشتت شذرا مذر » .

(14) ان كل المؤرخين الذين درسوا حوادث هاته الفترة التاريخية ، قد رفضوا بشدة شكاية حمدان خوجة ، غير ان رد وزارة الحربية هنا ، يؤكد ما ذهب اليه حمدان ، من ان نقل رفات الاموات قد تم فصلا ! !

راجع ايضا : F.O. ، 3/35 ، رسالة من سان جون ، قنصل انقلترا بالجزائر موجهة الى جولى دى بسى (July DE BUSSY) بتاريخ 23 جويلية 1833 ، وما جاء فيها : « بعد أخذ بعض المقابر الجديدة ، يلاحظ أن مقابر الاموات قد انتهكت وبقاياهم الآن قد نقلت الى فرنسا كبضاعة للتجارة . وليس من المعقول ان الاشخاص الذين دفنوا اباؤهم أو أجدادهم أو اقربائهم ، سيقبلون فكرة التخلي عنهم » .

لو سلط عقاب شديد على هؤلاء الاثمين الاول ، لوضع حد لذلك ، او على الاقل يخفف من شره . ولكنه من المحال ان نعزو التفتيش عن عظام المقابر والقيام بتجارتها ، الى السلطة المحلية بالجزائر . وعندما علمنا بهذا الحادث ، فاننا امرنا بمراقبة دقيقة لمنع ذلك ؛ وسوف يعاقب بشدة كل الاشخاص الذين سيقترفون مثل ذلك العمل .

ان مسألة اعادة الاراضي التي كانت سابقا مدافن المسلمين ، لها عواقب وخيمة جدا . توجد هاته الاراضي ، ليس فقط، في منطقة التدريبات العسكرية، بل عند حدود المكان العام ؛ وعليه ليس من الممكن السماح باعادة بناء هاته الاماكن ، التي تعد احيانا هامة ، والتي استعملها المسلمون لبناء قبورهم .

سيكون من اللائق تنفيذ المشروع الذي يقترح انشاء ثلاث مقابر على بعد من المدينة ؛ احداها للمسيحيين ، والثانية للمواطنين ، والثالثة لليهود . لقد اعطيت الاوامر منذ مدة لتنفيذ ذلك ؛ ان مخطط البناء وتقويم تكاليفه ، هو الآن بصدد الانجاز .

شكاية حمدان رقم 14 :

الرابع عشر : انهم التزموا ان يدخلوا ديار المسلمين ويروا نساءنا وحريتنا ، ويقيدوا اسماءهن واعمارهن واولادهن وصحتهن ومرضهن . فعينوا مسلما مع اليهود والفرنسيين ؛ فشرعوا يدخلون دارا دارا ، ونساؤنا يحتجبن بقدر الامكان ، فربما يستعملون المروة في ديار نحو القاضي والمنسبال (I5) فتصدى بعض خدام كران بريفو (I5 مكرر) الادب فغضب المسلم الذي معهم ، فلم يحضر بعد ذلك المسلمون ؛ وبقي اليهود والفرنسيون يدخلون الديار .

وهذا مع مخالفته للشروط ، لا منفعة فيه ، لانه لا يتم في مدة ستة اشهر . وفي كل شهر يرتحل الناس من دار الى دار ، قرب اهل دار دخولها ، يرتحلون الى دار لم يدخلوها بآعكس على حسب انقضاء مدة ما اكتروا ، وهم يعلمونه . فتعين ان مرادهم هتك حرمة المسلمين ، ويدل عليه ما وقع لي بنفسى لما زوجت ابني قبل التاريخ بنحو ثلاثة اشهر .

استدعيت بحكم المروة زوجة البوك وزوجة اتندان ميلتير

(I5) هي الكلمة الفرنسية (Municipal) وهو القائم شؤون البلدية ، انظر الشكل رقم 18 لاعتراض حمدان رقم 18 ، ص. 136 - 137 .
(I5 مكرر) يمكن أن تكون من الكلمة الفرنسية (Grand prévôt) وهو اسم بعض موظفي الادارة الفرنسية بالجزائر .

(Intendant Militaire) (16) وزوجة اتندان سفيل (Intendant Civil) (17) وذكرت لكل واحدة بحضرة زوجها ، انه لا يمكن حضور الرجال ، حتى اننى ولو كنت اياه ، فلا احضر . فأتين ليلا وقت العرس ومعهن مسيو جنتيى دى بوسى (Genty DE BUSSY) وفرنسوى اخر ؛ فدخلن ودخلا معهن . فلما توسط (كذا) الدار تصايح النسوان ؛ فبادر اليه ابني وأخرجه بالتلطف والدفع . ثم رجعا ووصلا الى قرب بيت العروس ، فتصايح النسوان فرجع اليه ابني وأخرجهما بعنف ، وصار الفرح حزنا .

فنتطلب ان تمنع هذا الفعل الشنيع الذى تتحاشى الدولة الفرنسية عن قبوله مهما علمته . واما جزاء من فعله فموكول الى انصاف حضرتكم . وقد سمعنا بان مبدا هذا الامر ، انه وقع حكم بتفقد الاموال والمصوغ والنساء (كذا) وغيره وبان يقيدوا ، ثم مهما ارادوا يعيدون النظر مرة ومرات ، فيرون هل زاد او نقص كيلا نصرفها او نضييعها .

وحين عرضوا هذا الامر على الحكام الثانويين ، امتنعوا وقالوا لا بد فى مثل هذا ، من اذن الوزير . فلم يوجد عندهم اذنكم ، فابطلوا . وبقي امر تفقد النساء (كذا) فاسأل عنه ، الغالب انه كذلك .

رد وزارة الحربية :

لقد تمت هاته الزيارات حسب القرار الصادر بتاريخ 8 اكتوبر 1832 ، والذى وافق عليه الوزير .

ان الهدف من القرار ، هو القيام باحصاء السكان والمنازل ، حيث كان عدد كبير منها ، فى حالة خراب وقذارة خطيرة على الصحة العمومية ، خصوصا لمرض الكوليرا ، والتي كان يعتقد ان المدينة كانت مهددة بها . واخيرا فان هذا الاحصاء سيسمح بتقييم تقريبي ، للملكيات العقارية ويساعد على تحديد قواعد الضريبة العقارية . ومع ذلك فان الوزير عندما وافق على هذا القرار ، قد طلب لتنفيذ ذلك ، مزيدا من الرعاية ، خصوصا لكل ما يمس عادات المواطنين . واذا تجوهلت هاته التعليمات فانه يجب تذكيرها بشدة .

لقد ذكر حمدان بعض الحوادث استوجب ذمها بشدة . سيطلب هنا ايضا مزيدا من الشرح من السلطة المحلية بالجزائر ؛ ودون ان تكذب هاته الحوادث

(16) الوكيل العسكرية .

(17) الوكيل المدني .

بادىء الامر ، حيث اننا لا نمك حجة على نقضها ، فانه يجب ملاحظة ان طبيعة وسوابق حمدان ، تجعلنا نفترض المبالغة فى عرض شكاياته . لقد نشرت احدى الجرائد احتجاجات ماثلة ، وقد طلبنا شرح ذلك من السلطة المحلية ، وتحصلنا عليها .

ان اهم اعضاء لجنة التحقيق وهم وكيل الملك ومدير الدومان وقائد الحرس ، قد رفضوا بشدة وبنفى قطعى ، اتهامهم هناك حرمة المواطنين . لقد اكده هؤلاء انهم جوبهوا فى البداية ، نتيجة عدم ثقة الجزائريين (وهو شئ طبيعى) ، ان هاته المقاومة هى من يوم لآخر ، اخذة فى الاضمحلال ، ليحل محلها ، علامات الاحترام واللطف .

ان تقرير الضابط السامى والذى وجهه الوزير بدوره الى السلط المحلية بالجزائر ، يحدد حسب التعليمات المنصوص عليها ، السلوك الواجب اتخاذه . يجب ان لا نثق بعمى فى السلطة المحلية التى تسعى الى اخفاء غلطاتها التى ارتكبتها ، ولا الجزائريين الذين كانت ارتباطاتهم ومنافعهم الطبقية والقبلية والشخصية ، قد جابهت الاحتلال الفرنسى .

شكاية حمدان رقم 15 :

والخامس عشر : انهم نهبوا ان يعطوا اغنياء الناس قدرا من الدراهم ، ليشترى بها الخنطة ويبيعونها فى زمان الشتا (كذا) ؛ فامتنع الناس وشكروا ، وكثر القيل والقال ، فجبرونا وهددونا بالحبس ، فاعطينا جبرا ، فان كان لاجل الثواب ، فلا يكون على ايدي الحكام ، كيف الظلم يقطع الطريق ونحن ندفع المال (كذا) .

فنطلب رد اموالنا ونرجو العدل حتى تتأمن الطرق ، وتأتى الحبوب من حيث كانت تأتى فى مدة الترك منذ ثلاثماية (كذا) عام ؛ فكنا نشترىها رخيصة (كذا) ، وترسل الى بلاد الاوروبا . والترك على ضعفهم بالنسبة للدولة الفرنسية ، يشترون الحبوب وقت الحاجة من خزائهم ، ويبيعونها للفقراء برأس مالها ، ويؤمنون الطرق ثم بالسيف بعد السياسة والعدل .

رد وزارة الحربية :

ان الوزير على علم بقضية الذخيرة ، لقد تمت هاته القضية بحسن النية فى الوقت الذى كان فيه عداء العرب ، يبرر مخاوف الادارة المحلية ، عندما طلبت هاته الاخيرة من المواطنين العمل على ايجاد ذخيرة من الحبوب ، تكون ملكا للمواطنين ، على ان يقوم هؤلاء بكل نفقاتها .

ان الوضعية بعد ذلك بينت ان هذا الاجراء ، لم يكن ضروريا كما بدا اول وهلة . وعليه تحصلت الادارة المحلية ، من المواطنين الذين كانوا يتعاملون مع بلدية المسلمين واليهود ، تخفيض التموين الى النصف .

لم يؤيد الوزير ذلك الاجراء منذ البداية ، حيث كان يرى فيه حملا فرض على الاهالي على الرغم من ان ذلك يخدم مصلحتهم . ولكن والحق يقال ، ليس لضرورة مقنعة . لقد امر الوزير السلطة المحلية ان تعمل ما بوسعها ، لتخفيف ذلك ، دون ان تعرض سمعة السلطة الى الخطر في نظر المواطنين .

ادى موقف الوزير هذا الى تخفيض الذخيرة الى النصف ، كذلك رضى المون ان يتحصل عوضا عن رأس المال الذى وضعه ، فوائد التسبقة التى سعى للحصول عليها .

اما اعادة المبالغ التى دفعها المواطنون سابقا ، سيكون سببا فى فقدانهم الثقة تجاه السلطة المحلية ؛ هذا بالاضافة الى ان مثل هذا الاجراء لا دافع ولا سبب ضرورى لاتخاذ ، خصوصا اذا علمنا ان تلك المبالغ المالية هى بعد ، ملك المواطنين وسترد اليهم لا محالة ، عند زوال الذخيرة التى ما زال تنتفع بها حتى اليوم . وعلاوة على ذلك ، يوجد سوق للتعامل بين البلدية والمون ولا حق للادارة فى الغائه .

شكاية حمدان رقم 16 :

والسادس عشر : الزمونا ان ندفع عشرة صولدى من كل دار ، كل شهر ؛ واخذوا تقديم ثلاثة اشهر ، ثلاثين صولدى وذكروا ان رجلا من ودان ، اسمه طوير الجنة خارج عن حكومة سلطان مراكش ، كان حج واجتاز بالجزائر فى رجعتة . فأقاموه فوق مقامه ؛ ولم يشاوروا اهل البلاد . فادعوا انهم صرفوا عليه ألف ومائتى فرنك (1.200) وبمقابلة ذلك ، جعلوا هاته الغرامة .

اما كونه لا يلزمنا ، فظاهر . ولو كان يلزمنا ، فكوننا نبقى غرامين على طوير الجنة على (كذا) الابد . لا نقبله . وكوننا كل شهر نعطي أضعافه ، لا يجوز .

فنطلب رد ما أخذوه وإبطال هذا الظلم ، ورد ثلاثين صولدى لكل دار لا يغنيهم ؛ الا ان فيه اظهار عدل الدولة الفرنسية ، واعلام بانها لم تسمع ذلك ، ومهما سمعت ، ترفع الظلم .

رد وزارة الحرية :

اعتقدت الادارة المحلية انها تستطيع ان تطلب من المواطنين المساهمة في المصاريف الطارئة التي سببها اقامة احد الزائرين المسلمين، حيث كانت تعامله باكرام . ومن هنا جاءت المساهمة التي حددت بـ 1.000 فرنك لمواطني الجزائر العاصمة . اما بقية المصاريف ، فقد وصلت الى 3.815 فرنك حيث اخذتها الادارة على عاتقها . على انه ليس من همة الحكومة الفرنسية ان تجبر الاهالى على تحمل المصاريف ، التي سببها رعايتها لاحد الاجانب .

يرى الوزير ان هذا الاجراء يخلو من أدب اللياقة مع العلم ان المواطنين لا يدفعون أى ضريبة ؛ ذكر الوزير بذلك الى الوكيل العمومي بالجزائر دون ان يأمره باعادة المبالغ التي استلمت من المواطنين . الا ان اعادتها سيكون ذا اثر طيب ، شريطة ان يتم ذلك دون أن تخطأ الادارة المحلية فى نظر الاهالى ، باى حال من الاحوال .

واخيرا عندما علم الوزير ، ان المبالغ التي استلمت من بلدية المواطنين ، قد تجاوزت بكثير ، المبلغ المحدد لها دفعه ، اثار الوزير انتباه الوكيل العمومي ، لسوء الاستعمال والذي يبدو انه محاولة من صغار بعض الموظفين ، دون ان يكون لكبار المسؤولين ، يد فيها .

شكاية حمدان رقم 17 :

السابع عشر : الم رابطون فى جميع نواحي الجزائر احياء واموات ، محترمون كما سبق ؛ وشأنهم اطعام الطعام واطفاء الفتنة وتأمين الطرق . وكان بالقليلة اهل زاوية مرابطين . ولما قصد البغاة الجزائر فى مدة الدوك (I8) خرج من القليعة كل من اراد البغى والشقاق ؛ وبقي الم رابطون وضعفاء الناس . فلما قرب اليهم العسكر الفرنسوى خرجوا مترجلين بدون سلاح ، مذعنين بالطاعة ، متبرئين عمن خرج من ناسهم واتوا بين يدي الجنرال ، فكان الواجب اكرامهم ، لانهم لا قوة لهم حتى يمنعوا من خروج ، ولا وكالة لهم على احد منهم . فحبسوا الم رابطين والقاضى ؛ والزموهم غرامة ميلون فرنك ، فباعوا املاكهم ومواشيهم وجوبوهم حتى البذر ، فبلغ ذلك عشرة آلاف فرنك دفعوها ، وتخلد حبسهم اليوم نحو ثمانية اشهر ، هم محبوسين (كذا) ، وتحملهم مليون ، بمنزلة تحميل حمار جبلا كبيرا ، فى كل دين لا تزر

(I8) أثناء ولاية الحاكم دوك دو روفيفو .

على انقضاء وعلى من ليس له جبانة المحبس لا تكسر لها
اسمه بوقدوره وكل واحد من المسلمين فيها
من وقد اتفقوا بان جعلوا بعضها بلاصة
وبعضها حطباً وبعضها بساكنين بأعوصها أو كثرها
فقطب وبقا السور رده منها وأعطاه من ما
لم يكن رده بتقوم المقومين
واما عطاء آتائنا التي بأعوصها فخطب ان يحكم الشرع
العيسى أو الرسول أو المحدثي فيها
عامة يستصحب من اللذان عن عطاء آتائنا وانما تارة
كما ترى وفي من النساء بشعورهن والرجال لجمالهم
فانظر مروة الدولة الرشوية في جبر ما لا يمكن جبره

والحاد عشر لنا ولغيرنا المولود وادفان مسكونة
للساكن وللجذالات ونحرم على الاطبا واسنانهم
لم يعطوا كراهها ولا فرموها وبساكنهم كذا لث فطعوا
اشجارها ولعلوا اسقوها واذا بها خارجوها حطباً
فقطب كراهها ونحرم ما افسدوه منها بتقوم المقومين

الثاني عشر انهم جعلوا طرقا لطريق الكراديط للراضع العالي
احدا بها يميناً وساراً فدخلوا كثرها بساكنين
وجعلوها طريقاً عريضة واحداً رماحولها من اشجار ورا
نح لا يستقيم الكراديط
فقطب من المزابل الذي اهدوه والشجر والبنا الذي اهدوه
كما هو مطرد في كل الدروب ويكون نسائاً بمحققين
نكرة البستان الكثر فخطب الفرق بين الذي شق
الطريق والذي لا يشق

الثالث عشر من يوم دخول الرشويين لخراسان يومنا
هذا لم يزلوا يحرقون مقارنا لنا واحداً ما يستخرجون
الآثر ولا تخارصون بها وعطاء من لا يجوزها
فترسل الى مسيليه بالركب وتسير ويشتدون على
ناويل لعدم جبرها وبمزه بطل وعينو المثلدين
موتنا ما موضعها بكونه لا ينفينا شرعنا في حد
مقارنا فيه
اما ارضها فانكزها ملوكة وابقه وقت على انقضاء

الرابع عشر انهم انزلوا ان دخلوا بلاد المسلمين

وازره وذر اخرى ، فمن ذلك اليوم تعطل مجيئ الحبوب من واجر ، التي كان يأتي منها معاش الجزائر ومتيجة ، لان هذا المرباط له حرث في واجر ؛ فالطرق الغربية في مدة الكومسيون ، هو الذي كان يؤمنها ؛ وعن هذا غلت اسعار بلادنا منذ حبسوا ، وصارت معاشنا (كذا) تأتي من الاروبا (كذا) فصارت اسعارنا اغلى من اسعار الاروبا ، وعنه لزمهم ان اخذوا منا ما ذكر في الظلم الخامس عشر .

فنطلب اطلاقهم ، ثم العدل والمرورة تستدعي رد ما اخذ منهم ، واسترضائهم لاجل صلاح حالتنا وانتم مكلفون به .

رد وزارة الحربية :

ان مدينة القليعة وبليدة قد ايدت العرب في الانتفاضة الاخيرة التي اندلعت هناك . وعليه فرض الجنرال الحاكم العام بالجزائر ضريبة تأديبية بمليون فرنك على كل منهما ؛ واتخذ اولياء مدينة القليعة كرهائن لدفع هذا المبلغ عن مدينتها ؛ وعندما اعلم الحاكم العام الدوك دوروفيغو الوزير بهذا الاجراء ، لم يخف عنه ، ان اهالي المدينتين لا يستطيعان مطلقا دفع تلك المبالغ كاملة ، ولكنه يكون من المفيد تخفيض ذلك المبلغ الى النصف ، مقابل طاعة الاهالي .

ان اسقاط المبلغ كله ، واطلاق سراح الاولياء من طرف حاكم الجزائر الجديد (19) والذي سيلتحق قريبا بمنصبه ، سيكون ذا اثر طيب لمباشرة الادارة .

ان الاولياء المرابطين يعدون من هؤلاء الشعوب المتعصبة ، وهم ذو تأثير كبير على الاهالي ؛ الا ان استخفافنا الطبيعي لكل المعتقدات الدينية ، جعلنا نهمل اهميتهم كثيرا ؛ وكل ما قاله حمدان حول التأثير الذي يتمتعون به ، لدى القبائل ، يستحق اهتماما جديا وبالغا .

شكاية حمدان رقم 18 :

الثامن عشر : كتبوا خطوطا شهروها بان حضرة الوزير الكبيرة (Ministre de la Guerre) (20) امر ان يعطى الناس عقود املاكهم للدومان (Domaine) حومة بعد حومة . فأول حومة طلبوها من باب الواد الى دار

(19) تولي الجنرال فوارول (VOIROL) قيادة ادارة البلاد بتاريخ 16 مارس 1833 ، خلفا لدوك دو روفيغو ، الذي التحق بباريس للمعالجة ، غير ان الموت لم يمهله ، فتوفي بعد بضع ايام من وصوله باريس .
(20) وزير الحربية .

الامارة ؛ فأتى الناس بعقودهم ، فبعد ايام ، رد عقود خمسة ديار وبقي الباقي عنده ازيد من شهرين ؛ فارتاع اهل البلاد وظنوا ان الدولة الفرنسية تريد اخذ املاكهم ، حتى ان البعض التزم ان يبيع ملكه بابخس ثمن ، وانضم الى ذلك ان السماسرة من انيهود يخوفونهم .

نعلم جنابكم انكم ان اردتم اجراء قواعد الفرنسية فى عقودنا ، فلا تجد عقدا يبقى لصاحبه ؛ وان التزمت بحكم الشروط صيانة ديننا واملاكنا ، فعقودنا وحكم قاضينا وقوانين ديننا ، تكيفنا فى تصحيحها . منطوق القرآن بان شهادة العدلين هى المعتبرة ، والكتابة والعقود اضعف من العدلين للاحتمال فى الخط بالتمثيل ، وايضا اكثر اصحاب الاملاك سافروا ، واخذوا عقودهم معهم ؛ وايضا كم من دار تلف عقدها ، وانشرع المسمى يحكم بانها له بسبب اليد ، وعدم المعارض مع امتداد الانتفاع بها ، وايضا كم من دار مكتوبة على جد عال ، وتنوسى فيها اسم الوسائط ، اذ ليس لنا سجل يجمع من ولد ومن مات ؛ فالشرع يكفيه الشهرة مع عدم المعارض .

فتوهم اهل بلادنا ، انكم تريدون الحكم بالشرع الفرنسي فى امر عقودنا ، وهو تلفيق من شرعين ، فلا يجوز .

فنطلب رفع هاته الفتنة حتى لا يتلف الناس املاكهم بالبخس فى البيع ، وان لزم ولا بد ، فليكن بحكم شرعنا المشترط احترامه ؛ ثم ان لمن اغراكم بهذا الامر ، ان صح اغراض آخر نتيقنها ولم يسمح الوقت بذكرها .

رد وزارة الحرية :

ان ذلك الاجراء كان مفيدا جدا بالنسبة للدومان ، حيث سيسمح بوضع حد للحيرة الكبيرة لتحديد ملكيات الدومان ، هذا من جهة ومن جهة اخرى ، لمعرفة ملكيات الافراد حتى يتجنب فى المستقبل اى اعتراض على ذلك ؛ ومع هذا فان ذكر اسماء الملكيات فقط ، يتخذ كحجة على الصدق ، بل على العكس ، اتفق ان تكون حجة الملكية خاضعة لقوانين وعادات البلد . وعليه وجب التذكير بهاته النقطة لاعضاء لجنة التحقيق . ان تطبيق ذلك الاجراء كان خطأ ، وقد سبب روع وعدم ثقة الاهالى ، بدل ارتياحهم .

تكملة شكاية حمدان رقم 18 :

واما ما لا يحصى من الجزئيات الشنيعة ، فكثيرة ؛ مثل اخراج الناس من سكنهم بدون مهلة ، وبمهلة يوم وليلة وثلاثة ايام ، سواء كان ملكا لهم او بكراء ، قبل تمام مدته ، ليسكنها فلان وفلان .

ومثل هذا ما وقع في ثالث عيدنا في 13 من محرم ، ان نبهوا على عدة ديار من اوقاف مكة والمدينة ، ان يفرغوها ويعطوها للدلال ، لزيادة الكراء . فامتنع من فيها ، وقالوا نحن اكثرينها من الوكيل الذي نصبتموه على الكراء ، وهو المذكور بدفتره . والعام القابل بدمتنا ، لان العادة انهم في رجب قبل رأس العام بستة اشهر ، اما يأمرهم بالخروج او يجددوا لهم كراء سنة ، فيلتمسون ما بين ستة اشهر ، دارا اخرى ؛ والا ففي مدة ثمانية او عشرة ايام ؛ كيف يجدون دارا يرحلون اليها والشرع لا يخرجهم جزما ؛ فلم يقبلوا لهم عذرا واخرجوهم .

رد وزارة الحربية :

لم نتصل باى شىء رسمى لهذا الحادث ؛ ان عددا من التقارير التى وصلت بصورة غير مباشرة الى قسم الجزائر بالوزارة ، قد دفعت الوزير الى الاعتقاد انه يكون من المفيد ، طلب شرح ذلك من السلطة المحلية بالجزائر . ان هذا الاجراء كما عرض على الوزير ، يجب ان يلام بشدة .

ان الادارة المحلية بالجزائر لا تستطيع ان تبرر ذلك بالفوائد الاكثر قيمة ، والتى ستتحصل عليها عندما تعرض فى مزايده علنية ، اسعار الكراء .

ان عقود الكراء الموجودة الآن ، يجب احترامها وليس بمبلغ 1.500 او 2.000 فرنك كراء فى العام ، ان نجازف باثارة وازعاج الاهالى .

تكلمة شكاية حمدان رقم 18 :

ومثله ان اليهود يتجاسرون على المسلمين ، وبالخصوص على البدويين الذين يأتون من البرارى . ولم نر من عساكر انفرنسيين مثل ذلك التجاسر ، مع ما ترتب من الغيرة ، حيث ان اليهود لم يحفر لهم قبر ، ولم يهدم لهم ملك ، ولم تؤخذ لهم شنوغة (21) بل شنوغاتهم اليوم ، ازيد من جوامعنا الباقية بايدينا . والشنوغات وان كانت داخلية فى الشروط ، الا انها ضمنا ، ومساجدنا صراحة . وامثال هذا مما يغير القلوب ويسبب الظنون بالدولة الفرنسوية كثير (كذا) جدا .

رد وزارة الحربية :

يعد هذا الاعتراض، من المشاكل الاكثر اثارة وحساسية للسكان المسلمين .

(21) اى معابد اليهود .

ان تطاول اليهود على الاهالى قد زجر سابقا ، ويجب ان يردع بشدة اذا تكرر
فعلا .

غير ان المسلمين يرون فى تساويهم باليهود ، اهانة لهم ؛ ولكننا ايضا لا
نستطيع ان نراعى البعض ونبقى الآخرين ، شاعرين بمركب النقص ، كما هو
الحال بالنسبة لعهد الاتراك .

اما معابد اليهود ، فعددها اربعة عشر ، اثنان منها فقط هامتان ، اما البقية
فهى عبارة عن قاعات متواضعة لدى منازل الخاصة ، استخدمت لغرض
العبادة ، واغلبها فى حالة يرثى لها ، واحتلالها لم يكن مفيدا لاي شىء .

اما المسلمون فيملكون 63 مسجدا حيث 15 او 16 منها ، كبيرة جدا .

يكون من المجدى ان لا يؤخذ لا المساجد ولا معابد اليهود ، ولكن اعتقادا منا
اننا نستطيع ان نملك بعضها خصوصا ، ونحن فى حاجة الى ملاجئ ، فقد
كان من الطبيعى احتلال الاماكن التى يمكن ان تكون مفيدة لشيء ما .

تكلمة شكاية جهدان رقم 18 :

فهذه بعض شكاوى ومطالب ؛ والمشتكى اليه هو مالك الملوك سبحانه
وتعالى . ثم من بعده حضرة راي (22) فرانسة ثم حضرة ديوان حقوق
النشر ، ثم حضرة الوزير ؛ ونحن ممن يأتى البيوت من ابوابها ، حيث
ان حضرتكم مقدم على نظام بلادنا ، ونعلم يقينا انه لم يبلغ جنابكم ما حل بنا
او بنفكم ملفونا فى وجوه لا أصل لها .

فارجو جنابكم ان لا تجيبني بمثل ما اجبتم به سيد ابراهيم بن مصطفى
باشا ، حيث قلت له : « امشى (كذا) الى الجزائر وانا اسأل عما قلت، فان كان
صحيحا نرفع الظلم » ، لاننى لا ينفعنى ان تسأل الظالم عن ظلمه ، ولا ارتضى
جوابه . وان كان مرادكم سؤال القاضى والمفتى ، فاعلم ان كلوزال كان نفى
المفتى شيخ الاسلام ، بسبب تحريرات له اليه ، فى اشياء يقول انها مخالفة
للمشروط ؛ فلكونه يقول الشروط نفاه . وادعى عليه ما لا اصل له ، وحبسه
كما نفى برمونت (Bourmont) القاضى بدون حق ؛ فلم تبق جراءة للعلماء ان
يقولوا ما يغيروا خواطر عمالكم ، وما لهم الا الحكم بين المتخاصمين .

وايضا علماؤنا يفتنون شبابهم فى تعلم العلم فى الجوامع ، لا اختلاط لهم مع

(22) أى ملك فرنسا وأصل الكلمة Roi الفرنسية .

الناس ، ولا علم لهم بالقوانين السياسية ، وتدريب الملك ومعاملة السلاطين ؛
فان قالوا او سكتوا عن خوف ، نفى او حبس ، فلا تعمل عليه .

فالآن اما ان تعتمد كلامنا ونحذر جماعة من اعيان اهل الجزائر ، وننتقوى
بما يذكره الفرنسيون ، الذين كانوا بالجزائر ، وألفوا وتكلموا وما زالوا
يتكلمون ؛ واما ان تعين كوميسيون (Commission) ترسله الى الجزائر ممن لا
رغبة له فى اخذ اموال الناس ، وتمنعه محبة الدولة الفرنسية عن ارتضاء
الظلم ونسبته اليها ، ويشمئز عما فعلته السفهاء ؛ فترى صحة ذلك (23) .

ومطلوبنا الشرع والحق وانت اولى من عمل به . ثم نعتد الادب والمروءة
فى خطابكم مهما امكنت ؛ فان تعديت الطور عن مراعاة الظلم ، فاعذرني
وسامحتني .

• وكتبه حمدان بن المرحوم عثمان خوجة فى 15 محرم 1249 (24) .
يلى ذلك امضاء ابراهيم بن مصطفى باشا

رد وزارة الخريبة :

لقد احال الوزير مصطفى ابراهيم باشا ، على السلط المحلية بالجزائر ،
لاتخاذ قرار للمشاكل المتنازع عليها ، والتي لا يمكن دراستها الا بالجزائر .
الا ان الامر غيره بالنسبة لاعتراضات حمدان خوجة ، المتأتية عن القرارات
السياسية التى اتخذت هناك .

يستطيع الوزير ان يبت فى ذلك او بالاحرى يجب القول ، هو الوحيد
الذى يمكن له القيام بذلك ، ومع هذا وللاسباب التى شرحناها لسيادة
الوزير ، فان قراره يجب ان يعرض على السلطة المحلية لتأييده . هذا اذا
اردنا ان لا نعود الجزائريين على عدم احترام تلك السلطة بقدمهم الى باريس
لازعاج الحكومة بشكاياتهم العادلة فى بعض الاحيان ، والمبالغ فيها دوما ،
حيث اننا لا نملك الوسائل للتحقيق فى صحة شكاياتهم .

ان مذكرة حمدان هامة . انها علامة على تكرار الانذارات التى وصلت الى
الحكومة ، والتي وجب عليها عدم اهمالها . كما ان المذكرة دليل جديد على
ضرورة تبني سياسة معينة للنظام الادارى الذى تريد الحكومة تطبيقه على
فتحتنا الجزائر . غير اننا نستطيع القول ان اغلاطا بسيطة وكثيرة قد اوقعت

(23) يرجع الفضل الى تقرير حمدان بن عثمان خوجة هذا ، فى اتخاذ الحكومة الفرنسية قرارا
بتاريخ 7 جويلية 1833 ، بتعيين لجنة تعهد اليها مهمة السفر الى الجزائر ودراسة وضعية
البلاد وجمع كل الحوادث التى من شأنها مساعدة الحكومة الفرنسية على تبني الإجراءات التى
يتطلبها مصير تلك البلاد .

(24) 3 جوان 1833 .

السلطة المحلية في اخطاء ، ومرجع ذلك هو التردد الذي لازم السلط المحلية ، وجعلها لا تستطيع أن تتصرف بغير الاوامر التي سلمت اليها .

هل نريد الحكم بقوة السلاح دون ان نعترف باى حق للسكان وتأسيس مستعمرة بطرد السكان العرب واحلال السكان الاوروبيين محلهم ؟

ان هذا النظام ليس مستحيلا ، ولكنه غير عادل . وتحقيقه سيكون باهض النفقات . او على العكس من ذلك ، هل نعمل على ايجاد وسيلة لاقامة احتلال اكثر رسوخا ونجاعة وبدون تكاليف ، مستعملين اللطف والاعتدال تجاه السكان المواطنين ؟

هل نريد الرجوع الى روح احترام المعاهدة ؟

يجب الرجوع فعلا وبكل صراحة الى روح احترام المعاهدة ، وخاصة باقناع السكان المواطنين والسلط المحلية . ان ذلك سيكون بعض المصاريف في البداية ، غير انه يجب التخلي عن احتلال المساجد وتعويض ما هدم او دفع كراء الممتلكات وسيؤدي ذلك الى تخفيض ملكيات الدومان ، كما انه يجب ان ترد ممتلكات الاتراك والمساجد والاحباس .

ان هاته المنافع تعد ثانوية حيث يجب التخلي عنها ؛ فعندما يصبح الدومان اقل غنى أو أن يصبح فقيرا ، وعندما يقوم بصرف كل سنة فوائد رؤوس ماله في بناء المنازل والشكنات وللتعويض والكراء بمبلغ قيمته 200.000 أو 300.000 فرنك ، زيادة عن الميزانية ، مقابل اطمئنان السكان حيث يشعرون بالثقة ، كما ان الاتصالات بين مناطق البلاد قد تمت ، والبضاعة تصل الى الاسواق ، والعلاقات تؤسس شيئا فشيئا مع القبائل الواقعة داخل البلاد ، فاننا سنكون متأكدين من وضعنا ، وسنربح اضعاف المصاريف التي قمنا بها .

اذا ارادت الحكومة تبني هذا النظام بكليته ، فان وصول الحاكم الجديد الى الجزائر ، سيكون الطرف المناسب للرجوع في الاجراءات التي يعتقد انه من اللائق تغييرها . هذا بغض النظر عن اجبار الحكومة السلط المحلية بالجزائر على تبني ذلك ، تلك السلط التي يجب ان تبقى دوما ، قوية وفعالة في نظر المواطنين .

رئيس قسم الدعاوى

بازارى (؟)

اطلع عليه
مستشار الدولة
مرتينو

ان مراسلة حمدان خوجة مع الباب العالي ومع بقية الدول ، مجهولة تماما ، وعليه فلا احد يستطيع ان يحكم على اهميتها التاريخية .

لقد عثرنا اثنا تدقيقاتنا في الوثائق التركية باستنبول على عدد من رسائله حول احداث احتلال الجزائر ، واخترنا رسالتين لنشرهما هنا ، احدهما وجهت الى الباب العالي بعد وصول حمدان الى باريس مباشرة ، والثانية بعد عودة اللجنة الافريقية من الجزائر وتأييدها احتلال البلاد .
ان رسائل حمدان خوجة الى السلطان قد اثرت على السياسة العثمانية تأثيرا مباشرا ، حيث دفعت السلطان محمود الى القيام بفعاليات سياسية لمحاولة استرجاع الجزائر (I) .

لقد اتهم حمدان بان كان يعمل تحت تأثير الدفاع عن مصالحه ، كما واستصغر شخصه كمدافع نزيه عن القضية الجزائرية : « كان يسعني ، كما يقول حمدان ، ما وسع غيري واسكت ، لكن يا أخى الفيرة الاسلامية حملتني على ان كتبت وخاطرت بنفسى واعلمتكم » (2) .

لقد حاول حمدان دفع الباب العالي للتدخل لانقاذ البلاد معتقدا ان ذلك هو واجبه : « أنا قد جاهدت بقلمى ، والرعايا بسيوفهم ، فجاهدوا بالسنتكم ... الغياث الغياث . الفرنسييس لا يخرج من الجزائر الا بقوة سلطانية ومواعيله لا أصل لها ، وتعديه كل يوم يزداد ... أنا كتبت وبينت وانتم يحرم عليكم السكوت » (3) .

ان هاتين الرسالتين تعكسان فعاليات الجزائريين بباريس واختلاف وجهات نظرهم حول تحليل الوضع السياسى لاحتلال البلاد ، كما وتساعدنا على أدراك تفكير حمدان خوجة ، هذا المدافع الصادق عن مبدأ « الجزائر للجزائريين » ، وتمكننا أيضا من تعميق معلوماتنا حول هاته الشخصية العربية الجزائرية ، والتي كانت تتمتع بشعور عميق للوطنية ، وحيث كان نشاطه في باريس والجزائر يتركز حول تغليب الحق والعدالة على الظلم والتعسف والجور .

ع . ت .

(I) راجع ترجمتنا لاطروحة السيد ارجمنت كوران ، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسى للجزائر 1827 - 1847 ، ص 75 - 77 ، نشر كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الجامعة التونسية ، 1970 .

(2) B.A., H. H 37528 ، رسالة حمدان خوجة الى زميله محمود بتاريخ I نوفمبر 1834 .

(3) المصدر نفسه

الوثيقة رقم 2

الى صاحب الجلالة (I)، سلطان العالم الاسلامى ومؤيد الشعوب، سيد السيف والحروب ، رمز العطف والنصر والسياسة ، الخليفة المنتصر الوحيد ، ظل الله على الارض ، جلالتة ، ملجأ المسلمين والضعفاء ، رئيس الحكومة ، رمز الدين، سيدنا السلطان محمود بن السلطان ، ليهبه الله من لدنه قوة حتى يسوس امبراطوريته وينفذ ما يريد ويجرى نظام العالم على وفق مراده ، ويجعله نجاحا لعباده وصلاحا لبلاده .

فبعد تقديم مظاهر الاكرام اللائقة لجلالتكم ، نعلمكم انه اثر المصائب التى حلت بالبلاد ، فان الناس قد تفرقوا شذرا مذر ، وهجروا عائلاتهم وبيوتهم ، وان الكفار قد الحقوا بهم ضيقا وجورا ، بحيث ان لا ملجأ للناس ، لطلب المساعدة ، غير سلطانهم .

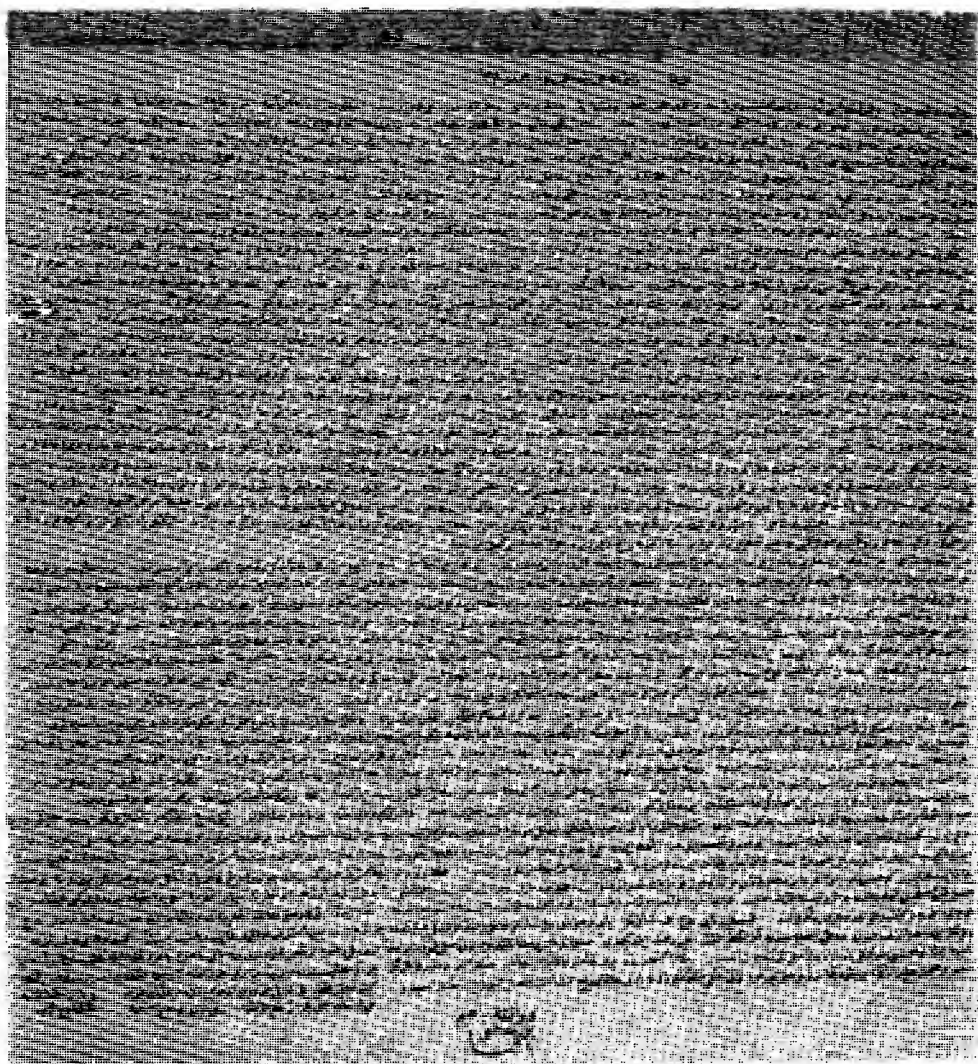
ان الشعب الجزائرى قد عهد الى مسؤولية الاتصال بالباب العالى واطلاعه على وضعيتنا بما سنبعثه من تقارير لسيادتكم .

ان الرسول محمد (صلعم) قال : « الراحمون يرحمهم الرحمان ، ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء » . ايها السلطان اشفقوا على من فى هاته الارض ، فان الله سيأتى لمساعدتكم » ، لا بد من العمل بقول الرسول .

ليعلم سلطاننا اننا قمنا بكل المحاولات لنمنع ما حدث ، ولكن ذلك هى مشيئة الله ، اننا نؤمن بذلك سواء اكان شرا أو خيرا .

انكم على علم بتاريخنا وبما حدث لنا عندما تفرق شمل الانكشاريين ووقعوا تحت عبودية الفرنسيين ، نفس ما حدث للشعب المسلم الذى سقط تحت حكم موسكو ، عندما أساء اليهم القيصر ، ويبدو ان هذا الاخير لا يرغب فى الحفاظ بهم ، وسوف يعهد بتبعيتهم للباب العالى .

(I) BA ، ملف 78 ، رسالة حمدان هانه باللغة التركية وقد وجهت الى السلطان محمود الثانى ؛ انظر الشكل رقم 2I ، ص . 168 - 169 .



الشكل رقم 2I - رسالة حمدان خوجة إلى السلطان محمود الثاني .

• B.A. ، ملف رقم 78 .

ان ما تلاقونه من آلام يا حضرة السلطان من هذا الوضع ، ليس مشابها
لنا ، اذ لم يعرف خلال سبعة آلاف سنة من تاريخ الانسان ، مأساة جور
واستبداد يرثي لها ، مثل التي نتحملها الآن ، ان ملجئنا الوحيد هو الله ثم
شخصكم ، اذ انتم وحدكم تستطيعون ان تقدموا المساعدة المرجوة .

ان عبدكم يترجاكم ان تنقذوا العباد من هاته المصيبة ؛ ولتعلموا يا صاحب
السمو ان الله ورسوله قد اوصيا ان نكون محبين للخير وطيبين ، ان سلطاننا
يعلم انه المسؤول عن هاته البلاد ، وعليه فاننا نطلب منكم ان تهتموا بمصير
الامة الاسلامية بهاته البلاد والتي تبلغ العشرة ملايين نسمة (2) .

وبما انكم سر الله في الارض وظله ، لماذا تهملون بسط عطفكم على هاته
العشرة ملايين من المسلمين . فان كنا مذبذبين ، فلتسامحونا ، وان حكمتم
علينا باننا مجرمون ، وانكم لا تفتفرون لنا هاته الزلة ، فان الواجب يحتم
عليكم يا حضرة السلطان ، ان تعاقبونا . لا تدعو العدو يعاقب ابنائكم ، لا ؛
فان سيدنا السلطان رمز الصفاء والشرف ، ذا الاخلاق الربانية ، لا يتركنا ،
بل على العكس من ذلك ، اننا نعلم ان شفقتة ورضاء هما دائما مؤثران عن
غضبه . فاذا اذنبنا يا حضرة السلطان ، وانكم غاضبون عنا ، فاننا نطلب
منكم العفو اولا ، ثم ان تجدوا لنا مخرجا لما نحن فيه ، فبرحمة ربكم
اشفقوا بنا .

ان عددا من الاشخاص قد جاؤوا الى عبدكم قائلين : « ان سلطاننا قد
تركنا في ايدي الكفار ، وكان يجب حسب ديننا ان ياتي لمساعدتنا ؛ اننا يوم
القيامة سنتوجه الى العالی جل جلاله قائلين : « ان سلطاننا قد تخلى عنا بحيث
ان ذلك لم يكن قد ساعدنا » . الا ان السلطان سيجيب : « لقد كنت مشغولا
بمشاكل اخرى ، ولكن الله سوف لن يقبل منه هذا الجواب » .

ان هاته العشرة ملايين من المسلمين ، سوف لن تتفق مع هذا الطاغية ،
واذا كان يوجد خمسة او عشرة خونة ، فان تأثيرهم محدود ، وعليه فاننا
نأمل من سلطاننا ان يأخذ بنظر الاعتبار هاته الوضعية . وهذا هو السبب
الذي حدانا هنا ، إلى طلب المساعدة .

نعلم حضرتم ان هؤلاء الخونة هم البرابر .

ان المسلمين الذين استشهدوا ودفنوا في هاته التربة ، سوف يسألونكم

(2) انه من الواضح ان سكان الجزائر لم يتجاوز الاربعة ملايين راجع : YACONO Xavier ,

1954 R.A ص . 277 - 307

Peut-on évaluer la population de l'Algérie en 1830 ?

يوم الحساب لماذا تخليتم عنهم • ان عبدكم لا يستطيع ابدا ان يعبر عن قلقنا وشقائنا حول هذا الموضوع • ليأخذ السلطان بنظر الاعتبار ، ما حل بنا من مصائب ، ليدرك ذلك جيدا ، حتى يقدم لنا المساعدة والمعونة •

لقد شئت الفرنسيون الانكشاريين ، فلم يبق سلاح ولا ادوات حرب ؛ ان شعبكم لم يعد له حياة ؛ فلا تتركنا فى مثل هاته الوضعية • ان سكان الجزائر حزيهم وبدويهم وشيوخهم ، يرجونكم تعيين احد المواطنين ليحكم البلاد ؛ كما وتهبونه السيف والبدلة ولقب الباشا • يوجد ما بين الخمسة والعشرة اشخاص هم عقلاء البلاد ، ويدركون جيدا مشاكل الولاية • واذا عينتم احدهم باشا ففى قليل من الزمان ، وباعانة الله نستطيع ان نسترجع الجزائر (3) •

ان من يقع تعيينه من طرفكم ، سيكون مخلصا للباب العالى • اما اذا اردتم تعيين احد العلماء (4) ، فلنكم ذلك •

بعد نهب كل ثرواتنا ، كان من المستحيل علينا الاعتماد على خزينة الدولة ، اذ اصبحت فارغة • لقد قال الرسول (صلعم) : « استعينوا على البلاد باهلها » ، فيجب عليكم اذن نصحنها ، والا فلا الاموال ولا الجيوش ، تستطيع ان تقدم لنا خدمات مفيدة ، ذلك اننا سنتبع اهوائنا وسنكون مستقلين • ان تبنى سياسة خاصة ، على ان تطبق لمدة سنة على الشعب الجزائرى ، لكافية ان تحكموا بنجاعة ولفائدتكم البلاد •

ان حكام تونس وطرابلس الغرب يتمتعون بحكم وراثى ، وسياستهم مرضية • اما عاداتهم وسيرتهم ، فلم يطرأ عليها اى تغيير ، بالرغم من ان احداثا هائلة قد حدثت وهزت العالم • لماذا اعرتموهم دوننا اهتمامكم وقدمتموا نهم دائما المساعدة ؟

ان كل عصر له متطلبات وخصائل جديدة ، ولدى ظهور عادة حديثة ، وجب التخلي عن القديم حتى تتفادى حدوث اضطراب وقلق فى الشعب ، وحتى لا يعرقل ذلك تسيير دولا ب الادارة الناجحة (5) •

(3) كان حمدان خوجة مقتنعا ان الفرنسيين ، سيغادرون البلاد عاجلا ام اجلا .

(4) يبدو ان حمدان هنا يشير الى احتمال تعيينه باشا على الجزائر .

(5) ان حمدان بهذا الراى يدلن على سعة ثقافته وادراكه ناهوس تطور المجتمعات وشمول وعمق نظرتة الاصلاحية .

ان سكان الجزائر وتونس وطرابلس الغرب جميعا هم حوالى عشرون مليون نسمة (6) . وهم جميعا يعدون تحت كنفكم؛ واذا احتاجت الدولة العلية، فان اربعين او خمسين ألف جندي ، يستطيعون الالتحاق بالجيش العثمانية .

لا يمكن مقارنة الجيوش الاسلامية بالجيوش الفرنسية ، ذلك ان الفرنسيين يعلقون اهمية بالغة لجيشهم ، وهذا هو السبب فى ان عددهم اكثر بكثير بما يملكه المسلمون .

يسكن جبالنا البرابر ، وهؤلاء يعدون من خيرة الجيوش ؛ كما ان لنا جنودا قد قدموا من ازميز . ان البرابر لا يشكون جيشا منظما ، فقد رفضوا ذلك دائما . ان سمعة الجيش المغربى لا تقارن بان جيش آخر ، فهو افضل من الجيش المصرى والسورى .

واذا تفضل الباب العالى بارسال لقب الباشا الى احدنا ليكون الرئيس الاعلى ، فان على الشعب جميعا ان يطيعه .

وبالرغم من اننا لا نملك قوة فنية ، الا ان ثروتنا ستتمو ، يجب على الباشا الجديد ان يسعى للتفاهم معنا وان لا يحكمنا باستبداد ، بل عليه ان يستشيرنا فى كل المسائل . وبهاته الطريقة يستطيع ان يجلب اليه اهتمام الشعب كله ونتمنى ان يكون مثالا للعدل والحق اقتداء بالرسول محمد (صلعم) .

ويجب علينا اذن ان ننشىء ديوانا يضم الجزائريين العقلاء والمنثقفين والعارفين باخلاق البرابر ، حتى نجلبهم بكل لطف ورقة . وعندها يمكن ان نسوس البلاد بنجاعة ولكن بمصاعب قليلة .

اوصى القرآن الكريم النبىء محمد (صلعم) ان يستشير اصحابه ؛ واقتداء بهذا المثل ، وجب تعيين ما بين أربع وعشر اشخاص ، ليكونوا فى عون الباشا على تسيير امور البلاد .

قبل قدوم الفرنسيين الى الجزائر ، كان سبب سوء الادارة ناتجا عن مذابح الباشاوات، خطأ كان ذلك أم صوابا، على يد الانكشاريين كل سنتين او ثلاثة . ان هؤلاء الانكشاريين اللصوص ، قد عينوا آخر وال للجزائر ، واشاعوا انصيان فى كل مكان ؛ اما المواطنون فقد استاءوا منهم لان هؤلاء الانكشاريين قد ادى بهم الامر ، الى ممارسة الاستبداد والجور حتى على بعضهم البعض .

(6) لا يتجاوز سكان الجزائر وتونس وطرابلس الغرب السبع ملايين على أكثر الاحتمالات .

يجب على حكام المغرب الثلاث تنسيق مجهوداتهم ليواجهوا الفساد ، انى كان . هؤلاء الحكام الثلاث ، التابعون للباب العالى ، هم دوما على استعداد لخدمتها كما فعل سلفاؤهم منذ قرون .

واذا ظهر مشكل ما ، فان السياسة كفيلة بحله ؛ واذا ارتكبت خيانة تجاه الباب العالى ، فانه يكون من الافضل معاقبة الجانى .

ان الباشا الجديد الذى ستعينونه ، له سلطان المغرب مولاي عبد الرحمان على حدود ولايته الغربية ، وعليه فانه يكون من الواجب على الباب العالى تقديم توصية لسلطان المغرب لمراعاة حسن الجوار ولاعتبار الاشخاص القاطنين على حدود المغرب كجزائريين . واذا رفض هؤلاء البدو طاعة والى الجزائر ، فيجب حينئذ اخضاعهم بكل الوسائل .

ان الصداقة بين الحكام مفيدة جيدا وواجبة ؛ وهى لوالى الجزائر ، اكثر جدوى وافادة . كما انه يوجد بشرق الجزائر ، حاكم تونس والذى يجب إقامة علاقة حسن الجوار معه . ان الواجب الذى يتحتم على الباب العالى القيام به ، هو ايفاد اوامره الى هؤلاء الحكام ، حتى يتمكنوا من خلق تعاون فى كل المجالات .

ان التفاهم بين هؤلاء الحكام الثلاث ، يشكل المعقل والقوة الاخيرة للبلاد .

ان باى ولاية قسنطينة هو عبدكم الحاج احمد باشا بن احمد باى وهو رجل شجاع وعادل ، ويكون من اللائق تعيينه باشا على البلاد .

لم يتصالح الحاج احمد مع الفرنسيين ، وبالتالي فان قسما هاما من البلاد ليس واقعا تحت سلطة الفرنسيين .

ان المسلمين الذين تشمتوا شذر مذر ، وتحملوا كل انواع المصائب ، قد وجدوا فيه ، الرجل الذى ادرهم فى اللحظات الحرجة . لقد طلبوا منه ان يغير لقبه من الباي الى الباشا ، حتى يكون رمزا لمجد وعظمة صاحب الجلالة السلطان فى هاته الولاية (7) .

(7) راجع دراستنا ، ثلاث رسائل من الحاج احمد باى قسنطينة الى الباب العالى ، المنشورة - : مجلة تاريخ وحضارة المغرب ، العدد ، 9 ، ص. 7 - 28 ، كلية الآداب جامعة الجزائر ، الجزائر .

1970 .

وباعتبار انى عشت تلك الحوادث ، فانى استطيع ان احكم على بينة ،
مجريات الامور . ان عبدكم يعرف جيدا الشعب الجزائرى حروبه البرية
والبحرية ، كما انه مطلع على اسراره .

هاته الرسالة هى عريضة الخاصة ، اطلب منكم العفو على جسارة هذا
التقرير .

ايها السلطان ليهبكم الله النصر .

كتب من طرف عبدكم الحقيقى الجزائرى : حمدان بن المرحوم دفتردار عثمان
خوجة ، باسم الشعب الجزائرى وبموافقة ابراهيم بن مصطفى باشا .

باريس فى 29 ربيع الاول 1249 (8) .

الوثيقة رقم 3

الحمد لله (I)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حضرة الجنتاب المحترم سيدى محمود السيرة ، طاهر السريرة ؛ بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

نعلم جنابكم انه وصلنى مكتبكم المؤرخ فى 5 ذى الحجة وفهمت كل ما ذكرت لى ، ونعم ما فعلت ، حيث ارسلت العرضحال ، جزاك الله بحسن الجزاء ، ويرى الحاضر ما لا يرى الغائب ؛ وكنت ارسلت لجنايبكم ثلاث مكاتب ، ولم تعلمنى الا بوصول واحدة :

نعملك يا أخى وان فى باريس ، تكلموا فى ديوانهم فى القاهرة (2) فى 29 و 30 افريل وفى I و 2 و 3 مايو بحساب الجديد : ان الجزائر لا تنفعهم لاختلاف الاديان والعادة واللسان مع ظلمهم وتعديهم ، ومصرفوها (كذا) كل سنة ، اربعون مليون ؛ والنتيجة موهومة . وذكروا جل ما فى كتابى الذى ألفته أنا ، وكل ذلك مذكور فى قازيتات (3) باريس المسمى مونتور (4) فانظره ؛ والراى والوزرا (كذا) هذا مرادهم، لكن الامر بحكم سجنق ثلاث ألوان، فى يد العوام ، وتصرف الراى انما هو تنفيذ لاغراض العوام ؛ والعوام لا يعلمون الجزئر وماهيته ، الا من الذين مشوا اليها من ابناء جنسهم ، وهم ذاقوا لذة النهب والظلم ، واستولوا على املاك المسلمين باجارة سموها كراء مؤبدا ، فباعوها فى باريس بألوف . وليت شعرى كيف يباع المستأجر ، وكلهم سفلة

(1) H. 37258 B.A. II : رسالة حمدان باللغة العربية وقد وجهها الى زميله محمد بتاريـخ I نوفمبر 1834 ، انظر الشكلين رقم 22 و 23 ، ص. 176 - 177 .

(2) كلمة ايطالية بمعنى مجلس العموم ، وهنا المجلس الوطنى الفرنسى .

(3) اى صحف باريس .

(4) Le moniteur

اراذل ، ولا يمكن ان يكونوا الا كذلك ، اذ لا يترك بلاده ورفاهيته ويستوطن في بلاد خربة كالجزائر في يومنا هذا ، الا الاراذل واقل الناس . وقد رايتهم وهم شيعوا بين أبناء جنسهم في فرنسة ، بان وطن الجزائر ينبت القهوة والفلفل والكجنيلة (5) وانها اعلى من ارض الهند الى آخر الحرافات .

فلما تسامعوا كلام الديوان ، تكالبوا وكتبوا في الجرنالات (6) ما ادى ان الراى لا يمكنه ردها للاسلام الا جبرا ؛ ولا شك انه يتحيل على ذلك بتكثير الظلم والقتل والنهب ، حتى لا ينقاد له احد من الرعية ، ويرغب الدولة العلية وسائر الاجناس الافرنجية ، ان يهلهوه ريشما يلتمس وجهها لتغيير رأى انعام ، وهيهات لا ينبؤك مثل خبير ؛ بل مثلهم كمن عجز عن قلعة شجرة لاستحكام عروقها ، فاخرها الى عام آخر ، فانها تزداد استحكما ، ويزداد هو ضعفا وكبرا .

ولو بقى النصارى العيساويون وحدهم ، ولم يعنهم النصارى المحمديون لامكن ذلك ؛ لكن يا أخى هنا اللعين بوضربة (7) واضرابه ، الذين بالجزائر يمدونه . وجل ما يتحيلون عليه ان يبقى الفرنسيس في الجزائر ، وهم اعوانه ، ويضمنون له اطاعة الرعية .

ثم انه لما خاف خروجهم ، قرر لهم بان اهل الجزائر في غاية الحزن ، لتوهم خروج الجزائر من يد الفرنسيس ، وعودها للترك الظالمين ، الذين احرقونا واكلوا لحومنا واموالنا ؛ فان كان ولا بد من الخروج ، فارسلوا للجزائر ابن الراى (8) ويكون اهل الجزائر دائرته وعماله ، او سلموها للعرب ويكون الوالى من جملة خدام الدولة الفرنسية وتحت حكمه (9) .

(5) كلمة غير قابلة للتعريب .

(6) journaux journal من الكلمة الفرنسية

(7) صرح بوضربة لرئيس شرطة الجزائر : « ان علاقتى مع حمدان كانت تتسم بالبرودة والنفرة ، وان سوء تفاهمنا الذى وصل الى درجة الكراهية ، يرجع الى اختلاف وجهات نظرنا السياسية ، فبينما كان هو يريد رجوع الاتراك الى الجزائر ، كنت انا قد وهبت نفسى وروحي للفرنسيين » راجع هاته الوثيقة ب : A.O.M. 1913 من تقرير استنطاق بوضربة بتاريخ 25 ديسمبر 1836 ، الوثيقة ، رقم 9 .

(8) أى ابن ملك فرنسا .

(9) للاطلاع على اراء بوضربة حول هذا الموضوع ، راجع : YVER, Mémoires de Bouderbah, 244 - 218 . 1913 , R.A. المنشورة ب : ص 244 - 218 . يجدر بنا هنا ان نذكر الامانة التى كان يتصف بها حمدان خوجة ، عندما نقل بامانة اراء اعدائه السياسية .

وهذا الشيء على هاته الصورة سمعته ولم اره ، وهو سبب كون زوجته فرنسوية ويعرف اللسان ، يمشى كل يوم لدار الوزير ، وسمعت بانه التزم لهم بكذا كذا مليون سنوى ، يعطيها للفرنسيين ، ولكن يشهد لصحة هذه ، انه خاف ان اهدم له ما بناء ، اذ ربما يشاورونى او يلتمسوا كفالتى او غير ذلك . فأتانى وقال لى : « الجزائر (الفرنسيون) يريدون ان يخرجوا منها ، والرعية لا تقبل ، وكونها تبقى بيد المسلمين احسن ، ولنا تأويل اذا اتفقنا على كلمة واحدة ، وهى ان يسموا علينا مسلما يكون تحت حمايتهم ونلتزم لهم بما يريدون سنوى ، ونكون سببا لاستخلاص الجزائر من ايدي النصارى » .

فقلت له : « الرعية والحاج احمد وغيره ، لا يقبلون الذى يتولى تحت النصارى » . فأجبنى : « بان العرب وغيرهم لا يعلمون ما بيننا وبين الفرنسيين ولا يتبعون الا الجزائر . واذا يطلع (كذا) فيها سنجد الاسلام ، يطيع الحاج احمد او يقتله قومه . لان العبرة عندهم للجزائر » . فقلت له : « نعم كذلك ، لكن الرعية تسمع من تونس شرقا ومن فاس غربا . واطاعة العرب بالجزائر لانه كان فيها نائب خليفة الزمان السلطان محمود . هذا رأى اظنه لا ينتج . ثم من اين المال لترتيب العساكر ثم اعطاء الفرنسيين ؟ » .

فقال : « نقول للرعايا اننا اشترينا الجزائر وعندى خطوط يد شيوخ الوطن ، يقولوا اشتروا الجزائر بالمال ، ونحن نطوكم ما تحتاجون ، واذا لم يكفنا نتعذر للفرنسيين بكثرة المصاريف فلا يطالبوننا مدة سنين » .

فقلت له : « البلاد للعثماني ، فكيف نلتزم باخراجها من حكمه ونلتزم باعطاء الخراج للكفار بغير اذنه ؟ » .

فقال : « العثماني لا يقدر ان يعارض الفرنسيين ولا يعرض نفسه لعداوة الفرنسيين لانه قوى » .

فقلت : « انا لا ادخل فى مثل هذا الشيء ، والدولة العثمانية تصطاد الارنب بالكريطة ، ومن اين تعرف وان الفرنسيين لا يضعف ولا يضمحل ملكه . ولو كان لا يضمحل ، فانا لا اقيم فى الجزائر الا اذا كانت بيد الدولة العلية ، ولا أتفق مع احد ولا اساعد على اعطاء الجزية للكفار » (IO) .

وهذا تخطيط بوضربة ليس وحده ، بل له بطانة فى الجزائر ، اراذل سفلة

(IO) حقق حمدان الوعد الذى قطعه على نفسه فقد غادر باريس متجها الى استنبول سنة 1836 واستقر بها الى أن وافاه الاجل .

مثله ، كتبوا له بمضمون هنا ووضعوا في خطوط ايديهم مقدار مائة (كذا) من اولاد العرب الذين في بلادنا ، والذي ترجمها لهم بالفرنسوى ، هو الذى حكى لى صورتها ، وكلامه الذى قاله لى يشهد بصحة ذلك (II) .

والفرنسيس فى غاية الطمع فانظر بماذا وعد الوسائط (كذا) والكتاب من المال وكلهم سفلة مفاليس ، الواعد والموعود ؛ وانا يا أخى وحدى ليس لى الا القلم اكتب ، وعرضه على الدولة فى ذمتكم .

ومن جملة ما فعل هذا المرتد ، انه تحيل على ان يظهر واحدا من العرب وحبيه للفرنسيس ، لعل ان يسموا له البلاد ، وهو عبد القادر بن محى الدين ، كان فى مدة الاسلام فى وهران وفى نواحيها يدعى الولاية هو وأبوه . ولما دخل الفرنسيس بقى مع سائر المسلمين ، يحاصر وهران بنية الجهاد ؛ فكتب اليه بوضربة ان الفرنسيس يخرج من الجزائر ، وان تصالحه وتعقد معه شروطا ، فانه عند خروجه يسلمها لك ولا يدخلها الترك ، واغواه بمثل هذه الامانى .

فكاتب عبد القادر مع الفرنسيس وصالحه (I2) واخذ عنده نصارى جملة ، سموهم قنصل (كذا) واتباعه ، ورفع الحصار عن وهران ، والنصارى الذين عنده مرادهم ان يتألفوا مع العرب ويتعلموا طريق تلمسان وغيرها .

ولما تسامع اهل تلمسان وأغة الدائرة مصطفى بن اسماعيل ، لم يرضوا بهذا الصلح وقالوا : « جهاد هذا الخارجى ، مقدم على جهاد الكفار » ، فقصدوه وكسروه ، وفر بشرذمة قليلة معه الى معسكره وهو محصور فيها ، وبوضربة فى باريس ينوه بعبد القادر ويسميه فى الكازيتات امير المؤمنين وسمعتها انا من فمه . . ولما وصل خبر انكساره وانه محصور فى معسكر ، شرع يقول : « كلما اصاب امير المؤمنين بسبب صلحه معكم ، واذا لم تعاونوه ، فعار عليكم » .

وشيع بين الناس هذا الكلام ، يحرض الفرنسيس على اخراج العساكر وقتال المسلمين . وهذا يا أخى آفة وفتنة ونار ، لا اقدر انا على اطفائها ؛

(II) رغم تدقيقاتنا لم نعثر على رسالة من هذا القبيل ، ولكننا من جهة اخرى نذكر ان بوضربة ، من تقرير استنطاقه السالف الذكر ، ذكر لرئيس شرطة الجزائر : « ان حمدان كان عدوى منذ اللحظة التى وقعت فيها مع بعض المواطنين ، ومن بينهم مصطفى باشا ، التقرير الذى وجه الى وزير الحربية والذى شرحنا فيه المظالم التى وقعت بالبلاد » راجع الوثيقة رقم 9 A.O.M., 1H1,

(I2) هى معاهدة دى ميشال المعقودة بتاريخ 26 فيفري 1834 .

والنصارى المحمديين (كذا) اضر علينا من النصارى العيساويين ، ولا حول ولا قوة الا بالله (I3) .

وزيادة خير مما تتعجب منه ، ان تعلم فى ديننا ان الكفار اذا استولوا على بلاد المسلمين ، يفترض فرض عين على من يليهم ان يعينوا المسلمين ، والتونسية عوض ما يعينوننا كانوا اشتروا قسنطينة ووهران من الفرنسيين ، بغير امر مولانا السلطان ، والتزموا ان يعطوا للفرنسيين مالا سنويا . فعاقبهم مولانا السلطان نصره الله وفسخوا ذلك البيع (I4) .

وفى هذه السنة الماضية استولى الفرنسيين على بلدة بجاية ، ووقعت له حروب مع اهلها ، واستولى عليها بدون موجب ولا سبب ، والى تاريخنا لم يزل المسلمون يحاربون الكفار بها ، ويحاصرونهم . وفى اول مايو وقعت حرب احد (كذا) عشر يوما لم ينقطع البارود والمركب الفرنسى خرج ، والحرب مسترسلة . وكانوا أرسلوا فرقاطون الى تونس وامروا باى تونس ان لا يمكن المسلمين من اشتراء السلاح والبارود من تونس ، ويمنعوا كل من يمشى الى قسنطينة ونواحيها من ان يكون معه آلة حرب ، فأجابهم بالسمع والطاعة .

فانظر يا اخى ان كان بوضربة مفلس ومرتد (كذا) ، فهذا امير مسلم تحت حكم السلطان ، يرى بلدان السلطان بجواره يستولى عليه الكفار ، فيمنعهم مما يجب عليه ان يمدهم به ، ويحرم بيعه لهم .

فهذا حال المسلمين مثل الشياه بلا راع، والفرنسيين يدعى انه اخذ الجزائر لاجل تأره مع حسين باشا ، واى وجه له لأخذ وهران ؟ ربما يقول : « ان حسن باى ، اعطاها له » ، فما وجه اخذ بونة ؟ ربما يقول : « ابراهيم باى سلم له القصبه » ، فما وجه خروجه الى البليدة والمدينة وقتال المسلمين والاستيلاء على بلادهم ؟

ما وجه اخذه مستغانم وقتل المسلمين مع انهم لم يبدؤوه (كذا) بالحرب ؟ ما وجه اخذ بجاية وقتال اهلها والاستيلاء عليها مع ان مراكب بجاية كانوا يأتون للجزائر ولم يبدؤوه (كذا) بالحرب . هذه البلاد باجمعها للسلطان محمود نصره الله .

(I3) لا توجد دراسة تناولت علاقة الامير عبد القادر ببوضربة ويبدو ان هذا الاخير على علاقة طيبة مع الامير

(I4) هى الاتفاقية المفقودة بين المرشال كلوزال ومبعوث باى تونس حسن مورالى وصاحب الطابع بتاريخ 18 ديسمبر 1830 .

والبشدر (I5) فرنسيس في اسلامبول وسنجق فرانسيس داخل وخارج الى اسلامبول ، ان كانوا اعداء للسلطان فليرفعوا بشدورهم . وان كانوا صلحا (كذا) فما هو وجه استيلائهم على ممالكه ؟

واهاى مملكتنا المرتدون فيهم افراد قليلة لا يبلغون المائة ، وباقي المسلمين كما تعلم قد نفى اغنياؤهم وبقي ضعفاؤهم ؛ اكثرهم يتكفف الناس ، يطلبون الصدقة . وأهمتهم انفسهم ولا يعرفون باى طريق يرفعون شكواهم الى سلطان الزمان مولانا السلطان محمود ، وهو فى ديار بعيدة عنهم ، لا يسمع بشرح خالهم ولا يعلم ما هو واقع بهم . والاعراب والبوادي ولله الحمد ، ايمانهم صحيح وسكتهم وخطبتهم باسم السلطان محمود ايده الله (I6) ، ولم يقصروا فيما يقدر من الجهاد وعدم تمكين الكفار من الخروج اليهم ، الا لانهم لا يعرفون كيف يرفعون شكواهم الى السلطان لانهم برابر .

وانا يا اخى وحدى واولادى وبعالى تحت ايدى الكفار ، وأنا فى بلادهم لم اقصر فيما اقدر عليه بلسانى وقلمى . ولو ان الكفار يعلمون شطر ما فعلت من تحريرات وتاليف ومراسلات مع الاجناس وغير ذلك ، مما لا اقدر على تحريره ، كل ذلك لاجل انقاذ البلاد ، لاكلوا الحمى واوقعوا بى ، والحمد لله ، سترنى الله . وبعد كل مقال انا كتبت وبينت ، وانتم يحرم عليكم السكوت .

الله الله فى دماء المسلمين ، الله الله فى ممالك الاسلام ، الله الله فى دين الاسلام ، عرفوا سلطاننا ، اعرضوا عليه حالنا ، استعطفوا لنا شفقتهم ومرحمته السلطانية .

انا قد جاهدت بقلمى والراعايا بسيوفهم ، فجاهدوا بالسنتكم .

انت يا اخى تعرف بانى فى سن الستين ونيف ومستور بستر الله ، لا طمع لى فى مال ولا فى منصب ولا اهلية لى ، وعزمت على الهجرة ببعالى واولادى الى بيت الله . وكانوا (كذا) الفرنسيس اخذوا منى مصادرة مالا كبيرا ، كما هو مفيد فى تأليفى ، وانا تردفت معهم ليردوا لى ما اخذوا منى ، سواء عطاوا او منعوا ، ارجع للجزائر واتوجه الى بيت الله ان شاء الله .

فهذا كان يسعنى ما وسع غيرى واسكت ، لكن يا اخى الغيرة الاسلامية حملتنى على ان كتبت وخاطرت بنفسى واعلمتكم . فالغوث الغوث لحال أمة

(I5) من الكلمة الفرنسية Ambassadeur أى السفير .

(I6) راجع دراستنا ، ثلاثة رسائل ... Trois - lettres ... نفس المصدر .

سيدنا محمد (صلعم) • اعلّموا سلطاننا بحال الاسلام والمسلمين ، وان امتنعتم ، فهذا خط يدي ارسلوه ولو لم يكن فيه رسوم لاثقة بالدولة ، الا ان حال الاستغاثة يغتفر فيه ما لا يغتفر في غيره •

الغيث الغياث • الفرنسييس لا يخرج من الجزائر الا بقوة سلطانية ، ومواعيده لا اصل لها ، وتعيده كل يوم يزداد ، وليس فينا من يبلغ سلطاننا هذا الحال •

الله الله ، لا تقصروا وبادروا وداركوا أمة سيدنا محمد (صلعم) والسلام •
من اخيكم حمدان بن المرحوم عثمان خوجة الغريب ، وفقه الله •

23 محرم سنة 1250 (17)

ملحق :

تعلم يا اخي ان الفرنسييس كانوا ارسلوا رجالا من الديوان لينظروا احوال الجزائر وسموهم كومسيون (18) • فمشوا وراوا الجزائر ورجعوا ثم امرهم ان يكتبوا كلما راوا ، وما ظهر لهم • فكتبوا وتشاوروا ؛ وقبل ان يتموا اتفاقهم ، ارسلوا الى كل من مشى للجزائر وسألوه عن رأيه ، فكل واحد قال ما ظهر له •

وارسلوا الى وحضرت في جمعيتهم ، وانا صائم في رمضان ، وسألوني فقلت لهم : « كلما اعرفه ، مكتوب في كتابي » ، فقالوا لي : « واذا رجعنا المظالم وعملنا العدل والانصاف فهل تطيعنا الرعية » ؟ ، فقلت : « لا يطيعوكم (كذا) ولا يأمنوكم (كذا) ابدا » وابطلت جميع ما توهموه (19) •

وبعد ذلك ارسلوا الى بوضربة الكافر ولم ادر ما قال لهم • ويوم التاريخ وجدت كتابا ألفه الكومسيون وطبعوه وعطوه لرجال الديوان ؛ فالتمست جواب بوضربة فوجدت انه قال لهم : « المسلمون لا امان فيهم ، وشيبتهم الغدر ، واذا تحبوا (كذا) ان تنقاد لكم الرعايا ، فاجعلوا الامير فرنسيا

(17) I جوان 1834 .

(18) (Commission) هي اللجنة الافريقية التي ارسلتها الحكومة الفرنسية الى الجزائر للتحقيق في وضعية البلاد .

(19) راجع نص الاسئلة التي وجهت الى حمدان خوجة من طرف رئيس اللجنة الافريقية ، وردة عليها في الوثيقة رقم 4 التالية ص. 182 - 186 .

وكاهيته مسلمون عرب » الى آخر ما يطول ذكره . من جملة ان يكون الحكم كله بالفرنسوى وان لا بد من دفع حكم شريعة المسلمين وفي هذا المعنى كلام كثير .

وانا اتحيل ان نشترى هذا الكتاب وارسله اليكم لترسلوه الى حضرة مولانا السلطان ، ويراه بعينه ولا يحملنا على المبالغة ؛ وان لم يمكن ان نشتريه ، ألخص لكم كلما فيه ، وارسله اليكم لتنظروه ان شاء الله مع اول مسافر الى ازمير والسلام .

تعليق : كل ما قاله السيد حمدان بن المرحوم عثمان خوجة في هذا الجواب صحيحا . محمود بن أمين السكة ، سابقا وكيل الجزائر في تونس ، والآن ساكن ازمير في 27 جمادى الثاني 1250 (20) يلى ختم محمود .

الوثيقة رقم 4

فى الجلسة الرابعة عشر بتاريخ 23 جانفى 134 ، لمدالات اللجنة الافريقية
حول تقرير مصير الجزائر ، استدعى حمدان بن عثمان خوجة لاستشارته ؛
وقد رأيت هنا من المفيد ان اقتطف ردود حمدان خوجة على اسئلة رئيس اللجنة
النوك دوكانز .

ع . ت .

الرئيس :

سيدى حمدان، لقد احطنا علما بمحتوى الكتاب الذى نشرتموه حول الجزائر،
وليس من مهمة اللجنة بحث المآخذ انشخصية (كذا) ، كاحتلال بعض المساجد
وانتهاك حرمة القبور . لقد عازمت الحكومة الفرنسية على ارجاع كل المساجد ،
الغير اللازمة له (كذا) كما وقرر فى المستقبل احترام الملكيات ؛ الا ان
التى احتلت من طرف الجيوش ، فانها ستعوض بقيمتها الحقيقية . واخيرا فان
الحكومة الفرنسية تريد تطبيق نفس العدالة الجارية بفرنسا ببلاد الجزائر ،
حيث لا يطلب من الاشخاص التخلي عن ممتلكاتهم لفائدة عامة ، الا بعد تعويضهم
عن ذلك .

الا ترون ان تطبيق هذه المبادئ يضمن ازدهار الممتلكات الفرنسية
بافريقيا ، كما ويجلب الى السلطة الفرنسية ، المواطنين الذين لم يتصلحوا بعد
معها ، حيث انهم حيدوا ، ولا شك عن ذلك الغرض ، تحت تأثير المآخذ
والشكايات التى بالغتم فى تصويرها ، والتى جاءت فى كتابكم ؟

حمدان خوجة :

لا يعتقد ان النتيجة سيتحصل عليها عاجلا ، واضاف : « ان مثل هذا لا
يمكن ان يطبق فى المدن ، ولكن سوف لن يكون له اى تأثير على القبائل » .

(1) A.N. : 80 F ، ملف رقم 9 و 10 مجموع هاته الوثائق باللغة الفرنسية .

الرئيس :

إذا احترم الدين ووفرت حماية المواطنين ، وقامت الحكومة الفرنسية بعدالتها على تقديم ضمانات للقبائل أهم من التي كانوا يلقونها زمن حكومة الدايات ، هل ان ذلك يكفل للسلطة الفرنسية استعدادهم الطيب لقبول السلطة الفرنسية والتعايش بسلام ؟ وإذا وجدت هاته القبائل منافعها مضمونة ببيع بضائعها في سوق الجزائر ، وبأثمان مرتفعة من التي كانوا يتحصلون عليها سابقا ، الا يؤدي ذلك الى ضمان طاعتهم وانقيادهم ؟

حمدان خوجة :

يصر على الاعتقاد بان هاته النتيجة تتطلب مدة طويلة ان لم تكن مستحيلة .

الرئيس :

ان مصلحة القبائل مرتبطة بذلك ، وإذا احترمنا الدين ووفرنا لهم امتيازات كثيرة ، لماذا لا يرضون بذلك ؟

حمدان خوجة :

يكرر القول بانه لا يرى امكانية لتحقيق ذلك ، ولكنه من جهة اخرى ، قد سلم الى الرئيس بعض الملاحظات الكتابية اشتملت على معلومات جديدة تضاف لما نشر في كتابه .

الرئيس :

ان القابل الاثنى عشر بسهل المتيجة يترددون على سوق الجزائر ، وهم على علاقة طيبة بالفرنسيين ، الا تفكرون ان اعادة وظيفة الآغا المكلف بالشرطة بينهم ، ليوجهوا طلباتهم اليه لحل مشاكلهم ، مستعينا في ذلك بفرقة من الفرسان كما هو الحال في عهد الدايات ، سيساعد على انقيادهم ؟

حمدان خوجة :

مستحيل ؛ عندما كانت حكومة الداى موجودة ، كانت القبائل منعزلة عن بعضها البعض ، اما الآن فهي متضامنة ضد بعضها البعض .

الرئيس :

كم هم جنود الداى الذى وفرهم سنة 1830 ، ليواجه نزول الجيش الفرنسى ؟

حمدان خوجة :

كنت فى ذلك الوقت بالجزائر ؛ يوجد ثلاثون الف محارب ، وكان باستطاعة الداي توفير ستين ألف ، ولكن ثقته بقوته ، جعلته لا يتوقع او يلقي هجوما فرنسيا عنيفا .

الرئيس :

تتدعون ان حاكم الجزائر دوك دوروفيغو (Duc de Rovigo) قد كلفكم بمهمة لدى باى قسنطينة ، اخبرنا بتفاصيل مهمتكم وبالمشاكل التى لاقيتموها اثناء رحلتكم ، وكم عدد الجيوش التى يملكها هذا القائد ؟

حمدان خوجة :

قمت بهاته الرحلة عن طريق البر ، فى مدة عشرين يوما ، وكنت مصحوبا بأبنى ، وتمكنت ان امر بسلام ، بفضل وساطة احد اولياء ، وبعض الهدايا البسيطة .

الرئيس :

ما هى الاقتراحات التى كلفتم بتقديمها لبأى قسنطينة ؟

حمدان خوجة :

هذا سر بينى وبين الحكومة الفرنسية .

الرئيس :

آه تستطيعون ان تقولوا كل شيء ؛ ليس هناك سر للجنة التى تستفسركم عن ذلك باسم الحكومة الفرنسية .

حمدان خوجة :

يجيب بحرج ، ولم يرد تبرير مهمته ؛ لقد صرح انه عرض نفسه لاختار باى قسنطينة .

الرئيس :

يذهب الى الاعتقاد بان سيدى حمدان لم يكن مبعوث دوك دوروفيغو الى الباي ، بل على العكس ، ألم يكن سيدى حمدان محل ثقة باى قسنطينة ، وان هذا الاخير قد حمله سلطات كتابية للتداول باسمه مع فرنسا ؟

حمدان خوجة :

اقر بصحة ذلك .

الرئيس :

الا تعتقدون اننا نستطيع اخضاع هذا الباي بطريق الوساطة ؟

حمدان خوجة :

ان ذلك لامر صعب . يملك هذا الباي انصارا كثيرين في الصحراء ، بحيث لا يمكن اخضاع تلك الجهات الا باستعمال السلاح ، كما ان الباي يملك جيشا تعداده عشرة آلاف شخص ، يقوم هو على تمويله ، هذا بالاضافة الى انصاره .

الرئيس :

من الذى يسيطر على سهل النتيجة ؟

حمدان خوجة :

لم يقدم جوابا ايجابيا عن ذلك . ولكنه يعلم ان اهم المزارع هي ملك للدولة ؛ وتوجد ستة عشرة مزرعة لاعراب السهل ؛ ويمكن التحقق من ذلك اذا روجعت وثائق الحكومة السابقة .

السيد صادة ، أحد أعضاء اللجنة :

ما هي العلاقات التجارية بين ولاية الجزائر والسودان قبل الاحتلال الفرنسي للبلاد ؟ وهل يمكن ايفاد قوافل تجارية الى السودان بعد اجتياز بلاد قبائل البربر ؟

حمدان خوجة :

ان التجارة المذكورة كانت تتم على ظهور الجمال ، وخاصة على يد قوافل قبيلة بنى عزول ، التي توجد على بعد عشرين يوما من جنوب مدينة الجزائر .

واذا اريد تجديد تلك الاتصالات التجارية ، فان العراقيل التي ستواجه ذلك ، ليست متأتية من بلاد قبائل البربر ، بل على العكس من ذلك ، توجد شعوب وحشية اخرى متكاملة على النهب بحيث ليس من اليسير اجتيازها دون التعرض الى الاخطار ؛ يوجد في كتابي بعض المعلومات حول هذا الموضوع .

الرئيس :

سيدي حمدان ، ان اللجنة ستحيط علما بالملاحظات الكتابية التي سلمتها اليوم ، وستدرس طلباتكم بكل دقة ، وستقوم بذلك بكل استقامة وعدل .
هل لكم ان تضيفوا لنا شيئا آخر ؟

حمدان خوجة :

صرح بان ليس له ما يضيفه ، ويدعو اللجنة ان تراجع ملاحظاته التي سلمها
اياها .

الوثيقة رقم 5

الحمد لله (I)

نقدم التحيات اللائقة والالقاء الفائقة لحضرة الوزير الاعظم دامت معاليه ،
توفرت رافته وحنانه ؛ المعروض على معلومات دولتكم الرفيعة اننى اول قدومى
لحضرة باريز قدمت عرضحالى (كذا) بالشكاية على حضرة وزارتكم ولم يأتنى
جواب (2) ، وتانسست بما ظهر من بعض اثار العدل ، حيث ارتفعت بعض المظالم
التي ذكرتها فى شكائتي واملت ان سياسة الدولة الفرنسية لم تسمعه ولا
ترتضيه ؛ وازداد سرورى حيث عينتم الكوميسيون المحترم ليتفقد جميع احوال
الجزائر ، ويرفع المظالم ويسمع الشكايات ، حتى يتحقق عند الدولة الفرنسية،
صدقنا فيما قلناه .

ثم بعد وصول الكوميسيون الى الجزائر ، اتانى مكتوب، واخبرونى ان اللومين
(كذا) طلب من المفتى قيمة ما صرف على هدم الدار ، وهى دار وقف حبوس
على الجامع الكبير، هدموها لتوسيع الزقاق . وايضا طلبوا من حجام اسمه يدام
مصرف هدم حانوته ، التى كان يخدم لمعيشته فيها ، وهدمت لتوسيع
الزقاق ، وطولها نحو خمس اونات (3) وعرضها اونتان ونصف ، فطلبوا منه
المصرف 150،82 مائة وخمسين فرنسا واثنتين وثمانين سنتم (كذا) ، وايضا
ارسلوا لغيرهما يطلبون ثمن الهدم . ومن ادعى الفقر ، طلبوا منه رهن عقد
المهدوم او بيعها لهم ؛ وهذا امر لا مدخل لى فيه ، الا اننى وكثير ممن انا
وكيلهم ، لنا املاك كثيرة مهدومة ؛ فلا شك ان يطلب منا كما طلب من
غيرنا ، وحضرة الوزير الاعظم لا شك انه لم يأمر بهذا ، ولا علم له ، ولا
يرتضيه . وليس فى شرع من الشرايع (كذا) ان الانسان تقطع يده ،
ويعطى مصرف القطع وثمان السكين ، الذى قطع به يده ، التى كان يأكل
بها .

(1) A.M.G. 22 ؛ H. ، الجزائر ، رسالة حمدان هاته ، قدمت باللغة العربية وقد رفعها الى
وزير الحربية الفرنسى .

(2) راجع عرضحال حمدان المنشور اعلاه ، وهو الوثيقة رقم I ، ورد وزارة الحربية عليه ص. 145 -
165 .

(3) لم تتمكن من تحديد معنى الكلمة ويبدو انه تعريف للمقاييس !

فخرجوا (كذا) من حسن سياسة حضرة الوزير الاعظم ومن رافته ورقته
لحال المظلومين والاسارى ، ان يرفع هذا الظلم (الذى) لم يحك فى التاريخ
مثله ، وتنهاتهم عن ارتكاب مثله ، كما هو شأن الكرام ، ومنقص عرض الدولة
الفرنسوية والنسيون (4) .

واقبل باليمن والسعادة والاقبال ، ايها الوزير الاعظم ، تعظيم واحترام
خديم وزارتكم ، حمدان بن المرحوم عثمان خوجة ، وفقه الله وسامحه فى
عرض حاله .

باريس 5 اكتوبر 1883

نهج الجامعة رقم 88

(3) هي الكلمة الفرنسية (nation) اى الامة .

الوثيقة رقم 6

ايها الملك (I) .

ان عجوزا ناهز من العمر الثانية والستين ، قد وجد نفسه وعائلته في
وضعية محزنة ويأمل من سمو الملك العظيم ، الذي يرحم الفقراء ، ان يسمح
له بمقابلته ليحلب شفقتة عليه . أجراً على طلب مقابلتكم وذلك لاتمكن من
شرح الوضعية على جلالتم ، مبينا له المصائب التي حلت بى .

بعد ترجمة عرض حالى على سمو جلالة الملك ، سيتفضل بتشريفى بحضرته
وليتمكن الملك من تصور الحالة التى تردى فيها أب لعائلة كبيرة ، وليجد له
علاجاً لكل هاته المشاكل .

ان عبدكم يطلب مرافقته بمرجم لدى الملك حتى يؤدى بامانة ، الاراء التى
ستعرض على جلالته ؛ كما ويطلب عبدكم العفو ، اذا اقترف بعض الاخطاء الغير
الارادية .

عبدكم المتواضع حمدان عثمان خوجة
باريس I9 جوان 1835

(I) A.M.G. ؛ 32 H. الزائر ، عريضة حمدان خوجة هاته باللغة التركية وقد
رفعها الى الملك الفرنسى لوى فيليب بتاريخ I9 جوان 1835 ، راجع الشكل رقم 24 .
ص. 192-193 .

عرض حال

هذا عرض حال يقدمه الى سمو جلالة الملك بكل احترام ، عبدكم المتواضع حمدان خوجة ، الذى ناهز من العمر الثانية والسنتين ، والذى اصبح فقيرا وبدون موارد . . اما اليوم فانه تحت حمايتكم وفى ظل عدلكم الملكى .

قبل ان تستولى الحكومة الفرنسية على الجزائر كنت انا عبدكم احد الاغنياء والمعتبرين بهاته المدينة ؛ كنت املك بمنطقة المتيجة بمزارعى عشرة آلاف رأس غنم ، ستمائة رأس بقر ، ومائتى زوج بقر للحراثة ، ستين جملا ، مائتين ما بين فحول وفرسان ، وستين بغلا ، وعددا آخر من الحيوانات . كنت أملك بالإضافة الى هاته الثروة الفلاحية ، ستمائة معسلة ، ما بين خمس وست آلاف كيلة من القمح والشعير ، وعدة آلاف من المساحة الصالحة للحراثة . وبعد سقوط الجزائر فى يد الفرنسيين ، نهب الاعراب كل هاته الثروة التى تقدر بـ 400.000 فرنك .

وبالإضافة الى فلاحتى ، فقد كنت تاجرا بالجزائر ، وكانت لى تجارة كبيرة ورأس مال اكثر من ثلاثمائة الف فرنك ، تعامل بها فى ولاية الجزائر (2) .

غير انه بعد احتلال الفرنسيين للبلاد ، كان من المستحيل على ان أنحصل على الديون التى كنت اقرضها فى خارج مدينة الجزائر ؛ اما الديون التى كانت بمدينة الجزائر ، فان اصحابها قد غادروا البلاد .

ان الضباط الفرنسيين الذين اجرؤا تحقيقا حول قيمة هاته المبالغ المفقودة ، قد قدروها بحوالى 300.000 فرنك .

كذلك كنت املك بمغازتى عددا من البضائع والاقمشة التى لم تبع ، نتيجة عدم تمكن القوافل القاطنة بداخل البلاد، من دخول الجزائر العاصمة؛ واجبرت اثر ذلك ، على بيع تلك البضائع ، بالحسارة .

(2) ان الدفاتر التركية والعربية بالجزائر تبين ذلك ، راجع A.O.M;15.MI 49, Vol. 381

وعليه فقد اضطرت الى ترك الفلاحة والتجارة .

وعندما نزل الجيش الفرنسي بسيدى فروج ، اخذ حسين باشا من مغازتى بما قيمته مائة ألف فرنك ورقا آستعمل لصنع الخراطيش ، دون ان يسدد لى الثمن ؛ ذلك اننا فى ذلك الوقت لا نفكر بغير الحرب ، فلم اجرؤ على المطالبة بذلك . لقد تحصلت على وصل بذلك من بعض المسؤولين الكبار فى حكومة الجزائر ، وقد طالبت المرات العديدة من المرشال بورمن تسديد ذلك ، غير انى لم اتلق ردا بعد .

وقد وجهت نسخة الوصل الاصلية الى المرشال كلوزال ، ولكن بدون جدوى ، اذ لم اتلق ردا ، ولم يرد الى الوصل .

وبعد هذا التعب الشديد والحسارة التى لحقت بى ، فانى أومل باعتبارى احد رعايا الحكومة الفرنسية وفى ظل عدالتها ، ان اتمكن من استرجاع حقوقى كاملة .

وفى تلك الاثناء فرضت على قهرا اداء 12.0000 فرنك ، اما انا فلا ادفع شيئا ، اذ ليس واجبا على ، اداء ذلك ؛ وقد رميت فى السجن أنا وخالى المسن ، البالغ من العمر الثمانين ، كما وختمت منازلنا ولم نتمكن من الخروج من السجن الا بعد ان دفعنا 132.000 فرنك .

وايمانا منى بعدالة الحكومة الفرنسية ، فقد التجأت الى مجلس شورى الدولة ، للفصل فى هاته القضية . وبعد ثلاث سنوات من السعى ، اذن لى باعادة المبالغ التى اخذت منى غصبا ، كما وطلب التحقيق فى دفاتر مدينة الجزائر ، بحيث لا يمكن تسديد تلك المبالغ الا بعد التاكيد بانى لست مدينا لحزينة الدولة .

والآن مرت ثمانية اشهر على هذا القرار ، ولم يبدأ بالتحقيق فى الدفاتر ، بحيث يؤجل ذلك من اسبوع الى آخر .

لقد مر على الآن ستة وعشرون شهرا بباريس لمتابعة هاته القضية ، وقد سبب لى ذلك مصاريف كثيرة ، بحيث نفذ المال الذى كان بحوزتى ، واضطرت الى اقتراض 7.000 فرنك .

وعندما كان دوك دوروفيفو حاكما على الجزائر ، كلفنى بمهمة لدى الحاج احمد باى قسنطينة ، غير ان هذا الاخير لم يأخذ مهمتى على محمل الصدق ،

لأنى كنت محملا بتعاليم شفاهية وليست كتابية ؛ واضطرت اثرها الى تسليم الحاج احمد باى ، اوراق تكليفى والتي سلمها لى الدوك دوروفيفو .

وقد ذهبت الى قسنطينة مرتين ، رغم كبر سنى ، والمخاطر التي تعرضت لها مدة عشرين يوما ، قاطعا قبائل الاعراب ؛ وقد صرفت 19٠000 فرنك لاداء تلك المهمة .

ولدى رجوعى من تلك المهمة التى قمت بها ، خدمة للحكومة الفرنسية ، كنت أومل ان تسدد لى تلك المصاريف وان تعهد الى بعض الاكرامات .

الا ان الدوك دوروفيفو سقط مريضا ، وفى الايام الاولى من رجوعه الى باريس ، عبر عن رغبته لمقابلته .

وعندما وصلت باريس مؤملا الشىء الكثير ، وجدت ان الدوك قد توفى ؛ وبعد ذلك بايام ، طالبت المرشال سولت (Soult) بتلك المصاريف التى دفعتها ؛ غير ان المرشال طالبنى بالاوراق الرسمية التى سلمت لى اثناء تكليفى بهاته المهمة ؛ وبما انى لا املك اوراق اعتمادى ، فقد رفض طلبى ، على الرغم من علم الحكومة الفرنسية بموضوع تلك المهمة .

وقد التجأت اثر ذلك الى مجلس شورى الدولة متجسما مصاريف القضاء . وبعد عام من ذلك اخبرت بان السلطة القضائية عاجزة عن محاكمة مثل هاته القضايا وانها لا تستطيع ان تحاكم امثال هاته التصرفات ، الصادرة عن بعض الوزراء (3) .

وبذلك اكون فى اواخر حياتى قد اضعت وقتى وجهدى فى خدمة الحكومة الفرنسية ، ولم استلم حتى مقدار 19٠000 فرنك ، التى صرفتها من اجله ، عندما سلطت على آنذاك انواعا من صروف الدهر ونكباته .

وبعد احتلال الجزائر ، امرت السلطات المحلية بهدم عدد كبير من المغازات ، لبناء مكان عام ولغرض توسيع الطرقات . وقد اعلن المرشال كلوزال فى

(3) A.O.M. 1 ، 1 H ، ملف حمدان ، (1832 - 1839) ، وبتاريخ 21 اكتوبر 1834 ننقل الملاحظة التالية : (ان مجلس القضاء بأمر من النيابة العمومية الملكية ، قد امر باعادة النظر فى هاته القضية للشك القانونى ، وسوف تحال على النيابة العمومية لمجلس القضاء الاعلى بالجزائر ، والذي ستحيل اليه القضية مرفوقة بوثائقها مع ابداء رايه فى ظرف ثلاثة اشهر ، ابتداء من يوم اتصاله بهذا الامر) .

1. The first step is to identify the problem. In this case, the problem is that the company is not meeting its sales targets. The second step is to analyze the data. The third step is to develop a plan. The fourth step is to implement the plan. The fifth step is to evaluate the results.

منشور علق في المدينة ، ان الحكومة الفرنسية سوف تسدد للاشخاص الذين تضرروا بهدم ممتلكاتهم . وايماننا من ان المرشال سوف لا يقوم بذلك ، فقد قدمت الى المحكمة ، رسما يضم كل مغازاتي المهدومة ، وقد ختمه القاضي الذي شهد بصحة ذلك .

وقد حملت معي الى باريس رسما عاما ، ختمه القاضي ايضا ، وهو يوضح كل هاته المغازات المهدومة ، ومنذ عام وانا اطالب المرشال سولت بتسديد انضرر ، بعد ان رفعت اليه الرسم المذكور .

وقد رد على المرشال جرار (Gérard) بما يلي : « يجب ارسال هذا الرسم الى الجزائر حتى يتأكد من صحته » .

وفي الجزائر استدعى الوكيل كلبار دوهامن (Golbert d'Hammon) ابني وافتك منه غصبا ، الرسم الاصيل .

وقد مرت الآن سنة ولم نتحصل على قيمة املاكنا المهدومة . كما استحوذت الادارة الفرنسية على كل الرسوم ، ولم نتلق ردا ايجابيا في الموضوع حتى الآن .

اما في فرنسا فان الحكومة الفرنسية مضطرة وحسب القانون ، ان تسدد قيمة الممتلكات التي استوجب هدمها ، اذ القانون يعد ذلك واجبا مقدسا .

اما انا المصاب بكثير من النكبات ، فقد كنت اطالب منذ خمس سنوات ، ولكن بدون جدوى ، اموالي الشخصية ؛ ان هذا التصرف يعد عملا غير مشرف لعظمة الحكومة الفرنسية .

ومنذ ان اصبحت فرنسا سيده الجزائر حتى اليوم ، اصبحت القموح لا تصل الى العاصمة من داخل البلاد كما كان الشأن سابقا ، بل على العكس اليوم ، فان الحبوب وغيرها من المواد الغذائية تصل عن طريق البحر وبالسائط التجارية ، وقد ارتفع ثمنها خمس او ست مرات عن ذي قبل .

لقد كنت احد اعيان واغنياء مدينة الجزائر ولى عائلة اقوم على معاشها ؛ اما اليوم فانه لا يستطيع ان افى بحاجيات عائلتي البالغ عددها اثنين وثلاثين نفرا .

لقد تطوعت بالمنازل والحدائق التى بقيت لى ؛ اما مجوهرات افراد عائلتى ، فقد سلمت الى القنصل الانقليزى المقيم بالجزائر ، مقابل قرض مالى وبداء مفرط جدا .

ونتيجة لهذا الوضع فانى لم اعد قادرا على كفالة افراد عائلتى ، وقد امرت ببيع حديقتى ، ومما لا شك ، انه فى آخر هاته السنة ، سنضطر الى مد يد التسول . وحتى شخصى فانى فى اواخر ايام حياتى ، اصبحت لا اقدر على تحمل مزيد من عبء الهوان والذل . وعليه وجب على النزوح من باريس راجلا ، دون ان اتمكن من تسديد الديون التى على ، والالتجاء الى بلد آخر ، اذ لم يبق لى ، الا استجداء لقمة العيش .

ان عرض اسباب خسارتى على الامير الرحيم الذى هو اليوم بمثابة ملكى ، اؤمل منه ، ان يشملنى جلالته بشفقته الملوكية وسيحيمنى بفضل عدلته ، التى يتمتع بها كل سكان فرنسا الخاضعين لسلطته .

اتوسل الى سيادتكم ان تلقوا عين رعايتكم على وضعيتى المؤسفة ، وان لا تردوا عرض حالى هذا .

حمدان بن عثمان خوجة

باريس فى 19 جوان 1935

IV

انطباعات حول علاقة الأمير عبدالقادر باثقلنا

والباب العالي سنة 1840-1841

انطباعات حول علاقة الامير عبد القادر بانقلترا

والباب العالي سنة 1840 - 1841 (I)

ان دراسة علاقة الامير عبد القادر بانقلترا وبالباب العالي ، يدفعنا الى استعراض بعض الملاحظات العامة حول ولاية الجزائر .

لقد كان سقوط الجزائر على يد فرنسا حدثا غير متوقع الحدوث ، إذ ليس في حساب أحد ، ان أترك الجزائر الذين اظهروا طوال تاريخهم بالبلاد، مقاومة عنيدة لكل انهجمات الداخلية والحارجية ، سوف ينكسرون بسرعة .

لم يكن أترك الجزائر أسياد البلاد المحترمين من طرف الشعب ، بل على العكس ، كان الأهالي يخشونهم ويطيعونهم .

ان هذا الشعور السائد لدى الاعراب والاولياء قد ضعف من حقدهم تجاه أترك الجزائر ويمكننا على ضوء ذلك ، ان ندرك موقف الامير عبد القادر تجاههم دون ان نبالغ فيه .

لقد تجرأ الامير عبد القادر ان يكاتب السلطان عبد المجيد ، متحدثا بازدراء عن انكشارى الجزائر : « وذلك ان الينيشارية (كذا) الذين كانوا بالجزائر لما خرجوا عن طاعة امير المؤمنين والدك المرحوم ، عاقبهم الله بسوء فعلهم ، وسلط عليهم من لا يرحمهم ، العدو الكافر الغشوم . فبدد شملهم واجتث اصلهم وملك القرى والمدائن (كذا) واهل هذا الوطن بالاصالة ضعاف منذ عاملهم عمال الجزائر فى السابق بالظلم الكبير والاعتساف ... » (2) .

كان عبد القادر يرى ان مهمة تاريخية قد القيت على عاتقه ، ويتمثل ذلك فى طرد الفرنسيين من البلاد واقامة دولة اسلامية عربية : «احتاج الناس اذ ذاك،

(I) قدمت هاته الدراسة فى المؤتمر التاريخى للدراسات المغربية بكاليرا (ايطاليا) المنعقد ما بين 22 و 25 ماي 1969 .

(2) B.A.؛ ارادة خارجية رقم 820 ، ملف رقم 2 ؛ راجع الوثيقة رقم 5 المنشورة اثر هاته الدراسة ، ص. 221 - 226 .

كما كتب الى السلطان ، الى من يضبط جهادهم ويقوم بجميع امورهم ويجمعهم ويجمع ما به قوام جهادهم ويتكلف سياسة خاصتهم ... » (3) .

لم يهتم الامير عبد القادر في بادئ كفاحه بالاعانة التي يمكن ان يقدمها له الباب العالي ، بل على العكس من ذلك ، اظهر عدم الاكتراث ، خصوصا وعلى حدوده الغربية ، توجد مملكة سلطان المغرب عبد الرحمان ، الذي وعده بكل اعانة للعمل من اجل الجهاد ضد المسيحيين .

غير ان اندلاع الحرب بين عبد القادر وفرنسا وما سببته من تأثيرات على الاطراف المتنازعة ، وتطور المسألة الجزائرية لدى المسؤولين الفرنسيين ، ثم الاهتمام البالغ الذي اظهره المستعمرون بالجزائر للحفاظ على امتيازاتهم باى ثمن ، ثم قلة الذخائر الحربية لجيش الامير عبد القادر ، واخيرا سوء التفاهم بين الحاج احمد وعبد انقادر ، كل هاته العوامل قد خلقت عدم توازن في القوى لصالح فرنسا ، عندما تمكنت من عقد معاهدة تافنا مع الامير عبد القادر بتاريخ 20 ماي 1837 .

وقد هدفت فرنسا من تلك المعاهدة ، تسكين الضفة الغربية للجزائر ، لتجد حريتها المطلقة للقضاء على الحاج احمد باى قسنطينية ، الذى الحق جيش فرنسا هزيمة نكراء ، امام جدران مدينة قسنطينية في اكتوبر 1836 .

اما موقف الباب العالي فكان سلبيا ؛ ذلك انه بواسطة سفيره بباريس احتج على عقد المعاهدة بل واعطى الامر للسفير ، ان يعمل على عرقلة عقد معاهدة تافنا ؛ ذلك ان الامير عبد القادر يعد في نظر الدولة العثمانية ، احد رعايا السلطان ، وامضاء معاهدة كتلك ، كان اولى ان تتم بين الحكومة العثمانية والفرنسية (4) .

لقد كان موقف السلطان هذا طبيعيا ، اذا اخذنا بنظر الاعتبار ، ان الامير عبد القادر لم يعترف بالسلطان العثماني في بدء جهاده ، خلافا للحاج احمد الذى ما فتى يوجه رسائله الى الباب العالي معبرا عن ارتباطه بالسلطان ؛ ونتيجة لذلك ، كان الباب العالي يفكر في تعيينه واليا على الجزائر ، اذا ما نجحت مساعي الباب العالي لاسترجاع البلاد ؛ ولعل ماخذ الحاج احمد ضد عبد القادر قد دفعت الباب العالي الى اتخاذ موقف صلب تجاه الامير .

(3) المصدر نفسه .

(4) راجع ، التميمي ، عبد الجليل ، السياسة .. نفس المصدر ، ص. 100 ، تونس ، 1970 .

سوف لن اتحدث عن الاحداث التاريخية لهاته الفترة ، تلك الاحداث الهامة
والثيرة، ولكننا نلاحظ انه يسقط الحاج احمد وانسحابه الى الصحراء، نمت
هيبة الامير لدى الاهالى .

لقد اعطى الامير ملامح جديدة لمملكته العربية بحيث : « اجتمعت كلمات
المسلمين من حدود طاعة الشرق الى حدود تونس وانتفا (كذا) منها كل
شر ، ولم يبق الا ما يسر ويونس (كذا) » (5) .

غير انه في سنة 1839 ، اثيرت الخلافات من جديد ، بشن الاعمال العدائية
بكل شراسة ، وقد لحق الصفان كثيرا من الحسائر الفادحة .

كانت الحكومة الفرنسية : « ترى ان عقد الصلح مرة ثالثة مع الامير
عبد القادر ، معناه اعادة ارتكاب اخطاء المعاهدات السابقة . ان عبد القادر
يمثل المساندة المادية والاخلاقية لكل المقاومة التي نجابها ؛ وما دام عبد القادر
موجودا ، فانه يمثل امل الوطنية العربية ، ويترتب عن ذلك استمرار نفوذ
المسلمين ضدنا ، وعليه يجب شن حرب عنيدة وطويلة النفس ضده » (6) .

اما بالنسبة لعبد القادر ، فانه قد قبل الصلح لغرض اراحة جيوشه ،
وتوفير السلاح لمحاربة اعداء الدين ؛ غير انه دفع الآن الى الحرب ؛ وعليه قام
الامير باتصالات في الداخل ، بمكاتبة الاولياء والعرب وانصاره . اما في
الخارج فقد كان يتمنى ربط علاقات بالشرق وبالغرب .

اخذ عبد القادر المبادرة اذن ، بالكتابة الى الانقليز ، بواسطة قنصلهم بطنجة
بتاريخ 12 افريل 1840 ؛ اما حامل رسائله فكان التاجر نكولا منوشى
(Nicolas MANUCCI) ابن نائب قنصل انقلترا ببنزرت (7) .

(5) B. A. ؛ خارجية رقم 820 ؛ راجع الوثيقة رقم 4 المنشورة أثر هاته الدراسة ، ص. 219-220

(6) YVER, Georges, Correspondance du Maréchal Valée,

ج. 5، ص. 67 ، باريس ، 1956 .

(7) EMERIT, Marcel, L'Algérie à l'époque d'Abdelkader,

ص ، 295 ، الجزائر ، 1951 ، يذكر لنا أن : « نكولا منوشى كان موجودا بتكدمت في شهر
ديسمبر 1840 ، وقد عرض على عبد القادر تمكينه شراء السلاح ، وقد قبل الامير العرض
وسلمه 4000 ريال اي 20.000 فرنك وعليه اتجه منوشى الى المغرب ومنه الى جبل طارق ،
حيث مازال موجودا حتى الآن قصد صفقة سلاح ، ذلك السلاح الذي سيوفده (الى الامير عبد
القادر) عن طريق تطوان .. »

وفى احد رسالتيه التي تهمنا هنا ، كتب عبد القادر الى الحكومة الانجليزية :
 « فانه وقع بيننا وبين دولة الفرنضيص شرط مدة من نحو السنة ، فى شأن
 مملكة الجزائر ، بان سلمنا لهم انبعض من الوطن وجعلنا بيننا وبينهم حدودا
 وحفظنا بعض المراسى لنا » (8) .

كان عبد القادر يرمى ربط علاقات طيبة مع الانقليز ، بمنحه ميناء تنس
 حتى يسهل عليهم الاتجار معه ، وكذلك ليتمكن الامير من شراء الاسلحة :
 « ... كان مرادنا بعد ذلك ان نكاتبكم ونعرف دولتكم ونعطوكم (كذا) مرسى
 مثل تنس او غيرها ، مما هو فى ايدينا ، نبيعون فيها (كذا) وتشترون ما
 تحتاجون من الحب والقمح وغير ذلك ، ونحن نأخذ منكم ما نحتاج اليه . غير
 ان مدة سنين تأخذون من هذا المرسى ولا نأخذ منكم حقها من مخطاف وغيره .
 ثم بعد ذلك نتفق معكم على امر معلوم ، ولم يتيسر لنا الكتب (كذا) لعدم
 وجود من يعرف ارضكم ويخاطبكم فى شأن ما ذكرنا لكم ، حتى وجدنا هذا
 الحامل المركانظى نصالى منوشى ولد قنصل الانقليز من ابن زرت (كذا) (9)
 من عمالة تونس ؛ فوجهته اليكم ليتكلم معكم . فان اردتم ان نجعل بيننا
 وبينكم متجرا ، فاخبروا دولتكم بذلك ، وانفصلوا (كذا) الجميع مع الحامل ،
 فانكم اهل ولاء وعهد ؛ واما الفرنضيص فلا ولاء معهم ولا عهد كما لا
 يخفاكم . وان ظهر لكم ما ذكرنا لكم من امر المرسى ، فلا نبيع لاحد غيركم من
 ساير الجنوس وتأخذون ما تحتاجون بسوم بلادنا كما يتبايعون معشر العرب
 فى بعضهم بعضا ولا يزيدون عليكم شيئا فى المدة المذكورة » (10) .

كان عبد القادر يفكر ، بتسليمه ميناء تنس للانقليز ، وتفضيلهم على بقية
 الامم ، ان يجد له نصيرا ومؤيدا لشراء السلاح من جهة ، والوقوف بجانبه
 على الصعيد السياسى ، اذا ما اضطر الى مجابهة العدو .

غير ان الانقليز الذين اظهروا قلقهم من استيلاء الفرنسيين على الجزائر ،
 ووجدوا انفسهم مجبورين على قبولهم الامر الواقع ، لم يستجيبوا لنداءات
 عبد القادر .

(8) ؛ 3/43 ، F.O. ، رسالة من الامير عبد القادر الى رئيس وزراء بريطانيا ، بتاريخ 28 صفر
 1256 / 12 افريل 1840 .

(9) بنزرت ، مدينة ساحلية فى الشمال من البلاد التونسية .

(10) ، F.O. ، 3/43 ؛ من رسالة عبد القادر الى رئيس وزراء بريطانيا انظر الشكل رقم 26 .
 ص . 200 - 201 .



الشكل رقم 25 - الامير عبد القادر •

D'Estailleur - Chanteraine ph, *Abdelkader*, p. 259, Paris, 1931.

وجه قنصل بريطانيا بطنجة تقريرا الى رئيس الوزراء البريطاني ، اللورد بلمرستون (Lord PALMERSTON) بخصوص نكولا منوشى ، مبعوث الامير :
« ان وصول الوكيل منوشى ، كان لغرض شراء الاسلحة التى سمح سلطان المغرب بمرورها الى الجزائر ، لايصالها الى الامير » (II) .

اما بلمرستون ، فانه لا يستطيع ان يستجيب لمطالب الامير ، وان يقبل عروضه ، ذلك أن المسألة الشرقية كانت تعيق كل مسعى سياسى لفائدة الامير .

كانت فرنسا معجبة ومفتخرة بانتصارات محمد علي ، وقد عبرت على عطفها له ؛ كما ان علاقاتها مع مصر كانت مثالية بأعتبار مصر اجمل مستعمرات فرنسا (I2) .

ان انقلترا التى كانت قلقة على سلامة الطرق البحرية والمواصلات مع الهند ، والتى اصبحت مهددة ، قد اتخذت موقفا بريطانيا من ذلك ، باثارتها شعور الاغتيال والنقمة فى اوروبا ضد فرنسا ونجحت اثر ذلك فى عقد معاهدة لندن بتاريخ 15 جويلية 1840 مع النمسا وبروسيا وروسيا والباب العالي ؛ اما فرنسا فقد استثنت من المشاركة .

اعلن المرشال سولت (SOULT) ، واصفا تلك المعاهدة : « انها معاهدة شومون الجديدة (I3) » « Ce fut un nouveau traité de Chaumont » . أما الشاعر والسياسى لامرتين (LAMARTINE) فوصف المعاهدة : « بانها واترلو السياسية » . لقد كان الانفعال شديدا فى صفوف الشعب الفرنسى ، الذى اظهر عداوته للانقليز وحلفائهم . اما الحكومة الفرنسية فقد شرعت جاهدة فى تهيئة نفسها للحرب (I4) .

(II) F.O. 3/43 .

DRIAULT, Edouard, La question d'Orient

(I2)

ص . 44 ، الطبعة الثامنة ، باريس ، 1921 .

(I3) هى المعاهدة التى عقدتها النمسا وانقلترا وبروسيا وروسيا بتاريخ 1 مارس 1814

والتي كانت تنص على محاربة فرنسا وارجاعها الى حدود ما قبل 1792 .

(I4) TESTA, Le Baron De, Recueil des traités de la Porte Ottomane

ج . 3 ، ص . 5 ، باريس ، 1866 .

وخلال هاته الازمة الفرنسية الانفليزية ، كان على اللورد بلمرستون ان يرد على رسالة عبد القادر . كان بلمرستون اذن مصمما على رفض طلبات الامير ، اما في حالة قبوله ، فان واجهة جديدة ستفتح امامه ، وتكون الحرب محققة بين الدولتين .

وعليه كتب اللورد بلمرستون الى قنصله بجبل طارق بتاريخ 6 اكتوبر 1840 ، طالبا منه ان يبعث بمحتوى رسالته الى مبعوث الامير عبد القادر وجاء في رده : « ان الحكومة البريطانية تشكر الامير عبد القادر عرضه عليها ميناء بالتراب الجزائري ؛ ان جلالة ملكة بريطانيا لا ترغب الحصول على ممتلكات على ساحل البحر الابيض المتوسط لافريقيا ، كما ان الحكومة البريطانية لا تعتقد ان توسطها بين فرنسا وعبد القادر سيؤدي الى نتيجة هامة ؛ هذا مع ملاحظة ان الحكومة البريطانية سوف لا تنحاز الآن الى احد الشقيين المتنازعين » (15) .

كان لهذا الرد على الامير الاثر السيء . بقي للامير محاولة جلب انتباه السلطان عبد المجيد ، فعماه ينجح في ذلك !

**

اما عن علاقة الامير بالباب العالي ، فيبدو ان معلوماتنا قد نمت ، بفضل عثورنا بارشيف رئاسة الوزراء باستنبول ، على عدة رسائل مخطوطة ، لم تنشر بعد . وقد مكنتنا هذا من طرق الموضوع والذي لم يسبقنا أحد الى درسه .

فبتاريخ 24 اكتوبر 1840 وجه الامير رسالة الى الباب العالي ، غير اننا لم نعثر الا على موجز لتلك الرسالة باللغة التركية . وفي هاته الرسالة كان عبد القادر يدافع عن نفسه ضد ماآخذ الحاج احمد باي : « لم اكن متفقاً مع الفرنسيين ، اذ لم يقع ذلك البتة ؛ وحسب مبادئ الاسلام ، يسمح استعمال الحيلة والمداهنة مع العدو ؛ وهذا ما قمت به تجاه الفرنسيين » (16) .

والذي يهمنا هنا ملاحظته ، هو الدور الذي لعبه حمدان بن عثمان خوجة الجزائري وحسونة الدغيس الطرابلسي في العاصمة العثمانية .

(15) F.O. 3/43 .

(16) B.A. ؛ ارادة ، خارجية 386 ملف ، رقم 1 .

فحمدان يعتبر الشخصية الهامة التي لعبت دورا في باريس واستنبول من اجل القضية الجزائرية ، وقد عد في نظر السلطات العثمانية ، الشخصية القادرة على فهم وتحليل سلوك المغاربة وبالاخص احداث الجزائر ايام الحاج احمد باي والامير عبد القادر .

كان حمدان يشارك في اجتماعات الصدر الاعظم الخاصة بمشاكل الساعة في 'لولايات المغربية العثمانية ؛ وكان يدلي برأيه وتحليله بحضور الوزراء جميعا ، والذين كانوا يستمعون اليه بانتباه وينفذون ما ينصحهم به .

كان حمدان هو الذى يقوم بترجمة الرسائل الوافدة من المغرب من العربية الى التركية ، ويحرر الجواب عنها بالعربية اذا اقتضى وطلب منه ذلك .

اما حسونة الدغيس ، فهو الآخر يدرك عقلية هاته الشعوب . لقد كان وزيرا ليوסף باشا قرمانلي ثم التجأ الى باريس ولندن وهناك لعب دورا متكاملا مع حمدان بالنسبة للقضية الجزائرية . ولدى رجوعه الى استنبول ، قدم للسلطات العثمانية تقارير ليقنعها بالطرق المجدية لاسترجاع الجزائر (17) .

ولنا ان نتساءل من الذى دفع الامير عبد القادر على الاتصال بالباب العالى ؟

ان هاته الفكرة قد اوحى له ، من طرف حمدان خوجة ، هذا المقاوم العجوز الذى لا يعرف الكلل الى نفسه سبيلا ، والذى ما فتى يثير شعور المسلمين للدفاع عن الجزائر . لقد كتب حمدان الى الحاج احمد باي قسنطينة : « انكم مجبولون على الغيرة الدينية والحمية الاسلامية ، والشجاعة الذاتية ؛ وينبغى ان لا تخلو تلك النواحي عن هو مثلكم فى القوة الدينية ونفوذ الكلمة مع النجدة والشجاعة الكاملة . . . » (18) كما كتب الى الامير عبد القادر طالبا ربط علاقاته بالسلطان والشعوب الاسلامية .

يعتبر حمدان الجيش المغربى اكثر تفوقا وشهرة من جيش سوريا ومصر . فلماذا لا يجتمع الحاج احمد وعبد القادر ويشكلان جبهة واحدة امام العدو ؟

(17) B.A. 52500 H H راجع الوثائق رقم 5 و 6 و 7 ص . 320 - 323 .

(18) B.A. ؛ اودة ، خارجية 227 . ملف رقم 2 ؛ راجع الوثيقة رقم 3 المنشورة اثر هاته

الدراسة ص . 217 - 218 .

هذا ما كان يردده حمدان على الحاج احمد ولعل حمدان قد صرح به أيضا للامير .

وقد رد الامير على رسالة حمدان بانه لم يقم باى اتصال مع العثمانيين خشية عدم الرد عليه . اما الآن فان فكرة الاتصال بالباب العالي قد اقترحت عليه من طرف صديقه حمدان بن عثمان خوجة الذى يرغب منه جمع كلمة المسلمين ، وقد رد عليه عبد القادر : « اعتمدنا اشارتك بهذا الراى الرشيد واستعطفنا سيدنا مولانا ... » (I9) .

ان افافا جديدة فتحت امام الامير ، سيطلب عبد القادر الاعانة وسيشرح الوضعية على حضرة السلطان ، وكيف ان المسلمين يحاربون منذ عشر سنوات فرنسا ، التى قررت اخيرا استعمار البلاد وضمه اليها عندما عينت لهاته المهمة الوالى بوجو (BUGEAUD) .

وعليه كلف الامير عبد القادر بتاريخ شهر ديسمبر 1841 العقيد سكوت (Colonel SCOTT) بالتوجه الى لندن ، لتقديم اربع رسائل الى الوزارة الخارجية البريطانية ، ولتقوم هاته الاخيرة على ايصالها الى السلطات العثمانية . ثم ان العقيد قد كلف ايضا بالاتصال بالمسؤولين الانقليز وسفير فرنسا بلندن سانت اولار (St AULAIRE) .

وقد تقابل سكوت مع السفير الفرنسى باعتباره ممثلا للامير عبد القادر وله كل الصلاحيات لايجاد حل سلمى ، ولعقد معاهدة مع الفرنسيين . وقد وصل العقيد الى لندن بدل باريس ، لاعتقاد عبد القادر ، ان السؤل الكبرى قد اتفقت على مطالبة الجزائر من فرنسا ، وارجاعها الى حضيرة الباب العالي . واذا كانت المولة الفرنسية ترغب فى عقد الصلح ، فان العقيد سكوت مستعد للتوجه حالا الى باريس لاتمام ذلك .

وقبل ان يغادر العقيد السفير الفرنسى ، ترك له رسالة تتضمن عشرة بنود ، لاحتمال عقد الصلح (20) ؛ غير ان فرنسا التى تبنت سياسة جديدة

(I9) لم نشر على رسالة حمدان الموجهة الى الامير عبد القادر ، اما رسالة هذا الاخير الى حمدان فهى الوثيقة رقم 7 المنشورة اثر هاته الدراسة . ص . 229 .

(20) A.E. ، ملف 659 ، المراسلات السياسية مع انقلترا ، ص . 93 - 94 ، من رسالة سفير فرنسا سانت اولار الى وزير خارجيته فيزو (Guizot) بتاريخ 24 فيفري 1842 .

تجاه الجزائر ، لم تكلف نفسها للرد على اقتراحات عبد القادر ائسلمية .

اما اقتراحات هذا الاخير بالنسبة للانقليز ، فقد وجه اليهم رسالة ملتصا منهم عقد اتفاقية بين البلدين ، ثم طالبا منه توجيه رسائله الاربع الى الباب العالى : « بلغنا على لسان الكوازيط ان كبراء الانقليز اشفقوا من حالنا ، وناولوا الكلام فى شاننا وقالوا ان الفرنصيص ظلم العرب واضربهم ، ولا بد ان نتكلموا فى امرهم وكما علمنا محبتكم وانكم تذكروننا بخير ، نحب منكم ان تعملوا فينا مزية كبيرة ، وذلك ان لنا مكاتب الى اسطنبول وليس لنا طريق اليها من غيركم ، فنحب ان تبعثوها على ايديكم الى السلطان عبد المجيد واخرى الى الوزير الاعظم واخرى الى قبطان باشا واخرى الى صاحبنا كاتب رشيد باشا فى اسطنبول ، ونحب منكم ان تحرصوا على رد الجواب من عندهم » (21) .

ان انفلترا لا تستطيع ان تستجيب لاقتراحات الامير، بل على العكس من ذلك تصنعت جهلها ؛ غير انها لا تخفى ارتياحها لتعدد مشاكل فرنسا بافريقيا الشمالية .

اما موقفها تجاه الامير عبد القادر ، فلم يتغير ؛ فهي لا تستطيع ان تزج بنفسها فى معركة سياسية مع فرنسا بخصوص الجزائر ، غير انها قررت ان تعمل على الحد من نفوذ فرنسا فى شمال افريقيا وبالحصوص على تونس .

اما الرسائل الاربع التى توجه بها الامير الى انفلترا لتوصلها الى الباب العالى ، فان وزير خارجية بريطانيا اللورد ابيردن (Lord ABERDEEN) قد سلمها الى محمد فؤاد القائم بالسفارة العثمانية بلندن فى اوائل سنة 1842 .

سنعمد الآن الى عرض اهم اراء الامير التى كانت تسيير سياسته . ففي رسالته الطويلة نعت عبد القادر السلطان عبد المجيد ، بانه خليفة وحامى المسلمين والذى عليه يتوقف نجاح مستقبلهم .

لقد عرض فى رسالته تلك ، صورة مفصلة عن الاحداث التى كانت الجزائر مسرحا لها من سنة 1832 حتى 1840 : « ان جيش الكافر المقابل لنا يناهز الماية (كذا) الف ، بسلاح تام وصواعق ومدافع تصوير الواحد ضعيفا ، وانه اذا جمع قوته وقصد بعض المواضع ، فلا نقدر ان نرده ، اذ ليست لنا قوة

(21) F.O. ، 3/44 ، راجع الوثيقة رقم 4 المنشورة اثر هاته الدراسة ، ص . 219 - 220 .

بارود ولا سلاح ولا مدافع ٠٠٠ وما وصل حيث وصل بشجاعة جيشه وجلده
ولاكن (كذا) بكثرة عدده وعدته ٠٠٠ » (22) .

لقد عبر الامير عن اسفه لمواقف الزعماء المسلمين الذين رفضوا له كل
مساعدة لاستمرار جهاده ضد الفرنسيين : « اسلمنا اخواننا المسلمون
وتركونا اسارى فى يد العدو فهم لنا ظالمون ، وتبرأ منا من كان قريبا لنا من
الملوك ، ومنعونا شراء ما نتقوى به على الكافر خوفا منه ٠٠٠٠ طلبنا منهم
الاعانة بالرجال فلم يقبلوا ، واستعناهم بالاموال فلم يفعلوا ، وطلبنا منه
السلف ، فكان عين المحال ، ومنعوا رعاياهم من اعانتنا بكل وجه وحال ، فما
نفعنا قريب ولا مجاورة ولا دافع عنا سيف ولا محاور ، كأن المسلمين ليسوا
بجسد واحد ٠٠٠٠٠٠ والمسلمون بهذا القطر لا ينظرون من غيرك افراج ،
ولا لهم ملجأ يلجئون اليه غير حصنك العالى الابراج ، فابصارهم لاعانتك
وامدادك طامعة ، وقلوبهم بمحبتك وذكرك طافحة ؛ فان قيل مال ، عندك المال
وافر ؛ وان قيل جيش ، عندك العسكر البحر ٠٠٠٠٠٠ » (23) .

لقد آتت على عبد القادر الخطوب ، فاخذت منه مأخذا عظيما . حاول الحصول
على المساندة باى ثمن ، ملتصقا بذلك من كل الزعماء ، ولكن لم يرد عليه احد
بالايجاب ، وحتى سلطان المغرب فانه تحت تأثير فرنسا ، لم يستجب لنداءات
الامير .

انه المازق الذى تردى فيه الامير ؛ فعلى الصعيد الحربى كان يرى ان مساندة
خارجية تكاد تكون حتمية لنجاحه ، ولم يبق له اذن غير الباب العالى بامكانياته
العسكرية والاقتصادية الضخمة . غير ان الامير الذى كان يجهل ضعف الدولة
العلية وعسر مشاكلها على كل المستويات ، وسياستها السلبية تجاه الحاج احمد
باى ، كان يرى فى انسلطان ، السلطة العليا التى يمكن ان تشد ازره ، وتمنحه
الاعانة الضرورية لمواصلة الجهاد .

اما رسالة الامير الى الصدر الاعظم ، والتى تحمل نفس تاريخ الرسالة
الاولى ، فقد عكست قلقه وضيقة ، مشيرا الى ضعف المسلمين والتضحيات
الجسيمة التى تكبدوها ، كما وان الباب العالى المسؤول عن حياتهم وبلادهم ،
نم يحرك ساكنا ولم يقدم لهم المساعدة .

(22) B.A. ، ارادة ، خارجية رقم 820 ، لف رقم 2 ، راجع الوثيقة رقم 5، المنشورة اثر هاته
الدراسة ، ص . 221 - 220 .

(23) المصدر نفسه .

لقد طلب الامير من حمدان خوجة ان يشرح على السلطان كل معطيات
الوضعية ، وان يحثه على تقديم الاعانة لهم .

كما ان هناك رسائل اخرى مكتوبة بالرموز ، قد وجهت الى الباب العالي ،
وتتضمن نفس المحتوى (24) .

ان موقف الباب العالي السلبى كما حللناه سابقا ، لم يطرأ عليه تغيير .
لقد وجد الباب العالي نفسه امام حدث جديد وهام : ان مساعدة عبد القادر
ستلقى كثيرا من العراقيل على الصعيد السياسى والعمل .

ان الباب العالي ما زال يتذكر خيبته الكاملة عندما لم يتمكن من مساعدة
الحاج احمد ، الذى اظهر اخلاصا وصدقا وتعلقا بالدولة العلية اكثر من الامير .
وبالرغم من المساعى السياسية للتوصل الى حل ، فان الباب العالي لا يستطيع
القيام باى شئ . ذلك ان سياسته تجاه حلفائه للحفاظ على وحدة الامبراطورية
العثمانية والدفاع عن مصالحه ، ثم ضعفه الذى بدا جليا عندما هدد محمد على
والى مصر ، قلب الامبراطورية العثمانية ، ثم احتضار هاته الاخيرة والذى
اصبح ملموسا ، كل هاته العوامل قد ادته الى اتخاذ موقف من تجاه قضية
الجزائر ، وقبوله الامر الواقع ، ولم يبق للباب العالي بعد ذلك الا بعض
المحاولات السياسية ، مؤملا ان يصحب ذلك ، نجاح بفضل مقاومة الاهالى ضد
الاحتلال .

وطبقا لهذا المبدأ شجع الباب العالي الامير على مواصلة الجهاد .

وعليه اتصل الصدر الاعظم بوزرائه بحضور حمدان بن عثمان خوجة
الجزائرى الذى ترجم رسائل عبد القادر ، وأعلم مجلس الوزراء بوضعية الجزائر
العامة . وقد ذكر مجلس الوزراء فى تقريره المرفوع الى السلطان ، أحداث
الجزائر وموقف عبد القادر من الاتراك والباب العالي ، ذلك الموقف الذى
ما زال عالقا بالاذهان ثم اعتراف الامير من ان السلطان خليفة المسلمين ثم
استنجاهه للدفاع عن البلاد .

اكتفى الباب العالي ساعتئذ ، بالاتفاق مع السلطان ، أن طلب من حمدان
خوجة تحرير رسالة الى عبد القادر ، راجين منه مواصلة الكفاح ضد
الفرنسيين ، وان لا يعقد اى معاهدة مع اعداء الدين ، وان يحث المسلمين على
الجهاد الذى هو واجب مقدس على كل مسلم (26) .

(24) B.A.؛ ارادة ، خارجية 533 لف رقم I .

(25) B.A.؛ ارادة ، خارجية 533 ، لف رقم 7 ، راجع الوثيقة رقم 8 المنشورة اثر هاته الدراسة ،

اما الاعانة التي التمسها عبد القادر ، فانه قبل كل شيء ، يجب ان ننتظر نتيجة المساعي السياسية ، والتي يمكن ان تؤدي الى حل ما .

لقد طلب الباب العالي من عبد القادر ان يوجه رسائله محررة بالرموز ، اذ ذلك اسلم .

كما استلم حمدان خوجة الامر بالكتابة الى الحاج احمد باي قسنطينة لرفع معنوياته ، ومنحه الامل ، كما وطلب من حمدان أن يرد على رسالة مبعوث سلطان المغرب فقيه بن يوسف ، والتعبير للشريف سلطان المغرب ، ارتياح السلطان العثماني للعلاقات الطيبة التي يتمتع به البلدان وحث سلطان المغرب على تقديم المساعدة الضرورية لعبد القادر .

ان هذا الموقف مستوحى من السياسة العامة لقادة الباب العالي ؛ فهم لا يستطيعون التصرف بنجاحة ضد فرنسا ، ذلك ان الوضعية الداخلية والخارجية الامبراطورية العثمانية قد شغلت رجال الدولة ، ثم مشاكل التنظيمات وتجديد هياكل الدولة واعادة بناء الاسطول والمصاعب التي يلقيها هؤلاء المسؤولون مع الدول الاوروبية ، كل هاته العوامل قد اضعفت موقفه السياسي .

لقد اكتفى الباب العالي باثارة مشكل الجزائر على الصعيد الدولي ، مبينا حقه في تلك الولاية عساه أن يعثر على علاج لهذا المشكل ؛ غير ان الباب العالي لم يجرؤ على ايجاد حل حاسم ونهائي كما قام بذلك تجاه طرابلس الغرب سنة 1835 ، عندما اسقط اسرة القرمانليين وربط الولاية بالمركز مباشرة حتى احتلالها من طرف القوات الايطالية في مطلع هذا القرن .

**

ان الحاج احمد وعبد القادر وبقية الزعماء المسلمين ، يرون في السلطان العثماني السلطة الدينية العليا ؛ فمن القرآن والسنة كان يجب على قادة المسلمين ان يستوحوا سلوكهم ومواقفهم تجاه رعاياهم ، ويصبح اهمالهم من الامور التي لا تفتقر ، ذلك ان المسلم هو اخ المسلم .

ان الحاج احمد باي والامير عبد القادر كانا يجهلان كل العوامل الخارجية والداخلية التي تؤثر على سياسة الرجل المريض ، كما أنهما لم يدركا سبب رفض الباب العالي تقديم المساعدة المطلوبة منه . لقد كانا يشعران بالغبطة والارتياح لدى استلامهما رسالة بسيطة او مجرد تحية شفوية من السلطان ، لتحثهما على المقاومة وتجعل حركتهما ذا جدوى وفاعلية .

تلك هي دراسة سريعة لعلاقات عبد القادر بالباب العالي وانقلترا ، والتي حاولنا رسم بعض خطوطها . نأمل ان تكشف لنا بقية دور الارشيف الاجنبية والتركية عناصر جديدة لتاريخ الجزائر خلال الحكم التركي والفرنسي ، هذا التاريخ الذي ما زلنا نحتاج الى معرفته ، عن قرب وبعمق .

اكس أون بروفنس (فرنسا)
15 ماي 1969

قسم الوثائق :

- رسائل مخطوطة لعبد القادر إلى الباب العالي وانقلترا •
- رسالة حمدان خوجة الى أحمد باى قسنطينة •
- رسالة من الباب العالي الى عبد القادر •

الوثيقة رقم 1

الحمد لله وحده (I) صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعاله

من أمير المؤمنين سلطان النواحي الجزائرية والوهرانية والتلمسانية الى طاعة افريقية ، مولانا السيد الحاج عبد القادر بن مولانا السيد الحاج محي الدين نصره الله ، آمين ، الى قونصو (كذا) الانكليز ، القاطن بتيطوان (كذا) ، السلام على من اتبع الحق ورحمة الله ، وبعد :

فلا يخفى عليك اننا كنا تعاقدنا مع جنس الفرنسيس عقدًا وثيقًا ، وتعاهدنا في الصلح والمهادنة على شروط منا ومنهم ؛ ووفينا لهم بجميع ما اشترطوه من مساوqهم (كذا) ، وبقينا على تمام الكلمة نحوا من سنة ثم ابتدوا (كذا) التخليط والتبليس (كذا) والحدعة ، فخادعونا مرارا ، بنقض الميثاق . ولم تختلف كلمتنا معهم في شيء ؛ الى ان ادى بهم عماهم وطفيانهم لجمع جيوشهم ، وقوة حروبهم وخرجوا كفرنا (2) (كذا) غير مظهرين الشر ، ووكيلنا عندهم ، وقونصهم (كذا) عندنا ، وجيوشنا متفرقة ، بحيث شرع في نهب الحب . وعلمنا منه قصد الشر ، خرجنا للغااية بما حضر من جنودنا ، ولاقيناه فنصرنا الله عليه . وصار به ما بلغك من الخذلان والذل والقتل ، لما أتى به من الغدر والمخادعة . ولان (كذا) سمعنا ان جنسكم من بيوت الملوك وان كلمة ريكهم (3) وافية ، وانه لا غدر فيه ولا خداع بعد العقد والميثاق .

فبعثنا لكم مكتوبا ترسله له صحبة مكتوبك ، ولما (كذا) يأتيك الجواب تبعثه لنا ومضمن (كذا) ما في المكتوب انكم اذا اردتم المزبة الظاهرة التي تفوزون بها على كل الجنوس ، وتمتازون بها عن غيركم ، تلاقونا في أى مرسى تريدونها (كذا) من مراسى الجزائر ، الى طاعة مولانا امير المؤمنين ،

(1) F.O. ، 52/40 : نسخة من رسالة عبد القادر الى قنصل انقلترا بطنجة .

(2) يبدو انها من الكلمة الفرنسية (Gouverneur) أى الوالى الفرنسى الذى يدير البلاد .

(3) هى الكلمة الفرنسية (Roi) أى ملككم .

عبد الرحمان نصره الله • وملتزم لكم من جانب البر افضل ما التزمنا قبل
الفرنسيين • وننزلكم في منزلة اعلا (كذا) من منزلهم (كذا) ، لكونهم
خادعين • وانتم لم تبلغنا عنكم خدعة ولا شك انكم لو اردتم منا هذا ، يحصل
من الالفة والمودة بيننا وبينكم ما يسركم ويقويكم ويرفعكم على ساير (كذا)
الاجناس • وها هو صاحبنا رجل كيس ، فاضل ، ذو سياسة وعقل ، يصلك
بمكتوبين ، فاستوصى به ، وجد له (كذا) في قضاء ما يريده من مصالحنا ،
وتكون لك حرمة كبيرة بسبب معرفتك معنا ، وتعزم بالبحث على رد الجواب من
عندك ومن عند الرى •

29 جمادى الاولى 1251 (4) بامر مولانا امير المؤمنين نصر الله امين •

الوثيقة رقم 2

الحمد لله وحده (I) صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

من أمير المؤمنين بالنواحي الوهرانية والجزائرية وما والاها الى طاعة تونس مولانا السيد عبد القادر بن مولانا السيد الحاج محي الدين ، نصره الله ، آمين ، الى عظيم الجيوش الانجليزية ، ربهما الاكبر ، ورئيس ملوكهم الافخر ، السلام على من اتبع رضی الحق ، وبعد :

فاننا كنا تعاقدا مع كبير الفرنسيس على الصلح والمهادنة (2) ، وتعاهدنا بمواثيق على شرط اشتراطناها وقبلوها ، وامور اشتراطوها فقبلناها . وحصلت (كذا) امن الطرق والاسواق بيننا وبينهم ، حتى صار الواحد منهم يمشى في طاعتنا بالليل والنهار ولا يخشى باسا وتآلفنا في قضاء المصالح منا ومنهم ، وبقينا على ذلك مدة من عام . ثم شرعوا في الخداع والغدر ونقض العهود مرة بعد مرة . ونحن واقفون عند الكلمة ، ما قدرنا نجتازها ، ولا نخلف عقودنا ، الى ان جمعوا جيوشهم وقوة حريهم وقونصهم (كذا) (3) عندنا ، ووكيلنا عندهم . وجيوشنا متفرقة . فقطع من بلادنا ثلاثة مراحل ، ولاقيناه بما حضر من الجيوش ، فنصرنا الله عليه وكان امره ما بلغكم .

واليوم تحققنا من اخبار الذين خالطوكم ، انكم اهل ميثاق وكلمة وافية ، وانكم من بيوت الملوك ، فان اردتم المصلحة العامة وتكون لكم المودة زيادة على الفرنسيس ، نتفق معكم على التسوق في اي مرسى اردتم ، من مراسى الجزائر ، الى طاعة مولانا امير المؤمنين عبد الرحمان نصره الله . وانا ملتزمون لكم من جانب البر بما تريدون ، لانا لم نسمع عنكم خدعة . ونرجو ان تكون

(I) F.O. 52/40 : رسالة من عبد القادر الى الحكومة الانجليزية ، انظر الشكل رقم 27 ، ص . 216 - 217 .

(2) هي معاهدة ديمشال المقودة بتاريخ 26 فيفري 1834 .

(3) قنصلهم .

لك مزية فينا ، ورفعة على ساير (كذا) الجنوس . وترد الجواب لقونصك (5)
(كذا) وهو يبعثه لنا .

29 جمادى الاولى 1251 (6)

ختم الامير في اعلى الرسالة دون امضائه

(5) إى القنصل .

(6) 22 سبتمبر 1835 .

[illegible]

F.O; 52/40.

الوثيقة رقم 3

الحمد لله (I)

المعروض على شريف معلوماتكم ، انه ورد خديمتكم ووصل معه جملة ما كتبتم ، ومضمونها انه بحسب الوقت ومقتضى الحال ، تسلط الفرنسية على تلك النواحي ، واستولى على اكثرها ، ففهمنا ذلك تفصيلا . ولاجل كتبتم عرضحالكم (كذا) الى حضرة خليفة الزمان ، مولانا السلطان أعز الله انصارنا ، تستعطفونه وتستمدونه وتطلبون اعانته اياكم او انه يمهّد لكم امنية الطرق لمجيئكم الى هذه الناحية .

تعلم ايها السيد ، ان عرضحالكم قد ترجم ، وعرض على حضرة سلطنته الخاقانية ، وكلما ذكرتم صار في عداد معلوماته الملوكية ، وهو ادام الله نصره وتأييده ، امام المسلمين وحامي بيضة الاسلام وعديم النظير والقرين ، وصاحب الشركة والسلطنة ومظهر المكارم والهيبة والاقتدار التام بحول الله وقوته ، وبمقتضى مكارم اخلاقه وعموم رحمته وشغفته واعتناؤه بحماية أهل الاسلام حيثما كانوا ، لا سيما الايالات التي تحت حمايته السلطانية ، فلا يثنى عنهم عنان عنايته واعانته وبالحصوص حضرة جنابكم اعانكم الله ، حيث اظهرتهم الغيرة الدينية والصلابة الايمانية والشجاعة الجبلية ، وبذلكم جهدكم في الجهاد والذب عن الاسلام والمسلمين ، فقد استوجبتم لذلك من سلطنته الخاقانية ، ما انتم اهل له ، من العناية والاعانة على وجه ممكن ان شاء الله .

لكن يبقى في شريف علمكم ، انه بمقتضى معرفتكم لا امنية (2) (كذا) في الطرق والمعاير بيننا وبينكم ، ويتعسر مجيئكم (كذا) الى ناحيتنا الا بعد تحصيل الامنية لكم ، فكيف يمكن والحالة هذه ، اعانتكم في البر أم في البحر؟

(I) B.A.؛ ارادة ، خارجية . 227 لف رقم 2 ، وهي مسودة الرسالة التي وجهها حمدان الى الحاج احمد باي قسنطينة باللغة العربية .

(2) لا امان .

واعانتكم ما هي ؟ وعلى اية طريق (كذا) يمكن وصولها اليكم ؟ فلا بد من بيان ذلك وشرحه ، حتى نتأمل (فى الايصال اليكم على وفق مطلوبكم) (3) ان شاء الله تعالى .

وقد كان الامر على ما حررتم ، والآن تحولت محبة عبد القادر للفرنسوية الى المخاصمة ، واتحاده الى الحرب والعداوة . فسلط عليهم صناديد العرب ، وواقفوا بهم وكسروا شوكة الكفار ، واهنوا قوتهم ولله الحمد . فنرجو ان يوافق ذلك مقترحكم ، ويكون فيه لكم راحة بل غنيمة اذ يمكنكم والحالة هذه ، ان تسلطوا على الكفار بمن معكم من شجعان العرب، وان تقعدوا لهم كل مرصد، ونحن اخطرنا ذلك لكم والا فانتم بحمد الله مجبولون على الغيرة الدينية والحماية الاسلامية والشجاعة الذاتية ، فلن تفوتكم هذه الفرصة ان شاء الله تعالى .

وبهذه الملاحظة يجب وينبغي ان لا تخلو تلك النواحي عن هو مثلكم من القوة الايمانية ونفوذ الكلمة مع النجدة والشجاعة الكاملة وخصوصا فى مثل هذا الوقت ؛ وعلى تقدير ان لا يمكن مكثكم بتلك النواحي ، فهل يمكن الاجتياز فى اىالة تونس الى طرابلس ام لا ؟ فلا بد ان تعلمونا بجواب ذلك ، مع جواب ما استفسرناكم عنه اولا . وتبينوا لنا تفصيل احوالكم وما انتم عليه . وبهذا وجب تعريفكم ، فكتبنا لكم ولكم منا الدعا (كذا) الصالح والله الموفق ، لا رب سواه .

والسلام ختام ، من مقبل ايديكم ، محبكم المعهود حمدان بن عثمان خوجة .

منتصف ذى القعدة الحرام سنة 1255 (4)

(3) هاته الجملة التى بين قوسين مشطوبة فى الاصل ، ذلك ان حمدان الذى اصبح يدرك صعوبة مساعدة الحاج احمد ، لم يجرؤ على ابقاء تلك الجملة ذات الاهمية البالغة .

(4) 19 فيفري 1840 .

الوثيقة رقم 4

عن اذن مولانا (I) أمير المؤمنين ، سيدنا الحاج عبد القادر ، نصره الله امين ، الى الوزير الاعظم فى دولة الانكليز ، المدبر لامرهم ، المتصرف فى جميع ما يصلح بهم وبأحوالهم ، جلت او قلت ، المنسطر (2) الكبير بالدولة المذكورة ، السلام على من اتبع الهدى ، اما بعد :

فان الغرض الموجب لهذا الكتاب ، انك ذو رأى سديد ، وعقل متسع منيد ، وايضا بلغنا على لسان الكوازيط (3) ان كبراء الانكليز اشفقوا من حالنا ونالوا الكلام فى شأننا ، وقالوا ، ان الفرانصيص ظلم العرب واضربهم . ولا بد ان نتكلموا (كذا) فى امرهم . وبلغنا ايضا انهم قالوا ، اذا احتاج الامير عبد القادر الى دراهم او سلاح او غير ذلك (كذا) نسلف له ونبيع له ، كل ما يحتاجه .

فلما تأملنا كلامكم هذا ، وجدناه كلام العقلا (كذا) المنصفين ، الذين يرضون الصلاح ولا يحبون الفساد . وسرنا ما قلتم كثر خيركم وشكر قولكم . واذا تمتتم ربط المحبة بيننا ، لا يكون الا ما تحبون منا ، ولا علمنا محبتكم ، وانكم تذكروننا بخير . نحب منكم ان تعلموا فينا مزية كبيرة ، وذلك (كذا) ان لنا مكاتب (كذا) الى اصطنبول ، وليس لنا طريق اليها من غيركم . فنحب منكم ان تبعثوها على ايديكم الى السلطان عبد المجيد ، واخرى الى الوزير الاعظم ، واخرى الى قبطان باشا (4) واخرى الى صاحبنا كاتب رشيد

(I) F.O.؛ 3/44 ، رسالة عبد القادر الى رئيس الوزراء البريطانى ، راجع الشكل رقم 28

ص . 225 - 224 .

(2) (Ministre) أى الوزير .

(3) الصحف .

(4) هو منصب وزير البحرية قبل عهد التنظيمات الاولى .

باشا (5) فى اصطنبول . ونحب منكم ان تحرصوا لنا على رد الجواب من عندهم ، فاننا عرفنا محبتكم ونصحكم . فلذلك (كذا) جعلناكم واسطة فى هذا الامر ، لاننا نقطعوا (كذا) ان مكاتبنا تصل على ايديكم الى اهلها ، ويأتينا جوابها مع (كذا) ايديكم ايضا ، لان ليس لنا طريق لا فى البحر ولا فى البر ، الا من عندهم . وكان مرادنا ان نبعث لكم هدية تناسب مقامكم ، ولا زلنا عازمين على بعثها ان شاء الله . لآكن (كذا) ليس لنا طريق نبعث لكم منها ؛ وتعمل مزية كبيرة اذا حرصت على الكنبانى (6) الذين اعطيناهم تنس (7) كما فى علمك ، يأتوننا بالعزم وينزلون بها ، لكان فيه خير كبير لنا ولكم .

واما السلطان العصفالى (كذا) ، فنحن منه واليه ونحبكم انتم تكونوا واسطة بيننا وبينه ، وتجعلوه يكون معنا ، ويعيننا على الفرائض ، لان الارض له ، وله الكلام فيها . وانتم لكم الكلام معه ، ومع غيره فى هذا الشأن ، ونحب منكم الجواب والله الموفق .

فى 25 شوال 1257 (8)

فى اعلى الرسالة ختم الامير ، دون امضائه

(5) يقصد بذلك حمدان بن عثمان خوجة : ومن المعلوم أن مصطفى رشيد باشا قد ارتبط بعلاقة طيبة مع حمدان ، وقد شجع مصطفى رشيد ، حمدان على الالتحاق بمركز الدولة العثمانية . وليس من المستبعد أن يحتل حمدان خوجة مكانه مرموقة من نفس مصطفى رشيد باشا ، الذى تولى المار العديدة الصدارة العظمى ، وأن يصبح حمدان خوجة سكرتير رشيد باشا ، كما توحى به هاته الوثيقة : راجع :

BAYSON, Cavid, Cezayir meselesi ve Resid Pasanin Paris Elçiligi

(المسالة الجزائرية وسفارة مصطفى رشيد باشا بباويس) المنشورة فى :

المؤتمر التاريخى الثالث والمنعقد بانقرة ما بين 15 و 20 نوفمبر 1943 .

III Turk Tarih Kongresi, Ankara, 15-20 novembre 1943.

(6) (Compagnie) أى الشركة .

(7) ميناء مدينة تنس فى الساحل الغربى من الجزائر .

(8) 10 ديسمبر 1841 .

الوثيقة رقم 5

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما (I)

من عبد (2) ومقبل ترب اعتابكم المستعصف لرحماكم ، الراجى فضلكم وقضاكم ، خادم حضرتكم ، وخادم المجاهدين ، عبد القادر بن محي الدين ، منحه الله رضاه ثم رضى رسوله ثم رضاكم فى الدنيا ويوم الدين ، امين .

الى سلطان سلاطين الاسلام وحامى بيضة أمة محمد عليه الصلاة والسلام طود الملوك الشامخ ، وركنهم الثابت الراسخ ، وشمسهم التى تستمد منها كواكبهم ، والبحر المحيط التى لا تخوض لججه مراكبهم ، خير ملك قاد الجيوش ، ورتب العساكر ، واحكم سلطان اعترف بفضل الحسود والناكر ، عين اهل الايمان التى بها ابصارهم ، وكنزهم وملجأهم (كذا) الحصين ، الذى به انتصارهم ، شرف المنابر وفخر الطروس والمخابر ، ليث الحروب (2) الكروب ، فهو اذا ركب ، سيد الفرسان ، واذا جلس فذو سياسة اعييت ال ساسان ، الغيث الذى عم البسيطة منه فضل واحسان ، وكان امير الانام بمنزلة الانسان ، وغبن ان يسمى غيره الآن ، وليس على الله بمستنكر ان يجعل العالم فى واحد ، فلذا كان كعبة الملوك التى اليها حجها وامامها ومنهج نهجها ومحجها؟ (2) من فرع ، جمع ما فى الاصل وزاد ، سيدنا وابن سيدنا الى الجدة عثمان السلطان عبد المجيد خان ، اعانك الله على ما اولاك ، وكان لك وتولاك ونصرك على مر الدهور والازمان ، وسلام على سيدى ورحمة الله وبركاته . وبعد :

فالمرغوب اولا العفو عن خطانا (كذا) والاغضاء عن عورات وعثرات كتابنا ، فان ادنى الناس واقلهم لا يحسن بخطاب مثلك ولاكن

(I) B.A.؛ اداة خارجية رقم 820 لف رقم 2 ، رسالة من عبد القادر الى السلطان عبد الحميد ، انظر الشكل رقم 29 ، ص . 224 - 225 .

(2) كلمات غير واضحة القراءة .

(كذا) الضرورة دعتنا الى ذاك (كذا) وجرانا على مخاطبتك ، ما علمنا من حكمك وعدلك وانا نهنؤك بالخلافة التي لا يلحقها بحول الله وقوته كدر اليمونة (2) على جميع الخلايق (كذا) من بشر وشجر ومدر . ونزوك (كذا) في الوالد (3) امير المؤمنين ، براء الله ضريحه واسكنه من الجنان فسيحه ، فآله يعظم لك الاجر ويلهمك الصبر .

ثم انا نخبر سيدنا ونقص عليه من اخبارنا ، وان كنا نعلم ان علمه محيط بما هو ابعد من انفارنا وذلك ان انينيشارية (4) الذين كانوا بالجزائر ، لما خرجوا عن طاعة امير المؤمنين والدك المرحوم عاقبهم الله بسوء فعلهم وسلط عليهم من لا يرحمهم العدو الكافر الغشوم ، فبدد شملهم واجتث اصلهم وملك القرى والمدائن (كذا) ، واستولى على الاموال والذخائر (كذا) والحزائن (كذا) وسمت به همته ، اخزاه الله ، الى ملك جميع الايالة ، واسترقاق المسلمين تارة بالماكيد (كذا) والحليل ، وتارة بالقهر والاستطالة ؛ وحال الكافر والبحر بين المسلمين وبين سلطانهم ، مع شدة حاجتهم الى من يقوم بهم ، ويدافع عن حريمهم واولادهم واطنانهم . فعند ذاك (كذا) استغاثت الناس بالسلطان الشريف ، سيدنا عبد الرحمان ، سلطان مراکش . فبعث الى الوطن ابن عمه مع جيش كثير يمددهم بالمدد الغزير ، فما جعل الله فيهم نفعا ، ولا جاهدوا ولا غنوا عن المسلمين دفعا ، وانقلبوا من حيث جاءوا ورجعوا من حيث فاءوا .

فوقع اذ ذاك الهرج بين المسلمين ، وكثر الخلاف وتقطعت السبل ، وظهر البغى والاعتساف . وكان والدى واسلافنا شأنهم بث العلم لطلابه ، واطعام الطعام لابناء السبيل وفتح ابوابه مع الاشتغال بما يعنى (2) والتباعد من كل ما يغنى .

فلما رأى والدى عموم المصيبة فى الدين ، واشتغال المسلمين فيما يليهم عن قتال الكفار الملحدين ، بذل جهده فى اصلاح ذات البين ، ورفع الحيرة ، وشن الغارات على الكفار فى كل حين بمن وافقه واطاعه من المجاهدين .

فلما رأى الكافر ذاك ، زاد فى قوته وشدته وتكالب على المسلمين القريبين من حصونه واحتاج الناس اذ ذاك الى من يضبط جهادهم ويقوم بجميع امورهم ويجمعهم ويجمع ما به قوام جهادهم ويتكلف سياسة خاصتهم و (2)

(3) حكم السلطان محمود من سنة 1807 الى 1839

(4) كلمة تركية Yenicherli ، وهم الجنود الاتراك الذى وفودوا على الولايات المغربية وشكلوا بذلك وحدات الجيش البرى والبحرى خلال وجود الاتراك بهاته البلدان الثلاثة .

فاجتمعوا (كذ) اعيان الوطن وطلبوا ذالك (كذا) من الوالد . فنفر منهم نغير
البيعر الشارد ، مع ما كان فيه من الرحمة على المسلمين والاشفاق ، لانه كان
اورع اهل البرقة على الاطلاق . فطلبوا منه تعيين بعض اولاده لذلك ، فأشار
الى ، لما سبق لى من الشقاوة فى أم الكتاب هنالك فامتثلت امره وان كان امرا ،
اذ لم اعص له مدة عمرى امرا . وشمرت على ساعد الجد والاجتهاد ، وبذلت
للمسلمين نصحى فى جمع الكلمة والجهاد وصيرت من وجهتى ، وجهتين ؛ فتارة
بجمع الكلمة وردع البغاوة ، واونة للدفع (كذا) عن المسلمين وقمع الكفار
العتات (كذا) . ودفع الله عن الاسلام بذلك من الشر بعضه ، وشيد من
اركان الدين ما كان الكافر يحاول نقضه ، وضيقنا على الكافر المجالات ،
وصاروا لا يأمنون فى جميع الحالات .

ولما رأى الكافر منا تلك القوة والحدة ، احتال فى حل عزائمتنا ، بطلب
الصلح مدة ، فاجنبنا لذلك على شروط (5) ، علو الاسلام فيها ظاهر مضبوط ،
فتحملها لظنه ان الصلح يحل من المسلمين العزائم (كذا) ، ويميلون الى ترك
الجهاد والراحة على الدائم (كذا) ، فبقى فى الصلح نحو من سنة ، ثم غدر
وخرج للحرب (6) والمسلمين على حين غفلة وسنة فبادر للغاية من قرب من
المسلمين بعد ما سار الى أم العساكر من وهران مرحلتين ، فهزمه الله هزيمة
شنعاء ، كانما ارسلت عليهم ريح عاتية فترا (كذا) القوم فيها صرعى .
والجأهم المسلمون الى البحر فرموا بانفسهم فيه ، وما نجا من ذالك (كذا)
الجيش مقدار عشره ، ولا ارجعوا من سلاحهم الا شيئا تفيه (كذا) .

ثم بقوا نصف سنة وجمعوا قوتهم واستجدوا عدتهم ، وقصصوا أم
العساكر . فوصلوها بعد حروب لم تبق منهم شجاعا ولا ماکر (كذا) ،
فباتوا بها ليلتين وانقلبوا خاسئين . ثم ذهبوا الى تلمسان باتفاق الينشارى
(كذا) ، الذين بها ، وما من مدينة من مدن الاسلام دخلها الكفار ، الا كان
الينشارى (كذا) ، هم دعاتهم اليهم ومرسليها (كذا) .

ولما فات المسلمين (كذا) قتال الكفار فى الذهاب ، اجتمعنا وقاتلناهم
فى الاياب قتالا متعددة ، بقيت الكفار والمسلمين كانهم خشب مسندة .
ثم رجع الى وهران وترك بعض عسكره مع الينشارى (كذا) الذين بتلمسان ،
فأقاموا بها سنة ونصف فى ضيق الحصار والهوان ؛ وخرج الكافر ليلفهم

(5) هى معاهدة دى ميشال المعقودة بتاريخ 26 فيفري 1834 .

(6) هى معركة المجتا التى منى بها الجيش الفرنسى بهزيمة نكراء بتاريخ 12 جوان 1835 .

الزاد ، فتلقاه المسلمون وردوه بالهزم والنكاد . وبقي محصوروا على شاطئ البحر شهرين ، ما درج ، والمسلمون كل يوم يقاتلونه حتى جاءه المدد من سيده ، فخرج .

ولما رآ (كذا) عدو الله ما بلغه من المشقة وما لحقهم من الحصار والقتال مع بعد الشقة ، طلب الصلح من المسلمين على مال يدفعه للمجاهدين (7) فاجبناه رجاء ان نستريح لملها ، ونستعد بالسلاح والكراع لنيلها (؟) ، وقد جعل الله في ذلك للمسلمين صلاحا ولا موار الدين نجاحا .

واجتمعت كلمات المسلمين من حدود طاعة الشرفا (كذا) الى حدود تونس وانتفا (كذا) منها كل شر ، ولم يبق الا ما يسر ويونس (كذا) ، تسير المرأة وحدها مسيرة شهر ، لا تخاف الا الله ولا تخشى من احد نكر (كذا) .

ولما اخذ الكافر قسنطينة من يد الباي احمد ، ولم يبق في مقابلته من ذلك الوطن احد ، وقع النزاع بيننا وبين الكافر على تلك الايالة . فالكافر يحتج بمأخذها من يد غيرنا ، وانه افنى عليها امواله ورجاله .

ونحن نقول ، المسلمون جسد واحد ، فاترك امرهم اليينا .

فانتقض الصلح بيننا ، واشتعلت نار الحرب ، ومنذ سنتان (كذا) لم ينقطع بيننا طعن ولا ضرب وانه في هذه المدة ، خرج الى المدينة ، فوصلها بعد احوال سيئة وطوال رديئة ؛ جعل ستة وعشرين يوما في مسيرة ساعات ، وامتألت الارض من قتلى الفريقين ، بترادف الحملات ، وعجز الناس عن دفن القتلى (2) بهم الارض ، فهي آية تسطر وتتل ؛ وكل مدينة قصدها وقع عليها مثل هذا واكثر ، وانا اخبرناك بالاجمال ، ولو فصلنا لكان في الاستغراب اكبر .

وان جيش الكافر المقابل لنا يناهز الماية (كذا) الف ، سلاح تام وصواعق ومدافع ، تصير الواحد ضعيفا ، وانه اذا جمع قوته وقصد بعض المواضع ، فلا تقدر ان نرده ، اذ ليس لنا قوة بارود ولا سلاح ، ولا مدافع مثل ما عنده لآكي (كذا) يذيقه المسلمون شديد النكال وعظيم القتال .

فاذا افرقت عساكره في المداين (كذا) والبروج وحاصره المسلمون ومنعوه الدخول والخروج ، فهم لا يأمنون في ابواب الجزاير ، وان نساءهم واموالهم ورجالهم واولادهم ، كل يوم للمجاهدين جزاير .

(7) هو صلح تافنا المعقود بتاريخ 20 ماي 1837 .

الملك والوزير والجميع في دار السلطنة في مدينة دمشق في سنة ١٠٤٠ هـ

[illegible][illegible]

اتشكل رقم 29 .. رسالة عبد القادر إلى السلطان عبد المجيد .

B.A : إدارة ، خارجية 820 •

فكل مدينة دخلها وعمرها برجالهم ، اقام المسلمون محلة معدة لحصارهم وقتالهم ، فيبقى جيشهم من وراء الجدران (كذا) ، كانهم نساء مخدرات ؛ وما وصل حيث وصل بشجاعة جيشه وجلده ، ولاكن (كذا) بكثرة عدده وعدته ؛ فما قابلهم المسلمون قط وهم ثلثه في العدد وفي بعض المرات ليسوا رבעه بقطع النظر عما له من المدد .

ومع ذلك ما ضعفوا ولا وهنوا ولا استكانوا ولا حزنوا مع الضعف الذي لا يحتاج الى شاهد ، من قلة المال والسلاح الذي يعلمه الغايب (كذا) والشاهد .

فكم من يوم منحنا الله منهم ادبارا ، فنفذ ما عندنا من البارود ، فعاد ربحنا خسارا . واهل هذا الوطن بالاصاة ضعاف ، منذ عاملهم عمال الجزائر في انسابق بالظلم الكبير والاعتساف ومنذ ٢٠٠٠٠٠ ؟ (2) العدو الكافر اشغلهم حربه على البيع والشرا (كذا) فهم كلهم يتكفون عائلة فقرا (كذا) .

لقد نفذت في سبيل الله اموالهم ، وفنيت في سبيل الجهاد رجالهم . والكافر لقوته ، اذا اخذت له محلة ، جدد اخرى . واذا هلك له جيش ، استخلف بالاعزى (كذا) . واذا احتاج لشيء ، امد به سلطانه . فهو لا شغل له الا تدبير المكاييد (كذا) للمسلمين ، وما يأمر به شيطانه .

ونحن اسلمنا اخواننا المسلمين ، وتركنا اسارى في يد العدو ، فهم لنا ظالمون ، وتبرأ منا من كان قريبا لنا من الملوك ، ومنعونا شراء ما نتقوى به على الكافر ، خوفا منه ومنعونا حتى السلوك .

طلبنا منهم الاعانة بالرجال ، فلم يقبلوا ؛ واستعناهم بالاموال ، فلم يفعلوا ؛ وطلبنا منهم السلف ، فكان عين الحال ؛ ومنعوا رعاياهم من اعانتنا بكل وجه وحال ، فما نفعا قريب ولا مجاورة ولا دافع عنا ذو سيف ولا محاور ، كان المسلمين ليسوا بجسد واحد وكانه ليس الظلم لى ائواجد ؛ والمسلمون بهذا القطر لا ينظرون من غيرك افراج ولا نهم ملجأ يلجئون اليه ، غير حصنك العالى الادراج ، فابصارهم لاعانتك وامسالك طامعة ، وقلوبهم بمحبتك وذكرك طافحة .

فان قيل مال ، عندك المال وافر . وان قيل جيش عندك العسكر البحر . واني وحياتك السعيدة ، لولا خوفى على المسلمين من العدو ، ما لازمت سكونا ولا هدوء ، حتى اقف بين يديك ، واقص من اخبار المسلمين بهذا القطر عليك ؛ فانهم قد غلقت عليهم الابواب ، وتقطعت بهم الجبال والاسباب ، لا بلاغ لهم الا

الوثيقة رقم 6

بعد الالتقاء (I) .

ان هذا الكتاب من خديم حضرتكم المجاهدين بوطن الجزائر التي صار لغرباء الكفر وذباله (كذا) جزائر ، ولم تتفقده اسياده وحماته ؛ وتغافلت عنه انتصاره وفرسانه وكماته ؛ فهم اسر (كذا) العدو والكافر اسرا ، يفعل فيهم ما يشاء ، ويحملهم اغلالا واصرا (كذا) وانا قد كاتبتنا سيدنا فخر الزمان والمكان ، وسيد ملك يكون او كان ، وطلبنا منه المدد بالعدة والعدد ، واخبرناه باحوالنا ، وسردنا عليه بعض احوالنا ، فكن لنا لوجه الله ورسوله معينا ، واسقنا من زلالك ماء معينا ، وازل لهفتنا وارحم ضعفنا ، فان العساكر وافرة ، والجزائر عامرة ، ونحن من عيالكم ، وتعلقنا باذيالكم ، فادركونا قبل النفوات و (I) بمددكم قبل الوفات ، وصلوا فينا بفضلكم رحم الاسلام ، وراعوا فينا وجه النبي عليه الصلاة والسلام ، فانه ليس للمسلمين حصن غير حصنكم ، يلجئون اليه ، وانتم المكلفون بالاسلام ، وليس هنا احد لك تتكلمون في هذا الامر عليه ، والله سايحكم (كذا) عن امثالنا الضعفا (كذا) وانتم ملجأ الهاربين سلفا وخلفا ، وان اكف خدامكم المجاهدين لاستمطار فضلكم ممدودة ، وحاش (كذا) جودكم وكرمكم ان ترجع بالحرمان مردودة .

ومرادنا نبعث هدية لحضرتكم العلية . . (2) ونبعث من يقوم مقامنا في تقبيل يديكم الكريمة الندية ، ومن ترادف الحروب علينا لم يتيسر لنا ذلك ، والله المرغوب في تبليغ مرادنا فيما هنالك .

شوال 1257 (3)

يلي ذلك ختم عبد القادر بن محي الدين

(1) B.A.؛ اداة ، خارجية 820 ، لف ، رقم 4 ، رسالة الامير عبد القادر الى الصدر الاعظم .

(2) كلمات غير واضحة القراءة .

(3) ديسمبر 1841 ؛ راجع ملاحظة رقم 8 للوثيقة رقم 5 المنشورة اعلاه ، ص . 226 .

الوثيقة رقم 7

بعد اللقب (I) .

اما بعد فلقد بزغ من مطلع ودكم مشترى المحبة فى برج غرس الاحسان ،
وتعالى فى سماء ظهوره ، حتى بدا لنا وسمت (2) ٠٠٠٠٠ بمرى احمد بضربة
(كذا) فلم يكن به محق ولا نقصان الا ان فى اثره اشارة . انا كاتبنا آل عثمان
مع اننا لم تقع منا قط كتابة خوفا من عدم القبول او عدم الاجابة ؛ لآكن
(كذا) علمنا ان تلك الاشارة (2) ٠٠٠٠ من الطالب السيد حمدان ولد خوجة
عثمان وصلة من وصل بها انقطاع الرحم عن (2) ٠٠٠٠ وانك بها لحقيق ،
جدير .

فاعتمدنا اشارتك بهذا الراى الرشيد، واستعطفنا سيدنا ومولانا السلطان
عبد المجيد ، وعرضنا على حضرته العلية حالنا وعرفناه افعالنا واقوالنا ، لعله
ينظر الينا بعين الرحمة والاشفاق وينقذنا بكلمته المسموعة وهذا (2) ٠٠٠٠
فاننا اشرفنا على البلا (كذا) والكافر على الاستيلاء ومن كان فى عون أخيه
كان الله له . فاذا استشرفك سيدنا على كتابنا اليه ، فاكدم ملامحه ما تلقى
الله به وعليه ، وان بيننا وبينك ثدى الاسلام ورحمه ، وقد درسوا اثاره
ومعالمه . فهل لك فى احياء موات ارضك ويكون لك فيه اكثر من غلة ابيك
وجدك . واننا من الله اخوان والله المستعان . وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد وعلى آله وصحبه .

الحاج عبد القادر بن مولانا محى الدين من رباط مستغانم 25 شوال 1257 (4)
يلى ذلك ، ختم الامير

(I) B.A.؛ ارادة ، خارجة 820 ، لف ، رقم 11 ، رسالة الامير عبد القادر الى حمدان بن
عثمان خوجة .

(2) كلمات غير واضحة القراءة .

(3) هو أحمد بوضربة الجزائرى ، راجع الوثيقة رقم 3 من الدراسة الثالثة ، ص . 174 - 181 .

(4) 10 ديسمبر 1841 .

الوثيقة رقم 8 (I)

لقد اتصلنا برسلكم المحملين برسائلكم ، ونحن الآن على اطلاع وعلم لكل ما أخبرتنا به .

لقد أظهرتم شجاعة وإخلاصا بقيادتكم أمر المسلمين ؛ انكم بذلك قد أطعتم رضى البارى ورسوله ، وكذلك الباب العالى ؛ ليجازيكم اليه .

أما نحن ، فسوف لن نتردد فى مكافئتكما لما تستحقونه من الرعاية، وسوف ننفذ كل مما نراه لائقا .

اننا بتبنينا الالغاز فى رسالتنا، نطلب منكم، أن تكتموا أمر هاته القضية، وذلك لاهميتها ؛ وسوف تساعدونا كثيرا اذا راعيتم سرية القضية ، وعليه فاننا نطلب منكم أن تلغزوا رسائلكم . إننا نعتذر على قصر هاته الرسالة .

(I) B.A.؛ بابى عسافى اوراقى ، جزاير قسنطينة باى أحمد بابيه دائر ، 1996 ، مسایل مهمة جزائر ، لف برقم 13 ، رسالة تركية من الباب العالى الى عبد القادر ، بدون تاريخ .

V

فُذُون مَدِينَةِ الْحَبَشَةِ

سنة 1816

قذف مدينة الجزائر سنة 1816

ان تاريخ الجزائر وتونس وليبيا اثناء وجود الاتراك بهاته الولايات الثلاث ، غير مدروس ؛ كما وان معلوماتنا حول هاته الفترة ضئيلة جدا بحيث ان الباحث اذا تصدى لدراسة نظام الاتراك والوسائل التي اتخذوها لحكمهم ، فسيراغه خلو هذا الميدان من الدراسات التاريخية ، خلوا تاما .

تقتصر معلوماتنا لهاته الفترة على معطيات دور الارشيف الاوروبية ، والتي هي الاخرى ، لم تستغل بكفاية ، والى عدد من الرحالين الذين تركوا لنا انطباعاتهم التاريخية الهامة . غير انه لا يمكننا مطلقا ، كتابة تاريخ هاته الفترة ، الا بعد الرجوع اساسا ، الى الوثائق العثمانية والوثائق المحلية الموجودة بتونس والجزائر وليبيا (I) .

(I). اقام البير دوفو (Albert DEVOULX) فهرسا موجزا للوثائق التركية كما ان جون دوني (Jean DENY) نشر دراستين حول هاته الوثائق بالمجلة الافريقية (Revue Africaine) 1920 و 1921 . كذلك السيد مرسل كولوب (Marcel COLOMBE) نشر هو الآخر دراسة بالمجلة الافريقية سنة ، 1943 .

اما الاستاذ روبر منتران (Robert MANTRAN) فقد كلف بمهمة دراسة هاته الوثائق في شهر مارس 1955 ، ومما جاء في تقريره : « اذهب الى التفكير بان الوثائق التركية والعربية بالجزائر ، تشكل مرجعا اساسيا للتاريخ الاقتصادي والعسكري والداخلي لولاية الجزائر خلال المائة وخمسين سنة ، التي سبقت الاحتلال الفرنسي ، ومن الواضح انه يجب الرجوع الى هاته الوثائق اذا اريد في المستقبل كتابة تاريخ الجزائر ، هذا التاريخ الذي لم يعد يعتمد على الوقائع ، بل ايضا على الاحداث التي تمثل العناصر الاساسية لحياة الدولة » . لقد قمنا بفهرست هاته الدفاتر ، ونتمنى نشر كتابنا قريبا باللغة الفرنسية والعربية :

فهرس الدفاتر العربية والتركية بالجزائر

اما الوثائق التونسية فان القسم العربي منه لم يدرس بعد ، اما التركي ، فقد نشر الاستاذ منتران ثلاث دراسات بـ *les Cahiers de Tunisie* رقم 15 و 19 و 20 ، كما واقام فهرسا للوثائق التركية تونس ، 1961 .

Inventaire des documents d'archives turcs du Dar El Bey

اما الوثائق الليبية فحسب علمي ، لم تنشر اية دراسة حول الموضوع ، ما عدا نشر 37 وثيقة من طرف كمال الدين الخربوطي ، والمنشورة في كتاب : *طرابلس الغرب تحت اسرة حكم القرماني* ، تأليف رود لف ميكاكي ، ترجمة طه فوزي ، القاهرة ، 1961 . كذلك اطروحة السيد عمر بن اسماعيل ، *انهيار حكم اسرة القرماني في ليبيا 1795 - 1835* ، طرابلس الغرب - بيروت ، 1966 ، حيث اعتمد على ترجمة بعض الوثائق التركية .

حدة ، فانها ستخسر المعركة . ولو ادركت هاته الحقيقة لما ضحينا بدون انشر اليوم بعض الوثائق حول كذف مدينة الجزائر سنة 1816 والفترة التي سبقتها ؛ ذلك ان معلوماتنا تعتمد على الوثائق الاوروبية والتي تعكس دوما ، وجهة نظر معينة ، وبالتالي يكون من الصعب تبني حقيقة تاريخية واقراها بعد ذلك .

توجد هاته الوثائق بارشيف رئاسة الوزراء باستنبول ؛ كما اننا درسنا الدفاتر التركية بالجزائر والمتعلقة بهاته الاحداث ، بحيث ان هذين المصدرين يكملان بعضهما البعض ، في اعطاء تحليل ومعطيات جديدة للاحداث بالنسبة للمسؤولين الجزائريين . كما وانهما يقدمان ايضا حقائق حول النظام الاداري التركي بالجزائر وعلاقته بالباب العالي وتونس والدول الاوروبية ، وهذا ما يحتم على الباحث استحالة الاستغناء عنها (2) .

**

سنحاول رسم الخطوة العامة للسياسة الجزائرية خلال هاته الفترة . ففي 2 جويلية 1815 رفع محمد خسرو (3) رسالة الى السلطان محمود ، متحدئا عن حاكم الجزائر الحاج علي : « منذ ان اصبح هذا الشخص واليا على الجزائر ، تعددت المظالم مع المسيحيين ، بحيث ان الصداقة قد تحولت الى نزاعات ومهاجمات » (4) .

ان حمق وعجب الحاج علي قد اوقع الجزائريين في حرب مع كل الشعوب الاوروبية ؛ هاته الشعوب التي عرفت تقدما اقتصاديا وآليا ، بالاضافة الى انها تتمتع باساطيل قوية . كانت الدول الاوروبية تعتبر الجزائر ملجأ القراصنة وقطاع الطريق . فاللورد شيفيلد (SHEFFIELD) كان يعتبر قوة الجزائر على انها حاجز منيع لتقدم وازدهار التجارة البحرية للولايات المتحدة الامريكية (5) . اما السيد باديا (BADIA) فقد نصح الدوك دو ريشوليهو (Duc DE RICHELIEU) وزير خارجية فرنسا، محاربة القرصنة: « ان اوروبا باسرها اذا ما حاربت افريقيا يمكن لها ان تنتصر في حالة انتظام صفوفها ، ومواجهة العدو صفا واحدا . اما اذا واجهت كل دول اوروبا ، افريقيا على

(2) هاته الوثائق باللغة التركية وكذلك الدفاتر الذي راجعناه . ماعدا الوثيقة رقم 8 والتي عثرنا على نصها الاصل بالعرية والانقليزية في وزارة الخارجية البريطانية ببلندرة .

(3) تولى محمد خسرو وزارة الحربية العثمانية مرتين ، من 1811 الى 1817 ومن 1822 الى 1826 .

(4) H.H 44515 ، B.A. (4)

(5) SHALER, William, Exquisse de l'Etat d'Alger ترجمه عن الانقليزية ، بيانشى (BIANCHI) ص. 75 - 76 ، باريس ، 1830 .

فائدة ، بملايين الارواح ! واذا انتصرنا ، يجب ان تكون لنا قلاع وحصون، ولا فائدة لنا مطلقا بالاستيلاء على البلاد » (6) .

وفى اوت 1814 وجه السر سيدنى سميث (Sir Sidney SMITH) فداء الى اوروبا : « لتنظيم حصار حول الجزائر حتى يوضع حد لقرصنة الدول المغربية » (7) .

وقبل هذا التاريخ كان نابليون الاول قد فكر فى الاستيلاء على الجزائر ؛ وقد عزم على القضاء على الولايات المغربية ، كما وفق انظام شمال افريقيا تحت سلطة فرنسا ، كان احد بنود المعاهدة السرية التى عقدها نابليون الاول مع قيصر روسيا (8) .

وعليه امر بليون بارسال العقيد بوتان (BOUTIN) فى جويلية 1808 الى الجزائر ، ليضع دراسة حول مراكز الدفاع الجزائرية . ولكن الامبراطور نابليون الذى شغلته مشاكل اوروبا ، قد انصرف تماما عن تحقيق مشروعه . اما الحاج على والى الجزائر ، فقد كان يخشى نزول الفرنسيين على سواحله ، وعليه فقد دفع الاميرال البحرى حميدو على مضاعفة هجماته ضد الاوروبيين ، وضد الدول المجاورة خصوصا تونس ، التى اظهر ضد واليها عداء . وقد استولى الاميرال حميدو على باخرة تونسية بعد معركة حربية دامت ستة ساعات (9) .

(6) A.E. ! دفتر الجزائر ، المراسلات الفصليية ، ملف رقم 42 ، ص. 304 .
كان باديا قد اذام بالمغرب الاقصى مدة طويلة ، مستعيرا اسم على باى العباسى ، وقد سافر الى مكة ، وكان هدفه بالطبع التعرف على الشعوب الاسلامية ، راجع :

ROUSSEIER, P, Les derniers projets et les dernier voyage de Domingo Badia, 1815-1818, R.A. 1930 r p. 302.

اما مجلة « (Revue du Monde Musulman » Autour du monde Musulman) العدد 9 ، ماي 1909 ، ص. 66 ، وفى دراسة بعنوان : حول العالم الاسلامي يتساءل ماذا كان على العباسى هذا ، هو احد دعاة سياسة نابوليون الاول الاسلامية ؟ اما دائرة المعارف الاسلامية A.E. ، ج 1 ، ص 403 ، فتتص على أن على باى العباسى هو الاسم المستعار لدومنفو باديا الذى ولد بسوريا سنة 1786 وتوفى بسوريا وهو مؤلف كتاب :

Voyages d'Ali Bey el-Abbasi en Afrique et en Syrie pendant les années 1803, 1804, 1805, 1806 et 1807, 3 Vol, Faris, 1814.

Le Baron De TESTA, Recueil des traités de la Porte Ottomane, (7)
I. 2 ، ص. 410 - 413 ، باريس ، 1864 .

(8) المصدر نفسه ، ص 444 .
(9) 1511, 14, Vol. 3. A.O.M. ص. 32 ، ننقل النص التالى حول هاته المعركة الحربية : « ان باوخر قرصنتنا الست ، قد اصطدمت بأفنتى عشر باخرة للقرصنة التونسيين . وبعد معركة دامت ست ساعات ، فاننا مع غروب الشمس قد انتصرنا . كان عدد موتانا ، اربعين شخصا ، اما عدد التونسيين فبلغ 230 » . ينص الدفتر على ان تاريخ المعركة كان فى 25 ربيع الثانى 1226 / 28 ماي 1811 .

اما مشروح عمر ونعمان باحتلال مدينة الكاف ، فقد باء بالفشل فى شهر جوان 1814 . وقد اراد الباب العالى ارسال مبعوث ليضع حدا للحرب الدائرة بين البلدين ، وتوصيتهما بحسن الجوار (10) . وعندما وصل محمود آغا مبعوث الباب العالى « امام ميناء الجزائر فان الحقيير الحاج على ، قد قذفه بالقنابل من القلعة » (11) ؛ غير ان السلطان محمود ، لم يرض عن فعلة والى الجزائر هاته ، فقام بتهديده اذا لم يكف عن ذلك ؛ وقد ادى تدخل السلطان الاخير ، الى توقيع الصلح بين البلدين .

اما تهديدات والى الجزائر ضد السفن الاوروبية فقد تعددت فى البحر الابيض المتوسط والبحر الاطلسيقي ؛ وعلاقات الولاية مع فرنسا واسبانيا خلال هاته الفترة ، كان تصطبغ بعدم الثقة ، وان الجو السياسى كان سيئا عندما تقلد عمر باشا ولاية الجزائر .

فى 11 ربيع الثانى 1230 / 23 مارس 1815 ، اغتيل الحاج على فى حمامه (12) وكان وزيره عبد الله احد المنفذين لتلك الحطة (13) . وعلى اثر موت الحاج على ، تولى الحاج محمد السلطة بعده . الا انه سرعان ما عزل من منصبه فى 27 ربيع الثانى 1230 / 8 افريل 1815 (14) ، وعوض بعمر باشا الذى قبل اخيرا السلطة ، بعد ان رفضها عدة مرات ، (15) بحيث : « ان الناس جميعا

AITLER, Aziz Samih, Simali Afrikada Turkler

(10)

(الأتراك بشمال إفريقيا) ج. 1 ص. 85 ، استنبول ، 1937 . يشتمل هذا الكتاب على ثلاثة أقسام : الجزائر ، تونس وليبيا ، وقد قام أخيرا السيد عبد السلام آدمم بترجمة القسمين الاخيرين من الكتاب التركى والمتعلقين بتونس وليبيا : « الأتراك الشماليون فى أفريقيا الشمالية » دار لبنان ، 1969 . أما القسم الثالث من الكتاب والمتعلق بالجزائر ، والمشتمل على ثلث جزئى الكتاب ، فلم يترجم بعد .
H H. 44525 a B.A. رسالة من محمد خسرو الى السلطان .

(12) MI. 14 Vol 13 A.O.M. 15 ، ص. 34 ، ننقل النص التالى : « ان الحاج على قد اغتيل فى حمامه وان الخزنجى الحاج محمد ، قد تولى مقاليد الحكم بالولاية » . اما كتاب **هواة الجزائر** ، لمى رضا باشا ، ص. 137 ، استنبول ، 1876 ، فيذكر ان عمر باشا قد تفاهم مع الكراغلة (مواليد الأتراك بالجزائريات) لاغتيال الحاج على ، وان هذا الاخير قد قتل تحت سيل وافر من طلقات الرصاص . أنظر الشكل رقم 30 ، ص. 240 - 241 ، وهو رسم شخصية الحاج على ، دأى الجزائر .

(13) شالر ، نفس المصدر ، ص. 190 .

(14) شالر ، المصدر السابق ، ص. 178 ، يذكر ان العجز الحاج محمد قد اغتيل بعد 14 يوما من توليه السلطة . اما فرامن (GRAMMONT) فى كتابه :

Histoire d'Alger sous la domination turque

(تاريخ مدينة الجزائر تحت حكم الأتراك) ، ص. 374 ، فيذكر ان اغتياله وقع بعد 15 يوما . الا ان النص التركى للدفتى : 15 MI. 14. Vol 13 A.O.M. ، ص. 14 ، يقرر ان اغتياله تم بعد 17 يوما .

(15) عمر باشا من جزيرة ميتلان . لا يتكلم العربية . بعد عشر سنوات من وصوله الجزائر ، تولى منصب الباشا .

قد فرحوا بولاية هذا الاخير ؛ ومن الجلى ان حكمه سيكون مفيدا لنا جميعا » (I6) .

وقد كتب قنصل فرنسا دوفال (DEVAL) الى وزير خارجيته بتاريخ I6 مارس I8I6 ، متحدثا عن عمر باشا : « يبدو ان عمر باشا يتمتع بشخصية هادئة ومفكرة ، وطبعه عنيف ، غير انه عادل . وقد اتخذ موقفا قاسيا ضد العرب الذين حاربهم بنجاح منذ سنوات على رأس الانكشاريين . ان هذا الامير قد حول اتجاه الناس جميعا الى مركز السلطة التركي ، ويبدو ان حكومته على تفاهم مطلق مع الحكومة العثمانية » (I7) .

نلاحظ ان عمر باشا قد ربط علاقاته بالباب العالي ، وصرح انه على استعداد لتنفيذ اى امر يصدره السلطان بشانه (I8) ، وقد طلب عمر باشا من السلطان تسهيل تجنيد الانكشاريين من ازمير ؛ وقد وصل خلال سنتين I290 انكشاريا (I9) ، كما ان عمر باشا طلب من الباب العالي سريا ، توفير الاسلحة للجزائر وتونس وطرابلس الغرب لتجهيز جيوشهم ، حتى يقفوا ضد تهديدات الاوروبيين (20) .

اما خزينة الولاية اثناء حكم عمر باشا فكانت فى عجز ؛ وقد كتب عمر باشا الى السلطان متحدثا عن ذلك : « اننا ملزمون على دفع اتاوات ما بين 30 و 40 الف انكشارى ؛ ففي سالف الزمن كنا ندفع اجورهم على دفعة واحدة ، ولكن منذ عشر سنوات لم نتمكن من مضاعفة اتاواتهم ، كذلك كنا نسدد الاجور كل شهرين ؛ اما اليوم فان تسديد اتاواتهم يتم مرة واحدة كل اربعة اشهر بالنسبة للبعض وستة أشهر بالنسبة للبعض الآخر ، وقسم ثالث تسدد اجورهم كل سنة » (2I) .

(I6) I.I.H. 44515 a B.A.

(I7) A.E. ، المراسلات القنصلية ، الجزائر ، ملف رقم 42 .

(I8) B.A. 44515 a HH. نلاحظ ان عمر باشا قد رفض تسريح باخرة تابعة لمدينة دوبروفنيك ، عندما امره السلطان بذلك : راجع الوثيقة ، رقم 2 المنشورة ضمن هاته الدراسة ص . 248 .

(I9) I3 A.O.M. Vol 14 MI 15 . ص . I8 ، يوجد ضمن I290 انكشاريا ، I7 وصلوا الى الجزائر من تونس 7 قد فروا من تونس و IO استولوا عليهم اثر معركة حربية . وصل هؤلاء الانكشاريون ما بين I8 فيفري I8I5 و IO ماي I8I7 ، راجع ايضا دراسة مرسال كولوب : Marcel COLOMBE ص. I66 - I8I .

Contribution à l'étude de recrutement de l'Ojak d'Alger dans les dernières années de la Régence, in, R.A., 1943.

(20) HH. 32210 a B.A. ، راجع الوثيقة رقم 6 ، ص . 252 .

(2I) B.A. 49515 c HH. ؛ راجع الوثيقة رقم I . اما الدفتر I3 Vol MI I4 ، ص . 44 ، فيقرر ان مبلغ 24.000 محبوب قد ارسلت الى مكة والمدينة بواسطة محمد شاوش السيرانلى بتاريخ 26 جمادى الثانى I230 / 4 جوان I8I5 .

لقد تطورت وضعية الجزائر اثر المعارك التي شنت داخل البلاد ضد القبائل الثائرة ، وضد احد الدعاة عندما نادى بانه المهدي المنتظر ، في غرب وشرق البلاد . وقد كتب عمر باشا الى السلطان متحدثا عن ذلك : « ان جيوشنا وجنودنا قد تصدوا لحرب هؤلاء الدعاة والثائرين ، وقد سقط عدد من الموتى اثر تلك المعارك » (22) .

لقد اراد عمر باشا عقد الصلح مع التونسيين على شرط ان يدفعوا له الملتاد ، الهدايا بدون تأخير ولا تردد (23) ومع الاوروبيين ايضا . وقد أعلن عمر باشا للسلطان : « سوف لن يتعرض ابتداء من الآن قراصتنا الى سفن تجار البندقيين والنمساويين والروس ، ولكننا لانستطيع ان نرد لهم ما كانوا يطالبونا به » (24) .

**

ودون ان نتعرض الى جزئيات احداث هاته الفترة ، نذكر ان مؤتمر فينا قد كلف باسم دول اوروبا اللورد اكسموث ليضغ حدا لاستعباد المسيحيين وقرصنة ولاية الجزائر . الا ان فرنسا (25) قد رفضت مشاركة مشروع مؤتمر لندن الذي دعا الى القضاء على القرصنة ، وكانت تفضل الحفاظ على القرصنة بدل ازدياد نفوذ وسلطة وهيمنة البحرية الانكليزية في البحر الابيض المتوسط (26) .

ان اللورد اكسموث وفون كابلين (Lord EXMOUTH et Von CAPPELEN) أميرا البحر الانكليزي والهولندي ، كانا يعلمان التحصينات ونقاط الدفاع للجزائر العاصمة ، بفضل النقيب ورد (WARD) والضابط زيغل (ZIEWGEL) الذين مكنا رئيسيهما من معلومات هامة حول الموضوع (27) .

(22) B.A. 3 120 g ; HH. راجع الوثيقة ، رقم 5 ، ص. 250 - 252 .

(23) المصدر نفسه .

(24) B.A. 49515 c ; HH. راجع الوثيقة رقم I ، ص. 243 - 248 .

(25) A.E. المراسلات السياسية ، ملف الجزائر ، 1816 ، ص. 299 ، ارسل وزير خارجية فرنسا امرا الى قنصله بالجزائر ، بتاريخ 2 اوت 1816 ، هذا نصه : « ان البواخر والجيوش التي هي تحت أمرة اللورد اكسموث قد اقلعت من انفلترا ، ومما لاشك فيه انها ستوجه الى الجزائر ، وعليه فانه يجب عليكم ان تبقوا بعيدين عن كل المناقشات والحوادث التي يمكن ان تكون الجزائر مسرحا لها في المستقبل » .

(26) JULIEN, Charles-André, *Histoire de l'Afrique du Nord* (Roger Le TOURNEAU) ص . الطبعة الثانية ، مراجعة روجي لوتورنو

باريس ، 1964 ص. 297 - 298 .

PLAYFAIR, R. L, *Episodes de l'histoire des relations de la Grande Bretagne avec les Etats Barbaresques avant la conquête française.*

المنشورة بالمجلة الافريقية R.A. ج. 23 ، ص. 463 .

انظر الشكل رقم 31 ، ص. 240 - 241 ، وهو رسم الاميرال الانكليزي اللورد اكسموث .

ان الجزائريين كانوا يعلمون منذ سنة ان الاسطول المسيحي يتجول في البحر الابيض المتوسط ، وان الدول الاوروبية تضم الشر ضدهم (28) ، وعليه فقد قاموا بتحصينات مراكزهم ، كما وضعوا كل ما يملكونه من سلاح تحت تصرف الجيش . هذا وقد شرع اكثر من اربعين الف رجل للعمل على اقامة تحصينات جديدة ، واستدعى كل الانكشاريين من جميع المراكز لمجابهة الاحداث (29) .

**

اعلن عمر باشا للسلطان ان الجنرال حسين (30) اوصاه باليقظة وتجهيز الانكشاريين ؛ كما واسر اليه بعض الملاحظات السرية . وقد كتب عمر الى السلطان مخبرا اياه انه قد تم درس الاوامر المرسلة اليه (31) .

اما الاسطول الانقليزي والهولندي فقد وصلا الى الجزائر يوم 27 أوت 1816 (32) ؛ وعليه طلب اللورد اكسموث من الداى عقد الصلح (33) ، امرا اياه ان يرد عليه خلال ظرف ساعة فقط ؛ الا ان عمر باشا وكبار المسؤولين ، رفضوا رفضا مطلقا ، عقد الصلح وقبول اوامر الاميرال .

وخلال هاته الفترة الزمنية ، قرب الاسطولان من تحصينات الميناء ليسهل ضربه ، وفعلا فان عمر باشا ارتكب خطأ استراتيجيا بعدم اطلاق النار على الاسطول العدو ، وقد تمكن الاسطولان من كسب المعركة كسبا تاما .

(28) B.A. j 31210 HH. راجع الوثيقة رقم 5 ، ص . 250 - 252 .

(29) بلايفر ، نفس المصدر ، ج . 24 ، ص . 24 .

(30) هو مبعوث الباب العالي الى الداى عمر ، وصل الى الجزائر يوم 29 ماي 1061 ، راجع الوثيقة رقم 5 .

(31) B.A. ؛ 222860 HH. راجع الوثيقة ، رقم 7 ، ص . 252 - 255 .

(32) 15. MI. 14, vol. 13 A.O.M. ، تنقل النص التالي : « وصل الانقليز اعداء الديسن امام ميناء الجزائر بتاريخ يوم الثلاثاء 3 شوال 1231 / 27 أوت 1816 ، ومعهم 27 باخرة بين صغيرة وكبيرة ، ويصحبهم الهولنديين . ان عدد بواخر الاسطولين بلغ 33 باخرة . لقد ارسلوا اليها باخرة رافعة علما ايضا ، واقتربوا من الميناء . لقد اندلعت الحرب ودامت ثمانية ساعات ونتج عن ذلك ان ثمانية من بواخرنا قد احرقت . لقد تم اطلاق سراح المسيحيين بدون فدية . وبما اننا اصبحنا مغلوبين ، فان شروطهم قد قبلت . ليذهبوا الى الجحيم .. » .

(33) ان رسائل عمر باشا وعلى راس المنشورة في اخر هاته الدراسة ، رسمت لنا صورة واضحة للحوادث .

كتب عمر باشا الى السلطان متحدثا عن ذلك : « لقد كانت معركة حامية الوطيس دامت احدى عشرة ساعة وثلاث وعشرين دقيقة ، احرقت خلالها كل بواخرنا وسفن تجارتنا ، ولم نر دقيقة راحة واحدة ، اذ اخذت تنهاتنا علينا في كل لحظة ، سيلا وافرا من القنابل الصغيرة والكبيرة الحجم ، بحيث ان تحصيناتنا ومينائنا قد تحطمت خلال ظرف ساعة واحدة ٠٠٠ » (34) .

لقد جابه الجزائريون نيران العدو ببطولة ، الشيء الذى جعل اللورد اكسموث يكتب : « لم ار فى حياتي اعداء يحاربون بايمان وثبات جأش كهؤلاء » (35) .

يذهب فرامن الى ان عدد الكرات الحديدية التى اطلقتها المدافع على التحصينات الجزائرية بلغت نصف مليون ؛ اما القنابل النارية فبلغت 980 (36) . كما ويذكر على رانس فى تقريره الى السلطان ان عدد موتى وجرحى الجزائريين قد ناهز 300 . اما بالنسبة للانقليز فيتراوح ما بين الفين وثلاثة آلاف شخص (37) .

وفى اليوم التالى من المعركة ، قبل عمر باشا امضاء شروط الصلح (38) التى املاها اللورد اكسموث ، وعليه فقد وقع اطلاق سراح اكثر من 200 I اسير مسيحي باون فدية ، تلك الفدية التى قدرت بمليونين من الريالات الفرنسية (40) .

ان حركة البواخر الجزائرية فى حوض البحر الابيض المتوسط لم تكف الا لمدة ثلاثة اشهر فقط ، وابتداء من 27 نوفمبر اقلعت ست سفن جزائرية من ميناء العاصمة للتجول فى عرض البحر (41) .

(34) B.A. 22286 a HH. راجع الوثيقة رقم 7 ، ص. 252 - 255 .

(35) بلا يفر ، نفس المصدر ، ص. 33 .

(36) فرامن ، نفس المصدر ، ص. 378 .

(37) المصدر السابق ، ص. 378 ، يذكر ان عدد الموتى الجزائريين بلغ 500 . اما بالنسبة للانقليز فبلغ 833 . اما شالر ، نفس المصدر ، ص. 363 ، فقد كتب : « لم يصب من الجزائريين عدد كثير من الموتى فى هاته المعركة اكثر من اصابة اعدائهم ، اذ ان موتى وجرحى الجزائريين لا تتجاوز 600 شخص وبالتالي فان وضعية الجزائريين بعد المعركة لا تدل على انه لحقتهم كثير من الخسائر فى الارواح » .

(38) راجع الوثيقة رقم 8 ضمن هاته الدراسة . كما اننا نلاحظ ان كتاب التر ، نفس المصدر ، ج . 2 ، ص. 91 ، قد نشر كل بنود المعاهدة المعقودة بين عمر باشا واللورد اكسموث . اما النص الكامل والاصلى لهاته المعاهدة فيوجد بارشيف وزارة الحربية بفنسان بياريس ملف A.M.G.H4 (39) ذكر على رانس فى تقريره الوجه الى السلطان ان عدد المسيحيين الذين اطلق سراحهم بلغ 1500 . اما القنصل دوفال فذكر الرقم 1083 . راجع A.E. المراسلات القنصلية ، ملف الجزائر ، عدد . 42 ، راجع ايضا الوثيقة رقم 9 المنشورة ضمن هاته الدراسة ص. 257 .

(40) B.A. 22486 a HH. راجع الوثيقة رقم 7 ، ص. 252 - 255 .

(41) A.O.M. Vol. 13 ؛ 14 M. 15 ، ص. 63 .



الشكل رقم 31 - اللورد أكسموت •

ESQUER, G, *Iconographie historique de l'Algérie*,
t. 1, planche, n° 139.

اشترى اترك الجزائر بعد تحطيم كل اسطولهم ، بعض البواخر وبنوا
البعض الآخر . اما الباب العالي والمغرب وطرابلس الغرب (42) فقد اهدوهم
عددا آخر ، بحيث انهم استرجعوا قدرتهم البحرية ، وأصبح اسطولهم اكثر قوة
عن ذى قبل (43) .

ان هاته الحركة البحرية لم تنته الا باحتلال الجزائر سنة 1830 ، وعليه
وجب دراستها بالرجوع الى اصولها التاريخية ، بمزيد من التجرد والنزاهة
العلمية .

لقد كتب القنصل الفرنسي دوفال الى وزير خارجيته متحدثا عن وضعية
الجزائر بعد هاته الهزيمة : « لقد ذكرت هاته الايام كل انواع المصائب التي
حلت بالبلاد منذ تولى عمر باشا مقاليد الحكم : هزيمة الاسطول الجزائري على
يد الأمريكيين ، والسلم المخجلة التي تلت ذلك ، ثم جيش من الجراد قدم من
الصحراء وانتشر صيف 1815 فى كامل انحاء الولاية ، متلفا القسم الاكبر
من منتوجات البلاد الزراعية وتسبب ذلك فى مجاعة عمت البلاد ، واخيرا
تحطيم الاسطول الجزائري والحسارة (44) التي لحقت بالبلاد اثر قذف مدينة
الجزائر من طرف الاسطول الانقزيزى ، ثم السلم المهينة والباهضة الثمن ،
والتي اضطرت الولاية الى توقيعه » (45) .

ان عمر باشا الذى تمكن من تهدة واخماد انقلاب الانكشاريين ، بفضل
هدوء اعصابه والمال الذى وزعه ، قد اغتيل فى آخر الامر ؛ وخلفه على خوجة
بتاريخ 9 سبتمبر 1817 (46) . وقد وجه هذا الاخير رسالة الى السلطان ،

(42) المصدر السابق ، يقدم لنا هذا الدفتر بعض المعلومات المتنوعة ومنه علمنا ان طرابلس الغرب
كانت تقدم بعض الهدايا الى الجزائر ، فتاريخ 30 جوان 1815 ارسل باشا طرابلس الغرب
عددا من السفن الى الجزائر ، ثم بتاريخ 28 ماي 1817 ، ذكر ان هدية طرابلس الغرب قد
وصلت الى ميناء الجزائر .

La vie quotidienne à Alger : فيذكر فى كتابه

à la veille de l'intervention française, P. 86, Paris, 1963

من ان السلطان العثماني قد ارسل سنة 1817 كهدية الى الجزائر ، بارجة حربية وباخرتين
صغيرتين ، وذلك مساهمة منه فى اعادة بناء اسطول الجزائر البحرى ، والذى تحطم على اثر
قذف المدينة سنة 1816 .

(43) شارل ، نفس المصدر ، ص . 51 - 52 .

(44) SALAME, Ibrahim, A narrative of the expedition to Alger in the 1816, under the Commad of Lord Exmouth Bey.

ص . 176 ، لندن . 1819 . يقدر أن خسائر الجزائريين وصلت الى 1.015.625 جنيه
أسترلينى .

(45) A.E. : المراسلات القنصلية ، ملف الجزائر ، رقم . 42 ، ص 389 .

(46) A.O.M. : 13 Vol, 15. ML. 14. ص . 34 .

ليكسب حركته !انقلابية صفة شرعية ، وقد اتهم عمر باشا بانه : « اتبع سياسة استبدادية وحسب ميوله الشخصية ، كما انه لم يهتم بضعفاء الولاية ، وانصرف الى تبذير اموال خزينة المسلمين في تشييد ابنية لا فائدة ترجى منها ، وقيامه ببعض الاعمال التى ادت الى الافلاس ٠٠٠ ثم المصيبة التى حلت بالجزائر ، والناجاة عن سوء التدبير وانانية وتقصير الداي السابق » (47) .

لا ندعى اننا قلنا كل شىء عن احداث الجزائر خلال هاته الفترة ، بل على العكس ؛ هناك عدد آخر من الوثائق تنتظر من يدرسها (48) . ولكننا نأمل ان نكون بهاته الدراسة ، قد مكنا الباحثين من عناصر تاريخية جديدة .

أكس أون بروفنس (فرنسا)

IO - I2 - 1967

(47) HH. 22474 (B.A.) ، راجع الوثيقة ، رقم IO ، ص . 259 - 260 .

(48) وبالاخص مهمة دفترى (الدفاتر المهمة) الموجودة بارشيف رئاسة الوزراء (A.A.ذ) والتي لم يسعفنا الوقت لدراستها هنا ، كذلك عدد اخر من رسائل محمد خسرو الموجهة الى السلطان والتي مى فى حوزتنا ، املين نشرها فى فرصة اخرى .

وثائق تركية عن قذف مدينة الجزائر سنة 1816 :

- رسائل من عمر باشا الى السلطان محمود الثاني .
- رسائل من خسرو باشا الى السلطان محمود الثاني .
- نص اتفاقية عمر باشا واللورد آكسموث .
- رسالة على رانس الى السلطان محمود الثاني .
- رسالة من على خوجة الى السلطان محمود الثاني .

الوثيقة رقم 1

صاحب والعناية والرافة ، ولى النعم حضرة سلطاننا (49) .
ان الانكشاريين الذين يتمتعون منذ زمن بعيد بحماية الله وظله على الارض
سيدنا السلطان وبقية اعضاده ، يعبرون عن كامل ولائهم وطاعتهم لحضرة
السلطان وهم عاجزون عن التعبير عن شكرهم له .

لقد طلبتم منا يا حضرة السلطان ان نكف الهجوم على البواخر التجارية
الروسية والنمساوية ، حيث انكم ارتبطتم مع هاتين الدولتين ومع اهل
الجزيرة (50) بعلاقات ودية .

لقد اطلعنا على اوامركم وفرمانكم (51) التى وجهتموها الينا عن طريق على
باشا ومحمد آغا .

نعلم حضرة سلطاننا اننا قبلنا كل امر صادر عنه بكل طاعة ، اذ حسب
مبادئ ديننا ، نحاول دوما تجنب اى خلاف بيننا ، ذلك ان الاوجاق
الانكشاريين المظفرين وعبدكم المتواضع ، هم جميعا رعايا جلالة السلطان .
اننا سعداء ان نكون تحت اوامر جلالة السلطان وليس لنا طريق نسلكه غير
الانصياع للوامر السلطانية . ان ذلك لواجب علينا ونحن على استعداد لفداء
انفسنا دفاعا عن هذا المبلد .

★★

منذ خمس او ست سنوات لوحظ نقص فى المواد الغذائية باستنبول ،
وبلدان البحر الابيض المتوسط ، حتى ان والى الجزائر السابق المرحوم الداي
الحاج على ، قد عين حراسا امام الجبازين ؛ كما انه قد منع بعض البواخر

(49) B.A. ؛ 49515 H.H ؛ رسالة من عمر باشا الى السلطان . انظر الشكل رقم 32 ،
ص. 248 - 249 .

(50) اى جزيرة قصد بها هنا ؟ ان النص لا يقدم لنا بيانات اضافية .
(51) راجع هذا فرمان المنشور بكتاب :
DEVOLX Albert, Le Reis HAMIDOU ص. 60 - 63 ، الجزائر ، 1859 .

العثمانية المحملة بالذخائر من الاتجاه الى الدول الاوروبية وهو في ذلك قد خالف اوامر الباب العالي .

على ان هناك بواخر اخرى تابعة الى (52) متجهة الى اوربا قد وقعت بايدينا ؛ لقد احتفظنا بها ونحن في انتظار اوامر الدولة العلية ، ذلك ان ما يملكه العبد هو ايضا ملك لسيدته .

سوف لن نتردد في تنفيذ اوامركم ، ومخافة ذلك يعد جناية ومصدرا للمشاكل . ان طاعتنا للسلطان امر مسلم به ، شريطة أن لا يمس شرف الانكشاريين .

رفعت كثير من الشكايات ضد اوجاقنا الى حضرة سلطاننا ؛ انها اتهامات باطلة وافتراء واضح . نعلن على حضرة سلطاننا ان قراصتنا عندما اعترضوا سبيل البواخر الاجنبية، قد طلبوا اليهم اعلامهم بنوعية الذخائر المحملة، ولكن قواد تلك البواخر الفرنسية والروسية وآخرين ، من بواخر المسيحيين قد رفضوا ، وعليه فان معركة حربية اندلعت بين الطرفين ، وتسببت في خسائر كثيرة في الارواح والعتاد ، غير اننا قد عدلنا عن مهاجمة بواخر الاوروبيين امثالنا لامركم الشريف السلطاني .

منذ السنوات الاولى للفتح (53) وبفضل إرادة السلطان ، فان قراصتنا مشهورون بحروبهم وغنائمهم ، ولكنهم ايضا مطيعون للاوامر السلطانية ؛ وبالرجوع الى طلبكم اطلاق سراح بعض الاشخاص ، فاننا قد اجبناكم باطلاق سراح باخرة ، اما الاموال المطلوبة استردادها ، فانها صرفت وليس باستطاعتنا تسديدها .

سوف نسخر كل ما سنتحصل عليه من غنائم لادارة الاوجاق .

منذ عشر سنوات عوض الداي مصطفى بالداي أحمد ؛ وقد ضعف هذا الاخير اجور الانكشاريين على اثر الثورة التي حدثت ، كما انه بجانب الجزائر توجد جبال يسكنها العربان الذين هم في حرب سجال معنا ، وقد ترتب عن ذلك كله ، افلاس خزنتنا .

(52) كلمة غير واضحة .

(53) يقصد بذلك الفتح العثماني للجزائر .

ومنذ ثلاثمائة سنة كان دايات الجزائر يحتفظون بالخزينة فى القسبة ؛ وقد اوصدوا الباب وتركوا وصيتهم التى تنص ، على انه اذا جابه الانكشاريون مصاعب جمّة ، فانه باستطاعتهم الاعتماد على تلك الخزينة (54) ، ولكن فى حالة صرف تلك الاموال فى غير مكانها ، فاننا نطلب ضرب عنقه . وبالفعل فان الداي احمد الذى فتح واستحوذ على خزينة المسلمين وصرفها هنا وهناك، قد اغتيل . وفى ذلك الوقت كان اثنا عشر الف انكشارى يتقاضون اجورهم .

منذ بضع سنين كان يجب علينا تسديد اجور ما بين ثلاثين واربعين الف انكشارى . وفى سالف الزمن كنا ندفع اجورهم على دفعة واحدة ، ولكن منذ عشر سنوات لم نتمكن من مضاعفة اتاواتهم . كذلك كنا نسدد الاجور كل شهرين ، أما اليوم فان تسديد اتاواتهم يتم مرة واحدة كل اربعة اشهر بالنسبة للبعض ، وستة اشهر بالنسبة للبعض الآخر ، وقسم ثالث تسدد اجورهم كل سنة .

لقد طلب الحاج على من البندقيين دفع اثنى عشر الف التونى (قطعة ذهب) والتى وعدوه بتسديدها خلال ستة اشهر ؛ غير ان سلطاننا غير راض عن هذا الطلب (55) . اما نحن فقد تجنبنا مطالبة تلك الاموال ، مفضلين رضا السلطان .

نعلم حضرة سلطاننا ان قراصتنا سوف لن يتعرضوا لبواخر تجار البندقيين والنمساويين والروس ، ولكننا لا نستطيع تسديد الاموال التى كانوا يطالبونها بها .

يا حضرة السلطان بالنظر الى قلة عدد الانكشاريين ، فاننا نطلب منكم ان ترسلوا لنا عددا من الجنود من الاقاليم، واذا توفر لديكم ذلك فارسلوهم الينا .

ان والدى سوف يتجهان الى ملاطيا لحرق ارضهما .

سوف نرسل اليكم قريبا هديتنا .

من داي الجزائر عمر بن محمد ،
فى 5 جمادى الثانية 1230 / 16 ماي 1815

(54) هل هذا حقيقة ام اسطورة ؟

(55) B.A. ؛ مهمة دفترى ، رقم . 237 ، ص . 17 ، ارسل السلطان امره الى عمر باشا بالكف عن مطالبة 12.000 التونى من البندقيين والنمساويين .

ملحق : منذ ثلاثين سنة ، استحوذ قراصتنا على باخرة روسية ، وقد طلبها محمد آغا . كما ان قراصتنا قد استولوا على باخرة من جبل طارق ، ومحمد آغا يطالب بها أيضا .

نعلم حضرة سلطاننا انه من المستحيل علينا ارجاع ذلك ولا ندرى كيف العمل . نطلب منكم توجيه باخرة فى اسرع وقت ممكن لتسليم بحارتها المقيمين فى احدى الاقاليم الى قبوجى باشا .

الوثيقة رقم 2

ان بواخر مدينة دوبروفنيك (56) قد اعترضت سفن القرصنة الفرنسية التى حاصرتها ، وقد تمكن ثلاثة من بحارة دوبروفنيك من الهروب ليقعوا فى ايدى الجزائريين الذين اوصلوهم الى الجزائر ، لعدم وجود اوراق رسمية نثبت جنسيتهم .

لقد اتصلنا برسالتكم التى طلبتم فيها اطلاق سراح هؤلاء ؛ غير أننا نعلمكم انه يتعذر علينا القيام بذلك لعدم وجود جوازات سفر من جهة ومن جهة اخرى ان هدفهم كان محاربتنا .

سوف نرفع تقريرنا الى محمد آغا (57) .

الداى عمر ، 7 جمادى الثانية 1230 / 17 ماي 1815

(56) ان علاقات المغرب العربى بمدينة دوبروفنيك ، قد كانت موضوع كتاب حديث نشر بيوغسلافيا للسيد بسيم كوركت :

Arapski dokumenti U Drzavnom Arhivu U Dubrovniku

(الوثائق العربية المحفوظة بارشيف مدينة دوبروفنيك) ظهر الجزء الاول 1960 ، والجزء الثانى سنة 1961 - ان هاته الوثائق التى نشرت باللغة العربية واليوغسلافية ، قد تناولت العلاقات السياسية والتجارية للمغرب ومصر مع مدينة دوبروفنيك خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر .

(57) B.A. : g 44515 .RH.

الوثيقة رقم 3

من رسالة لمحمد خسرو الى السلطان :

..... ان ما سمعته عن علاقاتنا مع الامريكيين غير صحيح ؛ الا أن تلك العلاقات تتسم بالبرودة . ان القراصنة الجزائريين قد استولوا على باخرة امريكية واصلوها الى ميناء الجزائر ثم قتلوا بحارتها .

ثم ان اربعة بواخر امريكية قد استولوا على باخرتين جزائريتين ، احدهما بميناء كارتجان (CATHEGENE) والاخرى باليكانت (ALICANTE) باسبانيا (58) .

وعليه وصل الامريكيون الى الجزائر مطالبين استرداد مواطنيهم ، وعندما علموا انهم قتلوا ، رجعوا في الحين .

اما بحارة الباخرتين الجزائريتين التي استولى عليهما الاميريكيون ، فقد تركوا اثناء الليل بدون ذخائر في احدى الجزر ، ومما لا شك فيه انهم قد هلكوا (59) وفي هاته المدة وقعت باخرتان امريكيتان في ايدي القراصنة الجزائريين الذين لم يرجعوا الى ميناء الجزائر ويظهر انهم تفرقوا شذرا مذر ، وقد التجأت باخرة فقط الى ميناء مسينة (MESSINE) . ولا نملك اى معلومات اضافية حول هذا الموضوع .

واليوم توجد ست بواخر امريكية وست اخرى هولندية ، قد اتحدتا للتجسس على القراصنة الجزائريين ، ومنذ اربعين يوما لم يتمكن الجزائريون من التجول في البحر (60) .

محمد خسرو 5 شوال 1230 / نوفمبر 1815

(58) في رسالة بتاريخ 24 افريل 1815 طلب رئيس الولايات المتحدة الامريكية جيمس ماديسون (Madison) من عمر باشا اعضاء الصلح وقد رد عليه عمر : « انا على استعداد لقبول اقتراحات الصلح ، بشرط ارجاع بارجتنا وباخرتنا التي استولى عليها الاميريكيون اثر معركة حربية وتسليمهما لنا » . راجع شالر ، نفس المصدر ، ص . 157 .

(59) ان الريان ديكاتور (Decatur) التابع للبحرية الامريكية في حوض البحر الابيض المتوسط ، قد التقى بتاريخ 17 جوان 1815 بالرائس حميدو على راس بارجة ذات 46 مدفعا ، وبعد معركة حامية الوطيس ، لقي الاميرال الجزائري حتفه ، وعلى اثرها استولى الاميريكيون على بارجته ثم انه بتاريخ 19 جوان استولى الاميريكيون على باخرة جزائرية ذات 22 مدفعا .

HH.22557: B.A. (60)

الوثيقة رقم 4

مقتطفات من رسالة عمر باشا الى السلطان :

منذ سنة كان اسطول الدول المسيحية في حركة دائبة في حوض البحر الابيض المتوسط ، ويضمّر أهلها نوايا سيئة تجاه الجزائر .

إننا نطلب من حضرة السلطان مساعدتنا ، بمدنا بالاسلحة اذ استوجب تقوية جيشنا . لقد انشغلت ليل نهار بالدفاع عن الانكشاريين، ولا افتيء أفكر في هذا الموضوع . اما واجبكم فهو معاونتنا ابارسالكم الاوجاق والاسلحة ، خصوصا عندما ظهر هذا المهدي الكاذب منذ خمس وعشر سنوات في غرب وشرق الجزائر . لقد ثار علينا كما ان جماعته لا تؤمن بالله ولا عقيدة لهم ، ورؤوسهم مكشوفة ويسكنون الجبال .

لقد هاجم العساكر الاتراك قسم منهم ، واسر القسم الآخر ؛ هذا وقد ثاروا من جديد واضطر الجيش والوجاق الى محاربتهم ، وعليه فاننا نعلمكم ان عددا من الموتى قد سجل اثر المعارك . وبفضل رعايتكم وبركتكم فان الانكشاريين قد ألحقوا هؤلاء الملاحين هزيمة نكراء . نطلب من حضرة سلطاننا ان يرسل الى أوجاقنا الذخائر الحربية نظرا لقلة ما نملكه الآن .

لقد كلفنا الآغا حافظ ابراهيم بتقديم هدايانا وتقديرنا (61) .

والى الجزائر عمر باشا فى رجب 1231 / جوان 1816

الوثيقة رقم 5

مقتطفات من رسالة عمر باشا الى السلطان :

فى اول رجب من هاته السنة قدم علينا الاسطول العثماني بقيادة عبدكم الجنرال حسين وسلمنا امركم الوزارى الذى اطلعنا عليه (62) .

(61) B.A. : HH. 31210 F

(62) ان الباب العالى بارساله الاوامر السلطانية وسيفا وثوبا مدبجا الى الداي عمر ، قد ارسل ايضا سيفا وثوبا مدبجا الى باى تيطرى فقط ، راجع : 15 MI. 14, Vol 13, A.O.M. ص. 80 .

لقد نصحننا الجنرال حسين باليقظة تجاه مؤامرات الاعداء ، كما وطلب اليها تقوية جيوشنا اتقاء لما سيحدث في المستقبل . اما من جهتنا فقد درسنا جيدا اوامركم ونعلمكم اننا سنعمل على تنفيذها بامانة وجد .

لقد علم اوجاقتنا من مألظة ان الدول المسيحية قد تحالفت على انشاء اسطول مشترك بينها ، وقوة مدفعية لمحاربتنا ، ومن الواضح انهم يضمرون لنا النوايا السيئة تجاهنا .

نعلم حضرة سلطاننا اننا سوف نستعمل كل طاقاتنا واهتمامنا ، للدفاع عن هذا الشعب المسلم الذي هو تحت كفالتنا ، واننا على استعداد بتضحية انفسنا دفاعا عن ذلك . ان ذلك لواجب يتحتم علينا كما وانه يجب علينا حماية سواحلنا من الاعداء .

منذ اربع سنوات ارسل الباب العالي امره بوضع حد للامعال العدائية بين الجزائر وتونس وكان ذلك بواسطة حارس الباب العالي احمد بيجان ، الا ان الداي السابق الحاج علي بعناده ، لم يكن راضيا بما امره السلطان ، وقد رفض الاخذ به وتنفيذه .

غير انه بعد موت الحاج علي وتعين عبدكم الحقيير قائدا للجيش ، ولدى استلامى امركم بواسطة رئيس حارس الباب العالي ، وجهت رسالة الى التونسيين ، طالبا منهم عقد الصلح على ان يرسلوا بدون تردد كما هو مالوف الهدايا ، وفي حالة قبولهم فاننا سنضع حدا للحرب تماشيا مع مبدأ ان المسلمين جميعا اخوة (64) .

وعندما وصلت رسالتى الى التونسيين سلمت الى اخي الباشا الذى كان فى احدى الولايات التونسية ، ولما قرأها وجه الى الجواب التالى : « لقد كان اجدادنا فى انسابك يوجهون اليكم الهدايا ، انهم مجانين ولا يفكرون . اما نحن فلسنا على شاكلتهم ، وعليه فسوف لن نرسل لكم شيئا ولو كان ذلك حبة قمح ، (65) » .

(63) B.A. : 32210 e HH/ ، ذكر عمر باشا فى رسالة الى السلطان (T815) انه لم يهمل شيئا لمقد الصلح مع التونسيين .

(64) للحرب الدائرة بين التونسيين والجزائريين راجع ابن ابي الضياف ، اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان ، ج. 3 ، ص 37 - 53 ، تونس ، 1963 .

(65) B.A. : 31210 g HH. ، انظر الشكل رقم 33 ، ص. 256 - 257 .

نعلم حضرة سلطاننا انه نتيجة لهذا الرد الاحمق ، فان نزاعنا ما زال قائما معهم .

سوف نجهز جيشنا حتى نكون على استعداد لمجابهة الطواريء (65) .

ايها السلطان لينصركم الله . من عمر داي الجزائر

في 5 رجب 1231 / 1 جوان 1816

الوثيقة رقم 6

رسالة من محمد خسرو الى السلطان :

لقد انتشر الخبر منذ حين ، ان اسطولا وعساكر في حالة استعداد في جزيرة مالطة وعلى السواحل الاجنبية .

نطلب من حضرة سلطاننا ان يرسل اوامره الى كل من الجزائر وتونس وطرابلس الغرب بواسطة الاميرال حسيين ، ليكونوا يقظين لما يجرى حولهم ؛ كما ونرجو من حضرة سلطاننا ان يبعث اليهم سرا ، المدافع لتعزيز جيوشهم ويوافق على تجنيد الانكشاريين من الولايات وارسالهم اليهم .

5 رمضان 1231 / 30 جويلية 1816 (66)

الوثيقة رقم 7

رسالة من عمر باشا الى السلطان (67) .

صاحب الشوكة والعظمة والمهابة ، حضرة سلطاننا ، للخلد الله ملكه الى يوم الدين ، ويديم تأثير سياسته في البر والبحر .

HH. 31210 a ; B.A. (66)

HH. 22486 a ; B.A. (67) ؛ انظر الشكل رقم 34 ، ص . 256 - 257 .

ان جنودكم الانكشاريين المظفرين اينما كانوا واقفون لمحاربة الاعداء ، لينصرهم الله على قهر اعدائهم وهلاكهم ، آمين .

ان جميع الالوجاق وعبدكم الحقيق يقدمون الى حضرة سلطاننا ، ظل الله على الارض ، الاسباب التي دفعتنا الى ارسال عرض حالتنا هذا (68) .

ان الجزائر دار الجهاد ، تقح على حدود امبراطورية حامى الحرمين الشريفين ، وهيبة الوجاق هذا البلد وعلمائه وشرفائه وباياته واعياناه واغنائه ومجاهديه ، قد قوضت ونالت منها الاحداث . فبتاريخ جمادى الاولى 1230 ، عقد الدول المسيحية اتفاقا بينها ، وعهدت الى الجنرال اللورد اكسموث قيادة اسطوله اللعين ضد الوجاقكم ؛ وعندما وصل الى الجزائر طلب الينا عقد الصلح مع الدول الاعداء والكف عن مطالبتهم بالاموال التي كانوا يدفعونها الينا . غير ان الوجاقكم بالجزائر ، قد عبروا عن عدم رضائهم بتلك الشروط ، كما ورفضوا تسريح الاسرى المسيحيين بدون فدية ، كما طالب بذلك اللورد اكسموث .

وعليه قمنا بعقد اجتماع مع المسؤولين فى الديوان والانكشاريين المسنين لدرس الوضعية وقد خلصنا الى القول : « اننا باسرنا المسيحيين قد اقتدينا بسلوك النبىء والسلاطين ، اذ بعض الاسرى كانوا يستخدمون فى كثير من الاعمال ، والبعض الآخر يعملون فى الترسانة ، غير ان الانقليز رفضوا قبول هذا الامر » . ومنذ ستة أشهر ، أمضينا معاهدة مع الانقليز الذين طلبوا الآن إعادة امضائها وقد وجد الالوجاق انفسهم فى ضيق شديد نتيجة خرق هاته المعاهدة . اننا نطلب من حضرة سلطاننا اصدار فرمانه ، ومدنا بدون تأخير كبير ، بالذخائر والعساكر ، ذلك ان الكفار الغير الامناء ، قد ضايقوا الوجاقكم بعدم احترامهم بنود المعاهدة المعقودة (69) . وعليه فقد وصل الاسطول الانقليزى - الهولندى اللعين الى ميناء الجزائر بتاريخ 3 شوال . لقد استعمل الانقليز الحيلة برفعهم علما ابضا ، كما ووجهوا الينا رسالة ، طالبين منا الرد عليهم خلال ظرف ساعة واحدة ؛ وعندما لم يستلموا اى رد ، فقد دخلوا الميناء ، مجابهين قلاعنا وبواخرنا . ويتركب اسطولهم من اربع بواخر كبيرة ذات ثلاث جسور وباخرتين وبارجتين واربع بواخر مدفعية . وبعد برهة من الزمن اندلعت الحرب . ان الجزائريين على استعداد لمتابعة الحرب دفاعا عن الدين والدولة . ان هاته الحرب كانت رهيبة بحيث ان تاريخ الانسانية لم يسجل مثيلا لها .

(68) وجه عمر باشا رسائل اخرى بنفس المضمون الى عدة شخصيات عثمانية وتحمل الارقام التالية

B.A., HH. 22486 · B.A. HH. 31210 e B.A. HH. 22486 n

(69) عقد اصلح بين الامريكيين الجزائريين كان بتاريخ 7 جويلية 1865 .

لقد كانت معركة حامية الوطيس دامت احدى عشرة ساعة وثلاث وعشرين دقيقة، احرقت خلالها كل بواخرنا وسفن تجارتنا، ولم نر دقيقة راحة واحدة، اذ اخذت تتهاطل علينا في كل لحظة ، سيلا وافرا من القنابل الصغيرة والكبيرة الحجم بحيث ان تحصيناتنا ومينائنا قد تحطمت خلال ظرف ساعة واحدة .

لقد حفت بنا النار ، فكانت كالقذائف تقع في كل مكان وأدى ذلك الى خراب كثير من الامكنة ، وضيناع املاكنا وثروتنا (70) . لقد استشهد كثير من الواجهات الشجعان ، دفاعا عن دينهم وسلطانهم ، ان مآلهم الجنة مشوى لهم ، ليتغمدهم الله برحمته .

ان عدد موتى الكفار كان اربع مرات عدد المسلمين ، بالاضافة الى ان عدد الجرحى كان مرتفعا ، اما بواخر الكفار فقد اصابتها النيران واحترقت اثنان منها .

ومن الخسائر التي لحقت اوجاقتكم عدم اخذهم فدية الاسرى التي بلغت مليونين من الريالات الفرنسية .

ومن الغد ، بعد ما دفنا شهدائنا ، ارسل اليها الكافر مبعوثه ومترجمه وكرر ما قاله سابقا حول عقد الصلح مخلصا الى القول : « انه اذا رفضتم ذلك ، فان الحرب ستندلع من جديد » .

ونظرا الى ان قلاعنا قد تهدمت ، وذخائرنا قد نفذت ، خلال هاته الحرب ، وان عدد جنودنا أصبح غير كاف ، فقد اضطررنا الى قبول شروطهم وامضاء الاتفاقية من جديد .

لقد عرضنا على حضرة سلطاننا تقرير وضعيتنا المؤسفة .

ان اوجاقتنا البواسل والعلماء ورجال الدين والاهالى والديوان يرفعون لحضرة سلطاننا مشاعر الولاء والوفاء .

ان اوجاقتنا يدعون حضرة السلطان ان يعمل للدفاع عن الدين والبلد ، كما أننا في حاجة الى ارائكم السديدة التي ستضي لنا الطريق .

(70) في رسالة اخرى وجهها عمر الى السلطان ذكر : « ان عددا من المغازات والمساجد قد تهدمت ايضا » .
انظر الشككين رقم 35 و 36 ، ص . 256 - 257 ، للموقع الاستراتيجي للاسطول الانقليزي الهولندي ولقذفهما مدينة الجزائر .

ارسلنا تقريرنا بواسطة قائد الميناء على ، وسوف يشرح لكم لدى وصوله ،
معطيات الوضعية ، ولنا الامل فى تحقيق ما طلبناه منكم .

ايها السلطان ليجازيكم الله .

عمر باشا داي الجزائر ، 19 شوال 1231 / 12 سبتمبر 1816 .

بلى ختم عمر باشا ، اختام وزرائه وكبار الموظفين . لقد استطعنا قراءة
بعض اسماء هاته الاختام ، ما عدا اثنين ؛ كما اننا أثبتنا تاريخ الختم الهجرى
وعادلناه بالتقويم المسيحى :

اما اسماء الوزراء ، ففي اسفل الوثيقة من اليمين الى اليسار :

- 1 - وكيل ترسانة (وزير البحرية) : حسن بن على ، 1231 / 1811 .
- 2 - بيت المالى (المكلف بالاحباس والوراثات) : محمد بن على ،
1231 / 1816 .
- 3 - كتخدای ينیشرى (وكيل الانكشاريين) : الحاج محمد ، 12 ؟
- 4 - آغا ينیشرى (آغا الانكشاريين) : عبد الباقي ، 1228 / 1813 .
- 5 - خوجة الحيل (المكلف بالاداءات) : احمد بن محمد ، 1230 / 1815 .
- 6 - آغا عرب (آغا العرب) : مصطفى بن يوسف ، 1230 / 1815 .
- 7 - خزنجى (المكلف بالحزينة) : حسين جزائرى ، 1230 / 1815 .
- 8 - قاضى الجزائريين : سليمان بن محمد جزائرى ، 1228 / 1813 .
- 9 - المفتى الجزائرى : محمد بن احمد ، 1226 / 1811 .

اما الصف الثانى فمن اسفل الى اعلى :

- 1 - مقاطعجى (71) : محمد 12 ؟
- 2 - سر دفتر (رئيس كتاب الدفاتر) : يوسف كد ؟ 1230 / 1815 .
- 3 - كاتب اسرى (سكرتير السجناء) : حسين بن حسن ، 1231 / 1816 .
- 4 - نقيب اشراف مكة والمدينة : محمد بن محمود .
- 5 - بدون ختم : خوجة الديوان (وكيل ابراهيم) .
- 6 - سر جاوش (رئيس الحراس) : عبد الله ، (72) .

(71) هل هو المكلف بغرض الضرائب ؟

(72) نجد بالدفتر A.O.M. 15 MI 14 Vol. 13 اسماء الموظفين المعزولين واسماء من
عوضهم بمدينة الجزائر وبقيّة الولايات الثلاث من سنة 1805 الى 1826 .

الوثيقة رقم 8

نص المعاهدة العربى التى عقدت بين عمر باشا واللورد اكسموث .

الحمد لله .

العهد والشروط التى صارت وتمت فيما بين حضرة الجناب العلى عمر باشا متاع (74) (كذا) المدينة المجاهدة وبلاد الجزائر وبين حضرة الجناب العلى ادوارد بارون اكسموث كواليز (كذا) (75) علامة الصليب الكبير متاع (كذا) باشا المنسوب لاهل الغزو وقبطان باشا على عمارة بيرق الانكلترة الازرق ، ورأس حاكم على كل السفاين (كذا) والشقوف متاع دولة الانكليز العلية الموجودين فى بحر الشرق وهذا اعتبارا (كذا) لعظم المنافع والفائدة التى اشتهرت من طرف حضرة الجناب العلى الامير الفاعل المفوض والوكيل السلطاني متاع دولة الانكلترة العلية فى انتها (كذا) وعدم اسار (76) (كذا) النصارى حضرة الجناب العلى عمر باشا متاع الجزائر علامة لصدق ارادته بدوام صحبته مع دولة الانكليز العلية واشتهارا لمودة وعظم اعتباره لطرف دول الاوروبة (كذا) قد يشهر ويبين على انه اذا امكنت وظهت عداوة مع اى دولة كانت من دول الاوروبة لم يكون (كذا) احدا من الاسارا معدود تحت العبودية ، ولكن يكونوا مسجونين لاجل العداوة وينظروا لهم بكل حنان بحال اسارات الحرب ، الى ان يكونوا بالبدل كالعادة الجارية فى الاوروبة فى ذلك الامر ، وبعد انتهاء العداة يرسلوهم الى بلادهم من غير فداء . والعادة الاولى التى كانت تنص على اسارات النصارى متنوع الحرب ، انهم يكونوا عبيدا ، فمن اليوم وقدام (77) تلك العادة المذكورة تكون باطللة ومنكورة الى الابد وعلى ما دام والحق سبحانه وتعالى عالم وشاهد بذلك وهو خير الشاهدين .

هذا العهد قد تحرر (كذا) نسختين فى المدينة المجاهدة محروس بلاد الجزائر يوم الاثنين المبارك يوم رابع من شهر شوال سنة 1231 من الهجرة

(73) F.O. ؛ 0/2 C. نص هاته الوثيقة بالعربية والانجليزية . ولعل هاته الاتفاقية هي أول أول معاهدة جزائرية مع دول أجنبية ، تحرر باللغة العربية فى عهد الاتراك !

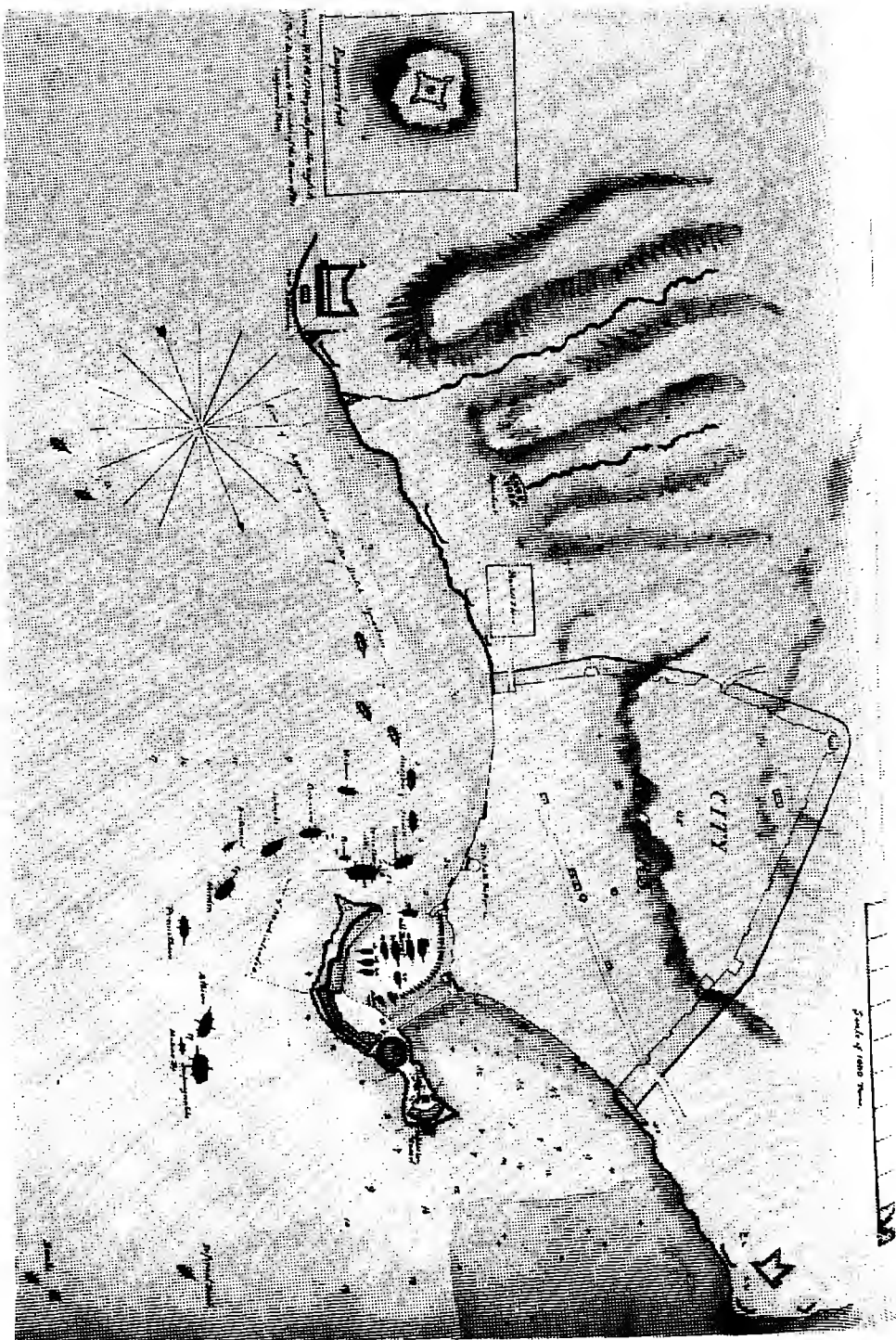
(74) اى صاحب .

(75) هي الكلمة الفرنسية (Cavalier) اى فارس وهو رتبة شرفية .

(76) اى عدم اسر .

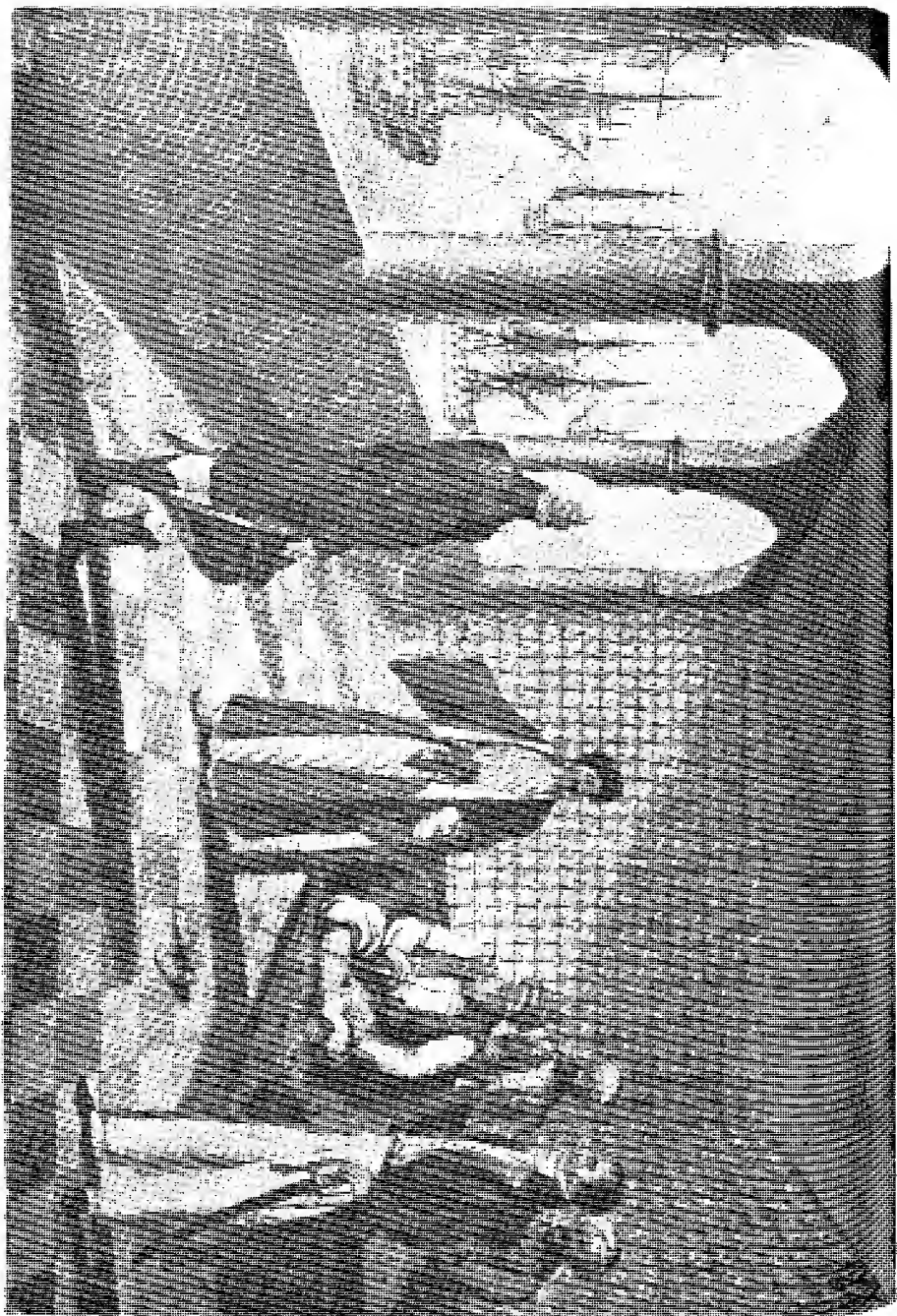
(77) اى وصاعدا .

۱
 ۲
 ۳
 ۴
 ۵
 ۶
 ۷
 ۸
 ۹
 ۱۰
 ۱۱
 ۱۲
 ۱۳
 ۱۴
 ۱۵
 ۱۶
 ۱۷
 ۱۸
 ۱۹
 ۲۰
 ۲۱
 ۲۲
 ۲۳
 ۲۴
 ۲۵
 ۲۶
 ۲۷
 ۲۸
 ۲۹
 ۳۰
 ۳۱
 ۳۲
 ۳۳
 ۳۴
 ۳۵
 ۳۶
 ۳۷
 ۳۸
 ۳۹
 ۴۰
 ۴۱
 ۴۲
 ۴۳
 ۴۴
 ۴۵
 ۴۶
 ۴۷
 ۴۸
 ۴۹
 ۵۰
 ۵۱
 ۵۲
 ۵۳
 ۵۴
 ۵۵
 ۵۶
 ۵۷
 ۵۸
 ۵۹
 ۶۰
 ۶۱
 ۶۲
 ۶۳
 ۶۴
 ۶۵
 ۶۶
 ۶۷
 ۶۸
 ۶۹
 ۷۰
 ۷۱
 ۷۲
 ۷۳
 ۷۴
 ۷۵
 ۷۶
 ۷۷
 ۷۸
 ۷۹
 ۸۰
 ۸۱
 ۸۲
 ۸۳
 ۸۴
 ۸۵
 ۸۶
 ۸۷
 ۸۸
 ۸۹
 ۹۰
 ۹۱
 ۹۲
 ۹۳
 ۹۴
 ۹۵
 ۹۶
 ۹۷
 ۹۸
 ۹۹
 ۱۰۰



المتن رقم 35 - موقع الاسطول الانجليزي - الهرمسي تجاه ميناء الجزائر .

B.A; ADD; 23618.



الشكل رقم 36 - عمر باشا يستقبل وفد الصلح الانجليزي .

ESQUER. G, *Iconographie historique de l'Algérie*.

t. 1, planche n° 138.

النبوية موافقا الى 28 من شهر اجوصت (78) اعنى شهر أب سنة ألف
وثمانمائة وستة عشر مسيحية .

بلى ذلك ختم عمر باشا واللورد اكسموث وامضائهما .

الوثيقة رقم 9

ان قائد ميناء الجزائر الوزير على رانس قد وصل الى استنبول ، وقد قدم
هذا التقرير بتاريخ 25 ذى القعدة 1231 / 17 ديسمبر 1817 (79) :

منذ ستة عشر شهرا ، عقدنا الصلح مع الانقليز والهولنديين الذين بتاريخ
3 شوال قد ظهروا امام ميناء الجزائر باسطول يتألف من ثلاثين الى اربعين
باخرة . وقد دخلوا الى الميناء رافعين علما ايضا ، وسلموا الينا رسالة
طالبين ائرها الرد خلال ظرف ساعة واحدة ، مع اطلاق الاسرى المسيحيين .
الا ان انداى وكل كبار الديوان اجتمعوا لدراسة طلباتهم وقرروا رفض ذلك .

اما الانقليز فقد آستعملوا الحيلة واستفادوا من ساعة الانتظار تلك ،
فدخلوا الميناء وانتصبوا تجاه القلاع ، ثم احضروا المدافع والاسلحة ، وبدأوا
المعركة التى استمرت من لثامنة صباحا حتى منتصف الليل ؛ تلك المعركة
التي اندفع فيها الطرفان بكل عنف وقوة .

ان التقارير التى وجهها الوالى الى الباب العالى تشرح ذلك بوضوح .

لقد كان الطقس ثقيلًا فى تلك الليلة ، فصوت المدافع كان شديدا كالرعد
والقنابل تتساقط على اوجا قكم البواسل ، وتسبب ذلك فى مقتل وجرح
ثلاثمائة شخص . اما الكفار فيتراوح عدد قتلاهم وجرحاهم ما بين الفين وثلاث
آلاف بالاضافة الى مقتل ما بين ثمانية وعشرة ربابنة (80) .

فى تلك الليلة احرق الاعداء اربع من بوارجنا واربع حراقة اخرى ؛ اما
اسطول العدو فقد احرق اثنان من سفنه واثنان ذات ثلاث جسور واغلبية

(78) هى الكلمة الانقليزية اغسطس اى شهر اوت .

(79) HH. 22486 n; B.A. . انظر الشكل رقم 37 ، ص . 260 - 261 .

(80) شارل ، نفس المصدر ، ص . 366 ، يذكر ان اللورد اكسموث كتب الى وزيره قائلا
« لا اخشى فقدان عدد كبير من الضباط والمساكر ، لقد سال الدم بغزارة فى هاته المعركة » .

سفنه قد تضررت • ومن الغد فى الصباح سادت البلبلة فى كلا السفين ، وقد ارسل اليها العدو مبعوثه ومترجمه (81) واخبرنا : « لقد لحقتنا كثير من الحسائر فى كلا الجانبين ، غير ان هذا لا يصرفنا مطلقا عن متابعة الحرب • ان الدول قد اتفقت على محاربتكم ، وسيجبرونكم على عقد الصلح ؛ واذا رفضتم ذلك فاننا قررنا اعلان الحرب من جديد » •

وعندما اجتمع الداي والديوان لدراسة الوضعية ، اخلصا الى القول : « اذا استمرينا فى الحرب وقاومنا العدو ، فان ذلك لا يكون الا باعانة من الله ثم بوصول الذخائر الحربية من قبل سلطاننا ؛ ان الكفار قد اتحدوا ضدنا ، وهم يضمرون النوايا السيئة تجاهنا ، ومن المؤكد انهم سيتابعون الحرب ، حتى لو تمكنا من تحطيم اسطولهم ، فانهم قادرون على ارسال اسطول جديد • ومن الجلى ان الباب العالى سيكون عاجزا عن مجابهة هاته الوضعية ؛ وعليه ونتيجة للمحادثات السرية ، فان الديوان والداي قررا اعادة امضاء الصلح » •

وبذلك اطلق سراح 1500 اسير •

ان قسما من قلعتنا قد اصابه الضرر ، اما سفن الاعداء اللعينة التى كانت بالميناء فقد اضرمت النار فى سفننا ، وقد كنا مشغولين ايضا خارج ترسانتنا بمراقبة خزائن ذخائرنا وموادنا وحدودنا • ومن حسن الحظ ان كل ذلك لم يصب باذى • اما اهالى المدينة ومن كانوا بداخل القلعة ، فقد اقاموا حريقا من الحطب لعرقلة العدو ، وتسبب ذلك فى حريق هائل انقذهم من ويلات الحرب •

اننا يا حضرة السلطان ظل الله على الارض ، نتيجة لفقدان اسطولنا وذخائرنا ، نطلب منكم مدنا بالاسلحة والبارود الاسود ، وبالسفن ذات الحمولة الضعيفة •

لقد كانت تلك المعركة فريدة ، بحيث ان تاريخ الولاية لم يعرف مثيلا لها • ان اوجاكنم المظفرين يتحملون المسؤولية كاملة ، وهم يعرضون الآن الوضعية على حضرة السلطان طالبين منه ، مدنا بالمساعدة بارساله لنا قوة عسكرية تسمح لنا بالانتقام من اعداء ديننا ولنحى ذكرى شهدائنا •

(81) هو ابراهيم سلامة مؤلف كتاب **A. Narrative** .. نفس المصدر ، والده قنصل انقلترا بالقاهرة فى اواخر القرن الثامن عشر ، اما امه فقااهرة ، يتكلم ابراهيم العربية والانجليزية والتركية .

ليكن الله فى عوننا ويهبنا النصر والنجاح (82) .

الوثيقة رقم 10 (83)

ان عبدكم داي الجزائر السابق المرحوم عمر باشا لم يهتم بصورة مجدية لحل قضايا الانكشاريين والمسائل الهامة المتعلقة بالجهاد ، بل على العكس من ذلك اتبع سياسة استبدادية وحسب ميوله الشخصية، كما انه لم يهتم بضعفاء الولاية ، وانصرف الى تبذير اموال خزينة المسلمين فى تشييد ابنية لا فائدة ترجى منها ، وقيامه ببعض الاعمال التى ادت الى الافلاس . ومنذ سنة حصلت لنا حرب مع الانقليز حيث ألحقونا هزيمة لم يشاهد تاريخ هاته الولاية مثيلا لها ؛ ان سبب ذلك راجع الى سوء التدبير وانانية وتقصير الداي السابق . وعليه اجتمع العلماء والمشائخ والصلحاء والاغنياء والفقراء والواجاق ، ليتبادلوا الرأى فيما سيتولى أمرهم ، تماشيا مع المبدأ القرآنى ، « وشاورهم فى الأمر » .

لقد اتفق المجتمعون على عزل عمر باشا من منصب الداي وتعيينى مكانه . ومنذ استلامى مقاليد الحكم ، وانا ساهر على حماية البلد ، دون ان يدفعنى ذلك الى الافتخار بتقلدى امور البلاد .

كان الواجب يحتم علينا رفع الطاعة والولاء اليكم والدفاع عن البلاد بجهادنا وحماية الفقراء والضعفاء وحل المشاكل المعلقة على الدولة .

ان عبدكم لصارف نهاره وليله ، الى اداء مثل هذه الواجبات .

نود من حضرة سلطاننا ، صاحب المكارم السنية والسعادة والعدل والخير ، ان يطلع على تقريرنا هذا ، حتى يكون حضرته على علم تام بما جرى لنا .

عبدكم على بن احمد ، متصرف الجزائر المحروسة .

25 ذى القعدة 1232 / 6 اكتوبر 1817 .

يلي ختم الداي على بن احمد ، أختام وزرائه وكبار الموظفين . لقد استطعنا قراءة اسماء هاته الاختام ، ما عدا واحدا منها . كما اننا اثبتنا تاريخ الختم الهجرى وارفقناه بما يعادله من التقويم المسيحى .

(82) HH. 22486 c : B.A. ؛ ذكر على رائس الى السلطان فى تقرير آخر : « انه بدار الجهاد ، الجزائر ليست لنا الامكانيات لبناء باخرة فى ظرف سنة او سنتين . اما هاته المرة ، فبالنظر الى قلة ذخائرها سوف لا نتكمن من القيام بذلك خصوصا وان جهودنا سوف تنصرف الى اصلاح مينائنا وفلاطنا ، والتى هى الان فى حالة خراب . نرجو من حضرة سلطاننا مدنا بعدد من البواخر » .

(83) HH. 22474 : B.A. ؛ انظر الشكل رقم 39 ، ص . 260 - 261 .

اسماء الوزراء من اليمين الى اليسار :

- I وكيل الحرج (وزير البحرية) : حسين بن ابراهيم ، 1232 / 1817 .
- 2 مقاطعجي (المكلف بفرض الضرائب ؟) : الحاج يوسف بن مصطفى ، 1232 / 1817 .
- 3 باش دفتر (سكرتير القلم) : الاستاذ احمد ، 12 ؟
- 4 روزنامجي (84) احمد كامية ؟ 12 ؟
- 5 رقمجي (85) : احمد بن مصطفى ، 1133 / 1769 .
- 6 السكرتير : حسن بن ابراهيم ، 1185 / 1771 .
- 7 قبودان يالى (قائد البحرية) : احمد ؟ .
- 8 شيخ المسلمين : عمر بن مصطفى 12 ؟
- 9 القاضي : محمد بن محمود ، 1232 / 1817 .
- 10 نقيب اشرف مكة والمدينة ، محمد حسين .
- 11 المتصرف ، والى الجزائر : على بن احمد ، 1232 / 1817 .
- 12 خازنجي (المكلف بالخزينة) : ابراهيم بن سليمان ، 1322 / 1817 .
- 13 آغا عرب (آغا العرب) : سليمان بن على ، 1232 / 1817 .
- 14 ات خوجسي (المكلف بالاداءات) : مصطفى بن محمد خوجة ، 1232 / 1817 .
- 15 بيت المالجي (المكلف بالاحباس والوراثات) : 1232 / 1817 .

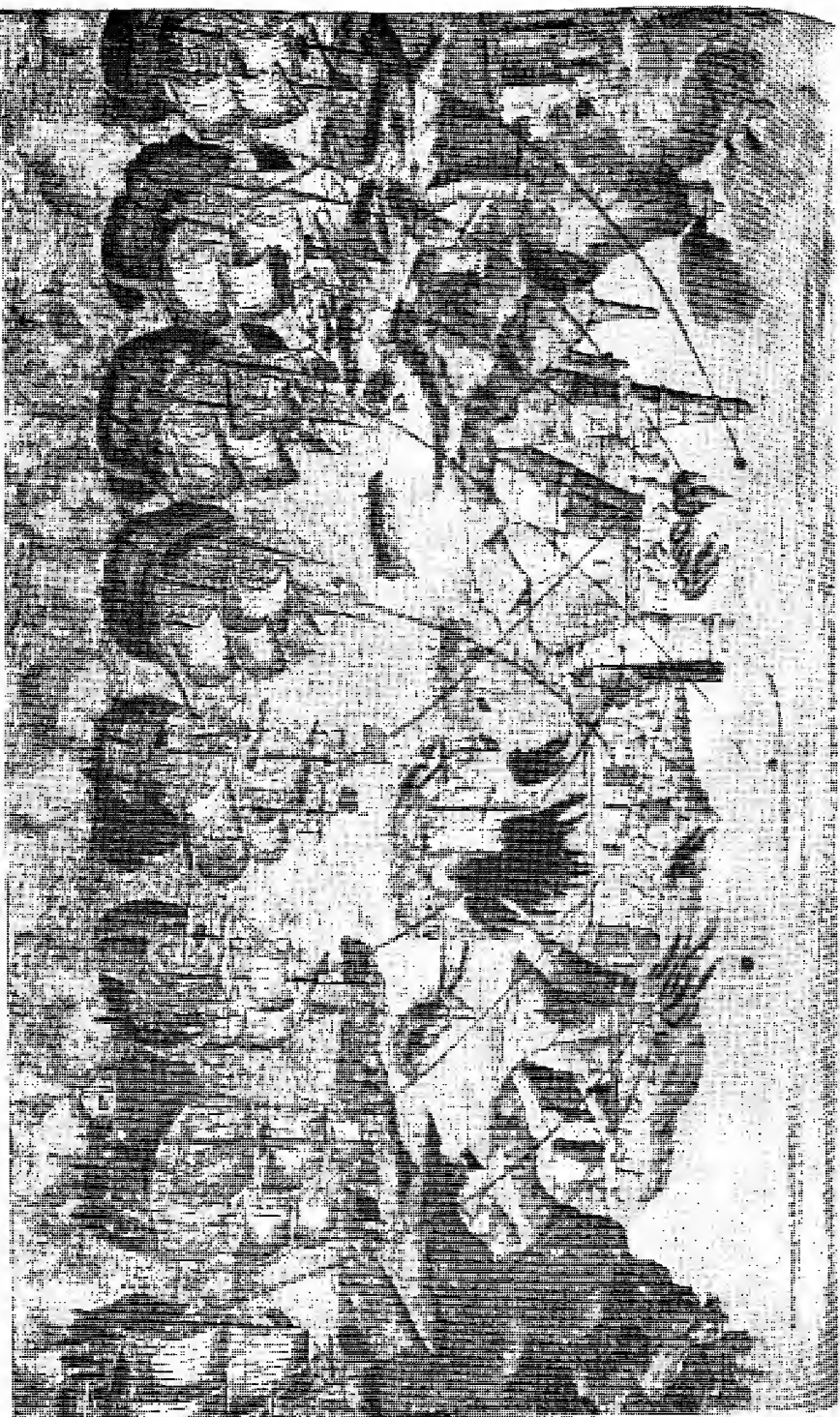
(84) ان وظيفة الروزنامجي فى الادارة التركية بالجزائر غير محدودة ولا هى معروفة . غير انه بالرجوع الى الادارة العثمانية بمصر ، نلاحظ ان هاته الوظيفة وجدت منذ فتح السلطان سليم لمصر سنة 1517 . فالروزنامجي بمصر هو اذن ، موظف يقع تعيينه من طرف باشا مصر من اعضاء الديوان ، ليدبر مصالح الباب العالى المالية .

هل كان روزنامجي الجزائر يتمتع بنفس الصلاحية ؟ لا نستطيع تأكيد ذلك ، غير اننا نلاحظ ان دراسة مقارنة الادارة العثمانية بمصر والجزائر ، هو موضوع طريف سيؤدى حتما الى اكتشافات جديدة هامة ومثيرة .

لمزيد من الاطلاع على روزنامجي مصر ، راجع :

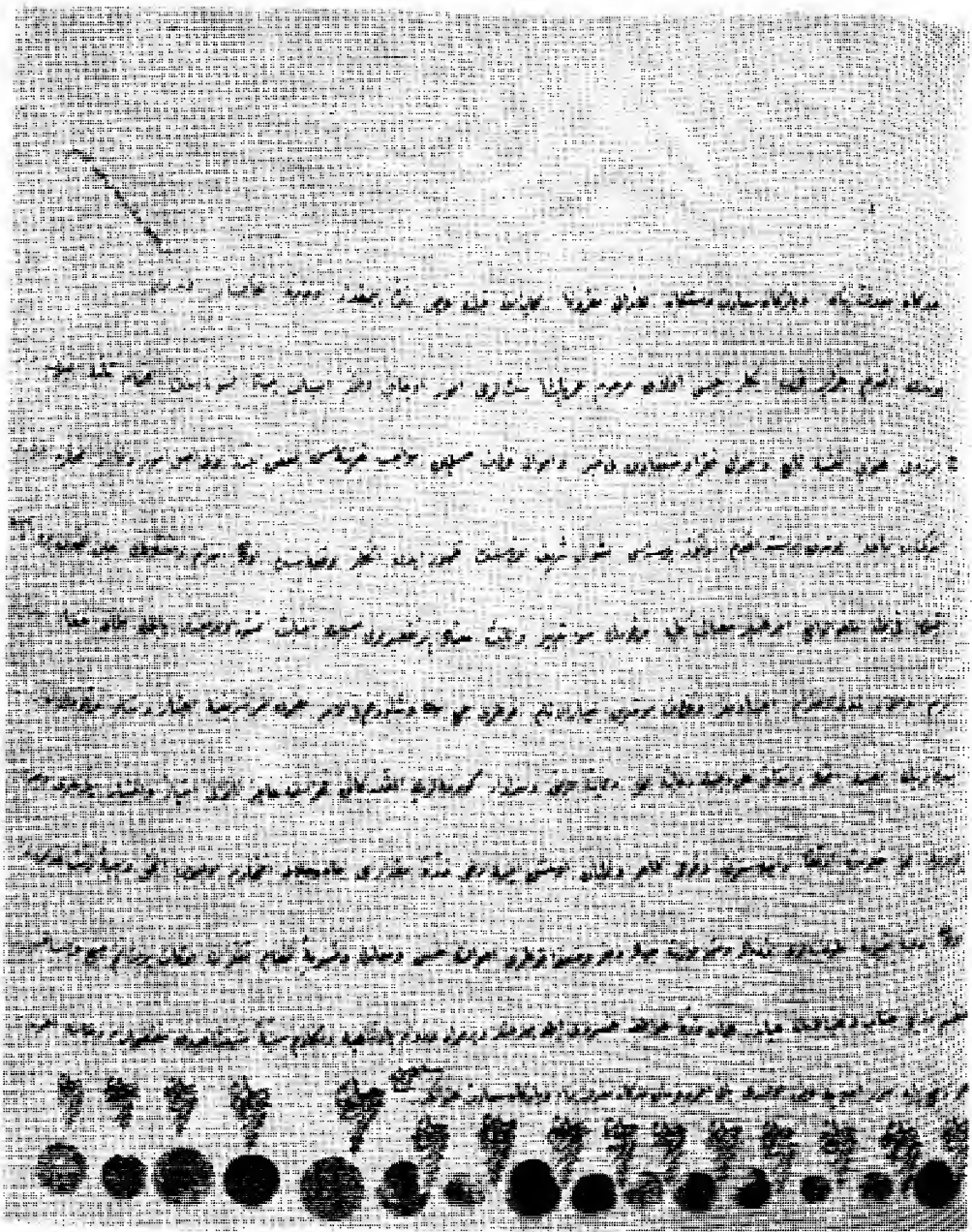
ESTERIE, Le Conte, Mémoire sur les finances de l'Egypte depuis sa conquête par le Sultan Selym jusqu'à celle du Général en Chef Bonaparte, in, Description de l'Egypte, t, 12, pp. 41-248; 2ème; édition, Paris, 1823.

(85) هل هو وكيل الحسابات ؟ ان هاته الوظائف الادارية الجديدة توحى لنا ان داي الجزائر الجديد ، لم يغير مركز ادارته والخزينة الى القسبة فقط ، بل يبدو من هاته الوثيقة ، انه ادخل على الادارة بعض الوظائف الجديدة !



الشكل رقم 37 - قنف مدينة الجزائر .

ESQUER, C, *Iconographie historique de l'Algérie*,
t. 1, planche, n° 131.



الشكل رقم 39 - رسالة علي خوجة إلى السلطان محمود الثاني .

B.A; H.H; 22474.



الشكل رقم 30 - على خوجة

ESQUER, G, *Iconographie historique de l'Algérie*,
t. 1, planche, n° 147.

VI

حُسنُ الدغيسِ الطَّرا بلسی
وقضية المَاجورِ لاین

حسونة الدغيس الطرابلسي

وقضية الماجور لاين

اقرن اسم حسونة الدغيس بقضية وثائق الماجور لاين (I) اذ أن المؤرخين الثقل الذين تناولو بحث هاته القضية ، لم يقدموا لنا اى معلومات حول نشاط وتفكير حسونة الدغيس السياسى .

ومن الغريب جدا ان نلاحظ ان حسونة لم يقرن اسمه بقضية الماجور لاين فقط ، بل وايضا بقضية الاحتلال الفرنسى للجزائر ، ثم نشاطه بلندن وباريس ، والتحاقه باستنبول حيث عمل فى المصالح العثمانية . وتكشف لنا وثيقة أخرى ، كانت قد وجهت الى حسونة بتاريخ 15 رجب 1231 / II جوان

(1) كشف انقليزى من شمال بريطانيا ، وهو اول الاوروبيين الذين وصلوا حتى مدينة تمبكتو . ولد بمدينة ادنبرة فى 27 ديسمبر 1793 ، وبعد خدماته فى غرب الهند ، انضم الى الفيلق الملكى الافريقى (Royal African Corps) 1822 ، وقد ارسل فى نفس هاته السنة . من طرف الحاكم شارل ماكرتى (Charles MAC-CARTY) الى بلاد مندوقو (MANDOGO) لفرضين اثنين : العمل على ازدهار التجارة ، وثانيا العمل على منع تجارة الرقيق فى هاته المنطقة . وفى هاته البلاد عثر الماجور لاين على منبع روكل (ROKALL) كما قام بدور نشيط فى حرب اشنتى (ASHANTI) (1823 - 1824) .

طلب اليه وزير المستعمرات البريطانية ان يقوم باكتشاف تمبكتو . وعليه غادر الماجور لاين بريطانيا فى شهر فيفري 1825 . وبتاريخ 14 جويلية تزوج من الانسة امة وونفطن (Emma WARRINGTON) بنت القنصل الانقليزى بطرابلس الغرب . وبعد يومين من زواجه بطرابلس الغرب ، شق الصحراء ، وقد وصل غدامس عن طريق اكتشافه طريقا جديدا ، فى شهر اكتوبر 1825 . وفى شهر ديسمبر وصل الى منطقة توات (TOUAT) وفى 10 جانفي 1826 ، غادر توات شاقا صحراء تنزروفت (TANEZROUFT) ليصل الى مدينة تمبكتو فى 12 سبتمبر 1826 ، بعد مشاق كثيرة . وفى نفس الشهر غادر تمبكتو ، غير انه اغتيل فى ليلة 26 سبتمبر 1826 . اما وثائقه فلم يعثر عليها مطلقا . نشر بلندن سنة 1826 ، كتابه :

« Travels in the Timannee Kooranko and Soolima Countries in Western Africa ».

1816 أن شخصه كان مشهورا وأن عائلته كانت عمدة التجار ، كما واشتهرت بالعلم (I مكرر) .

وبالإضافة الى ذلك يعد حسونة الدغيس أول مغربي ، وأحد الشخصيات العربية الهامة ، قبل رفاة الطهطاوي ، عندما احتك بالحضارة الأوروبية وثمن ثمارها ، كما وأنه تمكن من مجالسة الطبقات الارستقراطية الحاكمة بأوروبا ، وعرف أبعاد تفكيرها؛ وقد كان المترجم الأمين لتلك الحضارة لدى رجال الدولة العثمانيين ، عندما عهدت اليه بعض الوظائف بمركز الامبراطورية العثمانية .

وبذلك نشعر باهمية هاته الشخصية المغربية والتي سنحاول رسم خطوط حياتها ، معتمدين على بعض الوثائق التي عثرنا عليها والمحرة بخط يده .

نعلم ان حسونة الدغيس قادمة من عائلة تركية من ارض الروم ، وان جده قد وصل طرابلس الغرب في اواخر القرن السابع عشر باذن من السلطان العثماني ، ليكون نائب الوالي بطرابلس الغرب ، وان افراد عائلته قد تولت كلها ، المناصب العليا في الولاية (2) .

لا نعلم بالضبط متى ولد حسونة الدغيس ، غير أننا نعلم أن والده لما كان

(I مكرر) الرسم رقم 173 ، 31.232 .. B.M., ADD.

فيما يلي نص الرسالة التي وجهت الى حسونة من طرف احمد بن الطيب بن محمد بن عبد السلام « بسم الله الرحمن الرحيم .

وبعد حمد من علم بالقلم ، وشرفه في القسم ، والصلاة والسلام على النبي الاعظم وآله الفرس المصاييح الظلم ؛ فاعلى ما يهتم به ذوق والهم في الزمن الذي افتخر غالب أهله .. (!) التودد والتظرف لمن تبع أباه في الاشتغال بما يعنيه في أمر دينه ودنياه . وماذا الا سلاله عمدة التجار ، أعنى تجار هذا الدار وتلك الدار ، ذوو الأسرار المصونة ، كما شاهدنا يد أهل العلم بالكتب وغيرها ، أدام الله نفعهم ؛ الفاضل بن الفاضل ، سيدي حسونة ، أحسن الله خاتمتنا وإياه ، ومنحنا فوق ما نتقناه ، وجمع بينه وأحبته على ما يرضيهم ويرضاه ، جمعا يسر أهل وده ، ويرغم أعداءه ، وماذا أكتب مما مر على المسامع مع نومة الفرس ، التي غبط السمع بها والبصر ، فلمعري لو سطر القلم ما سطر من أوصافه ، فالضير محتو على أضاف أضافه ، هو البحر ان حدثتني عن محاكاته ، عجزت عن استيعاب تلك المعجائب ، وان رام فكرى أن يحيط بوصفه أحاط عليه العجز عن كل جانب ، خلده الله جزيل نعمته لديه ، ووقفه للخير وأعانه عليه ، بجاه سيد الانام ، ونيراس الظلام ، كتبه محبكم على الدوام ، أحمد بن محمد بن عبد السلام ضحى الك لائلاء لا لنصف من شهر رجب 1231 هـ .

وفي ظهر الرسالة : يتشرف الحكم والأجل ، الا عز الأكل ، سيدي حسونة دغيس ، نجعل عز الامام الكامل سيدي الحاج محمد الدغيس .

(2) 37 / 76 F.O. ، تقرير . حسونة الدغيس الى الحكومة الانكليزية ، راجع الوثيقة رقم 4 والمنشورة آثار هاته الدراسة ، ص 303 - 321 .

وزيرا ليوسف باشا قرامانلي ، شجعه على دراسة ومعرفة الحضارة الاوروبية ؛
وان حسونة قد اقام : « زمنا طويلا باوروبا لدراسة لغاتها ، قوانينها ،
وعادات شعوبها المختلفة . كلما وساح في بلادها وخاصة فرنسا » (3) .

اما والده فكان يهيؤه يوما ما ، لادارة شؤون البلاد (4) .

ان جريدة سيمافور دو مرساي (Le Sémaphore de Marseille) تخبرنا ان
حسونة كان تاجرا ! وانه اصيب بافلاس : « لقد شوهده حسونة في مرساي
متباهايا بالبذخ ومهديا عظوره على النساء كالسائح ازوبيك ، غير انه تنقصه
فلسفته وتفكيره . لقد غادر حسونة مرساي الى لندن وهو مثقل
بالديون ... » (5) .

لقد ساح كثيرا في شبابه وتمكن من معايشرة الطبقات الراقية في المجتمع
الاوروبي (6) . وقد عده قنصل السويد قراير دوهمسو (Graberg De HEMSO)
من انه : « نادرة زمانه في المعرفة والعلم
والحضير ... » (7) .

وعندما قفل راجعا من اوروبا ، عهد اليه يوسف باشا قرامانلي ، وزارة
الخارجية ، التي كان يقوم عليها والده حتى وفاته سنة 1826 (9) . وفي آخر
هاته السنة نفسها بينما كان حسونة ، بقرطاج طلبا للراحة والاستجمام ،
اتصل آنذاك بامر رجوعه الى طرابلس الغرب (10) .

وفي ذلك الوقت كانت الحصومة بين القنصل الفرنسي البارون روسو (II)

(3) A.E. ، القسم السياسي طرابلس الغرب الدفتر ، رقم 2 ، رسائل حسونة الى وزير خارجية
فرنسا بتاريخ 13 سبتمبر 1832 ، راجع الوثيقة رقم 3 المنشورة اثر هاته الدراسة ص . 295
302 .

(4) F.O. 76 / 37 محضر حسونة الى مجلس العموم البريطاني . راجع الوثيقة رقم 4 ص . 303
321 .

(5) راجع عدد 12 سبتمبر 1829 .

(6) ROSSI Ettore, Storia di Tripoli e della Tripolitania della conquista
ص . 279 ملحوظة رقم 75 ، رومة ، 1968 .

(7) المصدر نفسه .

(9) مكاي ، رودولف ، ترجمة طه فوزي ، طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرامانلي ، ص 210 ،
القاهرة . 1961 .

(10) F.O. 76 / 37 من محضر حسونة الى مجلس العموم البريطاني ، راجع الوثيقة رقم 4 ، ص
321 - 303 .

(II) كان قنصل فرنسا بالبصرة (1807) والسكترير الثاني بالبعثة الفرنسية بطهران (1807) ثم
القنصل العام بحلب (1808) ثم ببغداد (1814) واخيرا القنصل العام بطرابلس الغرب
(1824) ، توفي سنة 1830 . كان روسو مراسل المجمع العلمي الفرنسي واحرز على رتبة
البارون .

(Le Baron ROUSSEAU) والقنصل الانكليزي ورنفثن (WARRINGTON) على أشدها حدة ، وجعلت البلاد تعيش وضعية غير عادية وقابلة للانفجار .
لما ان ديون الباشا المتراكمة والتي تحصل عليها بفائض مجحف من طرف دائنيه الفرنسيين والانكليز ، قد سهلت تدخل القنصلين المذكورين في كل شؤون البلاد .

اما القنصل الانكليزي فقد عمل على تفوق السيادة الانكليزية على بقية قناصل الامم الاخرى ، كما وحاول ربط صداقته بحسونة الدغيس وجعله خاضعا لنفوذه واوامره (I2) .

كان حسونة يتمتع بثقة القنصل الانكليزي بادى الامر ، وقد وصفه القنصل روسو سنة 1826 من انه : « رجل شاب كله دهاء ومكر وعجب ، وعلى الرغم من الحفاوة التي استقبل بها في فرنسا ، فانه يعد عدونا لللدود ، حيث عمل ، بدون تحفظ ، على صيانة مصالح القنصل الانكليزي (I3) » .

غير ان حسونة الدغيس الذي كان يدرك الوسائل الغير الشرعية التي يتوخاها القنصل ورنفثن والذي اساء استعمال نفوذ وسلطة حكومته ، بتدخله في وضعية البلاد ، قد وجد ان مثل هذا التصرف غير معقول ، وعليه فقد اراد وضع حد لذلك (I4) .

قام حسونة الدغيس باعلام يوسف باشا بتلون سلوك ورنفثن وبمؤامراته ضد الدولة والشعب ، وبالطريقة الجافة والعنيفة التي يستعملها لبيسط نفوذه وهيمنته على بقية القناصل . وقد ذكر حسونة في تقرير وجهه الى مجلس العموم البريطاني ، ان القنصل ورنفثن حاول بوسائل مخجلة وعنيفة ان يحمي عن طريقى ، وبذلك جعل كل الولاية تعيش في اضطراب نتيجة مؤامراته ، كما وحاول تفجير البلاد والحط من الولى في اعين رعاياه ، الشيء الذي سبب عزل هذا الاخير . . . » (I5) .

(I2) مكاكى ، رود ولف ، نفس المصدر ، ص 210 ، يذكر ان حسونة كان مستشار ورنفثن ورجل ثقته ، وعندما ظهرت قضية وثائق الماجور لاين واتهام ورنفثن حسونة الدغيس بانه سلسم وثائق الماجور الى البارون روسو ، لم يفتأ هذا الاخير ان ذكر في احدى رسائله لوزير خارجيته ، ان حسونة الدغيس هو رجل الثقة واقرب الناس الى القنصل الانكليزي ورنفثن ، راجع : A.E ! القسم السياسى ، طرابلس الغرب ملف رقم 2 ، رسالة روسو هاته بتاريخ 17 جوان 1829 .

(I3) رسى ، اطورى ، نفس المصدر ، ص 279 ، ملحوظة رقم 74 .

(I4) F.O ! 76/37 ، راجع الوثيقة رقم 4 ص 303 - 321 .

(I5) المصدر نفسه .

ومن هنا نشأ سوء التفاهم بين ورنفتن وحسونة والذي اودى بالقطيعة ثم عزل هذا الاخير من منصبه كوزير للخارجية وتعويضه بالوزير شلبي (I6) .

ان تاريخ طرابلس الغرب خلال هاته الفترة يعكس سوء التفاهم بين ورنفتن وحسونة والذي سيصبح بعد حين ، موضوع نزاع بين روسو وحسونة الدغيس من جهة والوالى يوسف باشا وورنفتن من جهة اخرى في قضية وثائق الماجور لاين .

سوف لا نتعرض بالتفصيل لسرد حوادث هاته القضية ، ذلك اننا نرى ان التحقيق الذى اجرته الحكومة افرنسية والذي سننشره كاملا اثر هاته الدراسة ، هو اوفى عرض واكملة لكل معطيات القضية (I7) .

نكتشف بعد اطلاعنا على هذا التقرير ان حسونة الدغيس لم يكن طرفا فى هذا الاتهام وانه عندما شعر بخطر المؤامرة التى حيكت ضده ، خصوصا وان الباشا صهره كان يعمل هو الآخر على الفتك به ، فر حسونة هاربا الى ملاكا على ظهر سفينة امريكية (I8) ، ومنها انتقل الى فاس بالمغرب الاقصى ، وهناك كاتب زميل له بلندن : «لقد غادرت طرابلس الغرب لآكون بمنجى من الاستبداد والظلم ، حيث سافقتنى الاحداث الى مدينة فاس » (I9) .

ومن فاس لم يفتأ يعلن عن براءته : « انى على يقين من نفسى ، ان اجمل التسلية والمساعدة هى تلك التى يمنحها لى اليوم اصدقائي... وستساعدوننى وتعاضدوننى فى هاته القضية ، حتى اناال حقوقى من هذا الذى افترى على ، وامحو هاته الشائبة التى لحقت بى ... » (20) .

وقد عرض حسونة الدغيس على زميله سكارلوط رغبته بالالتحاق بلندن : « لو طلب الى السيد درامن (2I) او حكومته الموقورة حقيقة هاته الحادثة المشينة ، والتى لا تشرف رجلا انقليزيا شريفا ، حيث كان يعمل

(I6) مكاكى ، رود لف ، نفس المصدر ، ص . 210 .

(I7) نرى من المفيد لقراءنا الاطلاع الان على هذا التقرير ، ص . 277 - 290 .

(I8) A.E. ؛ القسم السياسى ، طرابلس الغرب ، ملف رقم 1 . تقرير الحكومة الفرنسية ، كذلك محضر حسونة الى مجلس العموم البريطانى .

(I9) F.O. 76/37 ، رسالة حسونة الدغيس الى صديقه اسكار لوط بتاريخ 20 جويلية 1830 ، راجع الوثيقة رقم 2 المنشورة اثر هاته الدراسة ، ص : 292 - 295 .

(20) المصدر نفسه ، لم نتمكن من العثور على معلومات حول شخصية سكارلوط .

(21) هو القنصل الانقليزى بطنجة .

ضد مصالح بلاده ، فاني لا اضمن بالرد ، ذلك اني لا اعتقد ان السيد ورنفتم قد امرته حكومته ان يتصرف باستبداد ضدى وبدون سبب . ثم إنه قد عمل على اضطهاد شقيقتي في غيايى عن الولاية ، كما وأن ورنفتم قد اتخذ لتنفيذ اغراضه ، الوثائق المزيفة بطرابلس الغرب . وتستطيعون ان تخبروا السيد درامن اني على أحر من الجمر للوصول الى لندن حتى ادلل من انا ، واعرض عليكم سلوك القنصل الغير اللائق . واذا اردتم انتم او السيد درامن تشريفي بتوجيه رسائلكم ، فليكن ذلك بعنوان سيدى الحاج الطالب بن جلول وزير جلالة سلطان المغرب بفاس ، بحيث اني اذا لم اكن هناك ، فان الوزير المذكور سيسلمها لى فى الاماكن التى ساكون مقيما بها » (22) .

ان الحكومة البريطانية التى هى على علم بطبيعة القنصل الجافة وببطلان وعدم صحة اتهام هاته القضية ، التى استفحل امرها ، نتيجة سلوك ممثلها الاعمى ، (23) قد قبلت عرض حسونة الدغيس للالتحاق بلندن .

ان وزير المستعمرات البريطانى جورج موراي (24) Georges MURRAY قد ارسل دعوة الى حسونة الدغيس (25) للالتحاق بلندن وعرض قضيته على العدالة ، كما وطلب منه ان يعمل فى المصانع البريطانية فى وزارة المستعمرات .

وقد قبل حسونة ذلك العرض شريطة ، أن تفصل القضية بالمحاكم ، وان تعتبره الحكومة الانكليزية كأحد رعاياها ، وان يمثل خصمه هو الآخر امام العدالة ، واخيرا ان تناقش القضية امام المحكمة وعلى رأس الملا (26) .

ومن شروط حسونة ايضا ، ان يكون التحاقه بلندن عن طريق ليفورنة وليس عن طريق فرنسا . ولنا ان نتساءل لماذا طلب حسونة الدغيس ذلك ؟

(22) F.O. 76/37 ، رسالة من حسونة الى زميله سكارلوط بتاريخ 24 جوان 1830 .
(23) BERNARD, Augustin, Un mémoire inédit de Pellissier de Reynaud in, Momorial Henri BASSET, t. XVII, Paris, 1928.

يلاحظ ان ورنفتم قد تزوج البنت الغير الشرعية للملك جورج الرابع ، جون اليزا براس (Jean Elisa PRISE) ومن المحتمل جدا ان تكون تلك الرابطة ، هى التى جعلت الوزراء يتفاوضون عن اعماله وتصرفاته .

(24) جنرال ورجل دولة انكليزى ، ولد فى 6 فيفري 1772 شارك فى حملات هولندا (1799) ومصر (1801) وهانوفر (1805) وستراكد (1807) . كما اشتغل فى البرتغال واسبانيا وانتخب عضوا فى مجلس العموم البريطانى ثم وزيرا للمستعمرات سنة 1828 .

(25) F.O. 76/37: محضر حسونة الدغيس الى مجلس العموم البريطانى ، راجع الوثيقة رقم 4 ، ص 321-303.

(26) F.O. 76/37: رسالة حسونة الى صديقه سكارلوط ، راجع الوثيقة رقم 2 ، ص 292-295.

هل للملاقاة زميله سيدي الحاج بدوي أو للتعرف على حسين باشا داي الجزائر السابق والمقيم في ذلك الوقت بمدينة ليفورنة ؟

هل حسونة الدغيس يعرف سابقا حمدان بن عثمان خوجة وحسين باشا ؟ أم هل كان يعمل على التعرف على هذا الأخير ؟

نذهب الى فرضية ان حسونة الدغيس على علاقة بحمدان خوجة وبحسين داي الجزائر السابق . وهذا هو السبب الذي جعل هذا الاخير يكلف حسونة بتقديم قضيته (27) الى سمو الوزير (28) ، « وان يعرض عليه شرح تلك المسألة وان يكون حسونة الدغيس هو الواسطة بينه وبين حكومة فرنسا في كل المسائل المتعلقة » (29) .

قد وصل حسونة الدغيس الى لندن ليطالب الحكومة الانكليزية بعرض قضية اتهامه من طرف ورنفتمن على العدالة البريطانية . غير ان الوزير جورج موراي الذي استدعاه ، قد عزل من منصبه . وتغيرت الظروف السياسية ولم يتمكن حسونة من ايجاد اذن صاغية لشكاياته ، بل على العكس من ذلك ، قد جابه مواقف الكراهية من المسؤولين البريطانيين (30) . وعليه قام حسونة برفع شكاياته الى كل المسؤولين ، وتعددت رسائله اليهم ، ولكن

(27) اتهمت الحكومة الفرنسية حسين باشا السابق بمحاولة اثارة شرق الجزائر ضد الفرنسيين ، عندما عثرت على رسائل حسين باشا الى بعض المشايخ .

(28) الدوك دوبروفلي وزير خارجية فرنسا آنذاك .

(29) 32 E. O. M. A. ؛ رسالة حسين باشا الى وزير خارجية فرنسا بتاريخ 26 فيفري 1833 . نستنتج من حواشي هاته الوثيقة ملاحظتين اولاهما : ان حسين باشا طلب من حسونة الدغيس ان يعرض على الحكومة الفرنسية رغبة الباشا في التوجه الى اسكندرية والحصول على الاذن بذلك . وثانيهما : ان حسونة الدغيس كان صديقا لحسين باشا وحمدان بن عثمان خوجة . راجع نص هاته الرسالة منشورا بـ :

PLANTET, Eugène, Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France, t, 2, pp. 578-579, Paris, 1889.

كذلك راجع : 3/33 F. O. ؛ رسالة من سان جون ، قنصل انجلترا بالجزائر بتاريخ 20 نوفمبر 1831 ، والتي جاء فيها : « لقد ترك داي الجزائريين موكلا عنه هو حسونة الدغيس الطرابلسي وقد أرسل هذا الاخير مذكرة الى سيدي حمدان خوجة ، طالبا منه رأيه في الموضوع » .

(30) 76/33 F. O. ؛ رسالة حسونة الدغيس الى نائب وزير السيد هاي (HAY) بتاريخ 7 اوت 1832 ، وهي محررة باللغة الفرنسية .

بدون جدوى : « لقد كنت وزير لباشا طرابلس الغرب ورجل نبيل وأصالة ،
ولست حقيرا . لقد جئت استجدي العدالة ضد الظلم في بلد حر » (31) .

وعندما ظهرت الفتنة بطرابلس الغرب رجع حسونة الى باريس . وقد كتب
آنذاك الى وزير خارجية فرنسا الدوك دو بروغلي (Duc De BROGLIE) « لقد
كنت بلندن اتابع فيها قضيتي لدى الحكومة البريطانية عندما علمت بنبأ
الثورة المحزن بطرابلس الغرب (31 مكرر) وادراكا مني لهاته الاضرار
التي ستنتزل بالبلاد ، رأيت من واجبي الالتحاق بفرنسا التي اعتبرها وطني
الثاني لاعرض على حكومة جلالة ملك الفرنسيين حامى الحرية ، الوسائل التي
يجب اتخاذها ، اذا ما اراد التدخل لانقاذ البلاد من الخطر الذي يتهدها . وهو
في ذلك يقوم تجاهي باقدس عمل . ومن جهتي ، فاني سأقوم بواجبي تجاه
بلادى وتجاه فرنسا ايضا ، ذلك ان المصالح مشتركة وهى غير
منفصلة » (32) .

وفى مجموع رسائله التي رفعها الى وزير خارجية فرنسا ظهر حسونة
بمظهر المخلص للفرنسيين . فبعد ان ابان اسباب الانتفاضة الشعبية بطرابلس
الغرب ، طلب تدخل الحكومة الفرنسية التي هى سيده الجزائر ، ان تعمل على
اقرار السلم بالبلاد .

وبذلك قام حسونة الدغيس باعلام وزير الخارجية الفرنسى بانجع الوسائل
لتنصرف فى مثل هاته الوضعية ، مبينا السبل التي يجب توخيها لمساندة
سيدي على باى ، وباجبار يوسف باشا للتخلي على الحكم لفائدة ابنه الاكبر :
« واذا ارادت الحكومة الفرنسية تطبيق هذا الاجراء ، وقبلت مبدأ وساطتها
لانقاذ مواطني ، ثم طلبت مني مزيدا من المعلومات حول الوضعية العامة ، او
تحرير بعض الرسائل بالعربية حسب ادراك وعقلية هاته الشعوب ، فان ذلك
سينتج عنه الاثر الطيب وسأستجيب لذلك بكل سرور . ومن واجبي ان
امثل لاوامر الحكومة الفرنسية ، وسأستخر كل وقتي لشرح الطرق الواجب

(31) F.O. 76/33 ؛ رسالة حسونة الدغيس هاته بالفرنسية وهى بتاريخ 25 ماي 1832 وقد
وقد رفعها الى وزير المستعمرات السيد قودريك (GODERICH) .

(32 مكرر) كان سبب الثورة فى طرابلس الغرب ، هو القرار الذى اتخذه يوسف باشا قرقمانلى
بفرض ضريبة على سكان المنشية ، والتي كانت معفاة منها ، حتى يتمكن الباشا من تسديد
ديونه . غير ان الاهالى قد رفضوا ذلك ، معلنين الثورة ومقرين عزل يوسف باشا واحلال
محمد باى مكانه .

تبنيها في مثل هاته الظروف ، والتي يمكن ان تعطى نتائج طيبة لافريقيا
وفرنسا ... » (33) .

لقد كان ذلك مشروعا ومسعى غربيين قام بهم هذا الملتجئ السياسي
الغريب . ان كل الوسائل يجب ان تكون صالحة في نظره ، ليتمكن من
التمتع بنفوذه وسلطته السابقة ، بدلا من ان يكون فريسة للمرض والاحتياج
والحنين الى الاهل والبلد .

وعلى الرغم من ان قنصل فرنسا بطرابلس الغرب السيد شوبيل
(SCHEWBEL) ، الذي كان يؤيد سيدي علي ، قد طلب تدخلا عسكريا لفائدة
الباشا الجديد ، فان وزير خارجية فرنسا الدوك دو بروئي ، المعروف بمذهبه
التحرري ، قد رد على القنصل بانه : « ليس لنا مصالح خطيرة في الولاية ،
حتى نستعمل السلاح لحمايتها ... » (34) .

ومن جهة اخرى فان الوزير الفرنسي قد استقبل حسونة الدغيس بمكتبه
بالوزارة ، واطهر له تجاوبا لاقتراحه . ولكن شيئا لم ينفذ اثر تلك
المقابلة . وعليه قام حسونة باعادة تذكير الوزير ، غير ان المسعى الثاني هو
الآخر ، لم يؤد الى نتيجة .

ان فعاليات حسونة بباريس قد اخذت وجهة جديدة ، عندما اهتم بالقضية
الجزائرية بوصول حمدان بن عثمان خوجة الى باريس (35) .

ان هذين الشخصين الملتجئين الى باريس ، والذين تعوزها الامكانيات
المادية ، كانا يعملان على اثبات حقوقهما لدى السفارة العثمانية بباريس ، وعلى
اثارة سخط رجال السياسة الفرنسيين ، الذين عرفوا بمناهضتهم لاحتلال
الجزائر . فمئذ وصول حمدان خوجة الى باريس ، عمل هذا الاخير بالاشتراك

(32) A.E. : طرابلس الغرب ، القسم السياسي ، رسائل بالفرنسية من حسونة الى وزير
خارجية فرنسا بتاريخ 27 سبتمبر 1832 . راجع الوثيقة رقم 3 المنشورة اثر هاته الدراسة ، ص
295 - 302 .

(33) المصدر نفسه .

(34) FERAUD, Charles, Annales Tripolitaines, p. 356; Tunis, 1929.

(35) لا نعلم بالتدقيق وبيقين ، اذا كان حسونة يعرف حمدان خوجة قبل سنة 1832 ؟
ولكنه من المحتمل جدا ، ان يكونا قد تعارفا على بعضهما ، اثناء رحلاتهما بانقلترا وفرنسا
قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر .

مع حسونة على نشر كتاب « المرأة » ، مدلا على فضائح الاحتلال الفرنسي للجزائر (36) .

لا نملك اى معلومات حول وجهات نظرها تجاه كل القضايا التى عالجوها ، وهذا راجع الى عدم وجود وثائق تتناول هذا الموضوع بالبحث .

ومن جهة اخرى ، اتصل حسونة الدغيس بسفير الدولة العثمانية بلندن السيد نورى أفندى ، ومع مصطفى رشيد باشا السفير العثمانى بباريس ، وعرض عليهما معطيات القضية الطرابلسية والجزائرية .

وفيما يخص القضية الاخيرة ، لم يفتأ حسونة يشير انتباه المسؤولين العثمانيين حول قوة الامير عبد القادر والحاج احمد باى قسنطينة، ومصاعتهما للفرنسيين (37) .

اما المسألة الطرابلسية فقد دعى السفيرين العثمانيين لمساندة سيدى على، موضحا ان سبب الاضطراب التى كانت الولاية مسرحا له ، راجع الى الدسائس التى ما انفك القنصل الانقليزى ورنقطن ، يحيكها بتأييده محمد باى (38) .

وعندما عين مصطفى رشيد باشا ، السفير العثمانى بباريس ولندن على التوالى ، تدخلت الاسولة العلية لضم طرابلس الغرب ، الى مركز الدولة العثمانية . وقد راي حسونة ، بطلب من السفير ، ان يشد رحاله الى استنبول ليعمل على ادارة النسخة الفرنسية الرسمية لجريدة « تقويم الوقائع » (39) وليصحب بعد ذلك رئيس تحريرها (40) .

وفى استنبول قدم حسونة الدغيس عدة تقارير الى السلطان يحثه فيها على اجراء المباحثات السياسية لاسترجاع الجزائر ، على ان تعهد اليه مهمة ذلك : « ان الوقت هاذا (كذا) هو الذى تمكن فيه المعاطات فى استنقاذ الجزائر وايلتها ورفع حجاب الحماية عن مصطفى باشا والى تونس وبه يتم الامر . لان الاسباب متهينة والمواد حاضرة بطريق البوليصة الدائرة بيناها الى الاوروبة... »

(36) راجع دراستنا الثالثة المنشورة حول كتاب المرأة ، ص . 133 - 142 .

(37) B.A. . HH. A 47966 : رسالة نوري افندي بالتركية الى الباب العالي (1836 ؟)

(38) المراسلات السياسية لمصطفى رشيد باشا عندما كان سفيرا بباريس ولندن (المنشورة فى Tarih Vesikaleri الرئائى التاريخى ج 2 ، ص . 146 . استنبول ، 1941 .

BAYSUN, Cavid, Musptafa Rasid Pasa Paris ve Londra sefaretleri esnasındaki siyasi yazilari,

(39) يمكن لنا ان نسأل لماذا لم يقفل حسونة الدغيس راجعا الى طرابلس الغرب بعد ربط الولاية بالبلاد العثمانية سنة 1835 ؟ غير اننا نذكر ان خصمه السياسى ورنقطن ، مازال مقيما بطرابلس الغرب كقنصل لبلاد .

(40) A.E. : تركيا القسم السياسى ، الدفتر ، رقم 273 ، رسالة السفير روسين الى وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ 20 ديسمبر 1836 .

وان طوالب الحقير بتفصيل هاته المعاطات ، ووجهها وكيفيةها ، فانه بحول الله وقوته ، يبذل ضعيف جهده ولا يعدم وجه الصواب ان شاء الله تعالى » (41) .

كما قدم حسونة الدغيس ايضا عدة تقارير اخرى متحدثا عن الامة الانكليزية وعن نجاعة ادارتها (41) ، مدللا على ان الانكليز هم اصدقاء العثمانيين الامناء وانه يجب على الباب العالي ان يتعاون معهم لاسترداد الجزائر ، وليحيط كل محاولات قياصرة روسيا لضرب الامبراطورية العثمانية والقضاء عليها (43) .

غير ان الموت عاجل حسونة ، فلم يمكنه من القيام بدور الوسيط وان يؤدي واجبه في المصالح العثمانية ، و « توفي في 17 ديسمبر 1836 ، مصابا بمرض الطاعون الذي اوردى به في بضع ساعات » (44) .



لقد كانت حياة حسونة الدغيس مضطربة جدا ، وقد ذهب ضحية القنصل وورثت عندما رفض مساندة مؤامراته . اما يوسف باشا فقد انحاز الى القنصل ضد صهره ، عندما اتهمه بانه كان وراء اغتيال الماجور لاين والمستحوذ على وثائقه . غير ان حسونة المؤمن ببراءته ذهب للدفاع عن نفسه الى ترجمة كتاب فطل (VATTEL) (45) : *Le droit des gens ou principes de la loi naturelle appliqués à la conduite et aux affaires des nations et des souverains* . (46)

لقد التجأ حسونة الى اوروبا ، طالبا القصاص من متهميه في قضية الماجور لاين ، غير انه لم ينجح في ذلك .

(41) B.A. HH. 2500 ، رسالة حسونة هاته الى السلطان وهى بدون تاريخ ، ولكن يبدو انها كتبت قبل وفاته بقليل ، راجع الوثيقة رقم 5 المنشورة اثر هاته الدراسة ، ص .

(42) فى رسالة اخرى يمدح حسونة نظام الانكليز ، للمحافظة على وثائق مستمراتهم ، هل يكون ذلك دليلا على انه اشتغل بنفس تلك الوزارة ؟

(43) ان هاته الوثائق ستكون موضوع بحث منفرد نأمل القيام به فى مستقبل الايام .

(44) راجع ملحوظة رقم 40 .

(45) YVER, Georges, *Mémoire de Sidi Hamdan R.A.*, 1913; p. 138 . ان حمدان خوجة هو الذى اشار الى هاته الترجمة ، غير اننا لا نعلم هل حسونة ترجم النص الكامل للكتاب ام بعض نتفه ؟

وحسب حمدان ، تمت هاته الترجمة من الفرنسية الى العربية بنصها الكامل لانه يذكر بعض المقتطفات من الكتاب الثانى والثالث .

(46) الطبعة الجديدة (PRADIER, Fodère, M. R.) ج 1 ، باريس ، 1863 .
ان كتاب فطل ليس فقط بحث حول حقوق البشر ، بل ايضا دائرة معارف للحقوق المدنية .

اما في فرنسا فقد حاول اثاره الملك لوى فيليب ضد يوسف باشا قراملى
ومن المحتمل ان يكون حسونة قد لعب دورا لدى السفير العثمانى ببافيس
ولندن للاطاحة بيوسف واحلال ابنه مكانه .

وبعد الحملة العثمانية الناجحة على طرابلس الغرب ، قبل حسونة ان يعمل
فى المصالح العثمانية ، واضعا معرفته باوروبا وبانظمتها وبتاريخ الولايات
العثمانية بافريقيا وبعاداتها ، فى خدمة الدولة العلية .

لقد حاول حسونة ان يثير اهتمام الباب العالى باحتلال تونس ليجعل من
الولايات المغربية الثلاث التى يبلغ سكانها ، حسب رأيه ، خمسة عشر
مليوناً ، وحدة ادارية تابعة للسلطنة العثمانية (47) .

ان حياة حسونة الدغيس والتى حاولنا رسم بعض خطوطها ما زالت تحتاج
الى من يلقي عليها الاضواء ، ذلك ان الوثائق التى بين ايدينا ، وهى مصدرنا
الوحيد فى ذلك ، لم تمكننا من تعميق معرفتنا حول هاته الشخصية المجهولة .

غير اننا هدفنا من هاته الدراسة اثاره الاهتمام حول شخصه ، والدور
الذى قام به على المسرح السياسى المغربى فى النصف الاول من القرن
التاسع عشر .

باريس 1970/3/30

(47) لاشك أن سكان تونس والجزائر وليبيا لا يتجاوز ، على أكثر الاحتمالات ، سبعة ملايين
خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر .

قسم الوثائق :

- 1 - تقرير الحكومة الفرنسية من قضية وثائق الماجور لاين .
- 2 - رسالة من حسونة الدغيس الى صديقه سكارلوط .
- 3 - رسائل من حسونة الى الحكومة الفرنسية .
- 4 - تقرير حسونة الدغيس الى مجلس العموم البريطانى .
- 5 - رسائل من حسونة الدغيس الى رجال الدولة العثمانيين .

المدخل الى الوثيقة رقم 1

فى شهر أوت 1829 وبعد موت الكشاف الانغليزى الماجور لاين فى سبتمبر 1826 ، اتهم القنصل الانغليزى ورنقنن زميله الفرنسى البارون روسو ، بانه كان وراء الاغتيال والمستحوذ على وثائق القتيل .

اما القنصل الفرنسى ، فايما نا منه ببرائته ، حاول ان يبرهن على ذلك امام الباي والقنصل الانغليزى ؛ غير أن مساعيه ذهبت سدى امام اصرار القنصل ورنقنن والباشا على اتهمه . فاضطر اثرها على مغادرة البلاد .

غير ان القنصل ورنقنن تهادى فى حركته الاتهامية بكل عنف ، مما أخرج كل الاطراف ، وخاصة حكومته التى طلبت من الحكومة الفرنسية ، مساعدتها على معرفة الحقيقة فى هاته القضية العسيرة والشائكة .

وقد قبلت الحكومة الفرنسية التحقيق فى المسألة ، حتى لا تتسبب فى خلق مشكلة جديدة بين الحكومتين فى ظرف احتدت فيها خلافاتها مع بريطانيا حول قضايا المشرق والمغرب العربى .

ان الوثيقة التى أنشرها هنا هو النص الكامل لهذا التحقيق الهام ؛ انه تحليل مفصل ومقنع لكل معطيات القضية ، بحيث لا يدع المجال لاثارة هاته القضية من جديد ، تلك القضية التاريخية المجهولة من مؤرخى وباحثى تاريخ مغربنا ، العرب والاجانب على حد سواء .

ع . ت .

الوثيقة رقم 1

صاحب سمو الامير (I) .

ان السيد البارون روسو (Mr. Le Barron ROUSSEAU) قنصل الملك العام بطرابلس الغرب ، قد آتاهم من طرف قنصل آنقنلرا بأنه تحصل بخدعة على الوثائق المخطوطة للماجور لاين (Major LAING) . وقد كلفتنا (2) بالتحقيق في هذا الاتهام ، ورفع نتائج دراستنا اليكم ، حول اتهام السيد روسو اولاً ، ثم ثانياً : حول الخلاف الذي نشأ اثر ذلك بين باى طرابلس الغرب والقنصل الفرنسى .

ان اللجنة قد درست بعناية كل الوثائق التى تفضلتم بتسليمها اليها ، كما وتناقشت على انفراد مع كل من البارون روسو والسيد كليرمبو (CLAIRAMBAULT) نائب القنصل بطرابلس الغرب ؛ وسنبداً بعرض الحوادث التى استنتجناها من دراستنا لمعطيات الموضوع .

فى شهر سبتمبر 1826 ، غادر الماجور لاين تمبوكتو (Tombouctou) حيث امضى هناك عدة اسابيع وكانت غايته التوجه الى بلاد بامبرا (Bambarra) . كان الماجور مصحوباً بمرشد اعرابى ، وبزنجى كان قد اعتقه ، اسمه بنقدار (BENGUEDAR) وبعد ثلاثة ايام من مغادرتهم تمبكتو ، اغتيل الماجور لاين (3) .

ان الظروف التى احاطت هذا الجرم ، قد نقلت بوجوه مختلفة ؛ الا ان بنقدار الذى تمكن من اللحاق بطرابلس الغرب ، اعلن من جديد فى مالطة ، حيث سبق اليها ليكون بعيداً عن تأثير المسلمين عليه ، ان الماجور لاين قد هوجم ليلاً وانه (اى بنقدار) قد فقد وعيه ، نتيجة اصابته بضربة فى

(I) A.E : طرابلس الغرب ، ملف رقم 1 ، وثيقة مترجمة عن الفرنسية .

(2) تكونت هاته اللجنة بتاريخ 17 نوفمبر 1829 وتتألف من :

- 1 - البارون مونيى (Baron MOUNIER) واحد اعضاء المجلس الفرنسى ، كرئيس .
- 2 - البارون هلاى دواسل (Baron Hely D'OYSEL) احد النواب .
- 3 - السيد جوليان بيسار (M. Julien BASSIERE) احد النواب .
- 4 - السيد بوكفيل (BOUQUEVILLE) احد القناصل السابقين بالشرق .
- 5 - السيد كورنداز (M. CORANDEZ) احد القناصل السابقين بالشرق أيضاً .

(3) كان ذلك بتاريخ 26 سبتمبر 1826 .

رأسه ، وعندما رفع مشعله ، لاحظ ان جسم سيده قد فارقتة الحياة • وانه لم يشاهد بعد ذلك الجمل الذى يحمل كيسين بهما وثائقه المخطوطة وأعماله •

لا شك ان السائح لاين قد لقي مصيرا مؤسفا •

ان السيد ورنفتن (WARRINGTON) قنصل سعادة ملكة بريطانيا بطرابلس الغرب ، قد تأثر جدا بهاته المأساة ، خصوصا اذا علمنا ان الماجور لاين ، صهره (4) ، وانه ان فقد الامل فى لقائه فقد عمل على العثور على الاقل ، على مخلفات الماجور لاين ، وملاحظاته حول الرحلة التى قام بها ، ذلك العمل الذى توج مساعيه وضمن للامة الانكليزية ، الاسبقية فى اكتشاف مدينة تمبكتو •

ان تصريح الزنجى بنقدار الذى كان متناقضا مع رواية اخرى تذهب الى الاعتقاد بان وثائق واعمال السيد لاين ، قد أبيدت باعتبارها ادوات سحرية •

كان هذا التصريح يفسح المجال للتفكير بأن هاته الوثائق قد وقعت بيد شخص ما ، ولذا يمكن استرجاعها منه •

قام السيد ورنفتن بمحاولات نشيطة لدى الباي ليجعله يستخدم سلطته للعثور على تلك الوثائق ، واعادتها اليه • ولذا نزولا عند رغبة القنصل ، اصدر الباي أوامره الشديدة ، كما وأرسل مبعوثين الى كل الجهات ، للعثور على تلك الوثائق • الا أن هاته الاجراءات لم تعط أى نتيجة •



وخلال هاته المدة ، اذيع خبر غير مؤكد ، مفاده أن الوثائق التى اختلست عند نهب أمتعة السيد لاين ، قد أرسلت من غدامس (مدينة تقع فى طريق تمبكتو) الى طرابلس الغرب ، وهو رأى تبناه السيد ورنفتن وحاول ترجيعه

(4) ان قضية زواج السيد لاين بالانسة امة ورنفتن (Emma WARRINGTON) بنت القنصل التى ارتبطت بقصة سرية ومثيرة ، هى احدى اسباب الحقد الذى يكنه السيد ورنفتن تجاه القنصل روسو . لقد تاه ابن هذا الاخير تيموليون (TIMOLEON) بحب امة ، التى كانت تبادل نفس المشاعر ، الا ان السيد ورنفتن قد وضع حدا لهذا الحب العذرى ، عندما اجبر ابنته امة من الزواج بالماجور لاين .

تم عقد القران قبل يومين من سفر السائح . وبعد اغتيال هذا الاخير ، كان السيد ورنفتن مصرا على عدم اجتماع المحبين ، الشيء الذى أدى الى موتها بعد ذلك بقليل ، راجع ، فيرو ، نفس المصدر ، ص . 336 - 337 ؛ وبرنار ، نفس المصدر ، ص . 81 .

لدى الباي ، منتهزا الفرصة ليطلب من جديد ، السعى للعشور على الوثائق المذكورة .

وعندما لاحظ السيد ورنفثن ان مساعيه لم تؤد الى أى نتيجة ، انتجأ الى وسائل التهديد ، بقطع علاقاته مع الولاية ، ومنزلا علم بلاده من مقر انقصلية .

تلك هى معطيات الوضعية حتى اوائل شهر اوت 1829 ، عندما أسر الباي الى الجراح الانقليزي الدكتور دكسن (Doctor DICKSON) خبرا جاء فيه : « ان بعض الغدامسة قد سلموا وثائق السيد لاين الى حسونة الدغيس ، وزيره السابق ، وان هذا الاخير قد سلمها بدوره الى القنصل الفرنسى » وازاف الباي الى الجراح قائلا : « ان بعض سكان غدامس الذين هم على علم بكل القضية ، سوف يصلون الى طرابلس الغرب ، وأنه سيتمكن السيد ورنفثن من الاتصال بهم » (5) .

ان الدكتور دكسن قد أذاع هاته المسارة . وعندما علم حسونة الدغيس انه متهم باخفاء هاته الوثائق ، التى علق عليها اهمية بالغة ، التجأ الى قنصل الولايات المتحدة الامريكية ، وفى الليلة الموالية أُلغى من طرابلس الغرب على ظهر باخرة اميركية (6) .

وفى نفس اليوم اى 9 اوت كتب أخو حسونة ، محمد الدغيس ، الى البارون روسو ، معلنا عن براءته وطالبا منه قبوله فى دار السفارة ، ومنحه حمايته من غضب الباي .

ومن الغد عندما ألح السيد ورنفثن على الباي ، شرح ماهية الخبر الذى أسر به الى الدكتور دكسن ، صرح الباي علانية ان حسونة قد سلم وثائق السيد لاين الى قنصل فرنسا ، شريطة ان يخفض هذا الاخير 40 فى المائة من الديون التى كانت على حسونة لبعض الفرنسيين الذين أذانه ، وانه (اى الباي) لا يعلم شيئا عن مصير وثائق الماجور لاين التى حملها من تمبكتو ، غير ان السيد روسو حاز على الوثائق التى كان قد وجهها السيد لاين من

(5) انه من الواضح الان ، ان اساس الاتهام قد صدر عن الباي وليس كما ذهب اليه ميكاكى ، نفس المصدر ، ص . 217 ، ان الاتهام صدر عن ورنفثن .

(6) A.E. : طرابلس الغرب ، ملف رقم 1 كتب القنصل روسو الى وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ 7 سبتمبر 1829 يقول : ان حسونة الدغيس الذى اعلن بشدة عن براءته ، كان يخشى ان يؤدى تأثير ورنفثن على الباي ، اتخاذ هذا الاخير بعض الاجراءات القاسية ضده .

تمبكتو الى طرابلس الغرب • واخيرا فان المصدر الذى استقر منه هاته التفاصيل هو محمد الدغيس •

اعتمد السيد ورنقثن على اقوال الباي ، وعليه فقد طلب رسميا من القنصل الفرنسى روسو بواسطة قنصل هولندا ، استرجاع كل مخطوطات السائق القتيل •

اسرع البارون روسو باذاعة انه لا يعلم شيئا عن هاته المخطوطات ؛ كما وكتب الى محمد الدغيس ليعبر له عن دهشته لسلوكه ، اذ كيف سمح لنفسه ان يكون مصدرا لتلك الاشائعات التى اعلنها عن لسانه ، الباي ، ثم طلب الحماية الذى تقدم به ، حيث اعلن موقفا مخالفا تماما •

رد محمد الدغيس بسرعة على رسالة القنصل قائلا : « ان كل ما تفوه به السيد ورنقثن منسوباً اليه ، هو الخطأ بعينه ، وانه لو كان صحيحا ، لما التجأ الى طلب الحماية فى دار السفارة الفرنسية ، بعد اتهامه قنصل الملك » (7) •

واثر ذلك قام البارون روسو بتحرير كتاب فى نفس اليوم الى الباي بتاريخ 12 أوت ، طالبا منه تعليل التصريح الذى يدعى السيد ورنقثن ، انه صادر عن الباي ، وقد أنهى السيد روسو كتابه ، منذرا الباي انه اذا لم يستلم ردا منه حتى منتصف الليل ، فانه سيغادر الولاية وينزل العلم الفرنسى من دار القنصلية •

وفى اليوم التالى اجتمع البارون روسو بقناصل نابولى وطكسان والسويد والدانمارك وهولندا ، وقد قدم هذا الاخير الى محمد الدغيس ، الذى احضر فى ذلك الاجتماع ، شهادة خطية كان الباي قد نسبها اليه ؛ الا ان محمد اندغيس بعد ان دقق فى الشهادة ، أكد انها ليست صادرة عنه ، ولا هو خطه وامضاؤه ؛ ولتأييد ذلك قام القناصل جميعا بكتابة وامضاء محضر ، وفيه يصرح محمد انه لم يدل ابدا للباي باى شئ يمت بعلاقة الى وثائق السيد لاين ، التى لا يعلم عنها شيئا البتة •

غير انه فى نفس اليوم اتصل الباي برسالة من محمد الدغيس ، يعلمه فيها انه نظرا لطلبه الاحتماء لدى قنصل فرنسا ، فانه كان مجبرا ان يتبنى ذلك التصريح الذى نسب اليه مؤخرا •

(7) المصدر نفسه ، كتب محمد الدغيس الى قنصل فرنسا روسو : « أحلف بشرفى ان ذلك التصريح مناف للحقيقة ، وانه انتزع منى بوسائل التهديد والعنف ، وعليه فاني آتبرا منه » .

وحسب اقوال ورنفتن ، ان هاته الرسالة الاخيرة قد وجهت الى الباي من مقر القنصلية الفرنسية نفسها . غير ان البارون روسو يؤكد هو الآخر ان محمد الدغيس عندما حل بمقر القنصلية ، أعلمه انه حرر تلك الرسالة تحت تهديد وباملاء سيدى على ، الابن الاكبر للباي ، والذي كان مأسكا مسدسه وواضعا اياه فوق رقبته .

ان هذا الحادث قد اكده السيد كليرمبو ، الذى اعلن من جهته ، انه شاهد منزل محمد الدغيس محاصرا بجنود الباي ، وكما وانه قد علم بما جرى شفاهيا من طرف محمد ، فى الملاحظات التى تلت الحادث .

وفى يوم 14 أوت عندما لم يتلق السيد روسو ردا على رسالته التى وجهها الى الباي ، غادر طرابلس الغرب وأنزل عن بلاده .

وفى يوم 16 اوت وصل اخيرا الغدامسة ، وقد أعلن الباي عن وصولهم وعليه فقد توجه القناصل الى قصر الباي لمعرفة ما يدلون به .

كان عدد هؤلاء الغدامسة اثنى عشر ، من بينهم شيخ وقاض . أعلن الغدامسى بابانى ، انه سلم الى السيد حسونة الدغيس بعض التذاكر ورسالتين . الا ان حسونة قال له : « لا بد ان هناك بعض الوثائق الاخرى » وعليه فقد طلب منه ان يفتش من جديد ويحمنها اليه . وعندما رجع بابانى الى غدامس ، اطلع السيد حاضرا على أوامر حسونة ، وان هذا الاخير قد وجه بواسطة شخص آخر اسمه صارق (؟) رزمتين ملفوفتين بطلاء ومختومة بشمع احمر .

اما تصريح الغدامسى الثانى ، وهو أخو بابانى ، فقد اكده ما ذهب اليه أخوه .

وعندما سئل القاضى رد : « بانه عندما شاهد صارق لدى عودته الى طرابلس المغرب ، اخبره انه سلم الوثائق الى حسونة الدغيس ، واضاف القاضى ان الخبر اشيع فى غدامس ان تلك الوثائق قد سلمت الى قنصل فرنسا وليس الى قنصل انجلترا » . اما الغدامسة التسع الآخرون ، فقد صرحوا ان لا علم لهم بشئ .

وفى نفس المجلس حضر الباي سيدى مصطفى ، احد كبراء الولاية ؛ وكان السيد ورنفتن وبقية القناصل حاضرين ، وقد طلب الباي من سيدى مصطفى ، اذا كان صحيحا ان ابنه سيدى على ، قد اجبر محمد الدغيس تحت

التهديد وواضعا مسدسه على رقبته ، ان يحرق رسالة يتدارك فيها تصريحاته لدى قنصل فرنسا ؟ وقد اجاب سيدى مصطفى : « ان محمد قد حرر تلك الرسالة بمحض ارادته » .

وبتاريخ 20 أوت امثل محمد الدغيس أمام المحكمة التى دعاها الباي ، وبعد أن حلف محمد اليمين القانونى ، بأن لا يقول إلا الحق ، صرح : « أنه أحاط علما بالباشا بكل ما يعرفه عن وثائق الماجور لاين ، وأن كل ما تفوه به عندما كان فى حماية القنصل الفرنسى ، ليس من الصحة فى شيء ، وأنه كان مجبرا على ذلك » .

وفى 22 أوت ، اجتمع ديوان الباي ؛ وقد كرر محمد الدغيس بحضور عدد من القناصل من جديد ، تصريحاته التى أعلنها أمس البارحة أمام المحكمة (8) .

وعندما سأل السيد ورنفتن ، هل صحيح ان حسونة قد سلم الوثائق الى السيد روسو شريطة ان يخفض هذا الاخير ديونه بنسبة 40 فى المائة ؟ وقد رد محمد بصورة قطعية مؤكدا ذلك ، و اضاف ان السيد روسو قد تحصل ايضا على وثائق لابن بطوطة .

إلا أن محمد الدغيس قد رجع فى كل هاته التصريحات .

منذ ان غادر القنصل روسو طرابلس الغرب ، لم يقع اى اتصال بالباي ، ولا مع احد وزرائه . وقد رفض الباي استقبال الاشخاص الذين اوفدهم القنصل لايجاد تسوية .

ونظرا الى ان القنصل لا يستطيع المكوث بطرابلس الغرب ، دون ان يسئ الى صفته السياسية لدى الباي الذى اختلق ، او على الاقل ، احتضن واذاع اتهاما ضده ، وان بقاءه أصبح غير مجد لحماية المصالح الفرنسية ، فقد قرر الاقلاع يوم 5 سبتمبر على ظهر سفينة نمساوية ، كانت قد حملته الى تونس .

اطلع القنصل روسو سيادتكم لدى وصوله لمرساي ، بكل ظروف الواقعة التى دفعته الى مغادرة الولاية . اما السيد ورنفتن فقد اخبر حكومته

(8) راجع هاته الوثيقة بالعربية رقم 17 والتى نشرها كمال الدين عبد العزيز خربطلى ضمن كتاب ميكافى ، نفس المصدر ، الملحق ، ص . 57 - 58 .

بكل ما جرى ، وقد قدمت اليكم الحكومة الانكليزية موجزا من تلك المراسلة ،
التي تنتهم بصورة قطعية السيد روسو بأنه تحصل على وثائق السيد لايين ،
بل ويشير الاتهام ايضا الى احتمال ان يكون (روسو) الحاث على اغتيال
السيد لايين .

لا نتأخر ابدا في دحض هذا التلميح الشنيع ، غير اننا اعتقدنا ان لا جدوى
من اثارة ذلك . ان تلميح القنصل الاخير هذا ، يبين الى اى مدى كانت فجیعة
القنصل بفقدان صهره عميقة ، الشيء الذى استهوى عقله لتبنى ذلك ، كما
وجعله يلقي اهتماما لكل الظنون ؛ وعليه فاننا سوف نناقش فقط الاتهام
الوحيد والذى عرض بصورة ايجابية .

ان دراسة رواية الحوادث التي عرضناها على سيادتكم ، تكفى ولا شك
لتبين كم هو واه اساس هذا الاتهام .

صرح الباي ان السيد روسو اتصل بوثائق لايين من حسونة الدغيس ،
واضاف ان تأكيد ذلك قد تأتى من شهادة محمد الدغيس ؛ الا ان هذا الاخير
قد تراجع بصورة قطعية لكل ما صرح به للباي وامام المحكمة والديوان .

وفى الحقيقة فان محمد الدغيس قد تراجع ايضا لكل ما قاله لقنصل
فرنسا ، الا ان تراجعه النهائي ، لا يتهم فيه السيد روسو مطلقا ، وهو يلغى
حتما كل ما سبقه من تصريحات !

ولدحض ما ذهب اليه سلطة البلاد ، فاننا نرى ان تصريح محمد قد انتزع
منه بالتهديد او على الاقل ، قد اقترح عليه تحت وطأة الخوف .

لكن هل نفكر ان محمد كان يخشى حقد قنصل اجنبى اكثر من حقد الباي
سيده ؟ هل نتردد عندما تتعلق المسألة بوضع تأثير الخوف وتهديدات العنف
بين دار القنصلية وقصر الباشا التركى ؟

ان شهادة محمد التي تؤيد الاتهام ، هى على تلك الصورة ، تبدو لنا واجبة
استبعادها .

تبقى شهادة احد الغدامسة والتي جاء فيها : « تأكد فى غدامس القول بان
الوثائق ارسلت الى حسونة الدغيس ، والذى بدوره سلمها الى قنصل
فرنسا » .

ولكن يكفي هنا ان نلاحظ ان هاته الشهادة ليست صادرة عن شاهد عيانى . ان تصريح الغدامسى هذا ، لم يكن سوى تكرار خبر مبهم ، كان قد سرى فى غدامس بعد ان انتشر فى طرابلس الغرب . اما حسونة الدغيس فليس من مهمتنا التحقق فى قضيته ، وحتى لو اثبت فعلا انه تحصل على وثائق السيد لابين ، فان ذلك لا يؤدى الى القاء اى عبء على السيد روسو ؛ ذلك ان تحقيقنا اثبت ان هذا الاخير لم تقع بين يديه الوثائق المذكورة .

ولكن هل يمكن ان يكون صحيحا أو قريبا منه ، ان تكون وثائق الرحالة القليل قد وقعت بأيدى حسونة الدغيس ؟ اننا لا نعتقد فى ذلك .

علام يستند اذن ، اتهام الباي لاحد وزرائه السابقين ؟ استند فقط على تصريحات اخ حسونة ، محمد الدغيس ، وعلى شهادة الغدامسيين . ان تصريحات محمد لا يمكن ان تكون لها اهمية اكثر لحسونة منها لروسو ، ذلك ان محمد قد افى تلك التصريحات بشهادة تراجع ، لا لبس فيها وبمحض ارادته .

وهل يمكن رفض شهادة الغدامسيين الذين قدموا خصيصا لتأييد الاتهام الذى كان قد اختلق من قبل ؟ واذا اعتبرناها شرعية وصحيحة ، ما احتوت عليه اذن ؟

ان أحدهم ذكر انه حمل الى حسونة بعض العقود ورسالتين ، وان هذا الاخير قد طلب منه ان يفتش للعثور على وثائق اخرى ؛ ولدى عودته اخبر هذا الغدامسى شخصا اسمه حدر بذلك ، وان حدر هذا قد ارسل كيسين يحتوان على وثائق الى طرابلس الغرب .

ولنقبل ان الغدامسى قد حمل فعلا عقودا او رسالتين الى حسونة ؛ فمن الواضح ان ذلك يتعلق بعقود كان الماجور لابين قد سلمها ليتحصل على المال ، وانها فعلا قد وصلت الى طرابلس الغرب ، حيث وفت بغرضها .

ان حسونة الذى يعلم اهمية العثور على وثائق الماجور لابين ، كان قد اوصى طبعاً الغدامسى بالتفتيش عنها ، وهنا تنتهى الحوادث التى لها علاقة مباشرة بشخص حسونة .

ثم ان هذا الغدامسى يعلم ان موطنه حدر ، قد وجه الى حسونة كيسين يحتوان على وثائق ، ويمكن لنا ان نتساءل لماذا لم يدع الباي حدر الذى يبدو انه الشاهد العيانى الرئيسى والهام ؟ لماذا ايضا لم يدع الشخص الذى حمل الكيسين المعنيين بالامر ، للامثال وللدلاء برايه ؟

اقبل حسونة الدغيس على ظهر باخرة امريكية فارا بنفسه ؛ وقد علم سيادتكم انه التجأ الى ملافا (MALAGA) .

لقد فسر سلوك حسونة بشكل آخر ، وقيل ان هروبه من الولاية معناه الاعتراف بانه مذنب . هاته النتيجة هي بالتأكيد مبالغ فيها ؛ واذا نصح غالبا الاشخاص الذين اتهموا بحجج واهية ، في الشعوب الاكثر تحضرا أن يكونوا في مأمن من القصاص ، بهروبهم ، فانه يكون من الطبيعي جدا ان يلتجأ الى ذلك ، خصوصا اذا كان الاتهام قد غذته حرارة العواطف الافريقية ، وان المتهم ليست له ضمانات اخرى غير صيغ العدالة الشرقية ! !

تشتتج من هذا أن الباي يعلق أهمية بالغة على هاته القضية ، وأنه كان يأمل باصرار ، أن يعود حسونة الى اتهام قنصل فرنسا .

ويمكن ان يتساءل لماذا اظهر الباي مثل ذلك النشاط في قضية من هذا القبيل ، ومثل ذلك الحقد ضد البارون روسو ؟

سوف نشرح ذلك ، ونبين في نفس الوقت الملابس التي تبدو لنا ، قد مهدت أساس هذا الاتهام .

**

منذ ثلاث سنوات ، اعتقد قنصل فرنسا ان الباي قد قصر في حقه (9) وعليه فقد طلب منه تقديم تسوية مرضية جدا ، وقد تحصل القنصل على ذلك ، غير أن تلك التسوية خلفت في ذاكرة الباي ، شعور الغل تجاه القنصل ؛ الا ان حادثة اخرى جاءت لتزيد من استيائه وغضبه .

وقصة ذلك ان السيد البارون روسو ، استدعى في السنة الفارطة ، ان يتفاوض لايجاد تسوية بين (حكومة) الصقليتين وولاية طرابلس الغرب . وقد قام القنصل بذلك بكل نجاح ؛ كما وان المبلغ الذي يسلم عادة للباي ، قد انخفض الى 20.000 (IO) .

(9) اساس هاته القضية هي الاهانة التي وجهت ضد قنصل فرنسا في الحفلة التي اقامها لاحد المواسم الملكية ، ذلك ان الباشا الذي وعد بحضور الحفلة ، قد تخل عن ذلك في اللحظات الاخيرة ، في حين كان القنصل يتوقع قدومه من حين لآخر .
لقد دفع محمد الدغيس ، صديق ورنقن ، الباشا على هذا التصرف وعليه فقد عد السيد روسو ذلك اهانة ، فانزل علم بلاده وغادر الولاية ، راجع ، فيرو ، نفس المصدر ، ص . 328 .
(IO) كلمة غير واضحة ويبدو انها اسم للنقد المالي بالصقليتين .

ان السيد ورنفتن الذى كلف بتسوية هاته القضية من قبل وفشل ، قد اوحى للبای ، ان ملك نابولى قد اذن بتقديم مبالغ اكثر بكثير من التى حددت على يد قنصل فرنسا . واذا علمنا انه لا يعرف شجع على المال مثلما هو معروف عن الولايات المغربية ، فان البای كان مقتنعا ان السيد روسو قد حرمه من مبلغ ضخمة ، وعليه انتهز البای الفرصة للانتقام منه . ومن جهة اخرى فان السيد ورنفتن لم يكف ، كما لمسنا ذلك ، عن الاحاح على البای للعشور على وثائق لاين ، كما وانه قطع علاقاته الرسمية مع الولاية ، وأنزل العلم البريطانى ، معلنا انه لا يرفعه الا بعد استلامه تلك الوثائق المفقودة .

تلك هى معطيات الوضع عندما اذيع فى طرابلس الغرب ، ان تلك الوثائق هى فى حوزة السيد البارون روسو ؛ وعليه استغل البای ذلك الخبر ، اذ موقفه ضد القنصل قد دفعه بسرعة الى تبني ذلك الاتهام والذى مكنه بتحقيق هدفين ، أولا : الاساءة الى القنصل ، وثانيا : النجاة من قصاص قنصل انقلىترا .

أنزل السيد ورنفتن علم بلاده ، ومعنى ذلك بالنسبة للرأى العام ، ان البای لم يتمكن من ارجاع المخطوطات التى كانت محل طلبات عديدة من طرف القنصل الانقليزى . أما الآن فقد وجه هذا الاخير كل مجهوداته ضد البارون روسو . يتساءل هنا طبعاً ما هو السبب الاصلى لذلك الخبر الذى انتشر بطرابلس الغرب ؟

ان دراسة الوثائق التى بأيدينا ، ستمكننا من معرفة السبب .

ان السيد البارون روسو هو احد المهتمين البارزين بالدراسات الشرقية ، ولقد اهتم بالتفتيش عن المخطوطات العربية . وعندما ارسل السيد روسو من طرف سلطات الملك الى السواحل المغربية ، ركز اهتمامه حول الاشخاص الذين يمكن ان يقدموا له ، معلومات حول مداخل افريقيا ؟ واثناء ذلك كان يترقب الحصول على مخطوط لسيدى على بابا (II) .

(II) فقيه وعالم سودانى . ولد بمبكتو فى 26 اكتوبر 1556 وتوفى فى 22 افريل 1627 . واثناء فتح سلطان المغرب احمد المنصور للسودان ، رفض على بابا الاعتراف بسطة مراکش ، وادى ذلك الى نقله الى المغرب ، ولم يجد حريته الا مؤخرا .

الف حوالى خمسين كتابا حول الفقه المالكي والنحو ومواضيع اخرى ومجموع تاليفه ، تشكل احدى المصادر الرئيسية للمغرب فى القرن السادس عشر راجع F.I ، الطبعة الجديدة ج ، I ، ص . 288 .

حرر هذا المخطوط الاخير فى القرن الخامس عشر ، ويحتوى على وصف لتمبكتو ؛ وعليه اعلن السيد البارون انه ينتظر الحصول على كنز ادبى يحتوى على وثائق هامة حول تمبكتو (I2) .

انه من السهل جدا ان مثل ذلك الزعم ، اذا ما وصل الى علم اشخاص يجهلون كل معطيات القضية ، يمكن ان يفهم منه ، الوثائق التى جمعها الماجور لاين ، حيث شغلت الناس جميعا . هذا التحول هو ولا شك منشأ الخبر الذى انتشر فى البلاد ، وكان بالنتيجة اساس الاتهام .

لا بد ان نلاحظ هنا ، كيف ان اللبس الذى وقع بين الوثائق القديمة التى كان السيد روسو ينقب عنها ، وبين وثائق السيد لاين ، قد اشتبه على الناس فى طرابلس الغرب ، عندما نطلع على مذكرة لقسم المستعمرات البريطانية سلمت الى سيادتكم من طرف سفير ملكة بريطانيا ، والتى جاء فيها : « ان كل حجج المقارنة قد اجتمعت ضد السيد روسو ، آخذين بنظر الاعتبار ما كتبه الى السيد بريى دو بوكاج (Barbler De BOCAGE) حيث أخبره انه يأمل الحصول قريبا على تاريخ حول تمبكتو لسيدى على بابا .

لنتساءل من هذا المؤلف الذى يسميه السيد روسو ، سيدى على بابا ، فى حين ان الباي يصرح انه لا يعلم عنه شيئا ؟ .

نذكر مثالا آخر لهذا اللبس الذى نؤكد عليه . ان محمد الدغيس فى تصريحاته لدى محضر الديوان ، أعلن ولا شك ذلك تحت اوامر الباي او الشخص الذى يأتى به ، ان السيد روسو قد احرز لا على وثائق السيد لاين فقط ، بل ايضا على وثائق لابن بطوطة .

ان ابن بطوطة هو احد الكتاب المشهورين الذين اهتموا بالادب العربى . ان السيد روسو قد تحصل فعلا فى طرابلس الغرب على نسخة من كتابه . حيث اعلن فى ذلك الوقت انه سيهديها الى المكتبة الملكية بباريس .

يبقى علينا الآن ان نتم هذا النقاش بتذكير سيادتكم ، انه لتبرير تسليم حسونة الدغيس الوثائق الى السيد روسو ، أعلن محمد الدغيس ان القنصل الفرنسى قد أخفض 40 فى المائة من الديون التى كانت على حسونة ، لفرنسيين كانوا قد طالبوا باموالهم .

(I2) نستطيع ان ندرك بسهولة ، حرب الاعصاب بين القنصلين ، اذ كل منهما يتحدى الآخر .

انه من الصحيح ان مسألة التسوية قد تمت ، ولكنها كانت بتاريخ 15 مارس 1827 . وهى بالتالى قبل إثارة قضية وثائق السيد لاين بكثير ؛ بحيث انه لا يمكن لنا ان نعبر هاته الحجة ، الا مظهرا جديدا من العناية التى استغلت بسببها ظروف الحادثة ، ولتخدم بذلك هاته السفسطة حيث أريد بها ، تحت حجة عدم وجود حادث مادى ، خلق الاتهام .

وبالنتيجة فان اللجنة قد اعتقدت بالاجماع أنه ليس من الصحة فى شيء ان تكون وثائق الرحالة لاين ، الذى عرف نهاية محزنة حيث اثارت اسفا صادقا فى كل من فرنسا وانجلترا ، قد وقعت فى حوزة حسونة الدغيس ، وانه من الخطأ على اية حال أن تتكون تلك الوثائق قد سلمت الى السيد البارون روسو ، وان التهمة التى وجهت ضده لا تستند الى أى أساس .

**

ندرس الآن كما ان سيادتكم قد طلبنا ذلك ، سلوك السيد روسو فى الخلاف الذى نشأ بينه وبين الباي ، والذى كانت التهمة منشأه ، الشيء الذى أجبر القنصل روسو الى التخلي عن الوظيفة التى عهدا اليه الملك .

يبدو ان هذا الخلاف كان لاول وهلة نقاشا شخسيا ، اذ لم يتعلق بممارسة وظيفته ؛ ومن هاته الزاوية فاننا نستغرب كيف أنه بمت فى امر مغادرته طرابلس الغرب ، خصوصا وقد سحب معه نائبه ، وانه بالتالى قد قطع العلاقات السياسية بين البلدين . غير انه يبدو لنا ان دراسة جدية للظروف التى حاطت بالحادثة ، قد أيدت أو على الاصح قد برأت سلوك القنصل .

ان قناصل الملك فى الموانئ المغربية ، لهم اهمية ثانية غير التى للمراكز الاخرى . فليست لهم فقط وظيفة حماية التجارة ، بل إنهم معتمدون كقائمين بالاعمال الملكية لدى هاته الولايات ، ويتمتعون أيضا بسلطة مباشرة على كل الفرنسيين الذين هم تحت كفالة القنصلية . ويستخلص من ذلك أنه يجب عليهم اظهار اهتمام اكثر للدفاع عن كل ما يمس مكانتهم ، كما ويجب الحفاظ على شرف منزلتهم ، حتى يكونوا فى وضعية تسمح لهم بالقيام بالمهمة التى عهدت اليهم على أحسن وجه .

اتهم السيد روسو علانية من طرف الباي ، وبحضور كل القناصل ، زملائه . كانت هاته التهمة خطيرة وبغيظة جدا ، بحيث أن رجلا ذا شرف لا يستطيع تحملها .

كان شعور السيد روسو ببراءته عميقا جدا ، وأداه الى ان يطلب من الباي رسميا الاعتراف بذلك . واذا كانت المهلة التي حددت للبای تبدو وجيزة جدا ، ويجب ان لا ننسى ان هاته المهلة لم تكن الا مجرد انذار بالتهمة بحيث ان السيد روسو طلب بتاريخ 12 أوت ، جوابا سريعا من البای بتهديده ، في حالة رفض البای ذلك مغادرة البلاد . الا ان السيد روسو لم يقلع من طرابلس الغرب الا 5 سبتمبر .

وخلال هاته المدة حاول مرارا عديدة التفاهم مع البای ، حيث يمكن ان تكون تأويلات السيد روسو قد تضع حدا للخطا ، وتؤدي بالتالى الى اعادة المياه الى مجاريها . ولكن البای قد رفض مقابلته ، ولم يرد ايضا استقبال نائب القنصل ومترجم السفارة ؛ وعليه فان انزال العلم الفرنسى كان معناه ان العلاقات قد قطعت بين البلدين .

استخدمت هاته الوسيلة غالبا في هاته الولايات ، ولقد علمنا كيف ان القنصل ورنفتن قد التجأ الى نفس الوسيلة في طرابلس الغرب، ليتحصل من البای على وثائق لاین ، والتي يؤكد البای عدم امكانية العثور عليها .

هل نتعجب اذن ، بعد ان اعطى السيد ورنفتن المثال ، ان يلتجأ قنصل فرنسا الى ذلك ؟ خصوصا وقد كان عرضة لتهمة لاذعة اثرت عليه كثيرا باعتبار صفته الخاصة ، كما وقدحت في شخصه باعتبار صفته العامة .

وعندما لم يتحصل من البای على الرجوع في اتهمه ، فانه لم يعد يقدر على استئناف علاقاته السياسية معه ، وبالتالي اصبح وجوده عديم الجدوى لحماية مصالح الفرنسيين . وبلاضافة الى ذلك ، كان القنصل روسو يخشى ان يؤدي الغضب بالبای الى ارتكاب حادثة ، تكون عواقبها وخيمة ، ويمكن ان تمس مباشرة شرف حكومة الملك . وعلى العكس من ذلك ، فان ابتعاده قد ازال عن البای ، فرصة استغلال كل المناسبات لتعميق الخلاف .

يبدو ان كل هاته الاعتبارات قد بررت قرار الانسحاب الذي اتخذه السيد البارون روسو . ولكن الا يمكن ان يترك نائبه في حالة غيابة لادارة شؤون القنصلية ؟

نذهب الى التفكير في امكانية ذلك ، وانه لو اتخذ مثل هذا الموقف لكان افضل ، خصوصا اذا اخذ بنظر الاعتبار ان البای لم يفتأ يردد ، انه لا يفكر في قطع علاقاته مع حكومة الملك .

يستنتج من المعلومات التي بين ايدينا ، ان سبب رفض الباي استقبال نائب القنصل هو عدم رغبته مناقشة قضية وثائق الماجور لاين ، بحيث لا يمكن ان يستخلص من ذلك ، عدم رغبته بحث مشاكل القنصلية مع السيد كيرمبو . غير ان البارون روسو ذكر ان بقاء نائبه سيكون بدون جدوى ، اذ حسب رأيه ، ان الباي سوف لن يقابله على الرغم من أن ذلك يتعلق بشؤون القنصلية ، بل على العكس ، يمكن ان يتعرض لغضب الباي في حالة سفر القنصل . وأخيرا انه من الطبيعي وألائق ان السيد كيرمبو ، بين انه يشارك القنصل شعوره بالتهمة الموجهة اليه .

ان مرام السيد البارون روسو لا يمكن القدح فيها ، فان أخطأ في تبني الملك الذي كان يجب اتخاذه ، نذكر ان الاسباب التي يقدمها ، تبدو مقنعة في وضعيته كمتهم ، اتخاذ الموقف الاكثر حيطة وحذرا .

نضيف الى ذلك ان القنصل عندما سحب معه نائبه ، كان من الاولى تسليم ادارة اعمال القنصلية الى احد ممثلي الامة ، ليرفع علم البلاد . الا ان السيد البارون يؤكد عدم وجود اى فرنسى فى المستوى المطلوب ، ليقوم باعمال الانتداب ، وهو يرى أن حماية مصالح الفرنسيين ، ستؤمن بصورة لائقة عندما كلف نائب قنصل اسبانيا بذلك ، حيث تفضل بقبول تلك المهمة .

**

وبالنتيجة فان اللجنة تعتقد ان السيد روسو الذى هوجم علانية فى شرفه، باتهامه انه اخفى وثائق السيد لاين ، قد طلب من الباي الرجوع فى ذلك ، وانه فى حالة عدم قيام هذا الاخير بتراجع ، فان القنصل لا يستطيع ان يمارس علاقاته السياسية فى الولاية ، دون ان يثير لديه الشعور بالسخط ، خصوصا اذا كان الاتهام قد وجه لرجل نزيه وشريف .

وعندما رفض الباي الرجوع فى تصريحاته ، فان القنصل قد تبني مسلكا اكثر حذرا بانسحابه منه ، لو بقى معرضا لنتائج غضب الباي ، الذى يمكن ان يقوم بردود فعل اخرى ، تمس حكومة الملك التى ستجد نفسها مجبرة على طلب اصلاح ذلك ؛ كما وللقنصل عذره ، عندما امر نائبه بمغادرة طرابلس الغرب .

ومع هذا فانكم تعلمون ايها الامير ، ان الباي الذى اراد تجنب اعتبار سفر قنصل فرنسا ، علامة على قطع العلاقات بين الدولتين ، قد ألزم نائب قنصل اسبانيا رفع العلم الفرنسى .

نرفع الى سيادتكم كل الوثائق التى سلمتموها إلينا ، وكما ونطلب من سموكم ، قبول احترامنا وتقديرنا .

اللجنة

الوثيقة رقم 2

لقد استلمت (I) بسرور عميق رسالة صديق تربطني به ذكرى غالية على نفسي ، نعم يا عزيزي سكارلوط (SCARLETT) . لقد غادرت طرابلس الغرب لأكون بمنجى من الاستبداد والظلم .

لقد ساقنتني الاحداث الى مدينة فاس حيث استلمت رسالتكم بتاريخ 5 ماي .

اننى مقتنع تماما باخلاص صداقتكم وصداقة السيد والدكم ، اذ لا ضرورة الى تأكيد ذلك من جديد ، لأننى على يقين من نفسي ، ان أجمل التسلية او المساعدة ، هى تلك التى يمنحها الى اليوم أصدقائى (حيث تعدون أولهم) .

نعم ستساعدوننى وتعاقدوننى فى هاته القضية ، حتى أنال حقوقى من هذا الذى أفترى على وأمحو هاته **الشائبة** ؛ ذلك ان هاته القضية فريدة من نوعها فى التاريخ قديمه وحديثه ؛ وحتى **الطغاة** فانهم لم يضطهدوا أعدائهم بمثل هاته الوسائل التى عوملت بها .

انكم على حق عندما عجزتم عن ادراك ماهية هذا الاتهام والغدر والقتل ، اذ لمثل هذا يقشعر الانسان . أن خصمى ذو سلوك مكيفلى .

تنتعون الشخص أو الاشخاص الذين أنهمونى بأنهم اعداء ، ولكن لاحظ ان حقد العدو لا يذهب الى ذلك ، انه حقا عدو الانسانية ، فلا ضمير ولا شرف له .

لقد فقدت وطنى كما تقول يا عزيزي ، ولكن لم أفقد احترام مواطنى . انهم على يقين من نزاهتى ومن بهتان هذا الاتهام، كما انهم يعلمون طبيعة الاستبداد

(I) F.O. 76/37 : رسالة بالفرنسية من حسونة الدغيس الى صديقه الانغليزى سكارلوط . وهو مرسله بتاريخ 20 جويلية 1830 . راجع الشكل 19 ، ص . 136 - 137 .

الذى يمارسه ورنفثن (WARINGTON) بطرابلس الغرب . ولولا ذلك لما
تمكنت من انقاذ نفسى ، ان هاته الشائبة تلحق الامة بأسرها . لندع حججنا
حتى موعد لقائنا .

لنتفضلوا بتقديم احترامى واعترافى بالجميل الى معالى وزير جلاله ملكة
بريطانيا السيد جورج موراي (Sir Georges MURRAY) للمحادثة التى افضاها
اليكم بخصوصى ، ولتفكيره السامى حول شخصى . لتؤكدوا له من جديد
براءتى ، وانى لا اقدر حتى على التفكير فى قضية سوداء كنتك ، اخبره ايضا
ان هدفى دوما هو القدوم على انجلترا . ولقد اقترحت على ورنفثن ان نذهب
سويا الى لندن ونعرض القضية على العدالة ، الا انه رفض ، وهذا يبين ماهية
الحقيقة . (راجع النسخة ضمن هاته الرسالة التى حررتها لقنصل فرنسا
بطنجة ردا على رسالة ، كانت قد وجهت الى من طرف ورنفثن والسيد درامن
هاى (Drammond HAY) قنصل جلالة ملكة بريطانيا بطنجة بتاريخ 3
جوان) .

ان ثقتى لكبيرة جدا فى حكومة جلالة ملكة بريطانيا ، فليس سلوك واقوال
ورنفثن هى التى ستزيل من ذاكرتى ، انطباعاتى الصحيحة عن الامة
الانكليزية ، بل على العكس من ذلك ، انتظر عدالتها وعطفها ومساعدتها .

يمكن ان يراجع فى وزارة المستعمرات فى دونين ستريت (Downing Street)
عن الخدمات التى اداها والدى ، وانا عندما كنت وزيرا . ان سلامة ضميرى
هو ضمانى الاول .

لقد قبلت الآن بسرور ، العرض الكريم الذى اعلمتمونى به ، حيث ان
حكومة ملكة بريطانيا قد انعمت به على . انى أطلب منها أيضا ان تتفضل
بمنحى هاته البنود الخمسة :

- 1 - لا التزامات لى الآن ، الا بعد عرض القضية على المحكمة .
- 2 - تعتبرنى حكومة جلالة ملكة بريطانيا انكليزيا ، أو متحصلا على
الجنسية الانكليزية .
- 3 - ان خصمى يجب ان يكون بلندن اثناء عرضى الدعوى على المحكمة .
- 4 - بما ان خصمى هو وكيل الحكومة الانكليزية ، فيجب على هاته ، ان
تتمهد بأخذ كل المبالغ منه والتى سيفرضها القانون ضده .
- 5 - ان مرافعة القضية ستكون امام البرلمان وبصورة علنية .

انذاك ستعلم الحكومة حق قدرى ، ويمكننى أن أدخل فى خدمتها عن طواعية عندما تتضح هاته القضية وتزال كل الشبهات ؛ وعندها ألزم نفسى بتحقيق كل ما تعاقدت عليه معها ، اذ لا أستطيع ان ارفض لها شيئا هو فى استطاعتي ، خصوصا اذا لم يكن ذلك ضد الشرف والوطن ، وتستطيعون يا عزيزى ، أن تجيبوا بالنيابة عنى ، على بقية الاسئلة .

وآن ما تتحسن صحتى ويسمح الطقس بذلك ، فانى سألتحق بكم عن طريق ليفورنة ، دون ان أعرج على فرنسا اذا امكننى ذلك . وأرجوكم أن تفضلوا بتوجيه الرسائل الى ، مع تعليمات الحكومة الانكليزية ، الى سيدى الحاج بدوى برادة بليفورنة .

أجيبكم يا عزيزى سكارلوط بلغة فرنسية ضعيفة ، اذ تستطيعون دوما قراءتها ومعرفة مشاعرى الحقيقية ، وهذا لا يحتاج الى بلاغة خطابية . فالترجم الأمين تضيق نفسه دائما عندما يتصدى لترجمة اللغات الشرقية ، لما لهاته من تعقيد فى تركيب جملها . اما لغتى الفرنسية فانكم تفهمونها على الرغم من كثرة الاغلاط الاملائية ، وعدم احترام القواعد النحوية . فارجوكم ان تعتبروا ذلك على انه اختزال للكتابة !

واليكم الآن موجز هاته الرسالة متمثلا فى ثمانى شروط أساسية ، أعرضها عليكم حتى نتجنب اى التباس :

- I - اعترافى بجميلكم وجميل حكومة جلالة ملكة بريطانيا .
- 2 - سفرى الى لندن يكون عن طريق ليفورنة، حالما تتحسن صحتى وتسمح لى بذلك .
- 3 - اقبل مساعدة حكومة جلالة ملكة بريطانيا .
- 4 - ان دخولى فى خدمة الحكومة ، لا يتم الا بعد محاكمة القضية .
- 5 - تعتبرنى حكومة جلالة ملكة بريطانيا انكليزيا ، او متحصلا على الجنسية الانكليزية .
- 6 - يجب على خصمى ان يمثل امام المحكمة .
- 7 - تأخذ حكومة جلالة ملكة بريطانيا على عاتقها ، حمايتى أمام وكيلها وقنصلها .

8 - تناقش القضية أمام البرلمان وبصورة علنية •

ارجوكم ان ترفعوا احترامى الى السيد والدكم والى صهركم السيد
كمبل (CAMPLE) والى عائلتكم المحترمة ، تهانى الى السيد ماكنلوش
(MACKUNLOCH) والى صديقنا السيد بلونط (BLUNT) القاطن ببرود
ستريت (Brood Street) •

ارجوكم ان تتقبلوا تأكيد ارتباطى المتين وصداقتى الحقيقية •

صديقكم :

حسنونة الدغيس

يلى ذلك أمضاءه

الوثيقة رقم 3

سيدي (I) •

لقد كنت بلندن اتابع فيها قضيتي لدى الحكومة البريطانية عندما علمت بنبا الثورة المحزن بطرابلس الغرب (2) والتي ولا شك انتم على علم بها • اني أعلم مسبقا نتائج هاته الثورة ، والتي ستكون ذات عواقب سيئة على الباشا في حالتين اثنتين :

احدهما : ان حقد الباشا سوف يسلط على المذنب والبريء على حد سواء •

اما الحالة الثانية : ان الدم الانساني سيراقي ، وان الثروات ستنتهب ، وان نتائج هاته الفوضى سوف لا تخضع لحصر •

وادراكا مني لهاته الاضرار التي ستزول بالبلاد، رأيت من واجبي الالتحاق بفرنسا ، التي اعتبرها وطني الثاني ، لاعرض على حكومة جلالة ملك الفرنسيين ، حامى الحرية ، الوسائل التي يجب اتخاذها ، اذا ما أراد التدخل لانقاذ البلاد من الخطر الذي يتهدها ؛ وهو في نفس الوقت يقوم تجاهي بأقدس عمل (3) • ومن جهتي فاني سأقوم بواجبي تجاه بلادى وتجاه فرنسا ايضا ، ذلك ان المصالح مشتركة وهى غير مفصلة •

ولتحقيق هدفى ، فقد شرحت أرائى فى مذكرة سترفع الى هاته الحكومة الموقرة •

(1) A.E. ؛ طرابلس الغرب ، ملف رقم 2 ، رسائل حسونة الدغيس الى (Duc De BROGLIE) وزير خارجية فرنسا ، بتاريخ 13 سبتمبر 1832 . قدمت هاته الوثائق باللغة الفرنسية وفيما يلى ترجمتها الى العربية .

(2) راجع ملحوظة رقم 31 مكرر من الدراسة رقم 6 ، ص . 270 .

(3) انه من الواضح ان حسونة الدغيس لا يستطيع ان يقوم باى فعاليات سياسية الا بمعارضة الفرنسيين ، اذ عندما طلب من هؤلاء التدخل فى البلاد ، ليحيط خطط القنصل ورنفتن ، انما كان يعمل لرجوعه الى الوطن باغتلاء سيدي على ، ابن الباشا ، العرش .

ان هاته الاجراءات المقترحة يمكن ان تبدو ذات وسائل ضعيفة وغير عملية بالنسبة لاشخاص آخرين ، غير سيادتكم ، لا يدركون التأثير الاوروبى على الشرق .

ان معاليكم سيكون الحكم الاكثر كفاء وثقة ، ذلك انكم بدراسة هذا التأثير سوف ستكونون المترجم الامين لمشاعرى .

لقد كنت سعيدا ان اجدكم على اطلاع باحوال البلاد ، وعليه فلا أشك انكم ستدرسون المسألة بافادة ، وتؤيدون مذكرتى وترفعونها الى مجلس وزراء جلالة ملك الفرنسيين .

هل لى ان أطرى نفسى مسبقا ، بان هاته الخطة ستؤدى الى نجاح أكيد . واذا أرادت الحكومة تطبيق هذا الاجراء ، وقبلت مبدأ وساطتها لانقاذ مواطنى ، ثم طلبت منى مزيدا من المعلومات حول الوضعية العامة ، او تحرير بعض الرسائل **بالعربية** ، حسب أدراك وعقلية هاته الشعوب ، فان ذلك سينتج عنه الاثر الطيب وسأستجيب لذلك بكل سرور ، ومن واجبى أن أمتثل لأوامرها ، وسأسخر كل وقتى لشرح الطرق الواجب تبنيها فى مثل هاته الظروف ، والتى يمكن ان تعطى نتائج طيبة لافريقيا وفرنسا .

انتزه هاته الفرصة لأعبر لمعاليكم عن تقديرى العميق .

خادمكم المتواضع : حسونة الدغيس

رسالة موجبة الى مجلس الوزراء الفرنسى

ان المضى أسفله حسونة الدغيس صهر الباشا ووزيره السابق ، قد أقام زمنا بأوروبا لدراسة لغاتها ، قوانينها ، وعادات شعوبها المختلفة ، كما وساح فى بلادها وخاصة فرنسا .

لقد زار فرنسا من جديد بعد الثورة السعيدة التى نصبت الملك لوى فيليب على العرش ، وتمكن من تقدير تلك الحكومة الابوية بانظمتها التحريرية ، التى لا هدف لها غير اسعاد الشعوب ، والتخفيف من الامها ، وتنمية علاقاتها معها ، وتأخيها مع المواطنين الفرنسيين .

وايمانا بذلك ، فان الممضى اسفله يقدم هاته المذكرة الى حكومة جلالة ملك فرنسا الموقرة ، شارحا الحوادث التالية ، ومتوسلا حمايتها ، لتتفضل بمساعدة الطرابلسيين التعساء ، ويتمنى ان تؤخذ ملاحظاته بنظر الاعتبار .

ان حكومة جلالة الملك على علم بالثورة التي اندلعت بطرابلس الغرب بتاريخ 26 جويلية الاخير (4) اذ كان الشعب ملزما على رفع السلاح ضد ملكه كما وان الحكومة ولا شك على علم بالاسباب التي ادت الى هاته الفوضى والحوادث .

ان هاته الظروف الصعبة قد جعلت البلاد تعيش في غليان شديد ، وكانت السبب لانضمام المستائين الى الثوار ضد الباشا . كما وان سيئى النية قد استغلوا الوضعية بانضمامهم الى الثائرين ، وعليه فان نتائج هاته المصيبة ستكون وخيمة العواقب على البلاد والتجارة ومسببة الحزن للانسانية ، عندما تتآكل النزاعات هذا الشعب وهو فى طريقه الى الدمار .

وعليه فان الممضى أسفله ، يؤمل من حكومة اجنبية ان تبدي رأفتها ومساعدتها ، لحسم هاته البلية بتدخلها لاستتباب الامن ، ومصالحة الاطراف المعنية بالامر .

ان اقتناعى بهذا ، جعلنى لا أرى فى هاته الدولة الاجنبية التى لها حق التدخل غير حكومة جلالة ملك الفرنسيين ، والتى لها اكثر من داع لذلك ، خصوصا منافعها التجارية . وعليه يجب أطفاء هاته النار بسرعة اذا اخذ بنظر الاعتبار ان فرنسا هي صاحبة الجزائر وتوابعها (5) .

ويكون من اللائق لها تطبيق مبادئ الانسانية واظهار مشاعر الوفاء للافارقة ، ولكن ايضا يجب ان تنتهز هاته الفرصة ، لتقدم الدليل المادى على حسن عطفها عليهم ، وان تعرف بسلوكها الحقيقى ، ولتمحو اخيرا الاثر السىء الذى نتج عن سلوك مختلف الولاة ، الذين حكموا الجزائر حتى يومنا هذا (6) .

وللحصول على النفع المؤمل بتدخل حكومة ملك الفرنسيين بطرابلس الغرب ، فان ذلك لا يحتاج الى جيش ولا الى مساعدات مالية ، ولكن الامر

(4) ميكاكى ، نفس المصدر ، ص. 226 ، يعطى لتاريخ الثورة 28 جويلية 1832 .

(5) لاحظ هنا موقف حسونة المؤيد لبقاء الفرنسيين بالجزائر ، اذ مصالحته الشخصية دفعتة الى تبني ذلك ، واظهار مشاعره الطيبة تجاه فرنسا .

(6) اذا كان حسونة من دعاة فرنسا والمؤيدين لانظمتها وعدالتها ، فان ذلك لم يمنعه من التعبير عن استيائه من حكامها فى الجزائر .

يتعلق بسلوك حكيم وانساني . ويتمثل هذا في ارسال اوامر الى احدى قطع الاسطول الفرنسي ، الرابطة بالبحر الابيض المتوسط ، بالالتحاق بطرابلس الغرب ، ومحملة اياه ببرقية ودية وتوفيقية الى الباشا ، ليضع حدا لهاته الحرب الاهلية ، وليساهم في اسعاد نفسه وشعبه ، بخلع نفسه لفائدة ابنه وليس لشخص اجنبى (7) .

ان الباشا بعد تسعة وثلاثين سنة من الحكم ، حيث انت على قوته الاخلاقية والبدنية ، لا يستطيع ان يقوم بعدها ، باعباء الحكم في مثل هذا السن ، وعليه سينتهز الفرصة للتخلص من عبء كان يتحمله بكرب شديد .

ورسالة اخرى توجه الى ابنه على باشا ، لحثه قبول السلطة بعد تخلى والده ، على ان لا يتبع نظام حكم اسلافه للبلاد ، حيث لمس نتائجه السيئة ، بل عليه ان يتخذ النظام الفرنسي قدوة له ، ويكون من اللائق ايضا ان يلزم على قبول مبدأ مشاركته في الحكم وان يؤمن ملكيات الافراد ، ويضمن الحريات الشخصية ؛ هذا اذا اراد حماية وتأييد الحكومة الفرنسية له (8) .

ورسالة ثالثة توجه الى القاضي ورؤساء القبائل المختلفة بالولاية ، وتتناول شرح الاسباب التي دفعت الحكومة الفرنسية ، للتدخل في هذا الحادث ، وانها تهدف من وراء ذلك تخفيف الآلام التي اشجعت الانسانية ، كما وتعمل على تأخي شعوب الشرق بالغرب . واخيرا ، اذا كان الجزائريون قد اساءوا التعبير عن مشاعر الحكومة الفرنسية ، بتفكيرهم ان اختلاف الدين واللغة والعادات يمكن ان تؤثر على مبادئها ، وبالتالي تعمل على تغييرها ، فانهم على خطأ . ومع هذا فان حكومة ملك فرنسا لا يتطرق اليأس الى نفسها ، بتقديم الادلة على حسن عطفها وعدالتها (9) .

**

تبدو هاته الخطوة ، لأول نظرة ، ذات تأثير ضعيف ، وأنها لا تؤدي الى النتائج المؤمل الحصول عليها . ولكن الخبرة التي يملكها ممضى هاته الرسالة ، حول مراكز البلاد واستعداد الشعب لذلك ، ومشاعر الوالى الجديد ، ستؤدي الى نجاح مؤكد والى نتيجة موفقة سواء أكان ذلك بالنسبة لسكان طرابلس الغرب أو فرنسا .

(7) انظر الرسالة رقم ١ والتي حررها حسونة لتكون نموذجا لذلك ص . 300 .

(8) انظر الرسالة رقم ٢ والتي حررها حسونة لتكون نموذجا لذلك ، ص . 300 - 301 .

(9) انظر الرسالة رقم ٣ والتي حررها حسونة لتكون نموذجا لذلك ، ص . 301 - 302 .

ان الحكومة الفرنسية اذا اقدمت على تحقيق ذلك سوف تجنى فوائد كثيرة :

اولا : ستبنى علاقاتها السياسية والتجارية مع طرابلس الغرب .

ثانيا : ستضمن ثقة الطرابلسيين الذين سيعترفون بجميلها دائما حيث ساهمت فى راحتهم كما وستغزو قلوبهم ، اذ هذا الغزو الاخير ، هو الابقى من غيره المتأتى عن قوة السلاح .

ثالثا : سوف تجرى الحكومة الفرنسية محادثات مع كل حكومات أوروبا وشعوب العالم جميعا ، لتأييد تدخلها فى هاته الحرب الاهلية ، وبوضهها حدا لازاقة الدم الانسانى .

رابعا : ستضمن بهاته الوسيلة استرجاع كل الديون التى على الباشا لفرنسا .

خامسا : سوف تزيل رأى الباب العالى وكل الامبراطورية التركية ، من ان الحكومة الفرنسية قد تدخلت فى شؤون اليونان ، مدفوعة فى ذلك بتعصبها ، وأنها بهذا الموقف ايضا ، ما زالت تحتفظ بملكية الجزائر .

سادسا : ان ردود هذا الفعل الاخير ، سوف تلمس ولا شك فى الجزائر ، حيث ستؤدى الى تغيير اراء الشعب وتقدم فكرة صحيحة عن انظمة الحكومة الفرنسية . اذ كما تعلمون ان الشعب الجزائرى لا يعلم شيئا عن النظام الفرنسى ، ولا عن نوايا الحكومة الفرنسية تجاهه .

ان الواجب الاول الذى ستقوم به الحكومة الفرنسية ، هو ان تعمل على خلق تأثير طيب تجاهها لدى الشعوب الافريقية ، باقدامها على تحقيق تلك الخطوة المقترحة . هذا بغض النظر عن الموقف التى اتخذته باحتفاظها بالجزائر أو تركها ، ولكن يجب عليها للحفاظ على منافعها وراحتها ، ان تعمل على كسب تقدير الشعوب التى تعجب بسلوكها النبيل والشريف .

ان المضى اسفله يأمل من حكومة ملك فرنسا ، ان لا تتردد فى تبني هذا الاجراء الانسانى ، ومنحه حمايتها لهاته الشعوب التعيسة .

ان المضى اسفله له شرف انهاء هاته الرسالة بالتعبير عن سامى تقديره ، وتقانيه الصادق تجاه الحكومة الابوية (IO) .

عبدكم المتواضع : حسونة الدغيس

(IO) هل يعد حسونة مبشرا للسياسة الاستعمارية المنة التى لم تطبق الا مع ليوتى (LYAUTY) بالمغرب الاقصى ؟

الرسالة رقم - ١ -

بالرغم من ظهور بعض الخلافات الطفيفة التي أساءت الى علاقات حكومة صاحب الجلالة ملك فرنسا مع ولاية طرابلس الغرب ، الا ان الحكومة الفرنسية التي بذلت مساعيها دائما لتسويتها للحفاظ على علاقاتها مع الولاية المذكورة ، ما زالت تعتقد ان هناك بعض الصعاب الناتجة عن حكم الباشا المطلق ، والذي سبب النزاع مع فرنسا ومع الدول الاوروبية الاخرى .

ان المشاعر الانسانية والنبيلة التي تسيطر الحكومة الفرنسية ، ورغبتها ان ترى كل شعوب انعام سعيدة وآمنة ، والمبادئ التي تميز تلك الحكومة الابوية ، قد جعلها تدرك نتائج هاته الثورة التي اندلعت بطرابلس الغرب ؛ كما انه من العسير علينا ان نرى أميراً في مثل سنه ونسبه يوجد اليوم في وضعية حرجة من طرف شعبه ، بعد ان حكمه تسعة وثلاثين سنه ، مقراً دوماً النظام والرفاهية في مملكته خلال تلك المدة .

ان الحكومة الفرنسية التي لا ترغب اثاراً الاسباب التي ادت الى هذا الاضطراب ، ولا ان تخطأ الى الاطراف ، تكتفى بأن تشير على الباشا بتبني الاصلاح لضمان سعادته وراحته له وشعبه .

يقتضى هذا العلاج ، نصح الباشا بالتخلي عن حقوقه وامتيازاته لفائدة ابنه المحبوب لديه سيدي علي باي ، والذي قدم كثيراً من الادلة عن طاعته وارتباطه البنوي ؛ وبهاته الوسيلة يعين الباشا خلفاً له وهو على قيد الحياة .

ان الحكومة الفرنسية تعد في هاته الوضعية ، منح حمايتها وتأييدها اذا أخذ بالاعتبار نصحتها ، بتغيير نظام الحكم ، بحيث يعامل الامير في المستقبل ، كسائر امراء الدول الاوروبية حسب مبادئ حقوق الانسان .

الرسالة رقم - ب -

ان المشاعر الانسانية التي طبعت بها سياسة الحكومة الفرنسية ، والمصلحة الخاصة التي تتمناها لعائلة القرماني ، تسمح لها ان تحت سيدي علي باي للتخفيف عن أبيه عبء السلطة ، ان يقبل تعيينه كخلف له . ان هذا التعيين سوف يؤدي الى خنق هاته الاضطرابات التي اثارت البلاد ، وسيمنع سيئ القصد ، استغلال هاته الظروف المؤسفة .

ان هذا النظام الذى نوصى به ليس غير تطبيق المبادئ الاساسية التى عرفتها واحترامتها كل شعوب الشرق ، والتى لا تطلب غير تنفيذها . ان هاته القوانين تفرق بين السلط وتعطى الضمانات المشتركة بين الشعب والامير ، ان الحكومة الفرنسية توصى بالحاح ، تأسيس نظام حكم آخر ، غير الذى كان متبعاً حتى اليوم ، حيث كانت نتائجه مشؤومة ، سواء أكان ذلك بالنسبة للامراء او الشعب .

وتساهم فى اسعاد الجميع .

ان الحكومة الفرنسية توصى الامير نسيان الماضى ، وان لا يميز الاشخاص بنزعاتهم وميولهم السياسية ، وخاصة اولئك الذين ساهموا فى ثورة جويلية .

وفى هاته الحالة ، فان الامير يستطيع الاعتماد على مساعدة وحماية الحكومة الفرنسية ، وسيكون محترماً من طرف اوروبا برمتها ، وسيعامل فى المستقبل كحليف لامراء اوروبا والمضاهى لهم .

الرسالة رقم - ت -

ان الحكومة الفرنسية التى علمت بتأثير عميق ، حركة الاضطراب التى سادت طرابلس الغرب ، والسبب الذى أدى الباشا الى استخدام وسائل قاسية ، كان من شأنها ان أثارت الشعب وأدت الى الاعلان عن عدم طاعته للباشا ، ينتهز هاته الفرصة بسرعة ليقدم لشعوب افريقيا ، الدليل القاطع على تبنيه المبادئ الانسانية ، ورغبته اصلاح وضعية هاته الشعوب ، دون ميز للدين الذى يؤمنون به ، ولا للمناطق التى يقطنونها . ولهاته الاسباب اقدمت الحكومة الفرنسية على التدخل فى شؤون طرابلس الغرب ، واستخدام نفوذها للتوفيق بين الاطراف ، حتى يتخلى الباشا لمجلس كبراء البلاد عن السلطة بخلعه نفسه ، وتولية ابنه سيدى على باى . كما وتوصى الامير الشاب للسلوك الذى يجب اتباعه ، لتنفيذ القوانين الاساسية والمؤملة من طرف الجميع .

ان العمل المجدى الذى يمكن ان تقوم به الحكومة الفرنسية ، هو ان تعلن لشعوب افريقيا عن مشاعرنا التى تكنها لها ، ويكون ذلك بواسطة القاضى والمفتيين وكبراء ولاية طرابلس الغرب ، حيث توجه اليهم هاته الرسالة بواسطة قنصل فرنسا هناك ، لتذاع فى كل المساجد .

كما ويجب على الحكومة الفرنسية ان تعلن أنها لا تمنح تأييدها واحترامها الا للذين يدركون قوانينها ، ويناقشون بادراك ماهية ذلك ، ويعملون على اسعاد شعوبهم بكل الوسائل الشريفة .

واذا كان الشعب الجزائري لم يدرك مشاعر الحكومة الفرنسية ، واساء فهم سلوكها بتعصبه واطهار حقه لمنافعها، فان ذلك ليس مرده الحكومة الفرنسية .

ان الحكومة الفرنسية تنتهز كل المناسبات لتأمين هاته الشعوب ، على أنها ستطبق مبادئها التي آمنت بها ، يدفعها فى ذلك ، اسعاد هاته الشعوب ، متجاوزة فى ذلك عن اخلاقها وعاداتها .

ان مثل هذا المسلك الذى ستتبناه الحكومة الفرنسية ، سوف لا يدفعها للحصول على منافع خاصة ، غير التى ستحقق نفعا مشتركا ، ويتمثل ذلك فى التبادل التجارى ، وازدهار الفلاحة والتى ستساعد على انتشار الحضارة الاوروبية بين هاته الشعوب .

ان الحكومة الفرنسية تأمل ان تكلل جهودها بالنجاح ، وان تؤدي هاته ، الى ازالة الحدود التى فصلت اليوم الشعبين ، لتخلق منها شعبين اخوين كما كانا فى السابق .

ان اللغة واللباس ليسا عائقين على تقاربهما ، بل على العكس من ذلك ، ان سلوك الناس هو الذى يميز بعضهم بعضا (II) .

(II) نلاحظ هنا ان اسلوب ولغة حسونة الفرنسيين قد تحسنا كثيرا عن ذى قبل ، ويحق لنا ان نتساءل هل حسونة هو الذى حرر هاته الرسالة بالفرنسية ام لا ؟ لا نستطيع ان نؤكد ذلك ، ولكننا من جهة اخرى ، نلفت الانتباه الى سعة اطلاعه وثقافته ودفاعه عن الحضارة الاوروبية ، وهو الشيء الذى يستحق مزيدا من التأمل .

المدخل إلى الوثيقة رقم 4

استدعى جورج موراي (Georges MURRAY) وزير المستعمرات البريطاني، حسونة الدغيس ، للقدوم على لندن قصد عرض قضيته على المحكمة ، حتى يبت في الاتهام الذي وجهه اليه ، القنصل البريطاني بطرابلس الغرب ورنقن (WARINGTON) والقائل ان حسونة كان وراء اغتيال الماجور لايين والمستحوذ على وثائقه .

وعليه قام حسونة بتقديم عدة تقارير الى وزارة الخارجية البريطانية ، داعيا الحكومة الانكليزية للبت في هاته القضية ؛ غير أن جهوده ذهبت سدى .

وعندما يتس حسونة في الوصول الى قرار تبرئته ، قدم تقريراً مفصلاً الى مجلس العموم البريطاني .

ونظراً لاهمية هاته الوثيقة ، فقد رأينا نشرها ، إذ انها عكست لنا وجهة نظر حسونة الاصلية والتي بقيت مجهولة ، كما وان هاته الوثيقة قدمت لنا عرضاً تاريخياً للحوادث السياسية التي كانت طرابلس الغرب مسرحاً لها فضلاً عن أنها ساعدتنا على استيعاب أبعاد تحليل حسونة للوضع السياسي وقدرته كوزير على عرض المسائل التاريخية .

ع . ت .

الوثيقة رقم 4 (I)

ان رافع هاته المذكرة هو من أقدم وأنبيل العائلات بولاية طرابلس الغرب ، وله الشرف ان يكون قد ارتبط بزواج شرعى من العائلة الحاكمة الآن بهاته السولية .

ان والدى كان لسنوات عديدة رئيس وزراء يوسف باشا قرمانلى ، وقد اظهر خلال فترة حكمه مزيذا من العناية ، كما وقدم بعض الخدمات للرحالين الذين وجهتهم الحكومة البريطانية ، للقيام باكتشافات داخل افريقيا ، دون ان يهدف بذلك ، الحصول على منافع شخصية .

اجتهد والدى خلال فترة حكمه ان يسوس البلاد بكل استقامة ، وعمل على نقل الحضارة الى الشعب . لقد شجعنى والدى على السفر الى اوروبا للاطلاع على حضارتها ، وهى حضارة غير معروفة بالنسبة لبلادنا ؛ وهو مدفوع الى ذلك تحت تأثير وتبجح عائلته ، التى ترى أنه ستعهد الى يوما ما ، مقاليد الحكم بالبلاد .

وبناء على ذلك فقد حدث فى بعض الاحيان ، أننى عندما قفلت راجعا من أوروبا ، رغب الباشا فى تقليدى نفس الوظيفة التى عهدا الى والدى .

واخيرا عندما كنت مقيما بقرطاجنة بالقرب من مدينة تونس ، طلبا للنقاهة ، اتصلت بأمر من الباشا ، يدعونى فيه بالرجوع الى طرابلس لتولى إدارة البلاد ، وكان ذلك فى أواخر سنة 1826 .

(I) 76/37 ، F.O. ، مذكرة الشريف محمد حسونة الدغيس الى مجلس العموم البريطانى ، وقد حررت باللغة الانجليزية ، وفيما يلى ترجمتها . لم نستطع ان نضبط تاريخا لهاته الوثيقة ، غير انه يبدو ، انها كتبت اواخر سنة 1834 أو اوائل السنة التى تليها . انظر الشكل 40 . ص . 308 - 309 .

وآن استلامى مقاليد الحكم والادارة ، كان السيد ورنفثن (WARINGTON) القنصل البريطانى بطرابلس الغرب ، قد تعود على استغلال تأثير ونفوذ وزارة الخارجية البريطانية ، كما وتبنى سلوكا غريبا .

آشتكى الباشا منذ زمن ، من سلوك القنصل الى الحكومة البريطانية ، رافعا لها عن طريق وزارة المستعمرات ، لائحة تضم مجموع شكائاته الى الملك جورج الرابع .

غير انى لاحظت ان الحكومة البريطانية لم تلق أهمية لذلك ، واصبحت اعتقد ان كثرة الشكايات من سلوك القنصل الذميم وتماديه فى ذلك ، كان نتيجة تأييد حكومته له .

لقد سعيت بكل جهدى على تدعيم مصلحة وسلطة الباشا ، وعملت بوسائل شريفة على معارضة خطط القنصل . ان عداوة القنصل البريطانى لى ، والتي كانت نتيجة سلوكى تجاهه وضعف طبع الباشا ، قد عاقت الى حد كبير ، نجاح مجهوداتى .

ان مجلسكم الموقر سيكتشف بالتالى ، ان القنصل قد حاول بواسطة الخداع والطرق المخزية ، ان يحددنى عن الطريق السوى ؛ كما وانه قد نجح فى تشويش الولاية بمؤامراته ، وتسبب فى فقر الولاية بوسائل الابتزاز التى استعملها ، والخط من قيمة الباشا فى نظر رعاياه .

لقد أدت كل هاته الأعمال الى عزلى من مقاليد الحكم .

لقد شجع القنصل الحرب ضد الخلف الشرعى للوالى (2) وما زال يؤيد الثوار ، معارضا فى ذلك اوامر حكومته . أنى أتوقع، كما اذهب الى الاعتقاد الى ذلك ، اباداة تلك العلاقات ، وان عائلتى ستمنع من امكانية التحرى فى سلوك القنصل .

واذا تفضل مجلسكم الموقر ، فانى سأقدم لكم بعض الملاحظات لسلوك القنصل وتأثير جوره المطلق . انى اعرف اعماله السيئة ، وأنى أتمنى بتواضع من المجلس الموقر ، أن لا يستصوب تلك الاعمال .

(2) هو على باشا الابن الاكبر ليوסף باشا قرمانيلى .

لقد ساهمت بفضل تأثيرى على الباشا ، وبطبيب خاطر ، بوضع حد لتلك العادة التى تنص على أخذ أتاوى من مختلف الدول الأوروبية ، او الاستيلاء على بواخرهم فى البحر ، لعدم دفعهم تلك الاتاوى . وأعتقد انى أفلحت فى هذا المسعى .

بيد ان القنصل البريطانى المذكور ، قد حث وشجع على الاستمرار على هاته العادة القديمة ، وأن أقواله قد لعبت دورا حاسما فى تسليح سفن الباشا وتمويلها ، قصد الاستمرار فى القرصنة .

إنى لا أشك فى ذلك ، وأعتقد أن مجلسكم الموقر سيجد فى هذا التحقيق ، ما مفاده ان القنصل قد حقق ربحا ضخما ، بتوفيره هاته الادوات الحربية ، وأنه تمكن من تلك الامتيازات ، نتيجة الاسعار التى بيعت بها تلك الصفقات .

انى اذهب الى الاعتقاد ان حكومات الدول الأوروبية ، قد اشتكت الى الحكومات البريطانية من أعمال قنصلها بطرابلس الغرب ، وتشجيعه على هذا النوع من القرصنة ، وأن تلك الشكايات ، قد رفعت الى وزير الشؤون الخارجية البريطانية .

ان القنصل يمارس نفوذا قويا على شخصية الباشا ، مستغلا فى ذلك ، سلطته الرسمية ، واستخدم ذلك لغايات فاسدة ، وانى على استعداد للتدليل على ذلك لمجلسكم الموقر .

أجبر الباشا من طرف القنصل على التعامل مع مختلف التجار ، ومع القنصل نفسه دون ان يكون الباشا فى حاجة الى عقد صفقات تجارية . وقد تمت تلك العمليات على يد القنصل ، محققا هذا الاخير ربحا ضخما . وأدى ذلك حتما الى اغراق الباشا فى الديون ، وازدياد نفوذ القنصل . ونتيجة لتلك الظروف ولهذا السبب ، كان القنصل قادرا على تهديد الباشا بدفع الديون التى عليه للحكومة البريطانية ، وانه سيرسل الاسطول البحرى لتحقيق هذا الغرض .

لقد تعود القنصل اعلان الحرب ضد الباشا باسم حكومته ، لاسباب وتعلات واهية ، وبارسال الاسطول البحرى من حين لآخر ؛ وقد اضطر الباشا الى الاستسلام ، وبذلك انخفضت منزلته من رعاياه انخفاضا كبيرا ، خصوصا بعد تعدد تصرفات خضوعه للقنصل . وأصبح من الواضح لكل الاشخاص الناقمين عليه ، أن القنصل أصبح يتمتع بسلطة عظيمة اكثر من ملكهم ، وبدأوا يتوددون اليه واضعين انفسهم تحت حمايته .

وإذا تفضل مجلسكم الموقر ، فاني سأقدم مثالا لتصرف لقنصل • ففي 26 سبتمبر 1831 ، أرسل القنصل مذكرة الى الباشا بواسطة ابنه ، طالبا اعادة ثمانية جمال سيقت (3) وخمسين رأس ثور ، قد ارسلت من طرف أحد اتباع عبد الجليل (4) كهدية الى القنصل • وقد احتجزت هاته ، بينما كانت في طريقها الى القنصل •

وقد طالب بها الآن اصحابها الحقيقيون ، اذ قد افتكت منهم غصبا وقهرا ، (ان عبد الجليل هو احد المغامرين الآن ، وهو في حرب مكشوفة ضد الباشا وعلى اتصال بالقنصل) ، وقد رفض الباشا ارسال اى رد على مذكرة القنصل الشفاهية •

وترتب عن ذلك ان وجه القنصل عدة رسائل وقحة الى الباشا ، طالبا منه تسديد ديون الحكومة البريطانية ، ومدعيا كما هو المعتاد منه ، ان دين ما ادعاهم بالمواطنين البريطانيين ، لم يتم تسديده عن طريق المحاكم • وقد رفض الباشا التدخل في هاته القضية •

ونتيجة لذلك ، اعلن القنصل الحرب باسم حكومته ضد الباشا ، وقد أجبر هذا الاخير على الاذعان • وأنا مستعد ن أدلل على ذلك لمجلسكم المحترم •

ان مجلسكم الموقر سيجد في هذا التقرير ، تعود القنصل على ممارسة كل الاساليب الغير القانونية على رعايا الباشا ، وأدى ذلك الى ضرر الحكومة البريطانية ضررا كبيرا •

ان القبائل التي تتألف منها النسبة الكبيرة لرعايا الولاية ، وتدفع الى الباشا بعض الاداءات ، والتي تشكل القسم الهام من واردات الدولة ، قد تأثرت في بعض الاحيان بمبعوثي القنصل الذين كانوا يطالبون الباشا بتخفيض الاداءات ، وكان هؤلاء المبعوثون يعتمدون على حماية القنصل • وقد أتوا الى المدينة باعداد ضخمة ، وتوجهوا الى مبنى قصر الملك وعلى رأسهم القنصل البريطاني ، طالبين الباشا بتخفيض الاداءات •

كان موقف الباشا ضعيفا ، وكانت سلطته تعتمد على الاحترام التلقائي وتعلق شعبه به ، بحيث لا تستطيع اى قوة ان تجبره على الاذعان •

(3) كلمة غير ممكنة القراءة فى النص الانغليزى للوثيقة .

(4) هو زعيم الانتفاضة التى حدثت سنة 1832 بطرابلس الغرب .



The Petition of the Sheriff
Mahammed Hafsuna D'ghies
to the Honorable House of
Commons.

Sheweth

That your Petitioner is of an ancient
and noble Family in the Legation of Tripoli
and has the honor of being nearly related
by marriage to the present Royal Sovereign
of that State

That your Petitioner's father was for
many years the principal Minister of the
late Pacha-Joussouff Caramanli during
which period he showed many attentions -
and did some services to the Travellers sent
by the British Government to make discoveries
in the interior of Africa: for motives entirely
disinterested. His father during his
Administration endeavored to conduct
the affairs of the Government with regularity
and to communicate to the people the
blessings of order and civilization - In

Mh. D'ghies

غير ان الباشا فى مثل هاته المناسبات ، كان مجبورا على قبول طلب القنصل ، بتوقيع وثيقة تخفيض الضريبة .

وقد انخفضت ، نتيجة لذلك ، واردات الباشا انخفاضاً كبيراً ، واصبح غير قادر على رفع ذلك النقص ؛ وعليه فقد سقطت تلك الضريبة على بعض الاشخاص ، وفرضت جبراً على البعض الآخرين .

ان هؤلاء الآخرين الذين ارهقوا بالضرائب ولا يتمتعون بكفالة القنصل البريطانى ، قد اجبروا على مغادرة اراضيهم والتجأوا الى المسالك الفاسدة .

وبمثل هاته الطرق تضاعلت سلطة وواردات الباشا بدرجة كبيرة ، وقد اغتاظت رعاياه لذلك ، واختل امن الولاية بحيث ان عدة نواحى قد اعلنت الثورة ، واصبح أمن وسلامة الممتلكات الشخصية فى خطر كبير .

وبالاضافة الى ذلك ، فان مجلسكم الموقر سيجد ان القنصل ، قد تعود منح حماية العلم البريطانى لعدة اشخاص لا يحملون الجنسية البريطانية ، وان عدة آخرين مقدوح فيهم ، يعدون ضمن لائحة المواطنين البريطانيين . ان هاته الاجراءات قد صيرت كل المصالح العدلية بطرابلس الغرب ملتسبة ، كما وان القنصل قد ادعى حق التدخل فى قرارات المحكمة العدلية التى تصدرها ضد الهمج ، الذين اساءوا الى رعايا الباشا .

ان عدة اشخاص آخرين ، هم من رعايا الباشا ، غير أنهم يعدون ضمن اللائحة البريطانية . وقد استثنوا من سلطة الباشا الشرعية .

سأشرح الى مجلسكم الموقر ، كيف ان القنصل بتبنيه التدليس واساءة الاستعمال فى أعماله ، قد استخدم بعض العملاء والمواطنين لذلك ، كما وارثكب كثيراً من الاعمال الشائنة تحت ستار اولئك الاشخاص ، الذين كانوا يتعاونون معه فى اخذ الضرائب من التجار الاجانب قصد نهب الباشا ورعاياه ، وهم بذلك قد شوشوا الولاية لاجل مصلحتهم الشخصية .

وفى تلك الظروف وقع تعيينى وزيرا .

ان شؤون القنصلية البريطانية وعدداً آخر من القنصليات ، كانت تدار من طرف ورنفثن . ان عبدكم يعتقد ان شؤون القناصل يمكن أن تساس بأمانة لو كان يشرف عليها اشخاص آخرون ، يوفدون من طرف الدول الكبرى .

كان القنصل البريطاني يتخاصم دوما مع بقية القناصل الاوروبيين سرا وعلانية ، ويعمل على تمثيلهم فى الشؤون المتعلقة بحكوماتهم ، بما يستعمله من مؤامرات . وقد أدى ذلك الى فقدان مراكز بعض القناصل . اما البعض الآخر فقد ادخل على انفسهم الرعب ، بحيث أصبحت مراقبتهم سهلة على الدوام . غير ان قناصل الدول الكبرى مثل فرنسا وهولندا واسبانيا ، قد استثنوا من ذلك .

لقد حاولت مساندة الحق ومعارضة ما أعتقد بطلانه من سلوك القنصل البريطاني . انى اذهب الى الاعتقاد ان الاسباب التى دفعتنى الى ذلك وطبيعة سلوكى تجاه القنصل ، قد شوهدت من طرف هذا الاخير لدى حكومته .

اننى على علم ان شخصى قد قدح فيه لدى وزير الخارجية البريطانية السابق السيد كانين (CANNING) ، باعتبارى أعمل ضد مصالح بريطانيا العظمى ، غير أنى أؤكد أن تمثيلى بهاته الصورة ، هو فى الحقيقة كذب وزور ؛ ذلك أنى عملت فقط على اعاقه المصالح الشخصية للقنصل البريطانى ولاسباب معلومة .

إن كراهية القنصل البريطانى لشخصى قد تفاقمت الى درجة كبيرة ، بالملابسات التى تلت ذلك .

ذلك أن الباشا قد اقترح عليه ، وبالتأكيد لم أكن مصدر ذلك ، أن يطلب هدية من حكومة الصقليتين ، خصوصا وأن هاته الاخيرة قد أوفدت هديتها الى باى تونس ؛ غير ان حكومة نابولتان قد أرسلت على حين غفلة ، فصيلة من اسطولها البحرى لغرض عدائى مكشوف ، وقد عينت من طرف الباشا لعقد معاهدة مع قائد فصيلة الاسطول دون كرافا (Don CARAFFA) .

وبناء على ذلك توصلت الى تسوية المسألة بدون مشاكل ، عندما تفاهمنا على بنود المعاهدة . وقد أبدى دون كرافا ارتياحه لذلك ، وسر سرورا كبيرا للنتيجة التى توصلنا اليها (5) .

وقد استدعيت الاميرال وضباطه لقنصلية بلاده ووعدتهم بازسال الاحصنة الى المكان الذى يرغب فيه الاميرال .

(5) ان تفاصيل هاته الحوادث قد ذكرت باوجه مختلفة، ورواية حسنة تختلف تماما عما هو معروف . راجع ، ميكاكى ، نفس المصدر ، ص . 195 - 199 ، وكذلك فيرو ، نفس المصدر ، ص . 339 - 340 .

غير ان القنصل البريطاني الذي كان حاضرا في ذلك الاجتماع ، قد سحب دون كرافا ، وتحادث معه على انفراد . وبعد ذلك بقليل ، تقدم اى دون كرافا قائلا : « انه لا يرغب فى عقد الصلح حسب الشروط المنصوص عليها وانه سيعلمن الحرب اذا لم اغير بعض بنود المعاهدة » .

وقد رددت عليه : « بانى اسف جدا أن أرى دون كرافا يتبنى هذا التصرف تحت تأثير نصائح الآخرين له ، وان القوة ستجابه بالقوة ان لزم الامر ، وان هذا الكلام سيكون له مفعوله » .

انى مستعد ان أقدم الدليل على ذلك لمجلسكم الموقر ، وانه لا يشك ان دون كرافا قد حثه القنصل البريطاني على قذف المدينة ، وقد اذعن لطلبه .

يمثل هذا التصرف نقض صريح للقانون الوطنى وللشرف وللانسانية ، عندما عمل القنصل البريطاني على نكث معاهدة الصلح ، متسببا فى اعلان الحرب على الباشا ، مع العلم انه مفوض من طرف دولة لا تعتبر فى حلف ووافق مع الباشا .

وعليه فقد اعطيت اوامرى للمقاومة ، وصدت فصيلة الاسطول النابولتان تحت وابل القنابل النارية ، بحيث ترتب عن ذلك رجوع الاسطول الى نابولى .

وقد اخبرت ، مع اعتقادى بذلك ، ان دون كرافا قد امثل امام المحكمة العسكرية عندما وصل الى نابولى ، وأنه اعتذر عن فعلته مدعيا انه اتبع وصية القنصل البريطاني . كما انى اذهب الى الاعتقاد ان مجلس الصقليتين قد رفع شكوى الى الحكومة البريطانية لسلوك السيد ورنفتن فى هذا الحادث ، وان تلك الشكوى هى الآن تحت نظر وزارة الخارجية البريطانية .

وبالنهاية تم عقد الصلح بين ملك نابولى وجلالة باشا طرابلس الغرب ، بتدخل القنصل الفرنسى ولم يكن للسيد ورنفتن يد فيه .

انى اعتقد اعتقادا راسخا ان نتيجة هاته القضية قد هيجت طبع القنصل الحقود ضدى ، ذلك لأنى كنت حائلا بينه وبين تصرفاته ، وانه لم يعد يقدر على اقتراف الفساد واتباع سياسة الترهيب . وعليه فقد تدبر القنصل خطة هلاكي والقضاء على .

ومن ذلك الوقت ، بدأ القنصل البريطاني يدعى انى كنت السبب فى اخفاق حملة الماجور لاين هادفا بهاته الوسيلة ، جلب سخط الحكومة البريطانية على ، وكسب الحجة لاجبار الباشا على اقالتي ، وبالتالي للعمل على قتلى .

وعندما بلغتني الشائعات والروايات التي روجها السيد ورنفتن في شنتي ، ومع ايماني ببراءتي التامة واطلاعي على خبث أقواله ، أرسلت اليه مذكرة بواسطة قنصل هولندا ، طالبا منه شرح ذلك الاجراء ، وای نتيجة يود ان يتحصل عليها ؟

لقد تحدثت اقوال السيد ورنفتن ، بحضور جلالة الباشا ، عندما فندت اتهمه ، كما وقد عرضت عليه الذهاب معا الى لندن ، ورفع القضية الى الحكومة البريطانية لتتخذ قرارها في ذلك .

الا ان القنصل رفض اعطاء اي رد واضح ، هذا من جهة ومن جهة اخرى ، ألح على الباشا اتخاذ اجراء تأديبي وسريع ضد شخصي .

لقد ادعى القنصل اني كنت السبب في اغتيال الماجور لاين ، واني بعت وثائقه الى القنصل الفرنسي ، مقابل مبلغ مالي . وأؤكد لكم ان هذا الاتهام من القصص الخيالية البحتة .

ونظرا لكبر سن الباشا ، وضعف طبعه ، فقد هدده القنصل بانتقام الحكومة البريطانية . وقد خاف الباشا خوفا شديدا وتحير ، مع علمه ببرائتي التامة ثم بأقوال القنصل الحقود ، والظغينة التي كان يكنها لي ولقنصل فرنسا على السواء .

وازاء هذا المأزق ، فان الباشا لم يكن يعلم الى أي تطرف قد ساقه القنصل ، حتى يضطهدني هذا الاخير . كما وأن الباشا قد وجد نفسه عاجزا عن حمايتي ، غير أنه كان يعتبر أن أسلم آجرا ينصحنى به ، هو مغادرتي طرابلس الغرب (6) ، وبالنتيجة فان القنصل سيكف عن مضايقتي واضطهادي .

وعليه تكفل الباشا بالتجاني الى باخرة امريكية ، كانت راسية في الميناء ، ومن الغد أرسلني الباشا ، أنا خادمه الشخصي ، الى الباخرة صحية أوراقي وبعض الضروريات ، ووفد يتألف من ضابطيه الرئيسيين ، ليعلمني عن أسفه للاحداث التي جرت . وكان ذلك بمحضر عدد من الضباط الامريكيين . وقد رست بي الباخرة بمدينة ماهن (Mahon) باسبانيا .

(6) ان الظروف التي غادر فيها حسونة طرابلس تبين حسب الروايات الغربية ان الباشا الذي حقد عليه في تلك الايام قد جد في العثور عليه ، ولم ينصحه بمغادرة طرابلس الغرب . ورواية حسونة حول ظروف هروبه ، تضاف الى ملف هاته القضية الشائكة !

اعلم مجلسكم الموقر ، انه بالرغم من مغادرتي البلاد ، فان السيد ورنفثن ما فتىء يضايق الباشا ، كما ووجد فرارى من قبضته ، سيمكننى من جلب عطف أصدقائى بأوروبا لقضيتى •

ان هجومات القنصل ستعرض بطرق اخرى ، ليبرر سلوكه تجاهى من جهة ، ومن جهة اخرى ، ليعيق مسعاى فى اوروبا ، وليجبرنى على الرجوع الى الولاية لأقع فريسة لمكائده •

لقد انزل السيد ورنفثن علم بلاده ، واعلن الحرب باسم حكومته ضد الباشا ، مدعيا ان جلالة الباشا يمكن ان يكون فى حوزته ، وثائق الماجور لاين ، مهددا اياه فى نفس الوقت بانتقام الحكومة الانقليزية منه •

وعندما رأى الباشا مهاجمته من طرف القنصل ، وان هذا الاخير كان مصمما على انعثور على فريسته ، أجبر الباشا لمد يد المساعدة لورنفثن فى تدبير المكيدة التى كانت تديننى ، معلنين انى تحصلت على وثائق الماجور لاين وإنى بعثتها الى قنصل فرنسا •

انى على حق عندما أشتكى من وسائل العنف التى ارتكبت ضد اخى محمد الدغيس ، بتحريض من السيد ورنفثن ، ومن متابعة المكيدة للحصول على بيانات ملفقة ضد شخصى •

ان اول محاولة تمت بواسطة التهديد ، كانت للحصول على تصريح خطى من أخى محمد ، يثبت أنى أملك وثائق الماجور لاين • وقد امتنع أخى بكل تأكيد عن الادلاء بمثل هذا التصريح • غير ان تصريحى ملفقا قد احضر من ذى قبل ، واجبر أخى محمد بالعنف على امضائه ؛ الا انه بعد ذلك أعلن للجميع انكاره التصريح المذكور •

أرسل الباشا الى أخى محمد عاتبا اياه ، انكاره ما صرح به الباشا نفسه ؛ وعليه فان الباشا يرغب على اية حال ، ان يؤكد ما أملى عليه ؛ كما ويأسف كثيرا الى اتخاذ هذا الاجراء الذى اجبره عليه القنصل •

طوق الجنود اثر ذلك منزل محمد الدغيس ، وأجبر على امضاء بعض الوثائق ، ثم احضر بعد ذلك ، الى دار القنصل ، حيث استعمل معه وسائل التهديد ، وأنه سيجلب سخط الباشا عليه اذا لم يجب بالايجاب وبحضور عدة قناصل ، على سلسلة من الاسئلة التى أعدت لهذا الغرض من ذى قبل •

غير ان محمد الدغيس بعد عمليات العنف التي تعرض لها ، سجل فى
الحين احتجاجه وعدم موافقته على تصريحاته ، وكان ذلك بدار القنصلية
الفرنسية (7) .

وفى مثل ظروف التحقيق هاته ، فانى مستعد ان أدلى بتفاصيل كثيرة .

ان عددا من سكان مدينة غدامس ، قد وصلوا بعد ذلك الى طرابلس الغرب
من مداخل البلاد ، وأجبروا بالقوة على الادلاء ببيانات لايقاعى ، مدعين أن
وثائق الماجور لاين كانت قد وقعت فى حوزتى ، وانى مستعد أن أدلل على ذلك
لو يخول لى اجراء تحقيق فى المسألة .

ويتبين من هذا أنه لا توجد بيانات كافية ضدى ، على الرغم من الوسائل
التي اتخذت لذلك . ولهذا فقد اقترح الحصول على بيانات من زروق ، موزع
البريد ، الذى ادعى انه سلمنى وثائق الماجور لاين .

إنه صحيح وجود رجل كان موزعا للبريد ، يعرفنى جيدا ، نظرا للخدمات
التي كان يؤديها لى . ولكى يشخص هذا البريدى فقد جئى برجل ما ، من
مكان قاص ومن قبيلة مشينة وأمر بتقديمه ، وقد حلف هذا المدعى انه
سلمنى وثائق الماجور لاين . وعلى هذا الاساس ، اذا أخذتم بنظر الاعتبار
الاقتراحات التي أعرضها عليكم ، فانى اطلب منكم التحقق فى هذا الشخص
بترابلس الغرب ، أمام كل القناصل وأن تحضروه الى آنقلترا .

انى اعتقد يقينا ، ان السيد ورنفتن مدرك تماما لتدليس والاحتيال والجرم
الذى اتخذه للحصول على بيانات ملفقة ضدى ، وانا مستعد ان اثبت بالدليل
ان القنصل قد رشا الآن خمدى لاتهامى كذبا .

ان القنصل يستطيع فقط ان يعلل سلوكه لحكومته تجاهى بشرح البيانات
المتأنية عن اجرامه . ان تقريره المذكور قد عزز بعدد كبير من الاكاذيب
الموضوعة ، ولكل ما يمت الى بصلة ، فان مضمونه قد اذيع مع علمى يقينا ،
ان ذلك قد تم بمصادقة ورضى بعض الاشخاص العاملين بوزارة المستعمرات
البريطانية . وقد ظهر ذلك فى المجلة الفصلية لمارس 1830 .

ان المقال السابق الذكر فى المجلة المذكورة ، يمكن ان يعد على اية حال ،

(7) راجع الوثيقة رقم I ص . 277 - 290 . والتي فصلت كل هاته الحوادث مستندة الى الوثائق
الفرنسية والانجليزية . كما أننا نلاحظ أن رواية حسونة هنا لامجال للقدح فيها ، اذ عكست
حقيقة ما جرى .

تقريراً رسمياً للأسباب التي حملت وزارة المستعمرات على تأييد سلوك قنصلها في هاته العملية المخزية .

ان كلا الفريقين ، سعى الى اثبات ان بعثة الماجور لاين لم تفشل بسبب التدابير السيئة التي استند عليها الواقع ، ولكن عندما نسبت الى شخصي ، على الرغم من أن ذلك لا يمت الى بصلة .

وبالنظر الى هذا الرأي ، فقد ذكر السبب الذي يذهب الى الاعتقاد ، اني كنت السبب في موت الماجور لاين ، والمستحوذ على وثائقه ، وان كل الاشخاص الذين شاركوا في البعثة الاستكشافية ، هم أصدقائي .

ان كلا الرأيين هو محض الزور والخطأ والخبث ، وان القنصل البريطاني الذي كان مصدر تلك الاخبار ، على علم تام بذلك .

عندما وصلت الى طرابلس الغرب لاستلم مقاليد الحكم ، كانت بعثة الماجور لاين الاستكشافية قد سارت منذ اشهر عديدة ؛ وبالنسبة فاني لم أعين الاشخاص الذين رافقوا البعثة ، ذلك لاني في الحقيقة ، لم أستفسر في الامر ، ولا أن أولئك الاشخاص ، كما يدعى القنصل ، هم أصدقائي ، اذ لا أعرف أحدا منهم ، ما عدا الرئيس باباني الذي كانت تربطني به معرفة بسيطة .

لقد ادعى في المقال الصادر عن المجلة المذكورة ، ان باباني قد تعين لمرافقة البعثة بايعاز مني ، وانه كان خائناً ، وأن الماجور لاين قد اكتشف خيانتة .

اني أعتقد ان كل هاته الادعاءات ليست من الحقيقة في شيء ؛ ذلك انه بالرجوع الى الروايات الرسمية التي وصلت اليها ، تذكر ان باباني قد توفي اثر الاصابات التي لحقت به ، وهو يدافع عن الماجور لاين .

لقد ذكر في المقال السابق ، اني عينت شخصين ليعملا على تحريض اغتيال الماجور لاين بمبكتو ، والحقيقة لم أعين أحدا ، ولا كان لدى ، على الاقل ، علم بذلك .

لا أذهب الى الاعتقاد ، أن الماجور لاين قد وقعت خيانتة من طرف أشخاص غير قاتليه ، وبالتأكيد لم يتم ذلك على يد الشخصين المذكورين ؛ ذلك انه بالرجوع الى معلوماتي ، أن أحدهما لم يكن أبدا قريبا ولا كان داخل خط الاستواء بدرجات لمدينة بمبكتو ؛ اما الثاني فحسب ما أعتقد هو رجل ثقة وهو السيد عبد القادر ، الذي نقل الى طرابلس الغرب ، ظروف الرواية التي حفت بموت الماجور لاين . وقد أقام هناك مدة طويلة رابطا العلاقات مع القنصل البريطاني .

ومع ذلك فان هذا الاخير لم يشك مطلقا فى نزاهة وأمانة روايات عبد القادر ، ولا أثير اى شك أو تلميح لخيانته للماجور لاين ، أو تحصل على وثائقه وسلمها الى القنصل .

ادعى القنصل بعد ذلك ، أنه يؤمل الحصول على وثائق اخرى من عبد القادر ، وأن هذا الاخير قد وجهها الى من غدامس . ولو كان هذا صحيحا أو مشكوكا فيه ، لأمكن إيقاف عبد القادر ، والتحقق من المسألة بطرابلس الغرب .

ان سلوك القنصل الغريب هذا هو الدليل على انه كان مصدر كل الاتهامات ، كما سبق لنا شرحه ، وأنه دبر تلك المكيدة ، موفيا بأغراضه الشريرة .

أما فيما يخص اتهامى ببيع الوثائق المذكورة الى القنصل الفرنسى ، فانه من الواضح ان مثل تلك الصفقات لم تتم مطلقا ، وهذا مما أثبتته اللجنة التى شكلتها الحكومة الفرنسية بطرابلس الغرب (8) .

ان هذا الاتهام الذى رماني به القنصل قد تحول ايضا ضد القنصل الفرنسى ؛ وبالرجوع الى تقرير اللجنة الفرنسية للقضية فان براءتى كانت واضحة ؛ وهذا ما اكده وشهد لى به ، وزير الخارجية الفرنسى السيد سيبستيانى (SEBASTIANI) وأنا مستعد ان اثبت ذلك الى مجلسكم الموقر (9) ، وبالإضافة الى ذلك فانا على استعداد لبيان اى الصفقات التى تمت بينى وبين القنصل الفرنسى قبل ظهور هاته الوشاية .

(8) راجع تقرير اللجنة الفرنسية الكامل منشورا اعلاد وهى الوثيقة رقم I ص 290 - 277 .
(9) 76/36:F.O. : فيما يلى نص رسالة الوزير الفرنسى للشؤون الخارجية الى حسونة الدغيس ، مترجمة عن الفرنسية ، وهى بتاريخ 9 ماي 1831 :

« أرى من الرسالة التى تفضلتم بإيفادها الى بتاريخ 16 من الشهر الماضى ، ان ردى على الرسالة التى ارسلتموها الى سابقا ، لم يقر لديكم ، بصفة نهائية ، تبرئتم . تلك التبرئة التى تودون رفعها الى الحكومة الانجليزية لتبرير موقفكم من هاته القضية ؛ كما وأنكم ترغبون فى الحصول على ملخص من التقرير الذى رفع الى الحكومة الفرنسية والتى وضعت اللجنة التى كلفت بالتحقيق فى الاتهامات الموجهة ضد السيد روسو ، القنصل العام بطرابلس الغرب . ان رئيس اللجنة السيد البارون مونيى (Le Baron Mounier) ، الذى بواسطته ، قد استلمت طلبكم الجديد ، يذكرنى أنه على الرغم من أن أعضاء اللجنة لم يكلفوا مباشرة ، بدرس قضيتكم ، ولا هم مجبورون بالنتيجة ، على الادلاء برأى نهائى فيما يخصكم ، فانه يستنتج من المناقشة التى أجرتها اللجنة فيما بينها ، أن وثائق الماجور لاين لم تقع فى أيديكم وأنكم كنتم ضحية اتهام باطل .

ذلك هو الرأى الذى استخلصته من تقرير اللجنة ، مع العلم أن نصا كاملا من هذا التقرير قد سلمته الحكومة الفرنسية ، الى حكومة جلالة ملكة بريطانيا ، وعليه لا أجد صعوبة فى تسليمكم ملخص التقرير المذكور » .

لقد تصنعت الحكومة الانجليزية جهلها ، استلام تقرير اللجنة الفرنسية ، والذى يؤكد بصورة لا مجال للشك فيه ، براءة حسونة الدغيس !!

لا أساس من الصحة لوشايات ورنفتن ضدى ، وأن لا تفسير لذلك غير حقه وخبثه ، اذ لا دوافع ولا منافع ولا رغبة لى ، فى المجازفة بشرونى وسمعة مركزى ، باقتراف مثل تلك الجنايات ، وأن نجاح تلك الاعمال سيؤدى حتما الى خسارتى .

أن هدف حياتى الوحيد ، من حكمى للبلاد ، كان العمل على تشجيع حرية التجارة وبث الحضارة بين المواطنين لنخلق منهم مجتمعا أفضل وأنبل . وهذا فى اطار الوظيفة والمسؤولية التى عهدت الى .

لم يجرؤ أحد على الحاق شرفى بأى تهمة قبل السيد ورنفتن ، الذى كانت له مقاصد وأغراض شخصية .

يوجد عدد كبير من الناس بلندن هم على استعداد لتقديم شهادتهم بأمانتى ونزاهتى ؛ وأعتقد أن القنصل يعلم أن لى أصدقاء بانفلقرا وأنه بالنتيجة لا يرغب فى تحولى الى هناك ، لغرض اعاقتى .

إن القنصل قطع وسائل رزقى لييجرنى على الرجوع الى طرابلس الغرب ، مجردا من أى نفوذ . وقد لام بشدة أخى وعدة اشخاص آخرين لتسليمهم الى بعض المال ، مكافئة على عملهم الانسانى . كما وألح بهمجية على مصادرة أملكهم . وأنا مستعد أن أبين أن تلك المصادرة قد تمت بالوسيلة التى ذكرتها آنفا ، وبرغبة ورنفتن .

ان تأثير تلك المصادرة أدت إلى ضياع تلك الموارد وهلاكها تماما؛ وأنا انتظر تدخل المورد فودريك (Lord GODERICH) وسوف أكون ممتنا اذا أظهر سيادة الوزير قرار عدله فى هاته القضية ؛ وحتى الآن لم يجرؤ أحد على شراء أراضى أو منازل الموجودة ، خشية مصادرتها مرة ثانية ، نتيجة طبيعة انفصل البريطانى الشاذة .

لقد أخبرت ان الثورة والتمرد قد اندلعت بطرابلس الغرب ؛ وفى تلك الوضعية ، من هو الرجل الذى بفضل سلوكه النبيل ، عمل على تغيير ظروف بلاده متخذاً القانون رائدا له تارة ، وطورا ، سلوكه الشريف ليقوم على تجريدى من حقوقى فى خدمة ملكى ؟ غير ان هذا قد تم على يد وكيل الحكومة البريطانية الجاهل والمفسد .

لقد عمل القنصل البريطاني على تهجيرى من بلادى وعائلتى ؛ وأدى ذلك الى ضياع ثروتى وصحتى . وقد حاولت ، ولكن بدون جدوى ، المطالبة باهتمام عادل من وزارة المستعمرات البريطانية لهاته اوضاعىة .

لقد اتصلت بمكاتبة من وزير المستعمرات البريطانىة السيد جورج موراي (Georges MURRAY) عندما كنت مقيما بفاس بالمغرب الاقصى . وقد دعانى على القدوم الى انقلترا للدفاع عن سمعتى من هاته الوصمات الحمقاء ، والتى ما فتىء القنصل البريطانى ينسبها الى .

ولما وصلت الى انقلترا ، وجدت أن السيد جورج موراي قد أقيـل من منصبه كوزير . وعليه تقدمت اثرها الى وزارة المستعمرات لأبسط عليها كل التفصيل ، التى أمكننى الحصول عليها حول بعثة الماجور لايـن الاستكشافية ، مدلا على براءتى من الاتهامات التى لحقتنى .

وبناء على ذلك عرضت على وزير المستعمرات كل المعلومات التى تحصلت عنـها ، بمشقة كبيرة ، مبررا سلوكى فى هاته القضية ، وملقيا الضوء على سلوك السيد ورنقثن الذى هو أصل المشاكل .

وقد بينت أنه من غير التروى ، أن يتهم القنصل باكثر ما يمكن ان يجنبه اعتذاره .

الا ان وزارة المستعمرات لم تلق اى اهتمام لمذكرتى ، وأصبح من العسير ، على الأقل ، انصافى من المظالم التى لحقت شرفى وثروتى فى بلادى ، هذا البلد الذى أصبح الآن موصوما بهاته البلية .

ومنذ ذلك الوقت ، اتخذ القنصل من عرض المذكرة ، السبب فى إثارة العصيان والحرب الاهلية بولاية طرابلس الغرب ؛ هادفا بذلك كما اعتقد ، هلاك أفراد عائلتى وأصدقائى ، بما فيهم صهرى الباشا ، وليقيم مكان هذا الاخير على العرش ، مغامر يسانده بعض الاعراب الهمج . والقنصل بهذا يعمل على خلق سلطة عسكرية مطلقة ، ليحول بها كل الاشخاص الشرفاء على الاقامة بطرابلس الغرب .

ان هذا الاجراء من شأنه أن يبيد كل معالم الحضارة فى هذا الساحل ، وفى البلاد المتاخمة لافريقيا . وبلاستناد الى هاته التحقيقات فانى أرفع الى نظر مجلسكم الموقر الحقائق التالية ، مع ملاحظة أنى مستعد ان أدلل على صحتها .

ان القنصل كان على علم منذ زمن بعيد ، ان يوسف باشا قرمانلى قد أدقع ، وان صكوكه وتذاكره المالية ، قد انخفضت قيمتها انخفاضاً كبيراً . وادعى القنصل خلال ربيع 1832 ، أنه مقتنع ومتأكد أن الباشا يملك خزانة مالية كبيرة ، مع علمه بطلان ذلك . وعليه طالب القنصل الباشا ، بتسديد ديونه بالقوة ؛ ونتيجة لذلك كتب الى حكومته ملتمساً ارسال قوة بحرية كبيرة لهذا الغرض .

وبعد فترة زمنية ، وصل ربان السفينتين دنداس (DUNDAS) وثرأى (GREY) على رسه باخرتين ، وطالبا الباشا تسديد ديونه البالغ قيمتها 230.000 دولار ، باسم الحكومة البريطانية ، على أن يسدد ذلك خلال 48 ساعة .

لقد حدد القنصل ذلك المبلغ ، على أنه مطالب من طرف الحكومة البريطانية . وقد أكد ذلك رؤساء الربان البريطانيون ، ليكسوه صبغة شرعية .

غير أنه بعد وصول الباخرتين بقليل ، رفض الباشا امضاء شهادة تثبت انه مدان للحكومة البريطانية بما قيمته 161.000 دولار ، وحدد ذلك بـ 140.000 دولار وختمها بمهره .

وفى هاته اللائحة الاخيرة ، كان يوجد عدد كبير من المطالبين بديونهم ، وهم ليسوا بمواطنين بريطانيين ، وكان ينبغي عدم انضمامهم الى تلك اللائحة .

وقبل وصول الاسطول البحرى ، كان الباشا قد سدد قسماً كبيراً من مبلغ 140.000 دولار ؛ غير ان طلباً آخر قد رفع اليه بما قيمته 230.000 دولار ، وانذر ان المدينة ستعرض الى الهجوم ، اذا لم يسدد ذلك المبلغ خلال 48 ساعة .

تضايق الباشا من اجل ذلك مضايقة شديدة ؛ وقد علم اهل طرابلس الغرب باستحالة دفع المبلغ المطلوب ، وانهم سيجابهون هذا الابتزاز بكل خوف . واتقاء لقذف المدينة ، وتفاديا لوسائل العنف ، سعى الباشا بجمع 100.000 دولار ، وهو مبلغ اكثر بكثير من الدين الذى عليه . وقد تعهد كثير من الناس تسليم قيمة محاصيلهم المقبلة ، حتى يجنبوا خراب منازلهم وهلاك عائلاتهم .

لقد اقترح فرض جباية على بعض القبائل المرابطة ؛ غير ان الباشا احتج ، ولكن بدون جدوى ، اتخاذ هذا الاجراء ، معتقدا ان ذلك سيؤدى الى الثورة .

ان الطلبات التى بت فيها نهائيا ، وكذلك طلبات بعض الوكلاء الدائنين ، لم يكن لينظر فيها مرة اخرى .

لقد جمع الباشا كل ادوات مائدته الذهبية وبعض الاشياء الثمينة الاخرى ، كما واقترض من أناس آخرين ، ليتمكن من الحصول على مبلغ ضخم يدفع الى وكيل القنصل البريطانى لتصفية ديونه . وحسب اعتقادى أن تلك المبالغ لم تدفع الى أصحابها ؛ وعلى الرغم من ذلك ، أنزل العلم البريطانى وانسلعت فجارة الثورة .

ان سبب هذا العصيان ، مأتاه فرض الجباية على القبائل . وقد تحول ذلك الاجراء الى مقاومة الباشا كما ذكرت سابقاً ، ولم يقع تنفيذه مطلقاً . وعليه خلع الباشا وخلفه على ، ابنه الاكبر والشرعى ، الذى بويع على رؤوس الملا . وقد استدعى هذا الاخير كل القناصل الاوروبيين لقبول حمايته كما وترجى منهم تأييد حكوماتهم له .

لقد لى كل القناصل دعوة الباشا الجديد ، ما عدا السيد ورنثتن ، الذى على العكس من ذلك ، قد انضم الى الثوار ولازمهم كل أوقاته فى معسكراتهم وقلاعهم ، مقدما لهم نصائحه ومحرضا إياهم على العصيان ومسهلا لهم العمل، بما وفره لهم من أدوات الحرب ، كما وانه اعلم الحكومة البريطانية ، أن طرابلس الغرب سوف تسقط بسرعة فى يد الثوار .

وحتى يومنا هذا ، أعلم ان القنصل ما زال ملازما الثوار ، وهو فى هذا مخالف أوامر حكومته . وقد أمدهم بكل انواع الاعانة ، وهو فى مثل هاته الظروف ، الشخص الوحيد الذى وعدهم بالنصر والنجاح ، كما ويعمل فى نفس الوقت على إعاقة على باشا ، على استتباب الامن بالولاية .

انى آمل من مجلسكم الموقر أن يمنح تأييده لى ، لكل ما ذكرته من تصرفات القنصل ، وأن ينظر بعين الشفقة لحالة دولة طرابلس الغرب ، والى آلامى انشخصية ، وأن يجد علاجاً لذلك ، كما هو مؤمل تحقيق وتلبية ذلك .

محمد حسونة الدغيس

الوثيقة رقم 5 (1)

هذا والمنهى الى المولى دام فضله وعم الانام وبله ، هو أن اكثر حرصه عبده مظهر أفندى على تأسيس الجرنال (2) الفرنساوى مخابرة أهالى الاوروبة وجلب جرنالاتهم (3) للاعتاب العلية ، حاصل له من أوجه لا تخفى على علم السيادة ومعدن الجود والافادة ، او الاقرار بالنعمة التى اولتها له الدولة العلية والسلطة الزكية والعز الذى طوقته به ، وأداء لما يجب لها من الحقوق على كل مسلم ، من تبليغ نصحه للمسلمين ، وأولى الناس بذلك (كذا) خلفاء الله فى أرضه ، الثقائون بسنته وفرضه .

ثانيا : لما رأى من اقبال الوقت وامكان مساعدة الاقدار ، فى جلب أهالى الاوروبة ، بهاته الطريقة ، حتى يتبين لهم ما عليه الدولة العلية المطهرة الزكية من الحقيقة ، وتنشبت بأذيالها وتطرح ما كانت راغبة من الميل للملحد المخالف ، وبذلك (كذا) يتيسر الطريق ويسهل الوصول لمرجع الديار الشامية بطريق المعاطات والمحاربة المعنوية الحسية (4) ، وتوقيف الباغى عند حدوده ، وتضعيف قواه . وهذا كله راجع الى السلطنة الخاقانية وخليفة رسول الله عليه افضل الصلاة وأزكى التحية . ويندرج ايضا ذلك (كذا) ترجيع الجزائر واستنقاذها من يد العدو الكافر ، خصوصا عندما وقعت له الهزيمة العظيمة ومد الله الاسلام بتأييده ونصره (5) .

(1) B.A. 52522؛ HH.؛ هاته الرسالة بالعربية وبدون أمضاء ويبدو انها حررت فى اواخر سنة 1836 .

(2) هي الكلمة الفرنسية (Journal) أى الصحيفة .

(3) جمع Journal.

(4) من المعلوم أن محمد على والى مصر قد احتل الشام فى الاربعينيات من القرن الماضى وحسونة هنا يلوح الى ذلك .

(5) هي الهزيمة التى حققها الحاج أحمد باى قسنطينة لجيش فرنسى بقيادة الجنرال كلوزال ، عندما عزم هذا الاخير على الاستيلاء على مدينة قسنطينة ، وكان ذلك فى شهر نوفمبر 1836 .

فاذا قد اوجب الحال شرعا وطبعاً ، فتح باب المعاطات وتحضير مواد البوليتقة (6) ، والامر هين بحول الله وقوته ، وهمة سلطاننا خليفة الله فى العالم ؛ ويضمحل تسلط الروسية وعتوها ويندرج تحت ذلك (كذا) أيضا تأسيس التعريفه مع الانكليز على الوجه الذى يعم نفعه الاسلام ، ولا تتعرض اندولة العلية لخطر من الاخطار البتة ، ويحصل لها نفعان ظاهران . الاول : ما يتوقر للخزائن العامرة وتتوفر متاجر الاسلام . والثانى : كبر صيتها وعظمتها ، وأخذها حقوقها بلا منازع على حسب هذا التأسيس والفرض العيس (كذا) مع اهتمام سادتنا ذوى الفضل والفكر الثاقب والراى الصائب ، لا يعسر بحول الله وقوته ، وليس قول الحقيير وتمهيده لذلك (كذا) رغبة فى الوظيفة أو الحطام الفانى، بل رغبة التشبث باذيال هذا المقام العالى وانتظامه فى مسلك ذلك (كذا) العقد النفيس . وان كان عاجزا او قاصرا عن ادراك معانى تلك الاخطار ، فانه بحول الله وقوته ، بانضمامه لخدمة الدولة العلية ، مد الله ظلها على الانام ، لا يعدم سبيلا لتلك الاغراض الحميدة ، والمقاصد السنية ، وبهمة سادتنا الكرام و . . . (7) يحصل ان شاء الله المطوب ويدرك المرغوب والحقيير يلتزم ويتحمل بما قرره أخوه (8) مظهر أفندى ، ان فوض له على مقتضاه ، ويبرز اللوائح المشار اليها ، من القول الى العمل والنظر السديد لعالى جنابكم والدعاء من مقبل تراب نعلكم الحقيير .

محمد حسونة الدغيس

(6) كلمة فرنسية معناها السياسة .

(7) كلمة غير مقررة .

(8) يفهم من كلمة أخ هنا ، الصديق الحميم !

الوثيقة رقم 6 (I)

عندما هب ريج النصر والظفر للإسلام وايد الله الحاج احمد بك (2) على الكفار وحصلت للملة الفرنسية غيرة ، اوجبت عليها ثارها ، واخذت في تجهيز عساكرها لنحو ذلك (كذا) الظرف ، ولو أن المعارض موجود من قبل العامة وفي نفس الدولة ، لاكن (كذا) العار الحاصل للملة يحملهم على ارتكاب تلك الاخطار والمشاق ، وعلى كل حال لا يحصل للفرانسييس من ذلك (كذا) نفع البتة ، الا تلف الاموال والرجال .

فبحسب ذلك (كذا) ظهرت للحقير أفكار واجبة على كل مسلم شرعا وطبعا ، أن يبذلها وأن لم يكن أهلا لها ، وهي أن الوقت هاذا (كذا) هو الذي تمكن فيه المعاطات في استنقاذ الجزائر وايانتها ، ورفع حجاب الحماية عن مصطفى باشا والى تونس (3) وبه يتم الامر لان الاسباب متهيئة والمواد حاضرة بطريق البولييتقة الدائرة بين أهالى الاوروبة ، مؤسسة على قواعد لا تخرم ، موضحة بالادلة والبراهين . وبحول الله وقوته وبهمة الدولة العلية المطهرة الزكية ، يتم هاذا (كذا) المرام الذي يعم نفعه الاسلام وينتشر في مشارق الارض ومغاربها ، احكام ظل الله في العالم ، وتنكسر شوكة الكافر والملحد والظالم . فان طولب الحقير بتفصيل هاته المعاطات ووجهها وكيفيتها ، فانه بحول الله وقوته يبذل ضعيف جهده ، ولا يعدم وجه الصواب ان شاء المولى تعالى (4) .

(I) HH. 52500 B.A. ، هاته الرسالة بالعربية ، وبدون تاريخ ويبدو انها حررت في اواخر سنة 1836 .

(2) راجع الملاحظة رقم 5 من الوثيقة السابقة . أما كلمة بك ، فهي الرتبة الادارية التي تمهد لوالى قسنطينة فى العهد التركى ، وهي ما اصطلح عليه بالباى .

(3) يعتبر حسونة ، مصطفى باشا والى تونس ، خاضعا للنفوذ الفرنسى ، والجدير بالملاحظة هنا ، أن بعض القادة المغاربة أمثال حسونة وحمدان خوجة لا يعلمان نفاذ رأى ، وأطلاع واسع لكل ما يجرى خفية ، بتونس وطرابلس الغرب والجزائر .

(4) ان حسونة الدغيس الذى تولى ادارة جريدة تقويم الوقايع باللغة الفرنسية باستنبول ، قد أظهر بأقتراحاته هاته ، انه شخصية متفتحة ومثقفة ومدركة لدقائق الوسائل السياسية والتي تستعمل دوما كمحور للمفاوضات الدبلوماسية بين الدول بأوروبا .

الوثيقة رقم 7 (1)

... هاذ (كذا) ولا يخفى على المولى دام وجوده واكبت حسوده ان عبده المرحوم مظهر أفندي كان من جملة سعيه فى تأسيس الجرنالات ، ومخابرة اهالى الاوروبة ، وجلب جرنالاتها ، جلب بعض اهل الحنكة والتجربة لهاذا (كذا) الغرض .

فقد جلب من باريس رجلا فرنساويا حنكه الدهر عالما بالحوادث ، وله خبرة ودراية بالبوليتقة الوقتية ، لمخابرة جرنالات فرانسة . وقد صرف عليه من باريس ما بلغه لدار الخلافة العلية . ووفد اليوم مدة شهرين . فهاذا (كذا) الرجل بعد وفاة عبدكم المرحوم ، تعلق بأذيال الحقيير فوجب عليه اعلام الحضرة السنية ، ليكون على بصيرة فيما يصنع من شأنه ما يلزمه لاقامة بنيته ، واستيفاء مصرفه ، فعلى ما تأمر به الحضرة السامية ، يكون عليه العمل ، وكذلك (كذا) الجرنال الفرنساوى متوقف على اذن السيادة ، لان مواده حاضرة اليوم مدة شهر لم يطبع والخدمة الذين بالمطبعة ، معاشهم متوقف ، فوجب على الحقيير اعلام السيادة بكل ذالك (كذا) لتحيط الحضرة العلية السامية علما به والدعا (كذا) بالبقاء والعز والارتقاء (2) .

(1) H.H. , 52522 B.A. , هاته الرسالة بالعربية وبدون تاريخ ويبدو انها حُرِفَ فى اواخر سنة 1836 .

(2) يعد حسونة الدفيس من المؤسسين الاوائل ، للصحافة الفرنسية باستنبول .

المصادر العربيه
المصادر الاجنبيه
الفهارس

أ - المصادر العربية

أبي الضياف ، أحمد ، من اتجاف اهل الزمان في اخبار ملوك تونس وعهد الامان ، ج ٥ ، تونس ، 1964 .

البيطار ، الشيخ عبد الرزاق ، حلية البشير في تاريخ القرن التاسع عشر ، 1213 - 1335 ، ج 3 ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، مطبوعات المجمع العربي بدمشق ، دمشق ، 1961 - 1963 .

إلتر ، عزيز سامح ، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية ، ترجمة عبد السلام أدهم ، دار لبنان ، 1969 .

التميمي ، عبد الجليل ، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر ، 1827 - 1847 ، وهي ترجمة لأطروحة الاستاذ أرجمنت كوران من التركية ، مطبوعات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالجامعة التونسية ، تونس ، 1970 .

التميمي ، عبد الجليل ، فهرس الدفاتر التركية والعربية بالجزائر ، النص العربي والفرنسي ، تحت الاعداد في انتظار نشرهما قريبا .

التميمي ، عبد الجليل ، ثلاث رسائل للحاج أحمد باي قسنطينة الى الباب العالي ، مجلة تاريخ وحضارة المغرب ، عدد 9 ، ص 7 - 29 ، الجزائر ، 1970 .

جوليان ، شارل أندري ، تاريخ أفريقيا الشمالية ، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة ، 416 ص ، تونس ، 1969 .

سعد الله ، أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الحديث ، بداية الاحتلال ، مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، 1970 .

سلامة ، ب ، ثورة علي بن غداهم ، ص 215 ، تونس ، 1967 .

الصلح ، عادل ، سطور من رسالة ، تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي سنة 1877 ، بيروت ، 1966 .

قراشن ، وثائق تونسية ، ثورة ابن غداهم ، ص 379 ، تونس ، 1967 .

كوركت ، بسيم ، الوثائق العربية في دار المحفوظات بمدينة دوبروفنيك جزاء ، 1960 - 1961 ، سراجوفة (يوغسلافيا) .

المصادر الأجنبية (I)

- ABUN-NASR, M. Jamil, *The Tijania*, Oxford, 1965.
- AGERON, Charles-Robert, *Abd-el-Kader, Souverain d'un Etat arabe d'Orient*, in, *Mélanges André Fugier*, Cahiers d'histoire, t. XIII, n° 1-2, pp. 19-26, Grenoble, 1968.
- AGERON, Charles-Robert, *Abd-el-Kader, Souverain d'un royaume arabe d'Orient*, in, R.O.M.M., pp. 15-30, numéro spécial, Aix-en-Provence, 1970.
- AGERON, Charles-Robert, *Les Algériens Musulmans et la France (1871-1919)*, 2 tomes, Paris, 1968.
- BAYSON, Cavid, *Mustafa Reşit Paşa, Paris ve Londra Elçikleri esnasında siyasi yazıları* (La correspondance politique de Muştafâ Rashid Pâshâ alors Ambassadeur à Paris et à Londres), in, *Tarih Vesikaları*, n° 1-13, Istanbul, 1940-1949.
- BAYSON, Cavid, *Cezavir meselesi ve Reşid Paşa' nin Paris elçiliği* (La question algérienne et l'Ambassade de Muştafâ Rashid Pâshâ à Paris), in, III. Turk Tarih Kongresi, pp. 375-379, Ankara, 1948.
- BERNARD, Augustin, *Un mémoire inédit de Pélissier de Reynaud*, in, *Mémorial Henri Basset*, t. XVII, pp. 69-82, Paris, 1928.
- BOYER, Pierre, *La conquête de l'Algérie*, in, *initiation à l'Algérie*, pp. 125-140, Paris, 1957.
- BOYER, Pierre, *La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française*, Paris, 1963.
- COLOMBE, Marcel, *Contribution à l'étude du recrutement de l'odjak d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la Régence*, in, R.A., pp. 166-183, Alger, 1943.
- DEVOLUX, Albert, *Le Rels Hamidou*, Alger, 1859.
- DRIAULT, Edward, *La question d'Orient*, 8ème édition, Paris, 1918.

(I) أثبتنا هنا المصادر المطبوعة . أما دور الوثائق التركية والفرنسية والانجليزية ، فقد ذكرناها بالتعليق لدى رجوعنا إليها .

- EL-MOKHTAR Bey, *Du rôle de la Dynastie Husseinite dans la naissance et le développement de la Tunisie moderne*, 5 tomes, thèse de doctorat en Droit, Paris, 1968. En manuscrit.
- EMERIT, Marcel, *La révolution tunisienne de 1864 et le secret de l'Empereur*, in, R.T., n° 39, pp. 221-239, Tunis, 1939.
- ENGELHARDT, Edward, *La Turquie et le Tanzimat*, 2 vol, Paris, 1884.
- ESQUER, Gabriel, *Correspondance du Duc de Rovigo*, 4 vol, Alger, 1914.
- ESQUER, Gabriel, *Iconographie historique de l'Algérie depuis le XVI siècle jusqu'à 1870*, 3 tomes, Alger, 1929.
- ESTÈVE, Le Comte, *Mémoire sur les finances de l'Egypte depuis sa conquête par le Sultan Selym 1er, jusqu'à celle du Général Bonaparte*, in, *Description de l'Egypte*, t. 12, pp. 41-248, 2e édition, Paris, 1823.
- FERAUD, Charles, *Annales Tripolitaines*, Tunis, 1929.
- GANIAGE, Jean, *Les origines du protectorat français en Tunisie*, 1er édition, Tunis, 1959.
- GEHRING, Gilbert, *Les relations entre la Tunisie et l'Allemagne avant le protectorat français*, pp. 7-149, in, *Les Cahiers de Tunis*, t. XVIII, n° 71-73, 3^e et 4^e trim., 1970, publié en 1971.
- GENIAUX, Charles, *La Kabylie, 1871-1917*, in, *Revue de Paris*, juillet, 1917.
- GUIRAL, Paul, et BRUNON, Raoul, *Aspects de la vie politique et militaire en France à travers la correspondance reçue par le Maréchal Pélissier, 1828-1869*, Paris, 1968.
- ḤAMDĀN Bin ʿOthmān Khūdja, *Aperçu historique et statistique de la Régence d'Alger*, intitulé en arabe « le miroir » traduit par H. D... Oriental, Paris, 1833.
- HOURANI, Albert, *Arabic thought in the liberal age 1798-1939*, 2^e édition Oxford, 1970.
- ILTER, Aziz Samih, *Şimali Afrikada Türkler (Les Turcs en Afrique du Nord)*, 2 vol, Istanbul, 1936-1937.
- INAL, Mahmud Kamel, *Osmanlı devrinde Son Sadriazmalar (Les derniers Grands Vizirs de la période ottomane)*, Istanbul, 1940.
- Initiation à l'Algérie*, par MM. Alazard, Ben Cheneb et divers, Paris, 1957.
- JULIEN, Charles-André, *Histoire de l'Afrique du Nord*, revue par Roger Le Tourneau, 2e édition, Paris, 1952.
- JULIEN, Charles-André, *Histoire de l'Algérie contemporaine*, Paris, 1965.

- KARAL, Enver Ziya, *Osmanlı Tarihi* (L'Histoire des Ottomans), t. 7, Ankara, 1956.
- LALLEMAND, Charles, *La Tunisie, pays de protectorat français*, Paris, 1892.
- Le Domaine Colonial Français, par Lucien Bronzon, Jean Despois et autres, Paris, 1929.
- LEWIS, Bernard, *The emergence of modern Turkey*, London, 1961.
- MANTRAN, Robert, *Inventaire des documents d'archives turcs du Dal-el-Bey*, Tunis, 1961.
- MANTRAN, Robert, *Le statut de l'Algérie, de la Tunisie et de la Tripolitaine dans l'Empire Ottoman*, in, Atti I congresso internazionale di Studi Nord-Africani, pp. 205-216, Cagliari, 22-25, Gennio, 1965.
- MARTEL, André, *Les Confins Saharo-Tripolitains de la Tunisie*, 2 vol, Tunis, 1965.
- MARTEL, André, *Luis Arnold et Joseph Allegro, Consuls du Bey de Tunis à Bône*, Tunis 1966.
- MZALI, M.S et PIGNON, J, *Documents sur Khéredine. A mes enfants, Mémoires de ma vie privée et politique*, in, R.T., 2 tri.m. 1934, pp. 177-225.
- NOUSCHI, André, *Correspondance du Docteur A. Vital avec I. Urbain*, Alger, 1958.
- PELISSIER De Reynaud, *Annales Algériennes*, 3 vol., nouvelle édition, Alger, 1854.
- PLAYFER, Sir, Lambert, *A bibliography of Algeria from the expedition of Charles V in 1541 to 1887*, London, 1898.
- PLAYFER, *Episodes de l'histoire des relations de la Grande Bretagne avec les Etats Barbaresques avant la conquête française*, in, R.A., t. 23.
- PLANTET, Eugène, *Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France, 1579-1833*, 2 vol, Paris, 1889.
- Revue du Monde Musulman, Autour du Monde Musulman*, in, vol. VIII, n° 5 Paris, 1909.
- RINN, Louis, *Marabouts e Khouan*, Alger, 1884.

- RINN, Louis, *Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie*, Alger, 1882.
- ROUSSIER, P, *Les derniers projets et le dernier voyage de Domingo Badia 1815-1818*, in, R.A., 1930, pp. 300-374.
- SAFWAT, Mohamed, *A british consul general in Tunisia, Richard Wood, 1859-1879*, in, Review of College of Arts, Farouk University, t. 2, Le Caire, 1945.
- SAHLI, Mohamed, *Décoloniser l'histoire*, Paris, 1965.
- SALAME, Ibrahim, *A narrative of the expedition to Alger in the year 1816 under the Command of Lord Exmouth Bey*, London, 1819.
- SHALER, William, *Esquisse de l'Etat d'Alger*, traduit par Bianchi, Paris, 1830.
- SULH, Adil, *Suturun min risalah* (Pages choisies d'une mission), Beyrouth, 1966.
- Tarikh Musahibleri*, Istanbul, 1339-1920 ; s. a..
- TEMIMI, Abdeljelil, *Recherches et documents d'histoire Maghrébine*, La Tunisie, l'Algérie et la Tripolitaine de 1816 à 1871, 336 p. + 23 planches hors texte, publications de l'Université de Tunis, Tunis, 1971.
- TEMIMI, Abdeljelil, *Inventaire des registres arabes et turcs d'Alger*, en cours de parution.
- TESTA, I., *Le Baron de, Recueil des traités de la Porte ottomane*, vol. II, Paris, 1864.
- WEISSMANN, Nahoum, *Les Janissaires*, Paris, 1964.
- YACONO, Xavier, *Peut-on évaluer la population d'Alger en 1830 ?* in, R.A., 1954, pp. 277-307.
- YVER, Georges, *Correspondance du Maréchal Valée*, 5 vol, Paris, 1955.
- YVER, Georges, *Mémoire de Sidi Hamdan Khodja*, in, R.A., 1913, pp. 96-138 .

المدخل إلى الفهارس

يقيم الاثر التاريخي اليوم بما يشتمل عليه من فهارس متنوعة ؛ كما ويعد الاثر التاريخي الذي يخلو من الفهارس ، تأليفاً كان ذلك أم تحقيقاً ، عملاً غير علمي البتة ؛ ومن الغريب ان يشاهد في بلادنا العربية ، عدد من المؤلفين والمحققين ، لم يؤخذوا بالاعتبار هاته الحقيقة العلمية .

لقد توخينا في كتابنا تجزئة الفهارس واثبتنا كلا منها على حدة ، كما وضعنا حرف - ت - بين قوسين : (ت) لنشير بذلك إلى أسماء الاعلام أو الأماكن أو الجماعات التي توجد بالتعاليق . أما أسماء الاعلام التي لم يصرح باسمائها ، غير أن النص يشير إلى ذلك ، فقد أثبتناها باماكنها ، وذلك تسهيلاً للقارئ وتماشياً مع متطلبات البحث .

فهرست الاعلام حسب الالقاب ، إلا ما اشتهر منها ، حيث فهرس على أساس شهرته .

لقد حذفنا من الفهارس : الباب العالي ، السلطان ، المسلمين ، وذلك للعتور عليها باستمرار .

ع . ت .

- أ -

- أحمد بن مصطفى ، 260
- أحمد بن الوارث ، 86
- أحمد بيجان ، 251
- أحمد التيجاني ، 24 ، 24 (ت) ، 82
- أحمد الطيب ، 264 (ت)
- أحمد كامية ، 260
- أحمد المنصور ، 281 (ت)
- أرتين أفندي ، 48
- أزييك ، السائح ، 265
- أسماعيل ، 81
- أسماعيل باشا ، والى مصر ، 105 ، 106 ، 109 (ت)
- آكسهوت ، اللورد ، 238 ، 239 ، 240 ، 243 ، 253 ، 256 ، 257
- أليقرو ، 26 ، 29
- أولار ، سانت ، سفير فرنسا بلندن ، 240 ، 240 (ت)
- إبراهيم ، خواجه الديوان ، 255
- إبراهيم باى ، 178
- إبراهيم بن سليمان ، 260
- إبراهيم بن عبد الله ، 117
- إبراهيم بن عبد الله الخلفاوى ، 87
- إبراهيم بن مصطفى باشا ، 137 ، 165
- إبراهيم سلامة ، 258 (ت)
- ابن بطوطة ، 283 ، 288
- ابن حمزة ، 23
- ابيرون ، اللورد ، وزير خارجية بريطانيا ، 205
- آتاترك ، 13
- أحمد ، داي الجزائر ، 246 ، 247
- أحمد اسكندراني ، 47
- أحمد آغا ، 48 ، 50
- أحمد باشا ، باى تونس ، 20 ، 49
- أحمد باشا ، داي الجزائر ، 149
- أحمد باى ، الحاج ، 103 (ت) ، 172 ، 176 ، 191 ، 192 ، 198 ، 202 ، 203 ، 204 ، 206 ، 207 ، 208 ، 211 ، 217 (ت) ، 218 (ت) ، 272 ، 321 (ت) ، 323
- أحمد بن أبى التضياف ، 21
- أحمد بن حسن العمراني ، 87
- أحمد بن عبد الملك ، 81
- أحمد بن محمد ، 255

- ب -

- باباني ، 282 ، 315
- باديا ، السيد ، 234 ، 235 (ت)
- باذراى (؟) ، 165
- بدوى براده ، الحاج ، 269 ، 294
- برايس ، جون أليزا ، 268 (ت)
- برتزين ، الجنرال ، 147
- برندات ، 153
- بروقلي ، دوک دو ، 141 ، 269 (ت)
- 270 ، 271 ، 296 (ت)

ج -

- جانينو ، قنصل فرنسا بصفاقس ،
• 66
- جرار ، 193 •
- جلال الدين أفندي عاطف زادة ،
• 115 (ت)
- جميل باشا ، السفير العثماني
بباريس ، 68 •
- جورج الرابع ، الملك ، 268 (ت) ،
• 306
- جوليان ، شارل أندري ، 103 (ت) ،
• 142
- جون ، سان ، قنصل بريطانيا
بالجزائر ، 141 ، 194 •

ح -

- الحاج علي ، داي الجزائر ، 234 ، 235 ،
• 236 ، 247 ، 251 •
- الحاج محمد ، 236 (ت) ، 255 •
- حافظ ابراهيم ، الآغا ، 150 •
- حدر ، 285 •
- حسن ، آغا الجريد ، 117 (ت) •
- حسن باي ، 178 •
- حسن بن ابراهيم ، 260 •
- حسن بن حسن ، 255 •
- حسن بن علي ، 255 •
- حسين ، الجنرال ، 239 ، 250 ، 251 ،
• 252
- حسين باشا ، داي الجزائر ، 147 ،
153 ، 153 (ت) ، 179 ، 191 ، 269 •
- 269 (ت)

بريشة ، الوزير ، 115 (ت) •

- بلمرستون ، اللورد ، 201 ، 202 •
 - بلونط ، 295 •
 - بليسي ، المرشال ، 28 •
 - بن عزوز ، مصطفى ، 23 ، 81 ، 86 •
 - بن عياد ، 20 •
 - بنقدار ، 178 ، 179 •
 - بن مناصر ، محمد ، 23 •
 - بوايبي ، بيار ، 14 ، 241 (ت) •
 - بوتان ، 235 •
 - بوجو ، الجنرال ، 204 •
 - بورمن ، الجنرال ، 135 ، 147 ، 164 ،
• 191
 - بوشوشة ، 112 ، 112 (ت) ، 113 ،
• 120
 - بوضربة ، أحمد ، 134 ، 175 •
 - 175 (ت) ، 176 ، 177 ، 177 (ت) ،
• 178 ، 180 ، 228 •
 - بوقنوة ، 155 •
 - بوكاج ، بريبي دو ، 288 •
 - بوكفيل ، 278 (ت) •
 - بوهزراق ، 112 ، 112 (ت) •
 - بيشمون ، 148 ، 155 •
- ## ت -
- تبوسي ، جنتيل ، 148 ، 157 •
 - التميمي ، عبد الجليل ، 9 •
 - تورس باشا ، 108 ، 110 ، 124 ،
• 126 ، 128 •

220 (ت) ، 228 ، 269 ، 269 (ت) ،
271 ، 271 (ت) ، 273 ، 273 (ت) ،
323 (ت) •

خير الدين ، الجنرال ، 50 ، 57 ، 58 ،
95 ، 97 ، 100 ، 107 ، 117 (ت) •

- د -

درامن ، 266 ، 286 •
دربنغيم ، الاميرال ، 44 ، 45 ، 46 ،
48 ، 74 ، 76 •

الدغيس ، حسونة ، 133 ، 133 (ت) ،
138 ، 139 ، 140 ، 141 ، 142 ،
153 (ت) ، 202 ، 203 ، 261 ،
263 ، 264 ، 264 (ت) ، 265 ، 266 ،
266 (ت) ، 267 ، 268 ، 269 ،
269 (ت) ، 270 ، 271 ، 271 (ت) ،
272 ، 273 ، 274 ، 280 ، 282 ،
283 ، 284 ، 285 ، 286 ، 286 (ت) ،
287 ، 288 ، 289 ، 290 ، 291 ،
292 ، 293 ، 295 ، 296 (ت) ،
297 ، 298 (ت) ، 300 ، 300 (ت) ،
303 (ت) ، 304 ، 305 (ت) ،
310 (ت) ، 312 ، 312 (ت) ، 314 (ت) ،
315 ، 316 (ت) ، 320 ، 321 (ت) ،
322 ، 323 (ت) ، 324 (ت) •

الدغيس ، محمد ، 264 ، 280 ، 281 ،
281 (ت) ، 282 ، 283 ، 284 ،
285 ، 286 (ت) ، 288 ، 313 ،
314 ، 317 •

دنداس ، 319 •
دكنس ، الجراح ، 280 •
دواسل هلاي ، البارون ، 278 (ت) •

حسين بن ابراهيم ، 260 •
حسين بن حسن ، 255 •
حسين بن علي ، 255 •
حسين جزائري ، 255 •

حميدو ، الرانس ، 235 ، 249 (ت) •
حيدر افندي ، 33 ، 33 (ت) ، 34 ،
35 ، 35 (ت) ، 36 ، 42 ، 43 ،
51 ، 58 ، 59 ، 63 ، 71 ، 76 ،
83 ، 92 ، 93 ، 94 ، 106 •

- خ -

خرطلي ، كمال الدين عبد العزيز ،
233 (ت) ، 283 (ت) •

خزندار ، مصطفى ، 20 ، 23 ، 25 ،
25 (ت) ، 26 ، 27 ، 30 ، 31 ،
36 (ت) ، 46 ، 50 ، 57 ، 65 ، 87 ،
89 ، 116 ، 130 •

خوجة ، حمدان بن عثمان ، 133 ،
134 ، 134 (ت) ، 135 ، 136 ،
136 (ت) ، 137 ، 138 ، 140 ،
142 ، 145 ، 146 ، 147 ، 148 ،
149 ، 150 ، 151 ، 153 ، 154 ،
154 (ت) ، 155 ، 156 ، 158 ،
159 ، 160 ، 161 ، 162 ، 163 ،
165 ، 165 (ت) ، 167 ، 170 (ت) ،
173 ، 174 (ت) ، 175 (ت) ،
176 (ت) ، 177 (ت) ، 180 ،
180 (ت) ، 181 ، 182 ، 183 ،
184 ، 185 ، 186 ، 187 (ت) ،
188 ، 189 ، 189 (ت) ، 190 ،
192 (ت) ، 194 ، 202 ، 203 ،
204 ، 204 (ت) ، 207 ، 208 ،
211 (ت) ، 217 (ت) ، 218 ، 220 •

- ريشى ، 32
- دين ، المؤرخ ، 112 ، 119

- ذ -

- ذروق ، 314
- ذيقل ، 238

- س -

- سالم ، الفريق ، 71
- سرت اوغلو ، مدحت ، 123
- سعد الله ، أبو القاسم ، 103 (ت)
- سكارلوط ، 139 ، 268 (ت) ، 292
- 292 (ت)
- سكوت ، العقيد ، 204
- سليمان ، السلطان ، 46
- سليمان بن محمد الجزائري ، 255
- سليمان بن علي ، 260
- سميث ، سدن ، 235
- سولت المريشال ، 137 ، 145 ، 192
- 201 ، 193
- سيبيستياني ، 316
- سيدى علي باي ، 240 ، 272 ، 282
- 287 ، 287 (ت) ، 296 (ت)
- 299 ، 301 ، 302 ، 306 (ت)
- 320
- سى مصباح ، 85

- ش -

- شلبى ، الوزير ، 267

- دوفال ، 237 ، 240 (ت) ، 241
- دوفو ، الجنرال ، 30
- دوكانز ، اللوك ، 182

- دولوى ، درويين ، 31 ، 31 (ت)
- 76 ، 90

- دونى ، جون ، 233 (ت)

- دى بوسى ، رولان ، 138 (ت)

- دى بوفال ، قنصل فرنسا بتونس ، 25 ، 25 (ت) ، 28 ، 29 ، 30
- 31 ، 31 (ت) ، 34 ، 36 ، 46
- 47 ، 48 ، 52 ، 53 ، 62 ، 63
- 64 ، 64 (ت) ، 66 ، 67 ، 69
- 71 ، 72 ، 76 ، 80 ، 80 (ت)

- دى كاتور ، 249 (ت)

- دى ميشال ، 177 ، 215 (ت)
- 223 (ت)

- ر -

- رشيد ، القائمقام ، 55

- روسو ، البارون ، 265 ، 266 ، 280
- 281 ، 282 ، 283 ، 284 ، 286
- 287 ، 289 ، 290 ، 291 ، 312
- 313 ، 316 (ت)

- روسو ، تيموليان ، 279 (ت)

- روش ، ليون ، قنصل فرنسا
- بتونس ، 25 (ت) ، 28

- روفيقو ، دوك دو ، 135 (ت)
- 136 (ت) ، 161 ، 161 (ت)
- 184 ، 191 ، 192

- روهلس ، جرار ، 118

- رييولا ، 32

عبد القادر ، الامير ، 28 ، I03 (ت) ،
 I15 ، I16 ، I19 ، I19 (ت) ، I30 ،
 I77 ، I78 (ت) ، I95 ، I97 ،
 I98 ، I99 ، I99 (ث) ، 200 ،
 200 (ت) ، 202 ، 203 ، 204 ،
 204 (ت) ، 205 ، 206 ، 207 ،
 208 ، 209 ، 211 ، 213 ، 213 (ت) ،
 215 ، 215 (ت) ، 218 ، 219 ،
 219 (ت) ، 221 (ت) ، 227 ،
 227 (ت) ، 228 ، 228 (ت) ، 272 ،
 315 ، 316 •

عبد القادر الجيلاني ، 24 (ت) •

عبد القادر الحسيني I16 (ت) •

عبد الله ، 255 •

عبد المجيد ، سلطان ، I03 (ت) ،

202 ، 205 ، 219 ، 221 ، 228 •

عبد النبي ، 82 ، 88 •

عثمان ، 228 •

عثمان آغا ، 67 •

العثماني ، I76 •

العربي البيومي ، 69 ، 72 •

علي ، احد أعيان الجزائر ، I25 •

علي باي العباسي ، 235 (ت) •

علي بن أحمد ، 259 ، 260 •

علي بن غداهم ، 20 ، 21 ، 21 (ت) ،

22 ، 23 ، 24 ، 24 (ت) ، 25 ،

25 (ت) ، 26 ، 27 (ت) ، 31 ،

31 (ت) ، 36 ، 37 ، 63 ، 64 ،

64 (ت) ، 69 ، 72 ، 73 ، 76 ، 79 ،

80 (ت) ، 86 ، 88 ، 89 ، 90 •

علي خواجه ، 243 •

شوييل ، قنصل فرنسا بطرابلس
 الغرب ، 271 •

شيفلده ، اللورد ، 234 •

- ص -

صاحب الطابع ، I78 (ت) •

صادة ، السيد ، I85 •

صارق ، 282 •

صالح باي ، 46 •

- ط -

طاسيت ، I42 •

الطالب بن جلول ، الحاج ، 268 •

الطهطاوي ، رفاعة ، 264 •

طوير الجنة ، I59 ، I60 •

- ع -

عالي باشا ، 31 (ت) ، I04 ، I04 (ت) ،

I05 ، I06 ، I07 ، I07 (ت) ،

I08 ، I09 ، I10 ، I15 ، I16 ،

I25 ، I26 •

عبد الباقي ، 255 •

عبد الجليل ، 308 •

عبد الحميد ، السلطان ، I15 (ت) ،

I97 ، 221 •

عبد الرحمان ، مولاي ، سلطان

المغرب ، I72 ، I98 ، 214 ، 215 ،

222 •

عبد السلام ادهم ، 236 (ت) •

عبد العزيز خان ، 67 ، 91 •

- ق -

- قرييردوهمسو ، 265
- قراي ، 319
- قودريك ، اللورد ، 270 ، 317

- ك -

- كابلن ، فون ، 238
- كانبو ، كاردينال ، 66
- كانين ، 310
- كاهين ، كلود ، 14
- كرافا ، دون ، 310 ، 311
- كلوزال ، المرشال ، 135 ، 141 ، 147
- 164 ، 78 ، 191 ، 192 ، 321 (ت)
- كليرمبو ، 278 ، 282 ، 291
- كمبل ، 295
- كمبنون ، 22
- كوركمت ، بسيم ، 248 (ت)
- كورنداز ، 278 (ت)
- كونسطن ، بنجمين ، 142
- كورنو ، مدام ، 29
- كيلباردوهمن ، 193

- ل -

- لامارتين ، 201
- لايين ، الماجور ، 263 ، 263 (ت)
- 267 ، 273 ، 275 ، 277 ، 278
- 279 ، 279 (ت) ، 284 ، 285 ، 287
- 288 ، 289 ، 291 ، 304 ، 311
- 313 ، 314 ، 315 ، 316 ، 316 (ت)
- 317 ، 318

- علي رانس ، 240 ، 243 ، 257
- 259 (ت)
- علي رضا باشا ، 137 ، 236 (ت)
- 254
- العماري بن السلامي ، 85

• عمر ، 254

- عمر باشا ، 236 (ت) ، 237 ، 238
- 239 ، 240 ، 241 ، 242 ، 243
- 245 (ت) ، 247 (ت) ، 248
- 249 (ت) ، 250 ، 251 (ت) ، 251
- 255 ، 256 ، 257 ، 259

- عمر بن محمد ، داي الجازئر ، 247
- عمر بن مصطفى ، 260

- العيد ، سي محمد ، 21 ، 21 (ت)
- 22 ، 27

- عيسى عليه لسلام ، 175 ، 178

- غ -

- غروتويوس ، 142

- ف -

- فؤاد باشا ، الصدر الأعظم ، 59
- 93 ، 97
- فرحات ، عامل الكاف ، 25 ، 59
- فطل ، 140 ، 273
- فقيه بن يوسف ، 208

- فنيورول ، النقيب ، 25 (ت) ، 30
- 32

- فوشار ، الجنرال ، 136
- فوشار ، الجنرال ، 136

- ق -

- قيصر ، (روسيا) ، 168 ، 235

61 ، 64 ، 64 (ت) ، 67 ، 69 ،
 71 ، 74 ، 75 ، 76 ، 84 ، 89 ،
 90 ، 91 ، 92 ، 93 ، 94 ، 95 ،
 96 ، 98 ، 107 (ت) ، 116 ،
 118 (ت) ،
 محمد الصادق بن الشيخ ، 86 ،
 محمد علي ، والي مصر ، 201 ، 207 ،
 321 (ت) ،
 محمد فؤاد باشا ، 205 ،
 محمود ، العالم ، 109 ، 125 ، 126 ،
 127 ، 128 ، 129 ،
 محمود ، السلطان ، 167 ، 168 ،
 176 ، 178 ، 179 ،
 محمود آغا ، 236 ،
 محمود بن أمين السكة ، 181 ،
 محمود نديم باشا ، 103 ، 107 ،
 107 (ت) ، 108 ، 111 ، 124 ،
 125 ، 126 ،
 محي الدين بن الأمير عبد القادر ،
 113 ، 114 ، 115 ، 115 (ت) ،
 116 ، 116 (ت) ، 177 ، 117 (ت) ،
 118 ، 119 ، 119 (ت) ، 120 ،
 130 ،
 مدسون ، جامس ، 249 (ت) ،
 مرتينو ، 165 ،
 مستيني ، سفير فرنسا بالباب
 العالي ، 71 ،
 مصباح بن عباس العمراني ، 88 ،
 مصباح العجمي الجربي ، 117 ،
 مصطفى ، داي الجزائر ، 246 ،
 مصطفى باشا ، داي تونس ، 323 ،
 323 (ت) ،

اللاذغل ، الحاج حسن ، 34 (ت) ،
 لوى فيليب ، الملك ، 289 (ت) ، 274 ،
 297 ، 301 ،
 لوتونو ، روجي ، 238 (ت) ،
 ليوتي ، المرشال ، 300 (ت) ،

- م -

ماكلوش ، 295 ،
 محمد ، الرسول ، 168 ، 170 ، 171 ،
 174 ، 180 ، 213 ، 221 ، 226 ،
 228 ،
 محمد آغا ، 236 ، 245 ، 248 ،
 محمد باشا ، 49 ،
 محمد باي ، 270 (ت) ، 272 ،
 محمد بن ابراهيم ، سى ، 22 ،
 محمد بن أحمد ، 255 ،
 محمد بن علي ، 255 ،
 محمد بن محمود ، 255 ، 260 ،
 محمد بن مناصر ، 22 ، 23 ،
 محمد بن الناصر الغربي ، 117 ،
 محمد جواد باشا ، 83 ،
 محمد حسين ، 260 ،
 محمد خسرو باشا ، 234 ، 234 (ت) ،
 236 (ت) ، 242 (ت) ، 243 ، 249 ،
 252 ،
 محمد شاوش السيراؤلى ، 237 (ت) ،
 محمد الصادق باشا باي ، 20 ، 23 ،
 24 (ت) ، 25 ، 26 ، 27 (ت) ،
 29 ، 31 (ت) ، 33 ، 35 ، 46 ،
 49 ، 50 ، 51 ، 52 (ت) ،
 53 ، 54 ، 55 ، 57 ، 58 ، 60 ،

• نوري أفندي ، 272

- و -

• وتزتاين الاستاذ ، II8

• ورد ، النقيب ، 238

• ورنقتن ، 139 ، 265 ، 266 ، 266 (ت) ،

267 ، 268 ، 272 ، 273 ، 275 ،

279 ، 280 ، 280 (ت) ، 281 ،

282 ، 283 ، 286 (ت) ، 287 ،

290 ، 293 ، 296 (ت) ، 304 ،

306 ، 307 ، 309 ، 310 ، 311 ،

312 ، 313 ، 314 ، 315 ، 317 ،

320

• ورنقتن ، إمة ، 263 (ت) ، 279 (ت) •

• وود ، قنصل انقلترا بتونس ، 27 ،

28 ، 30 ، 31 ، 34 ، 53 ، 54 ،

62 ، 63 ، 69 ، 72 ، 75 •

- ي -

• يدام ، الحجام ، 187

• يوسف ، 255

• يوسف باشا قرمانلي ، 203 ، 265 ،

266 ، 267 ، 270 ، 270 (ت) ،

273 ، 274 ، 280 ، 281 ، 282 ،

286 ، 286 (ت) ، 288 ، 289 ،

290 ، 291 ، 296 ، 299 ، 301 ،

305 ، 306 ، 307 ، 308 ، 311 ،

312 ، 312 (ت) ، 313 ، 318 ،

319

• يوسف بن مصطفى ، الحاج ، 260

- ه -

• هاي ، درامن ، 139 ، 267 ، 268 ،

293

• مصطفى بن اسماعيل ، الجزائري ،

177 •

• مصطفى بن محمد خوجة ، 260

• مصطفى بن يوسف ، 255

• مصطفى رشيد باشا ، 104 (ت) ،

177 (ت) ، 205 ، 219 ، 220 ،

220 (ت) ، 272 •

• مصطفى فاضل باشا ، المصري ،

109 ، 109 (ت) ، 110 ، 115 ، 116 ،

124 ، 126 ، 127 •

• مظفر أفندي ، 321 ، 322 ، 324

• معمر ، سي ، 27 ، 27 (ت) •

• المقراني ، 103 ، 112 •

• عمر حسام الدين أفندي ، 115 (ت) •

• منتران ، روبار ، 10 ، 14 ، 233

• منصور ، عبد الحفيظ ، 14 •

• منوشي ، نكولا ، 199 ، 199 (ت) ،

200 ، 201 •

• موراي ، جورج ، 139 ، 268 ، 269 ،

293 ، 304 ، 318 •

• مولاي حسن ، 115 (ت) •

• مونيسي ، البارون ، 278 (ت) ،

316 (ت) •

• ميكاسي ، رودلف ، 266 (ت) ،

267 (ت) ، 280 (ت) •

- ن -

• نابوليون الأول ، 235 ، 235 (ت) •

• نابوليون الثالث ، 28 ، 30 ، 31 ،

46 ، 52 ، 53 ، 69 ، 104 •

• ناصر بن شهرة ، 112 ، 113 ، 114 ،

117 (ت) ، 120 •

• نسيم ، القائد ، 20 ، 72 •

• نعمان ، 236 •

فهرس القبائل والجماعات

الأوروبيون ، 166 ، 235 ، 237 ، 238 ،

• 246 ، 263 ، 320

• أولاد بوسالم ، أعيان ، 86

• أولاد سي حمادى ، 23

• أولاد سيدى الشيخ ، 23 ، 23 (ت)

• أولاد سيدى عبيد ، أعيان ، 86

• أولاد سيدى يحيى بن طالب ، 25

• 25 (ت)

• أولاد سى عبد الملك ، 23

• أولاد سى عبد النبى ، أعيان عرش ،

• 86

• أولاد عبد النور ، 21 ، 26 ، 27 (ت)

• أولاد عيار ، 86

• أولاد مساهل ، 21

• الايطاليون ، 54 ، 56 ، 61 ، 62 (ت)

- ب -

• البرابر ، 171 ، 179 ، 185

• البروسيون ، 114

• البريطانيون ، 269 ، 308 ، 309

• 319

• البندقيون ، 238 ، 247 ، 247 (ت)

• بنو عزول ، 185

- ت -

• الترك ، انظر الأتراك

• تركيا الفتاة ، أعضاء ، 105 ، 109 (ت)

• 110

- أ -

• الأتراك ، 9 ، 104 ، 107 ، 135 ، 147

• 148 ، 152 ، 158 ، 164 ، 165

• 175 ، 197 ، 207 ، 233

• آخوان الطريقة التيجانية ، 22

• آخوان الطريقة الرحمانية ، 120

• أعراش إفريقية ، 81

• الأفارقة ، 141 ، 298

• آل ساسان ، 221

• آل عثمان ، 228

• الألمان ، 108 ، 116 ، 118 ، 222 (ت)

• 236 (ت) ، 256 (ت)

• الأمريكيون ، 241 ، 249 ، 249 (ت)

• 253 (ت) ، 312

• الأنجليز ، انظر أنغليز

• الأنغليز ، 27 ، 53 ، 54 ، 56 ، 57

• 64 ، 75 ، 199 ، 200 ، 201 ، 204

• 205 ، 219 ، 237 ، 237 (ت)

• 240 ، 240 (ت) ، 253 ، 257

• 266 ، 273 ، 273 (ت) ، 322

• الأنكشاريون ، 149 ، 150 ، 168

• 170 ، 171 ، 197 ، 220 ، 239

• 241 (ت) ، 245 ، 247 ، 250

• 252 ، 253 ، 259

• انكليز ، انظر أنغليز

• أهالى سوسة ، 68 ، 91 ، 92

• أهل الساحل ، 35

- ط -

• الطرابلسيون ، 298 ، 300 ، 319

- ش -

• الشعوب الافريقية ، 300 ، 302

- ص -

• صقالبة ، 104

- ع -

• العثمانيون ، 19 ، 103 (ت) ، 104 ، 115 ، 116 ، 120 ، 204 ، 236 (ت) ، 264 ، 272 ، 275

• عرب ، 11 ، 29 ، 104 ، 114 ، 158 ، 165 ، 176 ، 177 ، 181 ، 218

• عرب الجزائر ، 114

- غ -

• الغدامسة ، 280 ، 282 ، 284

- ف -

• الفراشيش ، قبيلة ، 24 ، 25 (ت) ،
الفرنسيون ، 11 ، 19 ، 23 ، 29 ، 32 ، 34 ، 46 ، 48 ، 52 ، 56 ، 57 ، 64 ، 69 ، 72 ، 73 ، 76 ، 77 ، 87 ، 89 ، 90 ، 111 ، 113 ، 114 ، 118 ، 120 ، 127 ، 134 ، 135 ، 140 ، 141 ، 154 ، 156 ، 163 ، 165 ، 167 ، 168 ، 170 ، 171 ، 172 ، 175 ، 176 ، 177 ، 178 (ت)

التونسيون ، 62 ، 103 (ت) ، 107 ، 116 ، 117 ، 118 ، 235 (ت) ، 238 ، 251 ، 251 (ت) ،

- ج -

• الجباهية ، أعيان ، 64

الجزائريون ، 25 (ت) ، 29 ، 103 (ت) ، 109 ، 110 ، 111 ، 115 ، 118 ، 119 ، 120 ، 136 ، 137 (ت) ، 145 ، 150 ، 158 ، 165 ، 167 ، 171 ، 172 ، 234 ، 239 ، 240 ، 240 (ت) ، 249 ، 251 (ت) ، 253 (ت) ، 299

• جلاص ، قبيلة ، 50 ، 72 ، 73

• جندوبة ، أعيان ، 86

- د -

• دريد ، أعيان ، 86

• دريد ، قاضي ، 79

- ذ -

• ذرفان ، أعيان ، 86

- ر -

• الروس ، 238 ، 247

- ز -

• الزعالة ، أعيان ، 86

• زعماء الخيرية الاسلامية ، 124

المقرانيون ، 119 •	179 ، 180 ، 183 ، 190 ، 197 ، 198 ، 200 ، 202 ، 204 ، 207 ، 214 ، 215 ، 219 ، 235 ، 266 ، 269 (ت) ، 270 ، 271 ، 280 ، 288 ، 289 ، 290 ، 291 ، 296 ، 296 (ت) ، 298 ، 303 (ت) ، 323 •
- ن -	الفرانصيص ، انظر الفرنسيون •
النمساويون ، 238 ، 247 ، 247 (ت) •	- ق -
- ه -	القبائل الجزائرية ، 118 ، 127 •
الهولنديون ، 239 (ت) ، 257 •	القرمانليون ، 19 ، 208 ، 301 •
- و -	- م -
ورتان ، أعيان ، 86 •	ماجر ، قبائل ، 21 ، 82 ، 87 ، 88 •
ونيفة ، قبيلة ، 50 •	مشاركة الحماسة ، أعيان ، 86 •
- ي -	المصريون ، 34 ، 51 ، 54 •
يعقوب ، أعيان ، 86 •	
يهود ، 134 ، 156 ، 159 ، 163 •	
163 (ت) ، 164 •	
يونانيون ، 104 •	

فهرس الأماكن

آنفلترا ، 42 ، 32 ، 30 ، 19 ، 12 ،
 ، 104 ، 75 ، 62 ، 56 ، 54 ، 49
 ، 199 ، 195 ، 139 ، 134 ، 107
 ، 201 ، 201 (ت) ، 204 (ت) ،
 ، 256 ، 213 ، 211 ، 209 ، 205
 ، 289 ، 278 ، 271 (ت) ، 258 (ت)
 ، 318 ، 317 ، 314 ، 293

آنكلتره ، انظر آنفلترا .

أوروبا ، 57 ، 58 ، 107 (ت) ،
 ، 158 ، 154 ، 136 ، 109 (ت)
 ، 254 ، 246 ، 238 ، 235 ، 161
 ، 274 ، 273 ، 272 ، 265 ، 264
 ، 313 ، 305 ، 301 ، 300 ، 299
 ، 324 ، 323 (ت) ، 323 ، 321
 ، 72 ، 62 ، 56 ، 42 ، 32 ،
 ، 118 ، 111 ، 107 (ت) ، 107

ب -

باب الوادى ، 148 (ت) ، 155 (ت) .
 ، 161

باجة ، 65 .

باردو ، قصر ، 25 ، 27 ، 35 (ت) ،
 ، 72 ، 51 ، 50

باريز ، انظر باريس .

باريس ، 14 ، 46 ، 49 ، 63 ، 72 ،
 ، 140 ، 138 ، 137 ، 119 ، 76
 ، 167 ، 165 (ت) ، 161 ، 145
 ، 187 ، 177 (ت) ، 176 ، 174
 ، 198 ، 194 ، 193 ، 192 ، 191
 ، 224 ، 203 (ت) ، 201 (ت) ، 199

أ -

آبن زرت ، انظر بنزرت .
 ، 42 ، آثينا .

آدنبره ، 263 .

آزمير ، 181 ، 171 ، 237 .

آسبانيا ، 30 ، 67 ، 236 ، 249 (ت) ،
 ، 310 ، 291

آستنبول ، 10 ، 14 ، 34 ، 41 ، 44 ،
 ، 113 ، 109 (ت) ، 107 ، 50
 ، 115 (ت) ، 167 ، 123 ، 176 (ت) ،
 ، 219 ، 205 ، 203 ، 202 ، 179
 ، 263 ، 257 ، 245 ، 234 ، 220
 ، 272 ، 323 (ت) ، 324 (ت) .

آسكندرية ، 63 ، 114 ، 130 ،
 ، 269 (ت) .

آسلامبول ، انظر آستنبول .

آصطنبول ، انظر آستنبول .
 ، 117 ، الأعراف .

آفريقيا ، 85 ، 87 ، 149 ، 182 ،
 ، 271 ، 235 ، 213 ، 205 ، 202
 ، 318 ، 305 ، 297 ، 287 ، 274

أكس أون بسروفسس ، 14 ، 209 ،
 ، 242

ألمانيا ، 118 ، 119 ، 144 .

أليكانت ، 249 .

أمريكا ، 12 .

آنقرة ، 10 .

• 315 ، 288 ، 281 ، 280

• تنزوف ، 263 (ت)

• تنس ، 220 ، 220 ، 200 (ت)

• توات ، 263 (ت)

• توزر ، 117

• تونس ، 9 ، 10 ، 12 ، 13 ، 14 ، 19

• 20 ، 23 (ت) ، 25 (ت) ، 26 ، 27

• 28 ، 29 ، 30 ، 31 ، 31 (ت) ،

• 32 ، 33 ، 33 (ت) ، 34 ، 35

• 36 ، 42 ، 44 ، 45 ، 46 ، 47

• 48 ، 49 ، 50 ، 51 ، 52 ، 53

• 54 ، 55 ، 56 ، 57 ، 58 ، 59

• 62 ، 63 ، 64 ، 65 ، 66 ، 68

• 69 ، 71 ، 72 ، 74 ، 75 ، 76

• 77 ، 78 ، 79 ، 85 ، 89 ، 90

• 99 ، 103 (ت) ، 106 ، 107

• 107 (ت) ، 110 ، 113 ، 114

• 115 (ت) ، 116 ، 118 ، 119

• 126 ، 129 ، 130 ، 170 ، 171

• 171 (ت) ، 172 ، 176 ، 178

• 181 ، 199 ، 200 ، 205 ، 215

• 218 ، 224 ، 233 ، 234 ، 235

• 236 (ت) ، 237 ، 251 ، 252

• 272 ، 274 ، 274 (ت) ، 283

• 305 ، 310 ، 323 (ت)

• تيطوان ، انظر تطوان

- ج -

• جامع حمودة باشا ، 55

• الجامع الكبير بالجزائر ، 187

• جامعة الدول الاسلامية ، 115

• 115 (ت)

• 263 ، 270 ، 271 ، 272 ، 274

• 277 ، 324

• بجاية ، 178

• البحر الأبيض المتوسط ، 32 ، 240

• 245 ، 250 ، 299

• البرتغال ، 268 (ت)

• بروسيا ، 104 ، 106 ، 201 ، 201 (ت)

• 202 ، 263 (ت) ، 277 ، 279

• بريطانيا ، 288 ، 293 ، 294 ، 310

• 316 (ت)

• بلجيكا ، 142

• البلدية ، 161 ، 178

• بمبرا ، 278

• بنزرت ، 199 ، 200 ، 200 (ت)

• بولونيا ، 142

• بونة ، راجع عنابة

- ت -

• تبرسق ، 81

• تبسة ، 25 ، 25 (ت) ، 119

• ترابوني ، 25 (ت)

• تركيا ، 12 ، 13 ، 14 ، 104 ، 105

• تطوان ، 199 (ت) ، 213

• تغرت ، انظر طوغرت

• تكدمت ، 199 (ت)

• تلمسان ، 177 ، 223

• تماسين ، 21 ، 23 ، 25

• تمبكتو ، 263 (ت) ، 278 ، 279

• الجودی ، تربة سيدی ، 152 •

- ح -

• الحرمان الشريفان ، 253 •

• الخطاب ، سيدی علی ، 65 ، 79 ، 80 •

• حلب ، 265 (ت) •

• حلق الوادی ، 44 ، 48 ، 50 ، 64 •

• 118 ، 89 •

- د -

• الدانمارك ، 281 •

• دمشق ، 115 •

• دوبر ونفيك ، 248 ، 248 (ت) •

- ر -

• الروحية ، هنشير ، 24 ، 81 •

• روسيا ، 104 ، 201 ، 201 (ت) •

• 273 •

• روكل ، 263 •

• رومة ، 111 •

- س -

• الساحل ، 37 ، 93 •

• ستراند ، 268 (ت) •

• سردانيا ، جزيرة ، 54 •

• السودان ، 185 ، 287 (ت) •

• سوريا ، 203 ، 235 (ت) •

• سوسة ، 35 ، 53 ، 54 ، 55 ، 67 •

• 90 ، 76 ، 68 •

• سوف ، 117 •

• جبل طارق ، 199 (ت) ، 202 ، 248 •

• جربة ، 108 •

• الجريد ، 117 ، 117 (ت) ، 127 •

• الجزائر ، 9 ، 10 ، 12 ، 14 ، 19 ، 21 •

• 23 (ت) ، 26 ، 30 ، 31 ، 33 •

• 48 ، 57 ، 65 ، 69 ، 75 ، 77 •

• 103 ، 106 ، 107 ، 110 ، 113 •

• 114 ، 116 ، 117 ، 117 (ت) •

• 118 ، 119 ، 129 ، 133 (ت) •

• 134 ، 135 ، 136 ، 137 ، 140 •

• 141 ، 145 ، 146 ، 149 (ت) •

• 150 ، 151 ، 152 ، 153 (ت) •

• 154 ، 155 ، 157 ، 159 ، 160 •

• 163 ، 165 ، 165 (ت) ، 166 •

• 167 ، 169 ، 170 ، 170 (ت) •

• 171 ، 171 (ت) ، 172 ، 174 •

• 175 ، 175 (ت) ، 176 ، 177 •

• 177 (ت) ، 178 ، 179 ، 180 •

• 180 (ت) ، 181 ، 182 ، 183 •

• 185 ، 187 ، 187 (ت) ، 190 •

• 190 (ت) ، 191 ، 192 ، 192 (ت) •

• 193 ، 194 ، 197 ، 198 ، 199 (ت) •

• 200 ، 201 ، 203 ، 204 ، 205 •

• 207 ، 208 ، 209 ، 222 ، 225 •

• 227 ، 231 ، 233 ، 234 ، 235 •

• 236 ، 237 ، 238 ، 239 ، 241 ، 242 •

• 245 ، 246 ، 247 ، 248 ، 249 •

• 250 ، 251 ، 252 ، 253 ، 255 (ت) •

• 256 ، 259 ، 260 (ت) ، 263 •

• 269 ، 271 ، 271 (ت) ، 272 •

• 273 ، 274 (ت) ، 298 ، 298 (ت) •

• 300 ، 321 ، 323 ، 323 (ت) •

• الجزائر ، جنوب ، 114 ، 119 ، 172 •

308 ، (ت) ، 309 ، 312 ، 314 ،
315 ، 316 ، (ت) ، 317 ،
318 ، 320 ، 323 (ت) ،
طكسان ، 281 .

طنجة ، 293 ، 213 ، 201 ، 199 ،
طهران ، 265 ، 42 ، 33 ، (ت) ،
طوغرت ، 112 ، 112 ، 111 ، (ت) ،
127 ، 113 .

- ع -

عبد الرحمان ، جامع سيدى ،
148 (ت) ،
عناية ، 26 ، 29 ، 178 ،
عين طيبة ، 112 .

- غ -

غدامس ، 263 ، (ت) ، 279 ، 282 ،
284 ، 285 ، 314 ، 316 .

- ف -

فاس ، 149 ، 176 ، 267 ، 268 ،
317 ، 292 ،
فرنسا ، 12 ، 19 ، 28 ، 30 (ت) ،
32 ، 33 ، 34 ، 37 ، 39 ، 42 ،
44 ، 45 ، 46 ، 47 ، 48 ، 49 ،
51 ، 53 ، 54 ، 56 ، 57 ، 63 ،
65 ، 67 ، 68 ، 69 ، 71 ، 72 ،
75 ، 104 ، 106 ، 107 ، 107 (ت) ،
108 ، 110 ، 111 ، 114 ، 116 ،
118 ، 119 ، 128 ، 130 ، 133 (ت) ،
135 ، 145 ، 153 (ت) ، 155 (ت) ،

السويد ، 281 .

السيطة ، جامع ، 148 ، 153 .

سيدى فروح ، 191 .

- ش -

الشام ، 28 ، 115 ، (ت) ، 130 ، 321 ،
321 (ت) ،
الشرق ، 297 ، 299 ، 117 ،
الشرق العربى ، 12 ، 28 ،
شمال افريقيا ، 9 ، 23 ، (ت) ،
115 (ت) ، 136 ، 235 ، 235 (ت) .

- ص -

صفاقس ، 25 ، 35 ، 37 ، 56 ، 66 ،
67 ، 68 ، 70 ، 76 ، 107 ،
صقلية ، جزيرة ، 54 ،
الصقليتين ، 286 ، 286 ، (ت) ، 310 ،
311 .

- ط -

طرابلس الغرب ، 9 ، 19 ، 28 ، 33 ،
43 ، 75 ، 106 ، 107 ، 110 ، 113 ،
118 ، 126 ، 130 ، 141 ، 170 ،
171 ، 171 (ت) ، 208 ، 218 ،
237 ، 252 ، 263 ، (ت) ،
264 ، 265 ، 265 ، (ت) ، 266 ،
267 ، 268 ، 270 ، 272 ، 274 ،
274 (ت) ، 278 ، 279 ، 280 ،
281 ، 282 ، 283 ، 285 ، 286 ،
288 ، 289 ، 290 ، 291 ، 293 ،
296 ، 298 ، 299 ، 300 ، 301 ،
302 ، 304 ، 305 ، 306 ، 307 ،

• كجوة ، جامع ، I50

- ل -

• لبنان ، I04 (ت)

• لندن ، I01 ، 203 ، 204 ، 205

• 234 (ت) ، 238 ، 263 ، 263 (ت)

• 265 ، 267 ، 268 ، 269 ، 270

• 272 ، 274 ، 293 ، 296 ، 304

• 213 ، 317

• ليبيا ، I2 ، I4 ، 233 ، 233 (ت)

• 236 (ت) ، 274 (ت)

• ليفورنة ، 268 ، 269 ، 294

- م -

• مالطة ، 35 ، 42 ، 43 ، 62 ، 90

• 117 ، I30 ، 252 ، 278

• ماهن ، 321

• متليلي ، 113

• المتيجة ، I34 ، I60 ، I90

• مجلس الشيوخ الايطالي ، 32

• المجلس الوطني الفرنسي ، I74

• I74 (ت)

• مدجانة ، 112

• المدينة ، I78 ، 224

• المدينة ، I63

• مراسي الجزائر ، 213 ، 228

• مراکش ، 115 ، 222

• مراکش ، بلاط ، 115 (ت) ، 287 (ت)

• مرساي ، انظر مرسيليا

• مرسلية ، انظر مرسيليا

• 175 ، 182 ، 184 ، 193 ، 194

• 179 ، 198 ، 201 ، 202 ، 204

• 205 ، 206 ، 208 ، 235 ، 236

• 238 (ت) ، 242 ، 266 ، 268

• 269 ، 270 ، 271 ، 274 ، 289

• 290 ، 294 ، 296 ، 297 ، 298

• 298 (ت) ، 299 ، 300 ، 302

• 310

• فنسان ، مقر وزارة الحربية بباريس

• 237

- ق -

• قابس ، 107

• القاهرة ، 258 (ت)

• قرطاج ، 265

• قرطاجنة ، 305

• قسنطينة ، 21 ، 23 ، 30 ، 112 ، 113

• 113 ، 127 ، 172 ، 178 ، 184

• 192 ، 198 ، 203 ، 211 ، 272

• 321 (ت) ، 323 (ت)

• قسنطينية ، 107 (ت)

• قسنطينة ، انظر قسنطينية

• قلعة الامبراطور ، 155 (ت)

• القليعة ، 161

• القيروان ، 22 ، 25 ، 37 ، 56 ، 65

• 69

- ك -

• كارتاجان ، 249

• الكاف ، 22 ، 69 ، 72 ، 117 ، 236

• كاليرا ، 197 (ت)

- نابولتان ، 311 ، 310
- نفاوّة ، 117 ، 117 (ت)
- نفطة ، 113
- نقرين ، 119
- النمسا ، 30 ، 104 ، 201 ، 201 (ت)

- ه -

- هانوفر ، 268 (ت)
- الهند ، 175 ، 201 ، 263
- هولندا ، 268 (ت) ، 281 ، 310
- 312

- و -

- واترلو ، 201
- واجر ، 161
- ودان ، 159
- ورغلة ، 112 ، 113
- الولايات المتحدة الامريكية ، 280
- وهران ، 26 ، 177 ، 178 ، 223

- ي -

- يوغسلافيا ، 248 (ت)
- اليونان ، 54 ، 142 ، 300

- مرسيليا ، 155 ، 265 ، 283
- مستغانم ، 178 ، 228
- مسينة ، 118 ، 249
- المشرق ، 277

- مصر ، 33 ، 34 ، 35 ، 51 ، 53
- 54 ، 74 ، 75 ، 105 ، 106 ، 114
- 130 ، 135 ، 201 ، 203 ، 207
- 248 (ت) ، 260 (ت) ، 268 (ت)
- المغرب ، 172 ، 199 (ت) ، 201
- 203 ، 206 ، 241 ، 248 ، 267
- 268

- المغرب الأقصى ، 300 (ت) ، 317
- المغرب العربي ، 11 ، 12 ، 277
- مكة ، 163 ، 179 ، 235 (ت)
- ملاطيا ، 247
- ملاقا ، 286
- مندوقو ، 263 (ت)
- المنشية ، 270 (ت)
- موسكو ، 168
- ميتلان ، 236 (ت)
- ميناء تنس ، 200

- ن -

- نابولي ، 281 ، 287 ، 311

فهرس الوظائف وبعض الأسماء الأخرى

- ر -

- الرأى ، 174
- رقمجى ، 260 ، 260 (ت)
- روزنامجى ، 260 ، 260 (ت)

- س -

- سرجاوش ، 255
- سر دفتر ، 255
- سيمافور دومرساى ، جريدة ، 265

- ش -

- شركة البنك ارنجى ، 49
- شومون ، معاهدة ، 201
- شيخ المسلمين ، 260

- ع -

- عهد الأمان ، 27 (ت) ، 30 (ت)

- ف -

- الفيلىق الملكى الافريقى ، 263 (ت)

- ق -

- قاضى تستور ، 79
- قاضى الجزائريين ، 255 ، 260
- قبطان باشا ، 205 ، 219 ، 219 (ت) ، 256
- قبوجى باشا ، 248
- قبودان يالى ، 260

- ا -

- آت خوجة سى ، 260
- آزمير بايا مجردى ، 115 ، 115 (ت)
- آغا عرب ، 255 ، 260
- آغا ينشبرى ، 255

- ب -

- باش دفتر ، 260
- باى تيطرى ، 250 (ت)
- بك شرف ، 89 ، 90
- بيت المالجى ، 255 ، 260

- ت -

- تافنا ، معاهدة ، 238
- تقويم وقائع ، جريدة ، 323 (ت)

- ج -

- الجوائب ، جريدة ، 34

- خ -

- خزنجى ، 255 ، 260
- خواجه الديوان ، 255
- خوجة الخيل ، 255

- د -

- دى ميشال ، معاهدة ، 215 (ت)

• مقاطعجي ، 255 ، 260

• المنتور ، 174

• منرو ، مذهب ، 29

- ن -

• نقيب اشراف مكة والمدينة ، 255 ،

• 260

- و -

• وكيل الادارة المدنية بالجزائر ،

• 148 (ت)

• الوكيل العسكري ، 156

• الوكيل العمومي ، 159

• الوكيل المدني ، 148 (ت) ، 156

- ك -

• كاتب اسرى ، 255

• كران بريفو ، 155 ، 155 (ت)

• كتخدای ينشبرى ، 255

- ل -

• اللجنة الافريقية ، 164 (ت) ، 180 ،

• 180 (ت) ، 182

- م -

• المتصرف ، 260

• مخبر سرور ، 45

• مدريد ، مؤتمر ، 155 (ت)

• المفتى الجزائري ، 255

فهرس الأشكال

صور الغلاف : الأمير عبد القادر ، على بن غذاهم ثم الصفحة الأولى
من عريضة حسونة الدغيس إلى مجلس العموم البريطاني

- | | | |
|-----------|-------|---|
| 25 — 24 | | 1 (على بن غذاهم |
| 25 — 24 | | 2 (ختم على بن غذاهم |
| 25 — 24 | | 3 (سجناء تونسيون |
| 33 — 32 | | 4 (مصطفى خزندار |
| 33 — 32 | | 5 (محمد الصادق باشا |
| 49 — 48 | | 6 (تقرير حيدر أفندي رقم 2 إلى السلطان |
| 65 — 64 | | 7 (تقرير حيدر أفندي رقم 4 إلى السلطان |
| 73 — 72 | | 8 (تقرير حيدر أفندي رقم II إلى السلطان |
| 81 — 80 | | 9 (رسالة من دي بوفال إلى على بن غذاهم |
| 89 — 88 | | 10 (تقرير حيدر أفندي رقم 18 إلى السلطان |
| 97 — 96 | | 11 (رسالة من حيدر أفندي إلى أهل الساحل |
| 105 — 104 | | 12 (المقراني |
| 113 — 112 | | 13 (بوشوشة |
| | | 14 (رسالة من زعماء جزائريين إلى الصدر الأعظم محمود |
| 129 — 128 | | نديم باشا |
| | | 15 (رسالة ثانية من زعماء جزائريين إلى الصدر الأعظم محمود |
| 137 — 136 | | نديم باشا |
| 137 — 136 | | 16 (الصفحة الأولى لكتاب « المرأة » لحمدان خوجة |
| 137 — 136 | | 17 (حمدان بن عثمان خوجة |
| 137 — 136 | | 18 (صورة من تقرير حمدان إلى وزير الحرب الفرنسي |
| 137 — 136 | | 19 (صورة من رسالة حسونة إلى سكارلوط |
| 161 — 160 | | 20 (صورة من تقرير حمدان إلى وزير الحرب الفرنسي |
| 169 — 168 | | 21 (رسالة حمدان خوجة إلى السلطان |
| 177 — 176 | | 22 (رسالة حمدان إلى صديقه محمود ابن أمين السكة |
| 177 — 176 | | 23 (تنمة الشكل السابق |
| 193 — 192 | | 24 (رسالة حمدان خوجة إلى الملك لوى فيليب |

201 — 200	(25) الأمير عبد القادر
201 — 200	(26) رسالة عبد القادر إلى الحكومة الانكليزية
217 — 126	(27) رسالة عبد القادر إلى الحكومة الانكليزية
225 — 224	(28) رسالة عبد القادر إلى رئيس الوزراء البريطاني
225 — 224	(29) رسالة عبد القادر إلى السلطان عبد المجيد
241 — 240	(31) اللورد اكسموث
249 — 248	(32) رسالة عمر باشا إلى السلطان محمود باشا
257 — 256	(33) رسالة عمر باشا إلى السلطان محمود الثاني
257 — 256	(34) رسالة عمر باشا إلى السلطان محمود الثاني
257 — 256	(35) موقع الاسطول الانكليزي الهولندي تجاه ميناء الجزائر ..
257 — 256	(36) عمر باشا لدى استقباله وفد الصلح الانكليزي
261 — 260	(37) قذف مدينة الجزائر
261 — 260	(38) رسالة وزير البحرية الجزائري إلى السلطان محمود الثاني
261 — 260	(39) رسالة علي خوجة إلى السلطان محمود
261 — 260	(30) علي خوجة
		(40) الصفحة الأولى من عريضة حسونة إلى مجلس العموم
309 — 308	البريطاني

محتوى الكتاب

7	الاهداء
9	مقدمة الأستاذ روبرت منتران
II	توطئة
15	الاصطلاحات
17	– البحث الأول :
19	– من الجديد في انتفاضة سنة 1874 بتونس
41	– المدخل إلى الوثائق
		– الوثيقة رقم :
42	– I تقرير الصدر الأعظم إلى السلطان
44	– 2 تقرير حيدر أفندي رقم 2 والموجه إلى الباب العالي
59	– 3 رسالة من الصادق باشا إلى الصدر الأعظم فؤاد باشا
61	– 4 تقرير حيدر أفندي رقم 4 والموجه إلى الباب العالي
64	– 5 رسالة دى بوفال إلى على بن غزاهم
67	– 6 تقرير حيدر أفندي رقم 5 والموجه إلى الباب العالي
71	– 7 تقرير حيدر أفندي رقم II والموجه إلى السلطان
74	– 8 تعليمات الباب العالي السرية والمرسلة إلى حيدر أفندي
77	– 9 تعليمات ثانية من الباب العالي إلى حيدر أفندي
79	– 10 رسالة من دى بوفال إلى على بن غزاهم
81	– II رسالة على بن غزاهم إلى محمد الصادق باى
83	– 12 رسالة من محمد الصادق باشا إلى الصدر الأعظم محمد جواد باشا
85	– 13 رسالة على بن غزاهم إلى مصطفى خزندار
86	– 14 رسالة من صاحب الطابع إلى محمد الصادق باشا باى
87	– 15 رسالة على بن غزاهم إلى مصطفى خزندار
89	– 16 تقرير حيدر أفندي رقم 18 والموجه إلى الباب العالي
91	– 17 رسالة من حيدر أفندي إلى أهل الساحل
93	– 18 رسالة محمد الصادق باشا إلى الصدر الأعظم فؤاد باشا

- 94 - رسالة محمد الصادق باشا إلى حيدر أفندي
- 95 - رسالة محمد الصادق باى إلى السلطان العثماني
- 97 - رسالة محمد الصادق باشا باى إلى الصدر الأعظم فؤاد باشا ..
- 99 - رسالة الباب العالي الموجهة الى باى تونس
- 101 - **البحث الثاني :**
- 103 - **سياسة الباب العالي تجاه انتفاضة شرق الجزائر سنة 1871**
- 121 - **قسم الوثائق :**
- 123 - **المدخل إلى الوثيقة رقم 1 و 2**
- I - رسالة الجمعية الخيرية الاسلامية إلى الصدر الأعظم محمود نديم باشا
- 124 - 2 رسالة ثانية من الجمعية الخيرية الاسلامية إلى الصدر الأعظم محمود نديم باشا
- 126 - 3 رسالة الأمير عبد القادر إلى قنصل فرنسا بطرابلس الغرب
- 130 - **البحث الثالث :**
- 131 - **حول كتاب « المرأة » لحمدان بن عثمان خوجة**
- 133 - **قسم الوثائق :**
- 143 - **المدخل إلى الوثيقة رقم 1**
- 145 - الوثيقة رقم I مذكرة حمدان خوجة ورد وزارة الحربية عليها
- 146 - **المدخل إلى الوثيقة رقم 2 و 3**
- 166 - رقم 2 : رسالة من حمدان خوجة إلى السلطان محمود الثانى
- 168 - رقم 3 : رسالة من حمدان خوجة إلى الباب العالي
- 174 - رقم 4 : رد حمدان خوجة على أسئلة اللجنة الافريقية بباريس ..
- 182 - رقم 5 : رسالة حمدان خوجة إلى وزير الحربية الفرنسي
- 187 - رقم 6 : عرض حال من حمدان خوجة إلى الملك الفرنسي لوى فيليب
- 189 - **البحث الرابع :**
- 195 - **انطباعات حول علاقة الأمير عبد القادر بانقلترا والباب العالي سنة 1840 - 1841**
- 197 - **قسم الوثائق :**
- 211 - رقم I : رسالة من الأمير عبد القادر إلى قنصل انقلترا بطنجة ..
- 213

- 215 - رقم 2 : رسالة الأمير عبد القادر إلى رئيس الوزراء البريطاني ...
- 217 - رقم 3 : رسالة من حمدان خوجة إلى الحاج أحمد باى قسنطينة ...
- 219 - رقم 4 : رسالة من الأمير عبد القادر إلى رئيس الوزراء البريطاني
- 221 - رقم 5 : رسالة من الأمير عبد القادر إلى السلطان عبد المجيد
- 227 - رقم 6 : رسالة من الأمير عبد القادر إلى الصدر الأعظم
- 228 - رقم 7 : رسالة من الأمير عبد القادر إلى حمدان بن عثمان خوجة .
- 229 - رقم 8 : رسالة من الباب العالي إلى الأمير عبد القادر
- 231 - **البحث الخامس :**
- 233 - **قذف مدينة الجزائر سنة 1816**
- 243 - وثائق تركية عن قذف مدينة الجزائر سنة 1816
- رقم الوثائق :
- 245 - رقم 1 : رسالة عمر باشا داي الجزائر إلى السلطان
- 248 - رقم 2 : رسالة عمر باشا داي الجزائر إلى السلطان
- 249 - رقم 3 : رسالة محمد خسرو وزير البحرية العثمانى إلى السلطان
- 250 - رقم 4 : رسالة عمر باشا داي الجزائر إلى السلطان
- 250 - رقم 5 : رسالة عمر باشا داي الجزائر إلى السلطان
- 252 - رقم 6 : رسالة محمد خسرو وزير البحرية العثمانى إلى السلطان
- 252 - رقم 7 : رسالة عمر باشا داي الجزائر إلى السلطان
- رقم 8 : نص المعاهدة التى عقدت بين عمر باشا داي الجزائر
واللورد اكسموث
- 256 - رقم 9 : رسالة على رائس وزير البحرية الجزائرى إلى السلطان
- 257 - رقم 10 : رسالة على خوجة داي الجزائر إلى السلطان
- 259 - **البحث السادس :**
- 261 - **حسونة الدغيس الطرابلسى وقضية الماجور لاي**
- 277 - **قسم الوثائق :**
- 275 - **المدخل إلى الوثيقة رقم 1 :**
- 277 - رقم 1 : تقرير الحكومة الفرنسية فى قضية وثائق الماجور لاي ..
- 278 - رقم 2 : رسالة من حسونة الدغيس إلى صديقه الانغليزى
- 292 - اسكارلوط

294	- رقم 3 : تقارير حسونة الدغيس إلى الحكومة الفرنسية
304	- المدخل إلى الوثيقة رقم 4 :
305	- رقم 4 : مذكرة حسونة الدغيس إلى مجلس امعموم البريطانى ..
321	- رقم 5 : رسالة من حسونة الدغيس إلى رجال الدولة العثمانيين
132	- رقم 6 : رسالة من حسونة الدغيس إلى رجال الدولة العثمانيين
324	- رقم 7 : رسالة من حسونة الدغيس إلى رجال الدولة العثمانيين
327	المصادر العربية
328	المصادر الاجنبية
333	المدخل إلى الفهارس
334	فهرس الاعلام
342	فهرس القبائل والجماعات
345	فهرس الأماكن
351	فهرس الوظائف وبعض الأسماء الأخرى
353	فهرس الأشكال
355	محتوى الكتاب

انتهى طبع هذا الكتاب
بالشركة التونسية للفنون والرسم
في ١١ مارس ١٩٧٢

اصلاح الاخطاء

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
36	6	أقام	قام
48	8	للنزال	للنزول
99	13	تلك	مسلك
103	18	أين	إنى
111	10	وعدوكم	وعدوهم
112	12	17	20
119	13	العصارة	العصاة
130	14	عده	عنه
138	12	معاصرين	معاصريه
150	7	الوقف	الوقت
154	20	يحتجبن	يحتجبن
159	13	لآتخاذ	لآتخاذه
167	11	بأن	بأنه
170	22	وقدتمتموا	وقدتمتم
180	21	وعطوه	وأعطوه
186	2	سلمتموها	سلمتموها
234	السطر الأول يصبح السطر 25		
234	11	الخطوة	الخطوط
235	7	وفق	أن
236	29	الحاج على	على خوجة
265	13	الحتضير	التحضر
273	6	ليحيط	ليحيط
281	1	آستقر	آستقى
308	15	ن	أن
317	19	المورد	اللورد
319	7	رسه	رأس



الدكتور عبد الجليل بقبي

لقد بدأ الباحثون في استغلال الوثائق التركية المحفوظة باستنبول وأنقرة ، واليوم أقدم بانتهاج الفخ عمل السيد عبد الجليل التميمي ، الذي يعد أول مؤرخي المغرب الشبان ، حيث أدرك عدم الاكتفاء بالرجوع إلى المصادر القديمة ، بل على العكس ، أضاف إلى هاته الوثائق التي سعى للعثور عليها ودراستها باستنبول .

إن مجموع دراسته التي يقدمها هنا ، هو الدليل القاطع على سعة وتعمق وثائقه ، وسعة معرفته بآثاره اللغات الضرورية لتعميق مثل هاته الدراسات حول تاريخ الجزائر ويونس الحديث .

يمكن لنا أن نعلم في المستقبل على السيد عبد الجليل التميمي للعمل على تقديم في التاريخ ، وأما انتظر منه أن يقدم لنا في القريب العاجل الحجة القاطعة على ذلك .

روبار منتيران

إن الوثائق التي عمدت إلى استيفائها من مراجع شتى طالما اهتمت لهذا الآن ، لتوفر لنا عناصر مستجدة من أجل بحث صورة شاملة وأصيل مقارن لتاريخ مغربنا ؛ وقد وقفتم إلى الاستفادة منها وإفادة قرائكم . ونوه هنا بما أبدىتموه من وضوح في الفكر وتوفر على الدقة والعمل الجاد استوجبتم به امتنان التاريخ وإتناء أسرته .

محمد الصالح مزالي

اقرأ...



الدار التونسية للنشر